هو

۱۲۱

تفسیر الصافی

الجزء الأول

ملامحسن فیض کاشانی

به کوشش: زهرا خالوئی

فهرست

ديباجة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ نحمدك يا من تجلى لعباده في كتابه بل في كل شيء، و أراهم نفسه في خطابه بل في كل نور و فيء، دل على ذاته بذاته، و تنزّه عن مجانسة مخلوقاته، كيف يستدل عليه بما هو في وجوده مفتقر إليه، بل متى غاب حتى يحتاج إلى دليل يدل عليه، و متى بَعد حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليه، عميت عين لا تراه و لا يزال عليها رقيباً، و خسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبه نصيباً، تعرّف لكلّ موجود فما جهله موجود، و تعرّف إلينا بكلّ شاهد لنشاهده في كل مشهود، نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً و أودع اسراره أهل البيت فأذهب عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيراً، أبلج عن هدى نبيه المرسل، بنور كتابه المنزل، وكشف عن سرّ كتابه المنزل بعترة نبيه المرسل، جعل الكتاب و العترة حبلين ممدودين بينه و بيننا، ليخرجنا بتمسكنا بهما من مهوى ضلالتنا و يذهب عنا شيننا، لم يزل أقامهما فينا طرف منهما بيده و طرف بأيدينا، منَّ بهما علينا و حببهما بفضله إلينا، و هما الثقلان اللذان تركهما النبي فينا، و خلّفهما لدينا، و قال ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ حوضي، فأخبرنا بأنهما صاحبان مصطحبان، و اخوان مؤتلفان، و ان العترة تراجمة للقرآن، فَمن الكشاف عن وجوه عرائس اسراره و دقائقه و هم قد خوطبوا به، و مَن لتبيان مشكلاته و لديه مجمع بيان معضلاته و منبع بحر حقائقه و هم: أبو حسنه، و مَن لشرح آيات اللّه و تيسير تفسيرها بالرموز و الصراح الا من شرح اللّه صدره بنوره، و مثّله بالمشكاة و المصباح و من عسى يبلغ علمه بمعالم التّنزيل و التأويل و في بيوتهم كان ينزل جبرائيل، و هي البيوت التي أذن اللّه أن ترفع، فعنهم يؤخذ و منهم يسمع، إذ أهل البيت بما في البيت ادرى و المخاطبون لما خوطبوا به أوعى، فأين نذهب عن بابهم، و إلى من نصير لا و اللّه وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ، سَمِعْنا وَ أَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ، اللهم فكما هديتنا للتمسك بحبل الثقلين و جعلت لنا المودة في القربى قرّة عين، فاشرح صدورنا لأسرار كتابك لنرتقي من العلم إلى العين، و نوّر أفئدتنا بأنوار العترة لنخرج من ظلمات الغين و الرين و صلّ اللهم على محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين و على التسعة من ولد الحسين عليهم السلام و صن بياننا عن الشين و لساننا عن المين.أما بعد: فيقول خادم علوم الدين، و راصد اسرار كتاب اللّه المبين، الفقير إلى اللّه في كل موقف و موطن (محمد بن مرتضى) المدعو (بمحسن) حشره اللّه مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين هذا يا اخواني ما سألتموني من تفسير القرآن بما وصل إلينا من أئمتنا المعصومين من البيان، أتيتكم به مع قلّة البضاعة، و قصور يدي عن هذه الصناعة، على قدر مقدور فان المأمور معذور، و الميسور لا يترك بالمعسور، و لا سيما كنت أراه امراً مهماً، و بدونه أرى الخطب مدلهماً، فان المفسرين و ان أكثروا القول في معاني القرآن، إلا أنه لم يأت أحد منهم فيه بسلطان و ذلك لأن في القرآن ناسخاً و منسوخاً و محكماً و متشابهاً و خاصاً و عاماً و مبيّناً و مبهماً و مقطوعاً و موصولًا و فرائض و أحكاماً و سنناً و آداباً و حلالًا و حراماً و عزيمة و رخصة و ظاهراً و باطناً و حداً و مطلعاً، و لا يعلم تمييز ذلك كله إلا من نزل في بيته، و ذلك هو النبي و اهل بيته، فكل ما لا يخرج من بيتهم فلا تعويل عليه.و لهذا ورد عن النبي صلّى اللّه عليه و آله من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ، و قد جاءت عن أهل البيت في تفسير القرآن و تأويله أخبار كثيرة إلا أنها خرجت متفرقة عند أسئلة السائلين و على قدر افهام المخاطبين، و بموجب إرشادهم إلى مناهج الدين و بقيت بعد خبايا في زوايا خوفاً من الأعداء و تقيّة من البعداء و لعله مما برز و ظهر لم يصل إلينا الأكثر، لأنّ رواته كانوا في محنة من التقية و شدة من الخطر و ذلك بأنه لما جرى في الصحابة ما جرى، و ضل بهم عامة الورى، أعرض الناس عن الثقلين و تاهوا في بيداء ضلالتهم عن النجدين الا شرذمة من المؤمنين فمكث العامة بذلك سنين و عمهوا في غمرتهم حتّى حين، فآل الحال إلى: أن نبذ الكتاب حَمَلته و تناساه حفظته، فكان الكتاب و اهله في الناس و ليسا في الناس و معهم و ليسا معهم، لأن الضلالة لا توافق الهدى و إن اجتمعا، وكان العلم

مكتوماً و اهله مظلوماً لا سبيل لهم إلى إبرازه إلا بتعميته و إلغازه، ثم خلف من بعدهم خلف غير عارفين و لا ناصبين لم يدروا ما صنعوا بالقرآن، و عمن أخذوا التفسير و البيان، فعمدوا إلى طائفة يزعمون انهم من العلماء، فكانوا يفسرونه لهم بالآراء و يروون تفسيره عمّن يحسبونه من كبرائهم، مثل: أبي هريرة و أنس و ابن عمر و نظرائهم. وكانوا يعدّون أمير المؤمنين عليه السلام من جملتهم و يجعلونه كواحد من الناس، وكان خير من يستندون إليه بعده ابن مسعود و ابن عباس ممن ليس على قوله كثير تعويل و لا له إلى لباب الحق سبيل، و كان هؤلاء الكبراء ربما يتقوّلونه من تلقاء أنفسهم غير خائفين من مآله و ربما يسندونه إلى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله، و من الآخذين عنهم من لم يكن له معرفة بحقيقة أحوالهم لما تقرر عنهم أن الصحابة كلهم عدول و لم يكن لأحد منهم عن الحق عدول، و لم يعلموا أن أكثرهم كانوا يبطنون النفاق و يجترون على اللّٰه و يفترون على رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم في عزة و شقاق، هكذا كان حال الناس قرناً بعد قرن فكان لهم في كل قرن رؤساء ضلالة، عنهم يأخذون و إليهم يرجعون، هم بآرائهم يجيبون و إلى كبرائهم يستندون و ربما يروون عن بعض أئمة الحق في جملة ما يروون عن رجالهم و لكن يحسبونه من أمثالهم. فتبّاً لهم و لأدب الرواية، إذ ما رعوها حق الرعاية، نعوذ باللّٰه من قوم حذفوا محكمات الكتاب و نسوا اللّٰه ربّ الأرباب راموا غير باب اللّٰه ابواباً، و اتخذوا من دون اللّٰه ارباباً، و فيهم أهل بيت نبيهم و هم أزمة الحق و ألسنة الصدق و شجرة النبوة و موضع الرسالة و مختلف الملائكة و مهبط الوحي و عيبة العلم و منار الهدى و الحجج على أهل الدنيا خزائن اسرار الوحي و التنزيل، و معادن جواهر العلم و التأويل، الأمناء على الحقائق، و الخلفاء على الخلائق، أولوا الأمر الذين أُمروا بطاعتهم و اهل الذكر الذين أُمروا بمسألتهم و أهل البيت الذين أذهب اللّٰه عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، و الراسخون في العلم الذين عندهم علم القرآن كله تأويلًا و تفسيراً و مع ذلك كله يحسبون أنهم مهتدون إنّا للّٰه و إنّا إليه راجعون.

و لما أصبح الأمر كذلك و بقي العلم مخزوناً هنالك صار الناس كأنهم أئمة الكتاب و ليس الكتاب بإمامهم فضربوا بعضه ببعض لترويج مرامهم، و حملوه على أهوائهم في تفاسيرهم وكلامهم، و التفاسير التي صنَّفها علماء العامة من هذا القبيل فكيف يصح عليها التعويل، وكذلك التي صنفها متأخرو أصحابنا، فإنها أيضاً مستندة إلى رؤساء العامة و شذ ما نقل فيه حديث عن أهل العصمة، و ذلك لأنهم إنما نسجوا على منوالهم و اقتصروا في الأكثر على أقوالهم، مع أن أكثر ما تكلم به هؤلاء و هؤلاء فإنما تكلموا في النحو و الصرف و الاشتقاق و اللغة و القراءة و أمثالها مما يدور على القشر دون اللباب فأين هم و المقصود من الكتاب، و إنما أورد كل طائفة منهم ما قويت فيه منّته، و ترك ما لا معرفة له به مما قصرت عنه همّته، و منهم من أدخل في التفسير ما لا يليق به فبسط الكلام في فروع الفقه و أصوله و طوّل القول في اختلاف الفقهاء او صرف همته فيه إلى المسائل الكلامية و ذكر ما فيها من الآراء، و اما ما وصل إلينا مما ألفه قدماؤنا من أهل الحديث فغير تام لأنه إما غير منته إلى آخر القرآن و إما غير محيط بجميع الآيات المفتقرة إلى البيان، مع أن منه ما لم يثبت صحته عن المعصوم لضعف رواته أو جهالة حالهم و نكارة بعض مقالهم، و منه ما أورد جامعه في كثير من المواضع ما لا مدخل له في فهم القرآن و ترك فيه و في مواضع اخر ما لا بد منه في التفسير و التبيان. لم يأت بنظم يليق، و لا بأسلوب أنيق، و منه ما يشتمل مع ذلك على ما ثبت خلافه في العقل و الأنباء كنسبة الكبائر و السفه إلى الأنبياء، و منه ما يشتمل على التأويلات البعيدة التي تشمئز عنها الطباع و تنفر عنه الأسماع و تحجب عن البيان و تزيد في حيرة الحيران مما يجب رده إليهم من غير إنكار كما وردت به الأخبار و لعلها إن صحت فإنما وردت لمصالح و معان يقتضيها الوقت و الزمان.و منه ما يشتمل على ما يوهم عليه التناقض و التضاد لتخصيص المعنى تارة ببعض الأفراد كأنه هو المراد، و تارة بفرد آخر كأن غيره لا يراد، من غير تعرض للجمع و التوفيق، و لا إتيان بما هو التحقيق و جله يشتمل على ما يوهم اختصاص آيات الرحمة بأشخاص بأعيانهم، كأنها لا يجاوزهم إلى الغير و اختصاص آيات العذاب بأشخاص أخر كأنهم خصوا بأبعد عن الخير

من غير تعرض منهم لبيان المراد، و أن ليس المقصود بهما خصوص الآحاد و الأفراد، كما يعرفه البصير في الدين و الخبير بأسراركلام المعصومين، كيف و لوكان ذلك كذلك لكان القرآن قليل الفائدة، يسير الجدوى و العائدة، حاشاه عن ذلك بل إنما ورد ذلك على سبيل المثال، لازاحة الخفاء أو ذكر الفرد الأكمل و الأخفى، أو المنزل فيه او للاشارة إلى احد بطون معانيه.و أما في كتب الأخبار مما يتعلق بالتفسير فكان مع اشتماله على بعض هذه الامور متفرقاً بحيث يعسر ضبطه و ربطه بالآيات، مع أنه لم يف بأكثر المهمات، و بالجملة لم نر إلى الآن في جملة المفسرين مع كثرتهم وكثرة تفاسيرهم من أتى بتصنيف تفسير مهذب صاف واف كاف شاف يشفي العليل و يروي الغليل، يكون منزهاً عن آراء العوام مستنبطاً من أحاديث أهل البيت عليهم السلام، و ليس لهذا الأمر الخطير و الإتيان بمثل هذا التفسير الا ناقد بصير، ينظر بنور اللّٰه و يؤيده روح القدس، بإذن اللّٰه ليشاهد صدق الحديث و صحته من اشراق نوره، و يعرف كذبه و ضعفه من لحن القول و زوره فيصحح الأخبار بالمتون دون الأسانيد، و يأخذ العلم من اللّٰه لا من الأساتيد حتّى يتأتّى له تمييز الصافي من الكدر، و تخرج الشافي من المضر، فينقر الأخبار التفسيرية المعصومية نقراً حتى تصفو عمّا يوهم غباراً في البيان، و يبقرها بقراً إلى أن يخرج من خاصرتها ما يناسب فهم أبناء الزمان، يجتمع شتاتها من كتب متعددة، و يؤلف متفرقاتها من مواضع متبددة، و يفرّدها من كلام كثير ليس لأكثره مدخل في التفسير و يلفّقها من غير واحد بحذف الزوائد، بحيث يزيل الإبهام لا أن يزيد إبهاماً على إبهام، و على نحو لا يخرج عن مقصود الامام و لا يفوت شيئاً من لطائف الكلام، و قد جاءت الرخصة عنهم في نقل حديثهم بالمعنى إذا لم يخل بالمرام، و أن يعمّم في تفسيره المعنى و المفهوم في كل ما يحتمل الاحاطة و العموم، لأن التناقض و التضاد الموهومين في الأخبار إنما يرتفعان بذلك في الغالب، و فهم أسرار القرآن يبتني على ذلك للطالب، فإن نظر أهل المعرفة إنما يكون في العلوم إلى الحقائق الكلية دون الافراد، فما ورد في الأخبار من التخصيص فإنما ورد للافهام القاصرة على خصوص الآحاد للاستيناس إذكان كلامهم مع الناس على قدر عقول الناس، و قد عمّم مولانا الصّادق عليه السلام الآية التي وردت في صلة رحم آل محمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم صلة كل رحم ثم قال و لا تكونن ممن يقول في الشيء إنه في شيء واحد، و هذا نهي عن التخصيص فضلًا عن الاذن في التعميم و هذا هو المعنى بالتأويل كما يأتي بيانه نقلًا عن المعصوم ثم تحقيق معناه ببسط من الكلام إنشاء اللّٰه و أن يأتي بذكر القصص التي يتوقف عليها فهم الآيات، و تعاطيها دون ما لا مدخل له فيها، و أن يترك ما يبعد عن الافهام في طيّ الأخبار، و يذره في سنبله من غير نقل و لا إنكار، امتثالًا لما ورد فيما رواه مولانا الباقر عليه السلام عن النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم أنه قال ان حديث آل محمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم صعب مستصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرَّب أو نبي مرسل أو عبد امتحن اللّٰه قلبه للإيمان فما عرض عليكم من حديث آل محمد فلانت له قلوبكم و عرفتموه فخذوه و ما اشمأزت منه قلوبكم و أنكرتموه فردوه إلى اللّٰه و إلى الرسول و إلى العالم من آل محمد صلّى اللّٰه عليه و آله و إنما الهلاك أن يحدث عليكم أحدكم بشيء منه لا يحتمله فيقول و اللّٰه ما كان هذا و اللّٰه ما هذا بشيء و الإنكار هو الكفر و إذا أتى المفسر بهذا كله فمرجو له ان يكون من أهل البشارة في قوله سبحانه (فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذينَ هَداهُمُ اللَّهُ وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ) و إني لأرجو من فضل اللّٰه وكرمه أن يكون هذا الكتاب هو ذلك التفسير مع إني ما بلغت معشار حسنة من حسنات ذلك الناقد البصير إلا أن يعرفني (بصرني خ ل) ربي و نصرني و أيدني و سددني و آتاني فهماً في قرآنه ثم أطلق لساني ببيانه، و ما ذلك يا إلهي إلا بيدك و لا يوصل إليه إلا بمعونتك و قدرتك و لا ينال إلا بمشيئتك و إرادتك، و لا يتأتى إلا بتوفيقك و تسديدك فهب لي منك تأييداً و تسديداً و توفيقاً، و تحقيقاً حتى استفيد ذلك من خزائنك على أيدي خزانك الأمناء على وحيك العلماء بكتابك، فإنك إن وكلتني إلى سواك و سواهم تهت و إن تركتني و نفسي ولهت، و إن كنت لي فيما بيني و بينك فزت و عن مواقع الهلكة جزت و ذلك هو الفوز العظيم و هو المرجو منك يا كريم و ما

ذلك عليك بعزيز.و بالحري أن يسمى هذا التفسير بالصافي لصفائه عن كدورات آراء العامة و الممل و المحير و المتنافي.و نمهّد أولًا اثنتي عشرة مقدمة مهمات ثم نشرع إنشاء اللّه في تفسير الآيات:
المقدمة الأولى: في نبذ مما جاء في الوصية بالتمسك بالقرآن و فضله.
و المقدمة الثانية: في نبذ مما جاء في أن علم القرآن كله إنما هو من عند أهل البيت عليهم السلام.
و المقدمة الثالثة: في نبذ مما جاء في أن جل القرآن إنما ورد فيهم و في أوليائهم و في أعدائهم، و بيان سر ذلك.و المقدمة الرابعة: في نبذ مما جاء في معاني وجوه الآيات من التفسيرو التأويل و الظهر و البطن و الحد و المطّلع و المحكم و المتشابه و الناسخ و المنسوخ و غير ذلك، و تحقيق القول في معنى المتشابه و تأويله.
و المقدمة الخامسة: في نبذ مما جاء في المنع من تفسير القرآن بالرأي و السر فيه.
و المقدمة السادسة: في نبذ مما جاء في جمع القرآن و تحريفه و زيادته و نقصه و تأويل ذلك.
و المقدمة السابعة: في نبذ مما جاء في أن القرآن تبيان كل شيء و تحقيق معناه.
و المقدمة الثامنة: في نبذ مما جاء في أقسام الآيات و اشتمالها على البطون و التأويلات و أنواع اللغات و اختلاف القراءات و المعتبرة منها.
و المقدمة التاسعة: في نبذ مما جاء في زمان نزول القرآن و تحقيق ذلك.
و المقدمة العاشرة: في نبذ مما جاء في تمثيل القرآن لأهله يوم القيامة و شفاعته لهم و ثواب حفظه و تلاوته.
و المقدمة الحادية عشرة: في نبذ مما جاء في كيفية التلاوة و آدابها.
و المقدمة الثانية عشرة: في بيان ما اصطلحنا عليه في تفسير الآيات ليكون الناظر فيه على بصيرة و من اللّه الاعانة و إعطاء الفهم و البصيرة.

المدخل

المقدمة الأولى في نبذ مما جاء في الوصية بالتمسك بالقرآن و في فضله

روى محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه في الكافي بإسناده، و محمد بن مسعود العياشي في تفسيره بإسناده عن الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: أيها الناس إنكم في دار هدنة و أنتم على ظهر سفر و السير بكم سريع و قد رأيتم الليل و النهار و الشمس و القمر يبليان كل جديد و يقرّبان كل بعيد و يأتيان بكل موعود فأعدوا الجهاز لبعد المجاز. قال: فقام المقداد بن الأسود فقال يا رسول اللّه: و ما دار الهدنة فقال (ص). دار بلاغ و انقطاع فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفّع، و ما حل مصدق و من جعله أمامه قاده إلى الجنة، و من جعله خلفه ساقه إلى النار و هو الدليل يدل على خير سبيل و هوكتاب فيه تفصيل و بيان و تحصيل، و هو الفصل و ليس بالهزل و له ظهر و بطن، فظاهره حكم و باطنه علم ظاهره أنيق و باطنه عميق له تخوم و على تخومه تخوم لا تحصى عجائبه و لا تبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة و دليل على المعرفة لمن عرف الصفة.و زاد في الكافي: فليجل جال بصره و ليبلغ الصفة نظره ينج من عطب و يخلص من نشب فإن التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص و قلة التربص.أقول: ما حل أي يمحل بصاحبه إذا لم يتبع ما فيه، أعني يسعى به إلى اللّه تعالى. و قيل معناه خصم مجادل.و الأنيق الحسن المعجب و التخوم بالمثناة الفوقانية و المعجمة جمع تخم بالفتح و هو منتهى الشيء لمن عرف الصفة: أي صفة التعرف وكيفية الاستنباط.و العطب: الهلاك. و النشف: الوقوع فيما لا مخلص منه.و روى العياشي بإسناده عن الحارث الأعور قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين انّا إذا كنّا عندك سمعنا الذي نشد به ديننا و إذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة و لا ندري ما هي.قال: أوقد

فعلوها. قال: قلت نعم. قال: سمعت رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم يقول: أتاني جبرائيل فقال: يا محمد ستكون في أمتك فتنة.قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب اللَّه فيه بيان ما قبلكم من خبر، و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم و هو الفصل ليس بالهزل من وليه من جبّار فعمل بغيره قصمه اللَّه، و من التمس الهدى في غيره أضله اللَّه و هو حبل اللَّه المتين و هو الذكر الحكيم و هو الصراط المستقيم لا تزيغه الأهوية و لا تلبسه الألسنة و لا يخلق على الرد و لا تنقضي عجائبه و لا يشبع منه العلماء هو الذي لم تلبث الجن إذ سمعته أن قالوا: (إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) من قال به صدق و من عمل به أجر و من اعتصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم هو الكتاب العزيز الذي لاَ يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ.و بإسنادهما عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم القرآن: هدى من الضلالة و تبيان من العمى و استقالة من العثرة و نور من الظلمة و ضياء من الأجداث و عصمة من الهلكة و رشد من الغواية و بيان من الفتن و بلاغ من الدنيا إلى الآخرة و فيه كمال دينكم و ما عدل أحد من القرآن إلا إلى النار.و روى العياشي بإسناده عنه عليه السلام قال: عليكم بالقرآن فما وجدتم آية نجى بها من كان قبلكم فاعملوا به و ما وجدتموه مما هلك بها من كان قبلكم فاجتنبوه.و في تفسير الامام أبي محمد الزكي قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم ان هذا القرآن هو النور المبين و الحبل المتين و العروة الوثقى و الدرجة العليا و الشفاء الأشفى و الفضيلة الكبرى و السعادة العظمى من استضاء به نوّره اللَّه و من عقد به أموره عصمه اللَّه و من تمسك به أنقذه اللَّه، و من لم يفارق أحكامه رفعه اللَّه و من استشفى به شفاه اللَّه و من أثر على ما سواه هداه اللَّه و من طلب الهدى في غيره أضله اللَّه و من جعله شعاره و دثاره أسعده اللَّه و من جعله إمامه الذي يقتدي به و معموله الذي ينتهي إليه أدّاه اللَّه إلى جنات النعيم و العيش السليم.و في الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم: يا معاشر قرّاء القرآن اتّقوا اللَّه فيما حملكم من كتابه فإني مسؤول و إنّكم مسؤولون إني مسؤول عن تبليغ الرسالة و اما أنتم فتسألون عمّا حملتم من كتاب اللَّه و سنّتي.و بإسناده عنه عليه السلام قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم:أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه و أهل بيتي ثم أمتي ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب اللَّه و أهل بيتي.و بإسناده عن سعد الإسكاف عنه عليه السلام قال: قال صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أعطيت السور الطول مكان التوراة و أعطيت المئين مكان الإنجيل و أعطيت المثاني مكان الزبور و فضّلت بالمفصّل ثمان و ستون سورة و هو مهيمن على سائر الكتب، فالتوراة لموسى و الإنجيل لعيسى و الزبور لداود.أقول: اختلف الأقوال في تفسير هذه الألفاظ أقربها إلى الصواب و أحوطها لسور الكتاب أن الطول كصرد هي السبع الأول بعد الفاتحة على أن يعد الأنفال و البراءة واحدة نزولها جميعاً في المغازي و تسميتهما بالقرينتين.و المئين من بني إسرائيل إلى سبع سور سمّيت بها لأن كلا منها على نحو مائة آية، و المفصل من سورة محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم إلى آخر القرآن سميت به لكثرة الفواصل بينها، و المثاني بقية السور و هي التي تقتصر عن المائتين و تزيد على المفصل كأن الطول جعلت مبادي تارة و التي تلتها مثاني لها لأنها ثنت الطول أي تلتها، و المئين جعلت مبادي أُخرى و التي تلتها مثاني لها

المقدمة الثانية في نبذ مما جاء في ان علم القرآن كله إنما هو عند أهل البيت عليهم السلام

روى في الكافي بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي قال سمعت أمير المؤمنين يقول و ساق الحديث إلى أن قال: ما نزلت آية على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله الا اقرأنيها و املاها علي فكتبتها بخطي و علمني تأويلها و تفسيرها و ناسخها و منسوخها و محكمها و متشابهها و دعا اللَّه لي أن يعلمني فهمها و حفظها فما نسيت آية من كتاب اللَّه و لا علماً أملاه عليّ فكتبته منذ دعا لي بما دعا و ما ترك شيئاً علّمه اللَّه من حلال و

لا حرام و لا أمر و لا نهي كان او يكون و لا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علّمنيه و حفظته فلم أنس منه حرفاً واحداً ثم وضع يده على صدري و دعا اللّه أن يملأ قلبي علماً و فهماً و حكمة و نوراً. فقلت: يا رسول اللّه بأبي انت و أمي مذ دعوت اللّه لي بما دعوت لم أنس شيئاً و لم يفتني شيء لم أكتبه أو تتخوف علي النسيان فيما بعد. فقال:لست أتخوف عليك نسياناً و لا جهلا.

و رواه العياشي في تفسيره و الصدّوق في إكمال الدين بتفاوت يسير في ألفاظه.و زيد في آخره: و قد أخبرني ربي أنه قد استجاب لي فيك و في شركائك الذين يكونون من بعدك فقلت: يا رسول اللّه و من شركائي من بعدي؟ قال: الذين قرنهم اللّه بنفسه و بي. فقال: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فقلت و من هم؟ قال: الأوصياء مني. إلى أن يردوا عليّ الحوض كلهم هادين مهديين لا يضرهم من خذلهم هم مع القرآن و القرآن معهم لا يفارقهم و لا يفارقونه بهم ينصر أمتي و بهم تمطر و بهم يدفع عنهم البلاء و بهم يستجاب دعاؤهم فقلت: يا رسول اللّه سمهم لي. فقال: ابني هذا و وضع يده على رأس الحسن ثم ابني هذا و وضع يده على رأس الحسين ثم ابن له يقال له علي و سيولد في حياتك فاقرأه مني السلام ثم تكملة اثني عشر من ولد محمد صلّى اللّه عليه و آله فقلت له بأبي انت و أمي فسمهم لي فسماهم رجلًا رجلًا فقال: فيهم و اللّه يا أخا بني هلال مهدي أمة محمد الذي يملأ الأرض قسطاً و عدلًا كما ملئت ظلماً و جوراً و اللّه إني لأعرف من يبايعه بين الركن و المقام و اعرف اسماء آبائهم و قبائلهم.و في الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما انزل الا كذاب و ما جمعه و حفظه كما أنزل اللّه، الا علي بن أبي طالب و الأئمة من بعده عليهم السلام. و بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره و باطنه غير الأوصياء. و بإسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام في قوله تعالى: (بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) قال: هم الأئمة. و بإسناده عنه عليه السلام قال: قد ولدني رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أنا أعلم كتاب اللّه تعالى و فيه بدؤ الخلق و ما هو كائن إلى يوم القيامة و فيه خبر السماء و خبر الأرض و خبر الجنة و النار و خبر ما كان و ما هو كائن أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي إنّ اللّه تعالى يقول: فيه (تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ) أقول: الولادة المشار إليها تشمل الولادة الجسمانية و الروحانية فإن علمه يرجع إليه كما أن نسبه يرجع إليه فهو وارث علمه كما هو وارث ماله، و لهذا قال: و أنا أعلم كتاب اللّه تعالى و فيه كذا وكذا يعني و أنا عالم بذلك كله و بإسناده عنه عليه السلام قال:كتاب اللّه فيه نبأ ما قبلكم و خبر ما بعدكم و فصل ما بينكم و نحن نعلمه.و بإسناده عنه عليه السلام قال: نحن الراسخون في العلم و نحن نعلم تأويله.

و في تفسير العياشي عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: انا أهل بيت لم يزل اللّه يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره و ان عندنا من حلال اللّه و حرامه ما يسعنا كتمانه ما نستطيع أن نحدث به احداً.

و في رواية: إنّ من علم ما أوتينا تفسير القرآن و أحكامه لو وجدنا أوعية أو مستراحاً لقلنا و اللّه المستعان.

و فيه عنه عليه السلام قال: ان اللّه جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن و قطب جميع الكتب عليها يستدير محكم القرآن و بها نوهت الكتب و يستبين الإيمان، و قد أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أن تقتدي بالقرآن و آل محمد عليهم السلام.

و ذلك حيث قال: في آخر خطبة خطبها إني تارك فيكم الثقلين الثقل الأكبر و الثقل الأصغر فاما الأكبر فكتاب ربي و أما الأصغر فعترتي أهل بيتي فاحفظوني فيهما فلن تضلوا ما تمسكتم بهما.

و في الكافي بإسناده عن زيد الشحام قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا قتادة انت فقيه اهل البصرة؟

فقال: هكذا يزعمون، فقال ابو جعفر عليه السلام: بلغني أنك تفسر القرآن؟

قال له قتادة:نعم فقال أبو جعفر عليه السلام: بعلم تفسره أم بجهل؟ قال: لا بل بعلم.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: فإن كنت تفسره بعلم فأنت انت و أنا أسألك؟
قال قتادة: سل. قال: أخبرني عن قول اللّٰه تعالى في سبأ (وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ).
فقال قتادة: ذلك من خرج من بيته بزاد و راحلة وكرى حلال يريد هذا البيت كان آمناً حتى يرجع إلى أهله،
فقال أبو جعفر عليه السلام: نشدتك باللّٰه يا قتادة هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد و راحلة وكرى حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته و يضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟ قال قتادة: اللهم نعم. فقال أبو جعفر عليه السلام ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت و أهلكت و إن كنت أخذته من الرجال فقد هلكت و أهلكت ويحك يا قتادة ذلك من خرج من بيته بزاد و راحلة وكرى حلال يؤم هذا البيت عارفاً بحقنا يهوانا قلبه كما قال اللّٰه تعالى: (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) و لم يعن البيت فيقول إليه فنحن و اللّٰه دعوة إبراهيم «ع» التي من هوانا قلبه قبلت حجته و إلا فلا، يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنم يوم القيامة، قال: قتادة لا جرم و اللّٰه لا فسرتها إلا هكذا. فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به.
أقول: هكذا وجدنا هذا الحديث في نسخ الكافي و يشبه أن يكون قد سقط منه شيء و ذلك لأن ما ذكره قتادة لا تعلق له بقوله تعالى: (سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ) لأنه ما ذكر فيه اين هي من الأرض و إنما يتعلق بقوله: (وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً) وكذلك ما قاله الإمام عليّ، و فيما ورد عن الصادق عليه السلام من سؤال تفسير الآيتين عن أبي حنيفة دلالة ايضاً على ما ذكرناه من السقوط و هو ما رواه في علل الشرائع بإسناده عنه عليه السلام أنه قال لأبي حنيفة: انت فقيه أهل العراق؟ فقال: نعم. قال: فيم تفتيهم؟ قال: بكتاب اللّٰه تعالى و سنة نبيه. قال: يا أبا حنيفة تعرف كتاب اللّٰه حق معرفته و تعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: نعم. فقال: يا أبا حنيفة لقد ادعيت علماً ويلك ما جعل اللّٰه ذلك الا عند أهل الكتاب الذي أنزله عليهم، ويلك و ما هو الا عند الخاص من ذرية نبينا و ما أراك تعرف من كتابه حرفاً فإن كنت كما تقول و لست كما تقول فأخبرني عن قول اللّٰه تعالى: (سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ) أين ذلك من الأرض. قال أحسبه ما بين مكة و المدينة فالتفت أبو عبد اللّٰه عليه السلام إلى أصحابه فقال: تعلمون أن الناس يقطع عليهم ما بين المدينة و مكة فتؤخذ أموالهم و لا يؤمنون على أنفسهم و يقتلون. قالوا: نعم. فسكت أبو حنيفة؟ فقال يا أبا حنيفة أخبرني عن قول اللّٰه عز و جل: (وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً) اين ذلك من الأرض؟ قال: الكعبة. قال: أ فتعلم أن الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير في الكعبة فقتله كان آمناً فيها فسكت. و يأتي تفسير الآيتين في محلهما إنشاء اللّٰه.

المقدمة الثالثة في نبذ مما جاء في أن جل القرآن إنما نزل فيهم و في أوليائهم و أعدائهم و بيان سرّ ذلك

في الكافي و تفسير العياشي بإسنادهما عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل القرآن على أربعة أرباع ربع فينا و ربع في عدونا و ربع سنن و أمثال و ربع فرائض و أحكام، و زاد العياشي: و لنا كرائم القرآن، و بإسنادهما عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا و في عدونا و ثلث سنن و أمثال و ثلث فرائض و أحكام. و روى العياشي بإسناده عن خيثمة عن أبي جعفر عليه السلام قال القرآن نزل أثلاثاً: ثلث فينا و في أحبائنا و ثلث في أعدائنا و عدو من كان قبلنا و ثلث سنة و مثل و لو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء و لكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السموات و الأرض و لكل قوم آية يتلونها هم منها من خير أو شر.
أقول: لا تنافي بين هذه الأخبار لأن بناء هذا التقسيم ليس على التسوية الحقيقية و لا على التفريق من جميع الوجوه فلا بأس باختلافها بالتثليث و التربيع و لا بزيادة بعض الأقسام على الثلث أو الربع او نقصه عنهما و

لا دخول بعضها في بعض. و بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال لنا حق في كتاب اللّه تعالى المحكم لو محوه فقالوا ليس من عند اللّه او لم يعلموا لكان سواء.

أقول: إنه قد وردت أخبار جمة عن أهل البيت عليهم السلام في تأويل كثير من آيات القرآن بهم و بأوليائهم و بأعدائهم حتى أن جماعة من أصحابنا صنفوا كتباً في تأويل القرآن على هذا النحو جمعوا فيها ما ورد عنهم عليهم السلام في تأويل آية آية اما بهم او بشيعتهم او بعدوهم على ترتيب القرآن و قد رأيت منها كتاباً كاد يقرب من عشرين الف بيت.

و قد روي في الكافي و في تفسيري العياشي و علي بن إبراهيم القمي و التفسير المسموع من الإمام أبي محمد الزكي أخباركثيرة من هذا القبيل و ذلك مثل ما رواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ). قال: هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام.

و في تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال:

يا أبا محمد إذا سمعت اللّه ذكر قوماً من هذه الأمة بخير فنحن هم و إذا سمعت اللّه ذكر قوماً بسوء ممن مضى فهم عدونا.

و فيه عن عمر بن حنظلة عن أبي عبد اللّه عليه السلام سأله عن قول اللّه تعالى (قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ) قال: فلما رآني أتتبع هذا و أشباهه من الكتاب قال: حسبك كل شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا فهو في الأئمة عنوا به.

أقول: و السر فيه إنما ينكشف و يتبين ببسط من الكلام و تحقيق للمقام فنقول و باللّه التوفيق: إنه لما أراد اللّه أن يعرف نفسه لخلقه ليعبدوه وكان لم يتيسر معرفته كما أراد على سنة الأسباب إلا بوجود الأنبياء و الأوصياء إذ بهم تحصل المعرفة التامة و العبادة الكاملة دون غيرهم وكان لم يتيسر وجود الأنبياء و الأوصياء إلا بخلق سائر الخلق ليكون أنساً لهم و سبباً لمعاشهم فلذلك خلق سائر الخلق ثم أمرهم بمعرفة أنبيائه و أوليائه و ولايتهم و التبري من أعدائهم و مما يصدهم عن ذلك ليكونوا ذوي حظوظ من نعيمهم و وهب الكل معرفة نفسه على قدر معرفتهم بالأنبياء و الأوصياء إذ بمعرفتهم إياهم يعرفون اللّه و بولايتهم إياهم يتولون اللّه فكل ما ورد من البشارة و الإنذار و الأوامر و النواهي و النصائح و المواعظ من اللّه سبحانه فإنما هو لذلك و لما كان نبينا سيد الأنبياء و وصيه سيد الأوصياء، لجمعهما كمالات سائر الأنبياء و الأوصياء و مقاماتهم مع ما لهما من الفضل عليهم وكان كل منهما نفس الآخر صح أن ينسب إلى أحدهما من الفضل ما ينسب إليهم لاشتماله على الكل و جمعه لفضائل الكل و حيث كان الأكمل يكون الكامل لا محالة و لذلك خص تأويل الآيات بهما و بسائر أهل البيت عليهم السلام الذين هم منهما ذرية بعضها من بعض و جيء بالكلمة الجامعة التي هي الولاية فإنها مشتملة على المعرفة و المحبة و المتابعة و سائر ما لا بد منه في ذلك، و أيضاً فإن أحكام اللّه سبحانه إنما تجري على الحقائق الكلية و المقامات النوعية دون خصائص الأفراد و الآحاد كما أشرنا إليه سابقا فحيثما خوطب قوم بخطاب أو نسب إليهم فعل دخل في ذلك الخطاب و ذلك الفعل عند العلماء و أولي الألباب كل من كان من سنخ أولئك القوم و طينتهم فصفوة اللّه حيثما خوطبوا بمكرمة أو نسبوا إلى أنفسهم مكرمة يشمل ذلك كل من كان من سنخهم و طينتهم من الأنبياء و الأولياء وكل من كان من المقربين الا مكرمة خصوا بها دون غيرهم وكذلك إذا خوطبت شيعتهم بخير أو نسب إليهم خير او خوطب أعداؤهم بسوء و نسب إليهم سوء يدخل في الأول كل من كان من سنخ شيعتهم و طينة محبيهم و في الثاني كل من كان من سنخ أعدائهم و طينة مبغضيهم من الأولين و الآخرين، و ذلك لأن كل من أحبه اللّه و رسوله أحبه كل مؤمن من ابتداء الخلق إلى انتهائه وكل من أبغضه اللّه و رسوله أبغضه كل مؤمن كذلك و هو يبغض كل

من أحبه اللّٰه تعالى و رسوله وكل مؤمن في العالم قديماً أو حديثاً إلى يوم القيامة فهو من شيعتهم و محبيهم و كل جاحد في العالم قديماً أو حديثاً إلى يوم القيامة فهو من مخالفيهم و مبغضيهم.

و قد وردت الإشارة إلى ذلك في كلام الصادق عليه السلام في حديث المفضل بن عمر و هو الذي رواه الصدوق طاب ثراه في كتاب علل الشرائع بإسناده عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد اللّٰه عليه السلام بمَ صار علي ابن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنة و النار؟ قال: لأن حبه إيمان و بغضه كفر و إنما خلقت الجنة لأهل الإيمان و خلقت النار لأهل الكفر فهو عليه السلام قسيم الجنة و النار لهذه العلة و الجنة لا يدخلها إلا أهل محبته و النار لا يدخلها إلا أهل بغضه، قال المفضل: يا بن رسول اللّٰه فالأنبياء و الأوصياء هل كانوا يحبونه و أعداؤهم يبغضونه؟ فقال: نعم. قلت: فكيف ذلك قال: أما علمت أن النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم قال يوم خيبر لأعطين الراية غداً رجلًا يحب اللّٰه تعالى و رسوله و يحبه اللّٰه و رسوله ما يرجع حتى يفتح اللّٰه على يده، قلت: بلى. قال: أما علمت أن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله لما أوتي بالطائر المشوي قال اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير و عني به علياً، قلت بلى قال: يجوز أن لا يحب أنبياء اللّٰه و رسله و أوصيائهم عليهم السلام رجلًا يحبه اللّٰه و رسوله و يحب اللّٰه و رسوله فقلت: لا. قال فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أممهم لا يحبون حبيب اللّٰه و حبيب رسوله صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم و أنبياءه. قلت: لا، قال: فقد ثبت أن جميع أنبياء اللّٰه و رسله و جميع المؤمنين كانوا لعلي بن أبي طالب عليه السلام محبين و ثبت أن المخالفين لهم كانوا له و لجميع محبيه مبغضين. قلت: نعم. قال: فلا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين و الآخرين فهو إذن قسيم الجنة و النار. قال: المفضل بن عمر. فقلت: له يا ابن رسول اللّٰه فرجت عني فرج اللّٰه عنك فزدني مما علمك اللّٰه تعالى؟ فقال: سل يا مفضل فقلت: أسأل يا بن رسول اللّٰه فعليّ بن أبي طالب عليه السلام يدخل محبه الجنة و مبغضه النار أو رضوان و مالك فقال: يا مفضل أما علمت أن اللّٰه تبارك و تعالى بعث رسوله و هو روح إلى الأنبياء و هم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام. قلت: بلى. قال: أما علمت أنه دعاهم إلى توحيد اللّٰه و طاعته و اتباع أمره و وعدهم الجنة على ذلك و أوعد من خالف ما أجابوا إليه و أنكره النار فقلت: بلى. قال: أ فليس النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم ضامناً لما وعد و أوعد عن ربه عز و جل؟ قلت: بلى. قال: أو ليس علي بن أبي طالب عليه السلام خليفته و إمام أمته؟ قال: بلى. قال: أو ليس رضوان و مالك من جملة الملائكة و المستغفرين لشيعته الناجين بمحبته. قلت:

بلى. قال: فعليّ بن أبي طالب عليه السلام إذن قسيم الجنة و النار عن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و رضوان و مالك صادران عن أمره بأمر اللّٰه تبارك و تعالى، يا مفضل خذ هذا فإنه من مخزون العلم و مكنونه لا تخرجه إلا إلى أهله.

أقول: و قد فتح هذا الحديث باباً من العلم انفتح منه ألف باب و سيأتي له مزيد انكشاف في المقدمة الرابعة عند تحقيق القول في المتشابه و تأويله ان شاء اللّٰه.

و من هذا القبيل خطاب اللّٰه تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمان نبينا صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم بما فعل بأسلافهم أو فعلت أسلافهم كانجائهم من الغرق و سقيهم من الحجر و تكذيبهم الآيات إلى غير ذلك و ذلك لأن هؤلاء كانوا من سنخ أولئك راضين بما رضوا به ساخطين بما سخطوا به، و ايضاً فإن القرآن إنما نزل بلغة العرب و من عادة العرب أن تنسب إلى الرجل ما فعلته القبيلة التي هو منهم و ان لم يفعل هو بعينه ذلك الفعل معهم. و قد ورد ذلك بعينه في كلام السجاد عليه السلام حيث سئل عن ذلك، فقال: إن القرآن بلغة العرب فيخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم أما تقول للرجل التميمي الذي قد أغار قومه على بلد و قتلوا من فيه أغرتم على بلد كذا و فعلتم كذا الحديث. و سر هذه العادة في لغتهم ما قلناه. و بهذا التحقيق انحل كثير من المشكلات و الشبهات في تأويل الآيات الواردة عنهم عليهم السلام بل كفينا مؤنة ذكر التأويلات في ذيل

تلك الآيات إذ لا يخفى بعد معرفة هذا الأصل إجراء تلك التأويلات في آية آية على أولي الألباب إلا إنا سنأتي بنبذ منها في محالها إنشاء اللَّه تعالى و الحمد للَّه على ما أفهمنا ذلك و ألهمناه.

المقدمة الرابعة في نبذ مما جاء في معاني وجوه الآيات و تحقيق القول في المتشابه و تأويله

روى العياشي بإسناده عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن فأجابني. ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر فقلت جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب آخر غير هذا قبل اليوم فقال لي يا جابر ان للقرآن بطناً و للبطن بطناً و ظهراً و للظهر ظهراً يا جابر و ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن إن الآية ليكون أولها في شيء و آخرها في شيء و هوكلام متصل يتصرف على وجوه. و بإسناده عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال ظهر القرآن:
الذين نزل فيهم، و بطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم. و بإسناده عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية ما في القرآن آية إلا و لها ظهر و بطن و ما فيه حرف إلا و له حد و لكل حد مطلع ما يعني بقوله لها ظهر و بطن، قال: ظهره تنزيله و بطنه تأويله منه ما مضى و منه ما لم يكن بعد يجري كما يجري الشمس و القمركلما جاء منه شيء وقع، قال اللَّه تعالى (وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) نحن نعلمه. أقول: المطلع بتشديد الطاء و فتح اللام مكان الاطلاع من موضع عال و يجوز أن يكون بوزن مصعد بفتح الميم و معناه أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، و محصل معناه قريب من معنى التأويل و البطن كما أن معنى الحد قريب من معنى التنزيل و الظهر. و بإسناده عن مسعدة بن صدقة قال: سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه، قال: الناسخ الثابت المعمول به و المنسوخ ما قدكان يعمل به ثم جاء ما نسخه، و المتشابه ما اشتبه على جاهله.
و في رواية الناسخ: الثابت، و المنسوخ ما مضى، و المحكم ما يعمل به، و المتشابه الذي يشبه بعضه بعضاً.
و بإسناده عن عبد اللَّه بن سنان قال: سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن القرآن و الفرقان قال: القرآن جملة الكتاب و أخبار ما يكون و الفرقان المحكم الذي يعمل به وكل محكم فهو فرقان.
و بإسناده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول إن القرآن فيه محكم و متشابه فأما المحكم فنؤمن به و نعمل به و نعمل به و ندين به. و أما المتشابه فنؤمن به و لا نعمل به.
و بإسناده عن عبد اللَّه بن بكير عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: نزل القرآن بإياك أعني و اسمعي يا جارة.
أقول: هذا مثل يضرب لمن يتكلم بكلام و يريد به غير المخاطب و هذا الحديث مما يؤيد ما حققناه في المقدمة السابقة، و بإسناده عن ابن أبي عمير عمن حدثه عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: ما عاتب اللَّه نبيه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فهو يعني به من قد مضى في القرآن مثل قوله تعالى (وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا) عنى بذلك غيره.
أقول: لعل المراد بمن قد مضى في القرآن من مضى ذكره فيه من الذين أسقط أسماءهم الملحدون في آيات اللَّه كما يظهر مما يأتي ذكره في المقدمة السادسة و هذان الحديثان مرويان في الكافي أيضاً.
و من طريق العامة عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله إن للقرآن ظهراً و بطناً و حدّاً و مطلعاً.
و عنه عليه السلام إن القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر و بطن و لكل حد مطلع.
و في رواية و لكل حرف حد و مطلع.
و عنه عليه السلام إن للقرآن ظهراً و بطناً و لبطنه بطن إلى سبعة أبطن.
و عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما من آية إلا و لها أربعة معان ظاهر و باطن و حد و مطلع فالظاهر التلاوة و الباطن الفهم و الحد هو أحكام الحلال و الحرام و المطلع هو مراد اللَّه من العبد بها.

و رووا أنه عليه السلام سئل هل عندكم من كتاب اللّه على أربعة أشياء العبارة و الإشارة و اللطائف و الحقائق فالعبارة للعوام و الإشارة للخواص و اللطائف للأولياء و الحقائق للأنبياء.

أقول: و تحقيق القول في المتشابه و تأويله يقتضي الإتيان بكلام مبسوط من جنس اللباب و فتح باب من العلم ينفتح منه لأهله الف باب. فنقول و باللَّه التوفيق: إن لكل معنى من المعاني حقيقة و روحا و له صورة و قالب و قد يتعدد الصور و القوالب لحقيقة واحدة و إنما وضعت الألفاظ للحقائق و الأرواح و لوجودهما في القوالب تستعمل الألفاظ فيهما على الحقيقة لاتحاد ما بينهما، مثلا لفظ القلم إنما وضع لآلة نقش الصور في الألواح من دون أن يعتبر فيها كونها من قصب أو حديد أو غير ذلك بل و لا أن يكون جسماً و لا كون النقش محسوساً أو معقولًا و لا كون اللوح من قرطاس أو خشب بل مجرد كونه منقوشاًفيه و هذا حقيقة اللوح وحده و روحه فإن كان في الوجود شيء يستطر بواسطة نقش العلوم في ألواح القلوب فأخلق به أن يكون هو القلم فان اللَّه تعالى قال:

(عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) بل هو القلم الحقيقي حيث وجد فيه روح القلم و حقيقته و حدّه من دون أن يكون معه ما هو خارج عنه وكذلك الميزان مثلًا فإنه موضوع لمعيار يعرف به المقادير و هذا معنى واحد هو حقيقته و روحه و له قوالب مختلفة و صور شتّى بعضها جسماني و بعضها روحاني كما يوزن به الأجرام و الأثقال مثل ذي الكفتين و القبان و ما يجري مجراهما و ما يوزن به المواقيت و الارتفاعات كالأسطرلاب و ما يوزن به الدواير و القسي كالفرجار و ما يوزن به الأعمدة كالشاقول و ما يوزن به الخطوط كالمسطر و ما يوزن به الشعركالعروض و ما يوزن به الفلسفة كالمنطق و ما يوزن به بعض المدركات كالحس و الخيال و ما يوزن به العلوم و الأعمال كما يوضع ليوم القيامة و ما يوزن به الكل كالعقل الكامل إلى غير ذلك من الموازين.

و بالجملة: ميزان كل شيء يكون من جنسه و لفظة الميزان حقيقة في كل منها باعتبار حدّه و حقيقته الموجودة فيه و على هذا القياس كل لفظ و معنى.

و أنت إذا اهتديت إلى الأرواح صرت روحانياً و فتحت لك أبواب الملكوت و أهلت لمرافقة الملأ الأعلى و حسن أولئك رفيقاً فما من شيء في عالم الحس و الشهادة الا و هو مثال و صورة لأمر روحاني في عالم الملكوت و هو روحه المجرد و حقيقته الصرفة و عقول جمهور الناس في الحقيقة أمثلة لعقول الأنبياء و الأولياء فليس للأنبياء و الأولياء أن يتكلموا معهم إلا بضرب الأمثال لأنهم أُمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم و قدر عقولهم انهم في النوم بالنسبة إلى تلك النشأة و النائم لا ينكشف له شيء في الأغلب إلا بمثل، و لهذا من كان يعلم الحكمة غير أهلها رأى في المنام أنه يعلق الدر في أعناق الخنازير، و من كان يؤذن في شهر رمضان قبل الفجر رأى أنه يختم على أفواه الناس و فروجهم. و على هذا القياس و ذلك لعلاقة خفية بين النشآت فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا و علموا حقائق ما سمعوه بالمثال و عرفوا أرواح ذلك و عقلوا أن تلك الأمثلة كانت قشوراً، قال اللَّه سبحانه: (أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً) فمثّل العلم بالماء و القلوب بالأودية و الضلال بالزبد ثم نبه في آخرها فقال: (كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ) فكل ما لا يحتمل فهمك فإن القرآن يلقيه إليك على الوجه الذي كنت في النوم مطالعاً بروحك للوح المحفوظ ليتمثل لك بمثال مناسب ذلك يحتاج إلى التعبير فالتأويل يجري مجرى التعبير فالمفسر يدور على القشر و لما كان الناس إنما يتكلمون على قدر عقولهم و مقاماتهم فما يخاطب به الكل يجب أن يكون للكل فيه نصيب فالقشرية من الظاهريين لا يدركون إلا المعاني القشرية كما أن القشر من الإنسان و هو ما في الإهاب و البشرة و من البدن لا ينال الا قشر تلك المعاني و هو ما في الجلد و الغلاف من السواد و الصور و أما روحها و سرها و حقيقتها فلا يدرك الا أولوا الألباب و هم الراسخون في العلم و إلى ذلك أشار النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم في دعائه لبعض أصحابه حيث قال اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل و لكل

منهم حظ قل أم كثر و ذوق نقص أو كمل و لهم درجات في الترقي إلى أطوارها و أغوارها و أسرارها و أنوارها و أما البلوغ للاستيفاء و الوصول إلى الأقصى فلا مطمع لأحد فيه و لو كان البحر مداداً لشرحه و الأشجار اقلاماً (قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِمات رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً) و مما ذكر يظهر سبب اختلاف ظواهر الآيات و الأخبار الواردة في أصول الدين و ذلك لأنها مما خوطب به طوائف شتّى و عقول مختلفة فيجب أن يكلم كل على قدر فهمه و مقامه و مع هذا فالكل صحيح غير مختلف من حيث الحقيقة و لا مجاز فيه أصلًا. و اعتبر ذلك بمثال العميان و الفيل و هو مشهور و على هذا فكل من لم يفهم شيئاً من المتشابهات من جهة أن حمله على الظاهر كان مناقضاً بحسب الظاهر لأصول صحيحة دينية و عقائد حقة يقينية عنده فينبغي أن يقتصر على صورة اللفظ لا يبدلها و يحيل العلم به إلى اللَّه سبحانه و الراسخين في العلم ثم يرصد لهبوب رياح الرحمة من عند اللَّه تعالى و يتعرض لنفحات أيام دهره الآتية من قبل اللَّه تعالى لعل اللَّه يأتي له بالفتح أو أمر من عنده و يقضي اللَّه أمراً كان مفعولا فان اللَّه سبحانه ذم قوماً على تأويلهم المتشابهات بغير علم فقال سبحانه: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ).

المقدمة الخامسة في نبذ مما جاء في المنع من تفسير القرآن بالرأي و السرّ فيه.

روي عن النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله أنه قال: من فسر القرآن برأيه فأصاب الحق أخطأ.

و عنه عليه السلام: من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.

و عنه و عن الأئمة القائمين مقامه عليهم السلام أن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح و النص الصريح.

و في تفسير العياشي عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر و إن أخطأ فهو بعد من السماء.

و فيه و في الكافي عن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلا كفر.

أقول: لعل المراد بضرب بعضه ببعض متشابهاته إلى بعض بمقتضى الهوى من دون سماع من أهله أو نور و هدى من اللَّه، و لا يخفى أن هذه الأخبار تناقض بظواهرها ما مضى في المقدمة الأولى من الأمر بالاعتصام بحبل القرآن و التماس غرائبه و طلب عجائبه و التعمق في بطونه و التفكر في تخومه و جولان البصر فيه و تبليغ النظر إلى معانيه فلا بد من التوفيق و الجمع.

فنقول: و باللَّه التوفيق إن من زعم أن لا معنى للقرآن الا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه و هو مصيب في الأخبار عن نفسه و لكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده و مقامه بل القرآن و الأخبار و الآثار تدل على أن في معاني القرآن لأرباب الفهم متسعاً بالغاً و مجالًا رحباً قال اللَّه عز و جل: (أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوب أَقْفالُها) و قال سبحانه:

(وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ).

و قال (ما فَرَّطْنا فِي الْكِتاب مِنْ شَيْءٍ). و قال: (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ). و قال النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم: إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب اللَّه تعالى فما وافق كتاب اللَّه فاقبلوه و ما خالفه فاضربوا به عرض الحائط وكيف يمكن العرض و لا يفهم به شيء، و قال «ص»: القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه و قال أمير المؤمنين عليه السلام الا أن يؤتي اللَّه عبداً فهماً في القرآن. و قال عليه السلام من فهم القرآن فسر جمل العلم.

أشار به إلى أن القرآن مشير إلى مجامع العلوم كلها إلى غير ذلك من الآيات و الأخبار فالصواب أن يقال من أخلص الانقياد للَّه و لرسوله صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و لأهل البيت عليهم السلام و أخذ علمه منهم و تتبع آثارهم و اطلع على جملة من أسرارهم بحيث حصل له الرسوخ في العلم و الطمأنينة في المعرفة و انفتح عينا

قلبه و هجم به العلم على حقائق الأمور و باشر روح اليقين و استلان ما استوعره المترفون و أنس بما استوحش منه الجاهلون و صحب الدنيا ببدن روحه معلقة بالمحل الأعلى فله أن يستفيد من القرآن بعض غرائبه و يستنبط منه نبذاً من عجائبه ليس ذلك من كرم اللّه تعالى بغريب و لا من جوده بعجيب فليست السعادة وقفاً على قوم دون آخرين و قد عدوا عليهم السلام جماعة من أصحابهم المتصفين بهذه الصفات من أنفسهم كما قالوا سلمان منّا أهل البيت عليهم السلام فمن هذه صفته لا يبعد دخوله في الراسخين في العلم العالمين بالتأويل بل في قولهم نحن الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ كما دريت في المقدمة السابقة فلا بد من تنزيل التفسير المنهي عنه على أحد وجهين: الأول: أن يكون للمفسر في الشيء رأي و إليه ميل من طبعه و هواه فيتأول القرآن على وفق. رأيه و هواه ليحتج على تصحيح غرضه و مدعاه و لو لم يكن ذلك الرأي و الهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى و هذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته و هو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك و لكن يلبس به على خصمه و تارة يكون مع الجهل و لكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه و يترجح ذلك الجانب برأيه و هواه فيكون قد فسّر القرآن برأيه أي رأيه هو الذي حمله على ذلك التفسير و لو لا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه.

و تارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلًا من القرآن و يستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به ذلك كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل عليه بقوله عليه السلام تسحّروا فإن السحور بركة، و يوهم أن المراد به التسحر بالذكر و هو يعلم أن المراد به الأكل وكالذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال اللّه تعالى: (اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى)، و يشير إلى قلبه و يؤمي إلى أنه المراد بفرعون و هذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام و ترغيباً للمستمع و هو ممنوع منه.

و قد يستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس و دعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم و مذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنه غير مراد به فهذه الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالرأي.

و الوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع و النقل فيما يتعلق بغرائب القرآن و ما فيها من الألفاظ المبهمة و المبدلة و ما فيها من الاقتصار و الحذف و الإضمار و التقديم و التأخير و فيما يتعلق بالناسخ و المنسوخ و الخاص و العام و الرخص و العزائم و المحكم و المتشابه إلى غير ذلك من وجوه الآيات فمن لم يحكم ظاهر التفسير و معرفة وجوه الآيات المفتقرة إلى السماع و بادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه و دخل في زمرة من يفسر بالرأي فالنقل و السماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولًا ليتقي مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم و الاستنباط فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بد منها للفهم و ما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها ما كان مجملًا لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلًا مثل قوله سبحانه: (أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ) فانه يحتاج فيه إلى بيان النبي صلّى اللّه عليه و آله بوحي من اللّه سبحانه فيبين تفصيل أعيان الصلوات و أعداد الركعات و مقادير النصب في الزكاة و ما تجب فيه من الأموال و ما لا تجب و أمثال ذلك كثيرة.

فالشروع في بيان ذلك من غير نص و توقيف ممنوع منه.

و منها الإيجاز بالحذف و الإضمار كقوله تعالى: (وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها) معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة و لم تكن عمياء و لا يدري أنهم بماذا ظلموا أو أنهم ظلموا غيرهم و أنفسهم.

و منها المقدم و المؤخر و هو مظنة الغلط كقوله تعالى (وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى) معناه و لو لا كلمة سبقت من ربك و أجل مسمى لكان لزاماً و به ارتفع الأجل و لولاه لكان نصباً كاللزام إلى غير ذلك كما سنذكره في مواضعها.

روي عن أبي عبد اللَّه محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني أنه روى في تفسيره بإسناده عن إسماعيل بن جابر قال سمعت أبا عبد اللَّه جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يقول إن اللَّه تبارك و تعالى بعث محمداً فختم به الأنبياء فلا نبي بعده و انزل عليه كتاباً فختم به الكتب فلا كتاب بعده أحل فيه حلالًا و حرم حراماً فحلاله حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى يوم القيامة فيه شرعكم و خبر من قبلكم و بعدكم و جعله النبي صلّى اللَّه عليه و آله علماً باقياً في أوصيائه فتركهم الناس و هم الشهداء على أهل كل زمان و عدلوا عنهم ثم قتلوهم و اتبعوا غيرهم و أخلصوا لهم الطاعة حتى عاندوا من أظهر ولاية ولاة الأمر و طلب علومهم، قال اللَّه سبحانه: (فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ) و لا تزال تطلع على خائنة منهم و ذلك انهم ضربوا بعض القرآن ببعض و احتجوا بالمنسوخ و هم يظنون أنه الناسخ و احتجوا بالمتشابه و هم يرون أنه المحكم و احتجوا بالخاص و هم يقدرون أنه العام و احتجوا بأول الآية و تركوا السبب في تأويلها و لم ينظروا إلى ما يفتح الكلام و إلى ما يختمه و لم يعرفوا موارده و مصادره إذ لم يأخذوه عن أهله فضلوا و أضلوا و اعلموا رحمكم اللَّه أنه من لم يعرف من كتاب اللَّه عز و جل الناسخ من المنسوخ و الخاص من العام و المحكم من المتشابه و الرخص من العزائم و المكي و المدني و أسباب التنزيل و المبهم من القرآن في ألفاظه المنقطعة و المؤلفة و ما فيه من علم القضاء و القدر و التقديم و التأخير و المبين و العميق و الظاهر و الباطن و الابتداء من الانتهاء و السؤال و الجواب و القطع و الوصل و المستثنى منه و الجار فيه و الصفة لما قبل مما يدل على ما بعد و المؤكد منه و المفصل و عزائمه و رخصه و مواضع فرائضه و أحكامه و معنى حلاله و حرامه الذي هلك فيه الملحدون و الموصول من الألفاظ و المحمول على ما قبله و على ما بعده فليس بعالم بالقرآن و لا هو من أهله و متى ما ادعى معرفة هذه الأقسام مدع بغير دليل فهو كاذب مرتاب مفتر على اللَّه الكذب و رسوله و مأواه جهنّم و بئس المصير.

المقدمة السادسة في نبذ مما جاء في جمع القرآن و تحريفه و زيادته و نقصه و تأويل ذلك

روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره بإسناده عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: إن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله قال لعلي عليه السلام يا علي إن القرآن خلف فراشي في الصحف و الحرير و القراطيس فخذوه و اجمعوه و لا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة فانطلق علي عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته و قال: لا أرتدي حتى أجمعه. قال: كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه.

و في الكافي عن محمد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها و لا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم فهل نأثم فقال لا اقرأوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم.

أقول: يعني به صاحب الأمر عليه السلام. و بإسناده عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد اللَّه عليه السلام و أنا استمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس. فقال أبو عبد اللَّه عليه السلام: كف عن هذه القراءة و اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم عليه السلام فإذا قام قرأ كتاب اللَّه تعالى على حده و اخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام، و قال: أخرجه علي عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم هذا كتاب اللَّه كما أنزله اللَّه على محمد صلّى اللَّه عليه و آله و قد جمعته بين اللوحين فقالوا هوذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه فقال: أما و اللَّه ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً إنما كان عليَّ أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه.

و بإسناده عن البزنطي قال: دفع أبو الحسن عليه السلام مصحفاً و قال: لا تنظر فيه ففتحته و قرأت فيه لم يكن الذين كفروا فوجدت فيه اسم سبعين رجلًا من قريش بأسمائهم و أسماء آبائهم. قال: فبعث إلي ابعث إليّ بالمصحف.

و في تفسير العياشي عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو لا إنه زيد في كتاب اللّه و نقص ما خفي حقنا على ذي حجى و لو قد قام قائمنا فنطق صدَّقه القرآن.

و فيه عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: لو قرأ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمّين.

و فيه عنه عليه السلام إن في القرآن ما مضى و ما يحدث و ما هوكائن كانت فيه أسماء الرجال فألقيت و إنما الاسم الواحد منه في وجوه لا تحصى يعرف ذلك الوصاة.

و فيه عنه عليه السلام إن في القرآن قد طرح منه آي كثيرة و لم يزد فيه إلا حروف قد أخطأت به الكتبة و توهمتها الرجال. و روى الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي طاب ثراه في كتاب الاحتجاج في جملة احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على جماعة من المهاجرين و الأنصار أن طلحة قال له عليه السلام في جُملة مسائله عنه يا أبا الحسن شيء أُريد أن أسألك عنه رأيتك خرجت بثوب مختوم فقلت أيها الناس إني لم أزل مشتغلًا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم بغسله وكفنه و دفنه ثم اشتغلت بكتاب اللّه حتى جمعته فهذا كتاب اللّه عندي مجموعاً لم يسقط عني حرف واحد و لم أر ذلك الذي كتبت و ألّفت و قد رأيت‌عمر بعث إليك أن ابعث به إليَّ فأبيت أن تفعل فدعا عمر الناس فإذا شهد رجلان على آية كتبها و إن لم يشهد عليها غير رجل واحد أرجأها فلم يكتب فقال عمر: و أنا أسمع إنه قد قتل يوم اليمامة قوم كانوا يقرؤن قرآناً لا يقرؤه غيرهم فقد ذهب و قد جاءت شاة إلى صحيفة وكتاب يكتبون فأكلتها و ذهب ما فيها و الكاتب يومئذ عثمان و سمعت عمر و أصحابه الذين ألفوا ما كتبوا على عهد عمر و على عهد عثمان يقولون ان الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة و ان النور نيف و مائة آية و الحجر تسعون و مائة آية فما هذا و ما يمنعك يرحمك اللّه أن تخرج كتاب اللّه إلى الناس و قد عمد عثمان حين أخذ ما ألف عمر فجمع له الكتاب و حمل الناس على قراءة واحدة فمزق مصحف أبي بن كعب و ابن مسعود و أحرقهما بالنار. فقال له علي: يا طلحة إن كل آية أنزلها اللّه عز و جل على محمد صلّى اللّه عليه و آله عندي بإملاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و خط يدي و تأويل كل آية أنزلها اللّه على محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم وكل حلال و حرام أو حد أو حكم أو شيء يحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة مكتوب بإملاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و خط يدي حتى أرش الخدش. قال طلحة كل شيء من صغير أوكبير أو خاص أو عام كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو عندك مكتوب. قال: نعم و سوى ذلك إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أسرّ إليّ في مرضه مفتاح ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب و لو أن الامة منذ قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم اتبعوني و أطاعوني لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم و ساق الحديث إلى أن قال: ثم قال طلحة: لا أراك يا أبا الحسن أجبتني عما سألتك عنه من أمر القرآن ألا تظهره للناس. قال: يا طلحة عمداً كففت عن جوابك فأخبرني عما كتب عمر و عثمان القرآن كله أم فيه ما ليس بقرآن؟! قال طلحة بل قرآن كله. قال إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار و دخلتم الجنة فان فيه حجتنا و بيان حقنا و فرض طاعتنا. قال طلحة: حسبي أما إذا كان قرآناً فحسبي. ثم قال طلحة: فأخبرني عما في يديك من القرآن و تأويله و علم الحلال و الحرام إلى من تدفعه و من صاحبه بعدك؟ قال عليه السلام: إن الذي أمرني رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن أدفعه إليه وصيّي و أولى الناس من بعدي بالناس ابني الحسن ثم يدفعه ابني الحسن إلى ابني الحسين عليهما السلام ثم يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين عليه السلام حتى يرد آخرهم على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم حوضه هم مع القرآن لا يفارقونه و القرآن معهم لا يفارقهم إلا أن معاوية و ابنه سيليانها بعد عثمان ثم يليها سبعة من ولد الحكم بن أبي العاص واحد بعد واحد تكملة اثني عشر إمام ضلالة و هم الذي رأى رسول اللّه

صلّى اللَّه عليه و آله و سلم على منبره يردون الأمة على أدبارهم القهقرى عشرة منهم من بني أمية و رجلان أسسا ذلك لهم و عليهما مثل جميع أوزار هذه الأمة إلى يوم القيامة. قال: و في رواية أبي ذر الغفاري رضي اللَّه عنه أنه لما توفي رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله جمع عليّ عليه السلام القرآن و جاء به إلى المهاجرين و الأنصار و عرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم فوثب عمر فقال: يا علي أردده فلا حاجة لنا فيه فأخذه علي عليه السلام و انصرف ثم احضر زيد بن ثابت وكان قارئاً للقرآن فقال له عمر إنَّ علياً عليه السلام جاءنا بالقرآن و فيه فضائح المهاجرين و الأنصار، و قد أردنا أن تؤلف لنا القرآن و تسقط منه ما كان فيه فضيحة و هتك للمهاجرين و الأنصار. فأجابه زيد إلى ذلك ثم قال: فان أنا فرغت من القرآن على ما سألتم و أظهر علي القرآن الذي ألّفه أليس قد بطل كل ما قد عملتم. ثم قال عمر: فما الحيلة؟ قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة. فقال عمر: ما الحيلة دون أن نقتله و نستريح منه. فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك و قد مضى شرح ذلك ، فلما استخلف عمر سأل علياً أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم. فقال: يا أبا الحسن إن كنت جئت به إلى أبي بكر فأت به إلينا حتى نجتمع عليه. فقال عليّ عليه السلام:
هيهات ليس إلى ذلك سبيل إنما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم و لاتقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين أو تقولوا ما جئتنا به إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلّا المطهّرون و الأوصياء من ولدي فقال عمر فهل وقت لإظهاره معلوم؟ قال علي عليه السلام: نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره و يحمل الناس عليه فتجري السنة به.
و قال في احتجاجه عليه السلام على الزنديق الذي جاء إليه مستدلًا بآي من القرآن متشابهة يحتاج إلى التأويل وكان من سؤاله إني أجد اللَّه قد شهر هفوات أنبيائه بقوله (وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى) و بتكذيبه نوحاً عليه السلام لما قال: إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي. بقوله: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، و بوصفه إبراهيم عليه السلام بأنه عبدكوكباً مرة و مرة قمراً و مرة شمساً، و بقوله في يوسف عليه السلام: وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بها لَوْ لا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ، و بتهجينه موسى عليه السلام حيث قال: رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ: لَنْ تَرانِي الآية. و ببعثه إلى داود و جبرائيل و ميكائيل حيث تسوّروا المحراب إلى آخر القصة، و بحبسه يونس في بطن الحوت حيث ذهب مغاضباً مذنباً، و إظهار خطأ الأنبياء و زللهم ثم روى أسماء من اغتر و فتن خلقه و ضل و أضل وكنى عن أسمائهم في قوله: (وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي) فمن هذا الظالم الذي لم يذكر من اسمه ما ذكر من أسماء الأنبياء. ثم قال: و أجده قد بيّن فضل نبيه على سائر الأنبياء. ثم خاطبه في أضعاف ما أثنى عليه في الكتاب من الإزراء عليه و انخفاض محله و غير ذلك من تهجينه و تأنيبه ما لم يخاطب به أحداً من الأنبياء مثل قوله: وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ، و قوله: وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَ ضِعْفَ الْمَمات ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً، و قوله:
وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ، و قوله ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَ لا بِكُمْ، و هو يقول: ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ، فإذاكانت الأشياء تحصى في الإمام و هو وصي النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فالنبيّ صلّى اللَّه عليه و آله أولى أن يكون بعيداً من الصفة التي قال فيها: وَ ما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بِي وَ لا بِكُمْ. و قال في جملة سؤاله: و أجده يقول:
وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ. و ليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء و لا كل النساء أيتام فما معنى ذلك؟.
فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

و أما هفوات الأنبياء و ما بينه اللّه في كتابه و وقوع الكناية عن أسماء من اجترم أعظم مما اجترمته الأنبياء ممن شهد الكتاب بظلمهم فان ذلك من أدل الدلائل على حكمة اللّه الباهرة و قدرته القاهرة و عزته الظاهرة لأنه علم أن براهين أنبيائه تكبر في صدور أممهم و أن منهم من يتخذ بعضهم إلهاً كالذي كان من النصارى في ابن مريم فذكرها دلالة على تخلفهم من الكمال الذي تفرد به عز و جل. ألم تسمع إلى قوله في صفة عيسى عليه السلام حيث قال فيه و في أمه:
كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ يعني أن من أكل الطعام كان له ثقل و من كان له ثقل فهو بعيد مما ادعته النصارى لابن مريم و لم يُكنّ عن أسماء الأنبياء تجبراً و تعززاً بل تعريفاً لأهل الاستبصار أن الكناية عن اسماء ذوي الجرائر العظيمة من المنافقين في القرآن ليست من فعله تعالى و أنها من فعل المتغيرين و المبدلين الَّذينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ و اعتاضوا الدنيا من الدين و قد بين اللّه تعالى قصص المغيرين بقوله: (لِلَّذينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْديهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَليلًا). و بقوله: (وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَريقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ) و بقوله:
(إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ)
بعد فقد الرسول ما يقيمون به أود باطلهم حسب ما فعلته اليهود و النصارى بعد فقد موسى و عيسى من تغيير التوراة و الإنجيل و تحريف الكلم عن مواضعه، و بقوله (يُريدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِبِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) يعني أنهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله اللّه ليلبسوا على الخليفة فأعمى اللّه قلوبهم حتى تركوا فيه ما دل على ما أحدثوه فيه و حرفوه منه و بين عن إفكهم و تلبيسهم وكتمان ما علموه منه و لذلك قال لهم لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ و ضرب مثلهم بقوله: (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَ أَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) فَأَمَّا الزَّبَدُ في هذا الموضع كلام الملحدين الذين أثبتوه في القرآن فهو يضمحل و يبطل و يتلاشى عند التحصيل و الذي ينفع الناس منه فالتنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و القلوب تقبله و الْأَرْضِ في هذا الموضع هي محل العلم و قراره و ليس يسوغ مع عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين و لا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل و الكفر و الملل المنحرفة عن قبلتنا و إبطال هذا العلم الظاهر الذي قد استكان له الموافق و المخالف بوقوع الاصطلاح على الايتمار لهم و الرضا بهم و لأن أهل الباطل في القديم و الحديث أكثر عدداً من أهل الحق و لأن الصبر على ولاة الأمر مفروض لقول اللّه عز و جل لنبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، و إيجابه مثل ذلك على أوليائه و أهل طاعته بقوله لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ. فحسبك من الجواب عن هذا الموضع ما سمعت فان شريعة التقية تحظر التصريح بأكثر منه ثم قال عليه السلام: و أما ما ذكرته من الخطاب الدال على تهجين النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الإزراء به و التأنيب له مع ما أظهره اللّه تبارك و تعالى في كتابه من تفضيله إياه على سائر أنبيائه فان اللّه عز و جل جعل لكل نبي عدواً من المشركين كما قال في كتابه و بحسب جلالة منزلة نبينا صلّى اللّه عليه و آله و سلم عند ربه كذلك عظم محنته بعدوه الذي عاد منه إليه في حال شقاقه و نفاقه كل أذى و مشقة لدفع نبوته و تكذيبه إياه و سعيه في مكارهه و قصده لنقض كل ما أبرمه و اجتهاده و من مالاه على كفره و عناده و نفاقه و إلحاده في إبطال دعواه و تغيير ملّته و مخالفة سنته و لم ير شيئاً أبلغ في تمام كيده من تنفيرهم عن موالاة وصيه و إيحاشهم منه و صدهم عنه و إغرائهم بعداوته و القصد لتغيير الكتاب الذي جاء به و إسقاط ما فيه من فضل ذوي الفضل وكفر ذوي الكفر منه و ممن وافقه على ظلمه و بغيه و شركه و لقد علم اللّه ذلك منهم فقال إِنَّ الَّذينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا، و قال يُريدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ، و لقد احضروا الكتاب كملًا مشتملًا على التأويل و التنزيل و المحكم و المتشابه و الناسخ و المنسوخ لم يسقط منه حرف الف و لا لام فلما وقفوا على ما بينه اللّه من أسماء أهل الحق و الباطل و ان ذلك إن ظهر نقض ما عقدوه قالوا لا

حاجة لنا فيه نحن مستغنون عنه بما عندنا، و لذلك قال: فَنَبَذُوهُ وَراءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ، ثم دفعهم الاضطرار بورود المسائل عليهم عما لا يعلمون تأويله إلى جمعه و تأليفه و تضمينه من تلقائهم ما يقيمون به دعائم كفرهم فصرح مناديهم من كان عنده شيء من القرآن فليأتنا به و وكلوا تأليفه و نظمه إلى بعض من وافقهم إلى معاداة أولياء اللَّه فألّفه على اختيارهم و ما يدل للتأمل على اختلال تمييزهم و افترائهم و تركوا منه ما قدروا أنه لهم و هو عليهم و زادوا فيه ما ظهر تناكره و تنافره و علم اللَّه أن ذلك يظهر و يبين فقال ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ و انكشف لأهل الاستبصار عوارهم و افتراؤهم و الذي بدأ في الكتاب من الإزراء على النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم من فرية الملحدين و لذلك قال لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَ زُوراً.
و يذكر جل ذكره لنبيه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم ما يحدثه عدوه في كتابه من بعده بقوله: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ. يعني أنه ما من نبي تمنى مفارقة ما يعانيه من نفاق قومه و عقوقهم و الانتقال عنهم إلى دار الاقامة إلا ألقى الشيطان المعرض بعداوته عند فقده في الكتاب الذي أنزل عليه ذمّه و القدح فيه و الطعن عليه فيفسخ اللَّه ذلك في قلوب المؤمنين فلا يقبله و لا يصغي إليه غير قلوب المنافقين و الجاهلين و يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ بأن يحمي أولياءه من الضلال و العدوان و مشايعة أهل الكفر و الطغيان الذين لم يرض اللَّه أن يجعلهم كالأنعام حتى قال بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا فافهم هذا و اعمل به.
و قال عليه السلام في هذا الحديث بعد أن بين تأويل بعض المتشابهات و إنما جعل اللَّه تبارك و تعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره و غير أنبيائه و حججه في أرضه لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدّلون من إسقاط اسماء حججه منه و تلبيسهم ذلك على الامة ليعينوهم على باطلهم فأثبت فيه الرموز و أعمى قلوبهم و أبصارهم لما عليهم في تركها و ترك غيرها من الخطاب الدال على ما أحدثوه فيه و جعل أهل الكتاب المقيمين به و العالمين بظاهره و باطنه من شجرة أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها، أي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت و جعل أعدائها (أهل (أصل خ. ل.)
الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور اللَّه بأفواههم فأبى اللَّه إلا أن يتم نوره و لو علم المنافقون لعنهم اللَّه ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بيّنت لك تأويلها لأسقطوها مع ما اسقطوا منه و لكن اللَّه تبارك اسمه ماض حكمه بإيجاب الحجة على خلقه كما قال اللَّه: فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ، أغشى أبصارهم و جعل على قلوبهم أكنة، عن تأمل ذلك فتركوه بحاله و حجبوا عن تأكيد الملتبس بابطاله فالسعداء يتنبّهون عليه و الأشقياء يعمون عنه وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُور ثم أن اللَّه جل ذكره بسعة رحمته و رأفته بخلقه و علمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كتابه قسّم كلامه ثلاثة أقسام فجعل قسماً منه يعرفه العالم و الجاهل و قسماً لا يعرفه إلا من صفا ذهنه و لطف حسّه و صح تمييزه ممن شرح اللَّه صدره للإسلام و قسماً لا يعرفه إلا اللَّه و أمناؤه الراسخون في العلم و إنما فعل ذلك لئلا يدعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول اللَّه من علم الكتاب ما لم يجعله اللَّه لهم و ليقودهم الاضطرار إلى الايتمار لمن والاه (ولاه خ ل) أمرهم فاستكبروا عن طاعته تعززاً و افتراء على اللَّه عز و جل و اغتراراً بكثرة من ظاهرهم و عاونهم و عاند اللَّه عز و جل اسمه و رسوله فاما ما علمه الجاهل و العالم من فضل رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله من كتاب اللَّه فهو قول اللَّه سبحانه (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ) و قوله إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً، و لهذه الآية ظاهر و باطن فالظاهر قوله صَلُّوا عَلَيْهِ و الباطن قوله وَ سَلِّمُوا تَسْلِيماً أي سلموا لمن وصاه و استخلفه عليكم فضله و ما عهد به إليه تسليماً و هذا مما أخبرتك أنه لا يعلم تأويله الا من لطف حسه و صفا ذهنه و صح تمييزه وكذلك قوله سَلامٌ عَلى إِلْياسِينَ لأن اللَّه سمى النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم بهذا الاسم حيث قال: (يس وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)، لعلمه بأنهم يسقطون قول سلام على آل محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم كما أسقطوا غيره و ما زال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله يتألفهم و

يقربهم و يجلسهم عن يمينه و شماله حتى اذن اللّه عزّ و جلّ في ابعادهم بقوله وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا و بقوله: فَما لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِينَ أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلَّا إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ. قال: و اما ظهورك على تناكر قوله: وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ. و ليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء و لا كل النساء أيتام فهو مما قدمت ذكره في إسقاط المنافقين من القرآن و بين القول في اليتامى و بين نكاح النساء من الخطاب و القصص أكثر من ثلث القرآن و هذا و ما أشبهه مما ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر و التأمل و وجد المعطلون و أهل الملل المخالفة للإسلام مساغاً إلى القدح في القرآن و لو شرحت لك كل ما أسقط و حرّف و بدّل مما يجري هذا المجرى لطال و ظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء و مثالب الأعداء. أقول: المستفاد من جميع هذه الأخبار و غيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام إن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أُنزل على محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم بل منه ما هو خلاف ما أنزل اللّه و منه ما هو مغير محرف و إنه قد حذف عنه أشياء كثيرة منها اسم علي عليه السلام في كثير من المواضع و منها غير ذلك و أنه ليس أيضاً على الترتيب المرضي عند اللّه و عند رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

و به قال علي بن إبراهيم قال في تفسيره: و أما ما كان خلاف ما أنزل اللّهفهو قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ. فقال أبو عبد اللّه عليه السلام لقارئ هذه الآية: خير أُمة تقتلون أمير المؤمنين و الحسين بن علي عليهما السلام فقيل له كيف نزلت يا بن رسول اللّه فقال إنما نزلت خير أئمة أُخرجت للناس الا ترى مدح اللّه لهم في آخر الآية تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون باللّه. و مثله إنه قرأ على أبي عبد اللّه الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيَّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً) فقال أبو عبد اللّه عليه السلام لقد سألوا اللّه عظيماً أن يجعلهم للمتقين إماماً فقيل له يا بن رسول اللّه كيف نزلت فقال:؟ إنما نزلت و اجعل لنا من المتقين إماماً. و قوله تعالى: لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ. فقال أبو عبد اللّه عليه السلام كيف يحفظ الشيء من أمر اللّه و كيف يكون المعقب من بين يديه فقيل له وكيف ذلك يا بن رسول اللّه فقال إنما أُنزلت له معقبات من خلفه و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر اللّه، و مثله كثير قال:

و أما ما هو محذوف عنه فهو قوله لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بما أَنْزَلَ إِلَيْكَ في علي كذا أنزلت أنزله بعلمه و الملائكة يشهدون، و قوله: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ في علي وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ، و قوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا آل محمد حقهم لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ. و قوله: وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آل محمد حقهم أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ، و قوله و يرى الَّذِينَ ظَلَمُوا آل محمد حقهم فِي غَمَراتِ الْمَوْتِ، و مثله كثير نذكره في مواضعه إن شاء اللّه.

قال: و أما التقديم و التأخير فإن آية عدّة النساء النّاسخة التي هي أربعة أشهر و عشر قدّمت على المنسوخة التي هي سنة وكان يجب أن يقرأ المنسوخة التي نزلت قبل ثم الناسخة التي نزلت بعد. و قوله: أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إِماماً وَ رَحْمَةً، و إنما هو وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ إِماماً وَ رَحْمَةً وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى، و قوله: وَ قالُوا ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا و إنما هو نحيي و نموت لأن الدهرية لم يقروا بالبعث بعد الموت و إنما قالوا: نحيي و نموت فقدموا حرفاً على حرف و مثله كثير. قال: و أما الآيات التي هي في سورة و تمامها في سورة اخرى فقول موسى: أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ قالُوا: يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ وَ إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ، نصف الآية في سورة البقرة و نصفها في سورة المائدة. و قوله: اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا، فرد اللّه عليهم وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ، فنصف الآية في سورة الفرقان و نصفها في سورة العنكبوت و مثله كثير انتهى كلامه.

أقول: و يرد على هذا كله إشكال و هو أنه على هذا التقدير لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن يكون محرفاً و مغيراً و يكون على خلاف ما أنزل اللَّه فلم يبق لنا في القرآن حجة أصلًا فتنتفي فائدته و فائدة الأمر باتباعه و الوصية بالتمسك به الى غير ذلك، و ايضاً قال اللَّه عز و جل: وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ. و قال: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ فكيف يتطرق إليه التحريف و التغيير، و ايضاً قد استفاض عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الأئمة عليهم السلام حديث عرض الخبر المروي على كتاب اللَّه ليعلم صحته بموافقته له و فساده بمخالفته فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرفاً فما فائدة العرض مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب اللَّه مكذب له فيجب رده و الحكم بفساده أو تأويله.

و يخطر بالبال في دفع هذا الاشكال و العلم عند اللَّه أن يقال: إن صحت هذه الأخبار فلعل التغيير إنما وقع فيما لا يخل بالمقصود كثير إخلال كحذف اسم علي و آل محمد صلّى اللَّه عليهم، و حذف أسماء المنافقين عليهم لعائن اللَّه فإن الانتفاع بعموم اللفظ باق وكحذف بعض الآيات وكتمانه فان الانتفاع بالباقي باق مع أن الأوصياء كانوا يتداركون ما فاتنا منه من هذا القبيل و يدل على هذا قوله عليه السلام في حديث طلحة: إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار و دخلتم الجنة فإن فيه حجتنا و بيان حقنا و فرض طاعتنا.

و لا يبعد أيضاً أن يقال أن بعض المحذوفات كان من قبيل التفسير و البيان و لم يكن من أجزاء القرآن فيكون التبديل من حيث المعنى أي حرفوه و غيروه في تفسيره و تأويله أعني حملوه على خلاف ما هو به فمعنى قولهم عليهم السلام كذا نزلت أن المراد به ذلك لا أنها نزلت مع هذه الزيادة في لفظها فحذف منها ذلك اللفظ.و مما يدل على هذا ما رواه في الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام: أنه كتب في رسالته إلى سعد الخير وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه و حرّفوا حدوده فهم يروونه و لا يرعونه و الجهال يعجبهم حفظهم للرواية و العلماء يحزنهم تركهم للرعاية. الحديث.

و ما رواه العامة أن علياً عليه السلام كتب في مصحفه الناسخ و المنسوخ و معلوم أن الحكم بالنسخ لا يكون إلا من قبيل التفسير و البيان و لا يكون جزء من القرآن فيحتمل أن يكون بعض المحذوفات أيضاً كذلك هذا ما عندي من التقصي عن الاشكال و اللَّه يعلم حقيقة الحال. و اما اعتقاد مشايخنا «ره» في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف و النقصان في القرآن لأنه كان روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي و لم يتعرض لقدح فيها مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه فيه وكذلك استاذه علي بن إبراهيم القمي (ره) فان تفسيره مملوّ منه و له غلوّ فيه، وكذلك الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي رضي اللَّه عنه فانه أيضاً نسج على منوالهما في كتاب الاحتجاج. و اما الشيخ أبو علي الطبرسي فانه قال في مجمع البيان: اما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه و أما النقصان فيه فقد روى جماعة من أصحابنا و قوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييراً و نقصاناً و الصحيح من مذهب أصحابنا خلافه و هو الذي نصره المرتضى رضي اللَّه عنه و استوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات.

و ذكر في مواضع: أن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان و الحوادث الكبار و الوقائع العظام و الكتب المشهورة و أشعار العرب المسطورة فان العناية اشتدت و الدواعي توفرت على نقله و حراسته و بلغت حداً لم تبلغه فيما ذكرناه لأن القرآن معجزة النبوة و مأخذ العلوم الشرعية و الأحكام الدينية و علماء المسلمين قد بلغوا في حفظه و حمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه و قراءته و حروفه و آياته فكيف يجوز أن يكون مغيراً و منقوصاً مع العناية الصادقة و الضبط الشديد.

و قال أيضاً قدس اللَّه روحه: إن العلم بتفصيل القرآن و أبعاضه في صحة نقله كالعلم بجملته و جرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه و المزني فان أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من جملتها حتى لو أن مدخلًا أدخل في كتاب سيبويه باباً في (من خ ل) النحو ليس من

الكتاب لعرف و ميز و علم أنه ملحق و ليس من أصل الكتاب وكذلك القول في كتاب المزني و معلوم أن العناية بنقل القرآن و ضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه و دواوين الشعراء و ذكر ايضاً أن القرآن كان على عهد رسول اللّٰه مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن و استدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس و يحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له و إنه كان يعرض على النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم و يتلى عليه و أن جماعة من الصحابة مثل عبد اللّٰه بن مسعود و أبي بن كعب و غيرهما ختموا القرآن على النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم عدة ختمات وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على انه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور و لا مبثوث.

و ذكر أن من خالف في ذلك من الامامية و الحشوية لا يعتد بخلافهم فان الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنواصحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته.

أقول: لقائل أن يقول كما ان الدواعي كانت متوفرة على نقل القرآن و حراسته من المؤمنين كذلك كانت متوفرة على تغييره من المنافقين المبدلين للوصية المغيرين للخلافة لتضمنه ما يضاد رأيهم و هواهم و التغيير فيه إن وقع فإنما وقع قبل انتشاره في البلدان و استقراره على ما هو عليه الآن. و الضبط الشديد إنما كان بعد ذلك فلا تنافي بينهما بل لقائل أن يقول إنه ما تغير في نفسه و إنما التغيير في كتاباتهم إياه و تلفظهم به فإنهم ما حرفوا إلا عند نسخهم من الأصل و بقي الأصل على ما هو عليه عند أهله و هم العلماء به فما هو عند العلماء به ليس بمحرف و إنما المحرف ما أظهروه لأتباعهم و أما كونه مجموعاً في عهد النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم على ما هو عليه الآن فلم يثبت وكيف كان مجموعاً و إنما كان ينزل نجوماً وكان لا يتم الا بتمام عمره. و اما درسه و ختمه فإنما كانوا يدرسون و يختمون ما كان عندهم منه لإتمامه.

و قال شيخنا الصدوق رئيس المحدثين محمد بن علي بن بابويه القمي طيب اللّٰه ثراه في اعتقاداته: اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله اللّٰه على نبيه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم هو ما بين الدفتين و ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، قال: و من نسب إلينا: إنا نقول إنه أكثر من ذلك فهوكاذب.

و قال شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي رضي اللّٰه عنه في تبيانه:

و أما الكلام في زيادته و نقصانه فمما لا يليق به لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانه و النقصان منه فالظاهر ايضاً من مذهب المسلمين خلافه و هو الأليق بالصحيح من مذهبنا و هو الذي نصره المرتضى رضي اللّٰه عنه، و هو الظاهر في الروايات. غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة و العامة بنقصان كثير من آي القرآن و نقل شيء منه من موضع إلى موضع طريقها الآحاد التي لا يتوجب علماً فالأولى الاعراض عنها و ترك التشاغل بها لأنه يمكن تأويلها و لو صحت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفتين فان ذلك معلوم صحته لا يعترضه أحد من الامة و لا يدفعه، و روايتنا متناصرة بالحث على قراءته و التمسك بما فيه، ورد ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه و عرضها عليه فما وافقه عمل عليه و ما خالفه يجنب و لم يلتفت إليه، و قد ورد عن النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم رواية لا يدفعها احد، إنه قال: إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب اللّٰه و عترتي أهل بيتي و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض و هذا يدل على أنه موجود في كل عصر لأنه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا نقدر على التمسك به كما أن أهل البيت عليهم السلام و من يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت و إذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته فينبغي أن يتشاغل بتفسيره و بيان معانيه و ترك ما سواه.

أقول: يكفي في وجوده في كل عصر وجوده جميعاً كما أنزله اللّٰه محفوظاً عند أهله و وجود ما احتجنا إليه منه عندنا و إن لم نقدر على الباقي كما أن الامام عليه السلام كذلك فان الثّقلين سيّان في ذلك.

و لعل هذا هو المراد من كلام الشيخ. و اما قوله من يجب اتباع قوله فالمراد به البصير بكلامه فانه في زمان غيبتهم قائم مقامهم لقولهم عليهم السلام انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا و نظر في حلالنا و حرامنا و عرف أحكامنا فاجعلوه بينكم حاكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً، الحديث.

المقدمة السابعة في نبذ مما جاء في أن القرآن تبيان كل شيء و تحقيق معناه

روي في الكافي بإسناده عن مرازم عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إن اللّه تعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى و اللّه ما ترك اللّه شيئاً يحتاج إليه العباد حتى لا يستطيع عبد يقول لوكان هذا أنزل في القرآن الا و قد أنزله اللّه فيه.

و بإسناده عن عمرو بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول إن اللّه تعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الامة الا أنزله في كتابه و بينه لرسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم و جعل لكل شيء حداً و جعل عليه دليلًا يدل عليه و جعل على من تعدّى ذلك حداً.

و بإسناده عن المعلى بن خنيس قال قال: أبو عبد اللّه عليه السلام ما من أمر يختلف فيه اثنان الا و له أصل في كتاب اللّه و لكن لا تبلغه عقول الرجال.

و بإسناده عن حماد (عمار خ ل) عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال سمعته يقول ما من شيء الا و فيه كتاب أو سنة. و بإسناده عن سماعة عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له أكل شيء في كتاب اللّه و سنة نبيه أو تقولون فيه، قال: بل كل شيء في كتاب اللّه و سنة نبيه.

و بإسناده عن أبي الجارود قال قال أبو جعفر عليه السلام: إذا حدثتكم بشيء فاسألوني أين هو من كتاب اللّه تعالى. ثم قال في بعض حديثه إن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أنهى عن القيل و القال و فساد المال وكثرة السؤال فقيل له يا بن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أين هذا من كتاب اللّه؟ قال:إن اللّه تعالى يقول لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ. و قال: لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِياماً.

و قال: لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ. قال بعض أهل المعرفة ما ملخصه: إن العلم بالشيء اما يستفاد من الحس برؤية أو تجربة أو سماع خبر أو شهادة او اجتهاد او نحو ذلك و مثل هذا العلم لا يكون الا متغيراً فاسداً محصوراً متناهياً غير محيط لأنه إنما يتعلق بالشيء في زمان وجوده علم و قبل وجوده علم آخر و بعد وجوده علم ثالث و هكذا كعلوم أكثر الناس و أما ما يستفاد من مبادئه و أسبابه و غاياته علماً واحداً كلياً بسيطاً على وجه عقلي غير متغير فانه ما من شيء الا و له سبب و لسببه سبب. و هذا إلى أن ينتهي إلى مسبب الأسباب وكل ما عرف سببه من حيث يقتضيه و يوجبه فلا بد أن يعرف ذلك الشيء علماً ضرورياً دائماً فمن عرف اللّه تعالى بأوصافه الكمالية و نعوته الجلالية و عرف أنه مبدأ كل وجود و فاعل كل فيض وجود و عرف ملائكته المقربين ثم ملائكته المدبرين المسخرين للأغراض الكلية العقلية بالعبادات الدائمة و النسك المستمرة من غير فتور و لغوب الموجبة لأن يترشح عنها صور الكائنات كل ذلك على الترتيب السببي و المسببي. فيحيط علمه بكل الأمور و أحوالها و لواحقها علماً بريأ (بريئاً خ ل) من التغيير و الشك و الغلط فيعلم من الأوائل الثواني و من الكليات الجزئيات المترتبة عليها و من البسائط المركبات، و يعلم حقيقة الإنسان و أحواله و ما يكملها و يزكيها و يسعدها و يصعدها إلى عالم القدس و ما يدنسها و يرديها و يشقيها و يهويها إلى أسفل السافلين علماً ثابتاً غير قابل للتغيير و لا محتمل لتطرق الريب فيعلم الأمور الجزئية من حيث هي دائمة كلية و من حيث لا كثرة فيه و لا تغيير و إن كانت هي كثيرة متغيرة في أنفسها و بقياس بعضها إلى بعض و هذا كعلم اللّه سبحانه بالأشياء و علم ملائكته المقربين و علوم الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام بأحوال الموجودات الماضية و المستقبلة و علم ما كان و علم ما سيكون (يكون خ ل) إلى يوم القيامة من هذا

القبيل فانه علم كلي ثابت غير متجدد بتجدد المعلومات و لا متكثر بتكثرها، و من عرف كيفية هذا العلم عرف معنى قوله تعالى: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ. و يصدّق بأن جميع العلوم و المعاني في القرآن الكريم عرفاناً حقيقياً و تصديقاً يقينياً على بصيرة لا على وجه التقليد و السماع و نحوهما إذ ما من أمر من الأمور الا و هو مذكور في القرآن إما بنفسه أو بمقوماته و أسبابه و مبادئه و غاياته و لا يتمكن من فهم آيات القرآن و عجائب أسراره و ما يلزمها من الأحكام و العلوم التي لا تتناهى الا من كان علمه بالأشياء من هذا القبيل. انتهى كلامه أعلى اللَّه مقامه، و ينبه عليه لفظة الأصل في رواية المعلّى.

المقدمة الثامنة في نبذ مما جاء في أقسام الآيات و اشتمالها على البطون و التأويلات و انواع اللغات و القراءات، و المعتبرة منها

قد اشتهرت الرواية من طريق العامة عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أنه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف و قد ادعى بعضهم تواتر أصل هذا الحديث الا انهم اختلفوا في معناه على ما يقرب من أربعين قولًا.

و روت العامة عنه عليه السلام ايضاً انه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف أمر و زجر و ترغيب و ترهيب و جدل و قصص و مثل. و في رواية أخرى: زجر و أمر و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال، و المستفاد من هاتين الروايتين أن الأحرف إشارة إلى اقسامه و أنواعه.

و يؤيده ما رواه أصحابنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إن اللَّه تبارك و تعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كل قسم منها كاف شاف و هي: أمر و زجر و ترغيب و ترهيب و جدل و مثل و قصص.

و روت العامة ايضاً عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله أن القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر و بطن و لكل حرف حد و مطلع.

و في رواية أخرى أن للقرآن ظهراً و بطناً و لبطنه بطناً إلى سبعة أبطن.

و ربما يستفاد من هاتين الروايتين أن الأحرف إشارة إلى بطونه و تأويلاته و لا نص فيهما على ذلك لجواز أن يكون المراد بهما أن الكل من الأقسام ظهراً و بطناً و لبطنه بطناً (بطن خ ل) إلى سبعة أبطن.

و من طريق الخاصة ما رواه في الخصال بإسناده عن حمّاد قال: قلت لأبي عبد اللَّه عليه السلام إن الأحاديث تختلف منكم، قال: فقال: إن القرآن نزل على سبعة أحرف و أدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه. ثم قال: هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ، و هذا نص في البطون و التأويلات. و رووا في بعض ألفاظ هذا الحديث أن هذا القرآن أُنزل علىَ سبعة أَحرف فاقرؤوا بما تيسر منه.

و في بعضها قال النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم لجبرئيل عليه السلام:

إني بعثت إلى أُمة أُميين، فيهم الشيخ الفاني و العجوز الكبيرة و الغلام. قال:

فمرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف.

و من طريق الخاصة ما رواه في الخصال بإسناده عن عيسى بن عبد اللَّه الهاشمي عن أبيه عن آبائه قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم:

أتاني آت من اللَّه عز و جل فقال: إن اللَّه يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: يا رب وسع على أمتي. فقالٍ: إن اللَّه عز و جل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف و يستفاد من هذه الروايات ان المراد بسبعة أحرف اختلاف اللغات كما قاله ابن الأثير في نهايته فانه قال في الحديث نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف أراد بالحرف اللغة يعني على سبع لغات من لغات العرب أي انها متفرقة (مفرقة خ ل) في القرآن فبعضه بلغة قريش و بعضه بلغة هُذيل و بعضه بلغة الهوازن (هوازن خ ل) و بعضه بلغة اليمن. قال: و مما يبين ذلك قول ابن مسعود إني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم إنما هو كقول

أحدكم: هلم تعال و اقبل. و قال في مجمع البيان: إن قوماً قالوا إن المراد بالأحرف اللغات مما لا يغير حكماً في تحليل و لا تحريم مثل: هلم و اقبل و تعال. و قالوا: وكانوا مخيرين في مبتدإ الإسلام في أن يقرءوا بما شاءوا منها ثم أجمعوا على أحدها و إجماعهم حجة فصار ما أجمعوا عليه مانعاً مما اعرضوا عنه.

أقول: و التوفيق بين الروايات كلها أن يقال: إن للقرآن سبعة أقسام من الآيات و سبعة بطون لكل آية. و نزل على سبع لغات. و اما حمل الحديث على سبعة أوجه من القراءات ثم التكلف في تقسيم وجوه القراءات على هذا العدد كما نقله في مجمع البيان عن بعضهم فلا وجه له مع أنه يكذبه ما رواه في الكافي بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن القرآن واحد نزل من عند واحد و لكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة. و بإسناده عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام إن الناس يقولون إن القرآن نزل على سبعة أحرف. فقال: كذبوا أعداء اللّه و لكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد، و معنى هذا الحديث معنى سابقه و المقصود منهما واحد و هو أن القراءة الصحيحة واحدة الا أنه عليه السلام لما علم أنهم فهموا من الحديث الذي رووه صحة القراءات جميعاً مع اختلافها كذّبهم. و على هذا فلا تنافي بين هذين الحديثين و شيء من أحاديث الأحرف ايضاً.

و بإسناده عن عبد اللّه بن فرقد و المعلى بن خنيس قالا كنا عند أبي عبد اللّه عليه السلام و معنا ربيعة الرأي فذكر القرآن فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: إن كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضال. قال (فقال خ ل): ربيعة ضال. فقال: نعم ضال. ثم قال أبو عبد اللّه عليه السلام: أما نحن فنقرأ على قراءة أُبيّ.

و لعل آخر الحديث ورد على المسامحة مع ربيعة مراعاة لحرمة الصحابة و تداركاً لما قاله في ابن مسعود ذلك لأنهم عليهم السلام لم يكن يتّبعون احداً سوى آبائهم عليهم السلام لأن علمهم من اللّه و في هذا الحديث اشعار بأن قراءة أُبيّ كانت موافقة لقراءتهم عليهم السلام أو كانت أوفق لها من قراءة غيره من الصحابة.

ثم الظاهر أن الاختلاف المعتبر ما يسري من اللفظ إلى المعنى مثل مالك و ملك دون ما لا يجاوز اللفظ أو يجاوزه و لم يخل بالمعنى المقصود سواء كان بحسب اللغة مثل كفؤاً بالهمزة و الواو و مخففاً و مثقلًا او بحسب الصرف مثل يرتد و يرتدد أو بحسب النحو مثل ما لا يقبل منها شفاعة بالتاء، و الياء و ما يسري إلى المعنى و لم يخل بالمقصود مثل الريح و الرياح للجنس و الجمع فان في أمثال هذه موسع علينا القراءات المعروفة.

و عليه يحمل ما ورد عنهم عليهم السلام من اختلاف القراءة في كلمة واحدة و ما ورد أيضاً في تصويبهم القراءتين جميعاً كما يأتي في مواضعه أو يحمل على أنهم لما لم يتمكنوا أن يحملوا الناس على القراءة الصحيحة جوزوا القراءة بغيرها كما أُشير إليه بقولهم عليهم السلام: اقرؤا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم و ذلك كما جوزوا قراءة أصل القرآن بما هو عند الناس دون ما هو محفوظ عندهم و على التقديرين في سعة منها جميعاً، و قد اشتهر بين الفقهاء وجوب التزام عدم الخروج عن القراءات السبع أو العشر المعروفة لتواترها و شذوذ غيرها.

و الحق: أن المتواتر من القرآن اليوم ليس إلا القدر المشترك بين القراءات جميعاً دون خصوص آحادها إذ المقطوع به ليس إلا ذاك فان المتواتر لا يشتبه بغيره و أما نحن فنجعل الأصل في هذا التفسير أحسن القراءات كانت قراءة من كانت كالأخف على اللسان و الأوضح في البيان و الآنس للطبع السليم و الأبلغ لذي الفهم القويم و الأبعد عن التكلف في إفادة المراد و الأوفق لأخبار المعصومين. فان تساوت أو أشبهت فقراءة الأكثرين في الأكثر.

و لا نتعرض لغير ذلك إلا ما يتغير به المعنى المراد تغييراً يعتد به أو يحتاج إلى التفسير و ذلك لأن التفسير إنما يتعلق بالمعنى دون اللفظ و ضبط اللفظ إنما هو للتلاوة فيخص به المصاحف، و أما ما دونوه في علم القراءة و تجويدها من القواعد و المصطلحات فكل ما له مدخل في تبيين الحروف و تمييز بعضها عن بعض

لئلا يشتبه أو في حفظ الوقوف بحيث لا يختل المعنى المقصود به أو في صحة الإعراب و جودته لئلا تصير ملحونة أو مستهجنة أو في تحسين الصوت و ترجيعه بحيث يلحقها بألحان العرب و أصواتها الحسنة فله وجه وجيه. و قد وردت الإشارة إليه في الروايات المعصومية و إنما ينبغي مراعاة ذلك فيما اتفقوا عليه لاتفاق السلائق عليه دون ما اختلفوا فيه لاختلافها لديه.

المقدمة التاسعة في نبذ مما جاء في زمان نزول القرآن و تحقيق ذلك

روى في الكافي عن حفص بن غياث عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: سألته عن قول اللّه تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، و إنما نزل في عشرين سنة بين أوله و آخره. فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: أُنزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم نزل في طول عشرين سنة ثم قال النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم أُنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان و أُنزل التوراة لست مضين من شهر رمضان و أُنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان و أُنزل الزبور لثمان عشرة خلون من شهر رمضان و أُنزل القرآن في ليلة ثلاث و عشرين من شهر رمضان.

و فيه و في الفقيه باسنادهما عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال نزلت التوراة في ست مضين من شهر رمضان و نزل الإنجيل في اثنتي عشرة ليلة مضت من شهر رمضان و نزل الزبور في ليلة ثمان عشرة من شهر رمضان و نزل القرآن في ليلة القدر.

و في بعض نسخ الفقيه، و نزل الفرقان في ليلة القدر. و باسنادهما عن حمران أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول اللّه تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ؟ قال هي ليلة القدر و هي في كل سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر. و لم ينزل القرآن إلا في ليلة القدر. قال اللّه تعالى: فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. قال: يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل من خير أو شر أو طاعة أو معصية أو مولود أو أجل أو رزق. الحديث.و باسنادهما عن يعقوب قال: سمعت رجلًا يسأل أبا عبد اللّه عليه السلام عن لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟ فقال: أخبرني عن ليلة القدر كانت أو تكون في كل عام؟ فقال أبو عبد اللّه عليه السلام لو رفعت ليلة القدر لرفع القرآن.

أقول: و ذلك لأن في ليلة القدر ينزل كل سنة من تبيين القرآن و تفسيره ما يتعلق بأمور تلك السنة إلى صاحب الأمر عليه السلام فلو لم يكن ليلة القدر لم ينزل من أحكام القرآن ما لا بد منه في القضايا المتجددة و إنما لم ينزل ذلك إذا لم يكن من ينزل عليه و إذا لم يكن من ينزل عليه لم يكن قرآن لأنهما متصاحبان لن يفترقا حتى يردا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم حوضه كما ورد في الحديث المتفق عليه و قد مضى معنى تصاحبهما.

و المستفاد من مجموع هذه الأخبار، و خبر الياس الذي أورده في الكافي في باب شأن إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ و تفسيرها من كتاب الحجة أن القرآن نزل كله جملة واحدة في ليلة ثلاث و عشرين من شهر رمضان إلى البيت المعمور وكأنه أُريد به نزول معناه على قلب النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم كما قال اللّه نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ ثم نزل في طول عشرين سنة نجوماً من باطن قلبه إلى ظاهر لسانه كلما أتاه جبرئيل عليه السلام بالوحي و قرأه عليه بألفاظه و أن معنى انزال القرآن في ليلة القدر في كل سنة إلى صاحب الوقت انزال بيانه بتفصيل مجمله و تأويل متشابهه و تقييد مطلقه و تفريق محكمه من متشابهه.

و بالجملة تتميم إنزاله بحيث يكون هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان كما قال اللّه سبحانه: (شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) يعني في ليلة القدر منه (هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ) تثنية (تثبيت خ ل) لقوله عز و جل: (إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) أي محكم

أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ فقوله فِيها يُفْرَقُ و قوله و الْفُرْقانِ معناهما واحد فان الفرقان هو المحكم الواجب العمل به كما مضى في الحديث، و قد قال تعالى: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ. أي حين أنزلناه نجوماً فَإِذا قَرَأْناهُ عليك حينئذ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أي جملته ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ في ليلة القدر بانزال الملائكة و الروح فيها عليك و على أهل بيتك من بعدك بتفريق المحكم من المتشابه و بتقدير الأشياء و تبيين أحكام خصوص الوقائع التي تصيب الخلق في تلك السنة إلى ليلة القدر الآتية.

قال في الفقيه: تكامل نزول القرآن ليلة القدر وكأنه أراد به ما قلناه. و بهذا التحقيق حصل التوفيق بين نزوله تدريجاً و دفعة و استرحنا من تكلفات المفسرين.

المقدمة العاشرة في نبذ مما جاء في تمثل القرآن لأهله يوم القيامة و شفاعته لهم و ثواب حفظه و تلاوته

روى في الكافي بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: يجيء القرآن في أحسن منظور إليه صورة فيمر بالمسلمين فيقولون هذا رجل منا فيجاوزهم إلى النبيين فيقولون هو منا فيجاوزهم إلى الملائكة المقربين فيقولون هو منا حتّى ينتهي إلى رب العزة جل و عز فيقول: يا رب فلان بن فلان أضمأت هواجره و أسهرت ليله في دار الدنيا و فلان بن فلان لم أظمئ هواجره و لم أسهر ليله. فيقول تعالى: أدخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن اقرأ و ارق قال:

فيقرأ و يرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها. و بإسناده عن يونس ابن عمار قال: قال أبو عبد اللّٰه عليه السلام: ان الدواوين يوم القيامة ثلاثة ديوان فيه النعم و ديوان فيه الحسنات و ديوان فيه السيئات فيقابل ديوان النعم و ديوان الحسنات فيستغرق النعم عامة الحسنات و يبقى ديوان السيئات فيدعى بابن آدم المؤمن للحساب فيتقدم القرآن أمامه في أحسن صورة فيقول يا رب أنا القرآن و هذا عبدك المؤمن قدكان يتعب نفسه بتلاوتي و يطيل ليله بترتيلي و تفيض عيناه إذا تهجد فأرضه كما أرضاني. قال: فيقول العزيز الجبار عبدي أبسط يمينك فيملأها من رضوان اللّٰه العزيز الجبار و يملأ شماله من رحمة اللّٰه ثم يقال هذه الجنة مباحة لك فاقرأ و اصعد فإذا قرأ آية صعد درجة.

أقول: و في هذا المعنى أخبار كثيرة و منها ما هو أبسط من هذا و قد أوردنا نبذاً منها في كتابنا الوافي و شرحناها هناك.

و بإسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام قال الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة.

و بإسناده عن الزهري قال: قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام أي الأعمال أفضل قال: الحال المرتحل. قلت: و ما الحال المرتحل؟ قال: فتح القرآن و ختمه كلما جاء بأوله ارتحل في آخره، و قال قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم من أعطاه اللّٰه القرآن فرأى أن أحداً أُعطي أفضل مما أُعطي فقد صغر عظيماً و عظم صغيراً.

أقول: يشبه أن يكون قوله جاء بأوله كان حل بأوله فصحّف.

و بإسناده عن حريز عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام قال: القرآن عهد اللّٰه إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده و أن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية.

و بإسناده عن محمد بن بشير عن علي بن الحسين عليهما السلام و مرسلًا عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام قالا: من استمع حرفاً من كتاب اللّٰه تعالى من غير قراءة كتب اللّٰه تعالى له به حسنة و محا عنه سيئة و رفع له درجة و من قرأ نظراً من غير صوت كتب اللّٰه له بكل حرف حسنة و محا عنه سيئة و رفع له درجة و من تعلم منه حرفاً ظاهراً كتب اللّٰه له عشر حسنات و محا عنه عشر سيئات و رفع له عشر درجات.

قال: لا أقول بكل آية و لكن بكل حرف باء أو ياء أو شبههما. قال: و من قرأ حرفاً و هو جالس في صلاته كتب اللّه له خمسين حسنة و محا عنه خمسين سيئة و رفع اللّه له خمسين درجة، و من قرأ حرفاً و هو قائم في صلاته كتب اللّه له مائة حسنة و محاعنه مائة سيئة و رفع له مائة درجة و من ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخرة أو معجلة قال: قلت جعلت فداك ختمه كله. قال: ختمه كله.

و بإسناده عن ليث بن أبي سليم رفعه قال: قال النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم: نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن و لا تتخذوها قبوراً كما فعلت اليهود و النصارى صلوا في الكنائس و البيَع و عطّلوا بيوتهم فان البيت إذا كثر فيه تلاوة القرآن كثر خيره و اتسع أهله و أضاء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الدنيا.

المقدمة الحادية عشرة في نبذ مما جاء في كيفية التلاوة و آدابها

روى في الكافي بإسناده عن اسحق بن عمار عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قلت له جعلت فداك إني احفظ القرآن عن ظهر قلبي فأقرأ عن ظهر قلبي أفضل أو انظر في المصحف؟ فقال لي: لا بل اقرأه و انظر في المصحف فهو أفضل أما علمت أن النظر في المصحف عبادة. و بإسناده عن محمد بن عبد اللّه قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: اقرأ القرآن في ليلة؟ قال: لا يعجبني أن تقرأ في أقل من شهر.

و بإسناده عن أبي بصير أنه قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام جعلت فداك اقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة؟ فقال: لا قال ففي ليلتين قال: لا قال ففي ثلاث؟ قال: ها و أشار بيده. ثم قال: يا أبا محمد إن لرمضان حقاً و حرمة و لا يشبهه شيء من الشهور وكان أصحاب محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم يقرأ أحدهم القرآن في شهر أو أقل. إن القرآن لا يقرأ هذرمة و لكن يرتل ترتيلًا و إذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها و اسأل اللّه تعالى الجنة و إذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها و تعوذ باللّه من النار.

أقول: ها كلمة إجابة يعني بها نعم. ثم علل جواز الختم في ثلاث ليال في شهر رمضان بحق الشهر و حرمته و اختصاصه من بين الشهور. و الهذرمة السرعة في القرآن.

و بإسناده عن عبد اللّه بن سنان قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه تعالى: وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا. قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: بيّنه تبييناً و لا تهذه هذّ الشعر و لا تنثره نثر الرمل و لكن فزّعوا قلوبكم القاسية و لا يكن همّ أحدكم آخر السورة.

أقول: الهذّ السرعة في القراءة أي لا تسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر و لا تفرق كلماته بحيث لا تكاد تجتمع كذرات الرمل، و المراد به الاقتصاد بين السرعة المفرطة و البطؤ المفرط.

و في رواية اخرى: أن أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن ترتيل القرآن فقال: هو حفظ الوقوف و بيان الحروف، و فسر الأول بالوقف التام و الحسن و الثاني بالإتيان بصفاتها المعتبرة من الجهر و الهمس و الاطباق و الاستعلاء و غيرها. و عن أبي عبد اللّه عليه السلام هو أن تمكث و تحسّن به صوتك.

و بإسناده عنه عليه السلام: قال القرآن نزل بالحزن.

و بإسناده عنه عليه السلام قال: قال النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم: لكل شيء حلية و حلية القرآن الصوت الحسن. و عنه عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليهما السلام أحسن الناس صوتاً بالقرآن. وكان السقاؤون يمرون فيقفون ببابه يستمعون قراءته. وكان أبو جعفر عليه السلام أحسن الناس صوتاً.

و بإسناده عن علي بن محمد النوفلي عن أبي الحسن عليه السلام قال: ذكرت الصوت عنده فقال إن علي بن الحسين عليهما السلام كان يقرأ القرآن فربما مر به المار فصعق من حسن صوته، و ان الإمام عليه السلام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه. قلت: و لم يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يصلي بالناس و يرفع صوته بالقرآن فقال: إن رسول اللّه «ص» كان يحمل الناس من خلفه ما يطيقون.

و بإسناده عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام إذا قرأت القرآن فرفعت به صوتي جاءني الشيطان. فقال: إنما ترائي بهذا أهلك و الناس. قال: يا أبا محمد اقرأ قراءة بين القراءتين تسمع أهلك و رجِّع بالقرآن صوتك فان اللّٰه تعالى يحب الصوت الحسن يرجّع به ترجيعاً. و بإسناده عن عبد اللّٰه بن سنان عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام قال: قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم اقرؤا القرآن بألحان العرب و أصواتها و إياكم و لحون أهل الفسق و أهل الكبائر فانه سيجيء بعدي أقوام يرجعون القرآن بترجيع الغناء و النوح و الرهبانية لا يجوز تراقيهم و قلوبهم مقلوبة و قلوب من يعجبه شأنهم. و عن النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم زينوا القرآن بأصواتكم. و عنه عليه السلام: إن القرآن نزّل بالحزن فإذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا و تغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا، قال في مجمع البيان تأول بعضهم تغنوا به بمعنى استغنوا به و أكثر العلماء على أنه تزيين الصوت و تحزينه.

أقول: المستفاد من هذه الأخبار جواز التغني بالقرآن و الترجيع به بل استحبابهما فما ورد من النهي عن الغناء كما يأتي في محله إنشاء اللّٰه ينبغي حمله على لحون أهل الفسق و الكبائر و على ما كان معهوداً في زمانهم عليهم السلام في فساق الناس و سلاطين بني أمية و بني العباس من تغني المغنيات بين الرجال و تكلمهن بالأباطيل و لعبهن بالملاهي من العيدان و القضيب و نحوها.

قال في الفقيه: سأل رجل علي بن الحسين عليهما السلام عن شراء جارية لها صوت؟ فقال: ما عليك لو اشتريتها فذكّرتك الجنة. قال: يغني بقراءة القرآن و الزهد و الفضائل التي ليست بغناء فأما الغناء فمحظور.

و في الكافي و التهذيب: عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام قال: أجر المغنية التي تزف العرائس ليس به بأس ليست بالتي تدخل عليها الرجال.

و في معناه أخبار أُخر و كلام الفقيه يعطي أن بناء الحل و الحرمة على ما يتغنى به.

و الحديث الأخير يعطي أن لسماع صوت الأجنبية مدخلًا في الحرمة فليتأمل.

و في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام أنه قال: من قرأ القرآن و لم يخضع له و لم يرقّ عليه و لم ينشئ حزناً و وجلا في سره فقد استهان بعظم شأن اللّٰه و خسر خسراناً مبيناً فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء قلب خاشع، و بدن فارغ، و موضع خال. فإذا خشع للّٰه قلبه فر منه الشيطان الرجيم و إذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن و فوائده و إذا اتخذ مجلساً خالياً و اعتزل من الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأولیین استأنس روحه و سره باللّٰه و وجد حلاوة مخاطبات اللّٰه عباده الصالحين و علم لطفه بهم و مقام اختصاصه لهم بقبول كراماته و بدائع إشاراته فإذا شرب كأساً من هذا المشرب فحينئذ لا يختار على ذلك الحال حالًا و لا على ذلك الوقت وقتاً بل يؤثره على كل طاعة و عبادة لأن فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة فانظركيف تقرأ كتاب ربك و منشور ولايتك وكيف تجيب أوامره و نواهيه وكيف تمتثل حدوده وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ فرتله ترتيلا، وقف عند وعده و وعيده و تفكر في أمثاله و مواعظه و احذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده.

و روي عنه عليه السلام أنه قال: و اللّٰه لقد تجلى اللّٰه لخلقه في كلامه و لكن لا يبصرون.

قال: أيضاً و قد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خرّ مغشياً عليه فلما سرى (سوى خ ل) عنه قيل له في ذلك فقال: ما زلت اردد الآية على قلبي و على سمعي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته.

أقول: و للتلاوة آداب أُخر منها ظاهرة كالطهارة و الاستعاذة و تعظيم المصحف و الدعاء أولًا و آخراً و غير ذلك و منها باطنة كحضور القلب و التدبر و التفهم و التخلي عن موانع الفهم و تخصيص نفسه بكل خطاب و تأثر قلبه بآثار مختلفة و الترقي بقلبه إلى أن يسمع الكلام من اللّٰه لا من نفسه و التبري من حوله و قوته و من

الالتفات إلى نفسه بعين الرضا و إحضار عظمة الكلام و المتكلم بقلبه إلى غير ذلك كما مرت الإشارة إلى بعضها و قد أوردناها جميعاً و بيناها في كتابنا المسمى بالمحجة البيضاء من أرادها فليراجع إليه.

المقدمة الثانية عشرة في بيان ما اصطلحنا عليه في التفسير

فنقول كلما يحتاج من الآيات إلى بيان و تفسير لفهم المقصود من معانيه أو إلى تأويل لمكان تشابه فيه أو إلى معرفة سبب نزوله المتوقف عليه فهمه و تعاطيه أو إلى تعرّف نسخ أو تخصيص أو صفة أخرى فيه. و بالجملة ما يزيد على شرح اللفظ و المفهوم مما يفتقر إلى السماع من المعصوم فان وجدنا شاهداً من محكمات القرآن يدل عليه أتينا به فان القرآن يفسر بعضه بعضاً و قد أُمرنا من جهة أئمة الحق عليهم السلام أن نرد متشابهات القرآن إلى محكماته و الا فان ظفرنا فيه بحديث معتبر عن أهل البيت عليهم السلام في الكتب المعتبرة من طرق أصحابنا رضوان اللّٰه عليهم أوردناه، و الا أوردنا ما روينا عنهم عليهم السلام من طرق العامة لنسبته إلى المعصوم و عدم ما يخالفه، نظيره في الأحكام ما روي عن الصادق عليه السلام: إذا نزلت بكم حادثة لا تجدون حكمها فيما يروى عنا فانظروا إلى ما رووه عن علي عليه السلام فعملوا به. رواه الشيخ الطوسي رضوان اللّٰه عليه في العدة و ما لم نظفر فيه بحديث عنهم عليهم السلام أوردنا ما وصل إلينا من غيرهم من علماء التفسير إذا وافق القرآن و فحواه و أشبه أحاديثهم في معناه فان لم نعتمد عليه من جهة الاستناد اعتمدنا عليه من جهة الموافقة و الشبه و السداد. قال رسول اللّٰه «ص» إن على كل حق حقيقة و على كل صواب نوراً فما وافق كتاب اللّٰه فخذوا به و ما خالف كتاب اللّٰه فدعوه. و قال الصادق عليه السلام: ما جاءك في رواية من برّ أو فاجر يوافق القرآن فخذ به و ما جاءك في رواية من بر أو فاجر يخالف القرآن فلا تأخذ.

و قال الكاظم عليه السلام إذا جاءك الحديثان المختلفان فقسهما على كتاب اللّٰه و على أحاديثنا فان أشبههما فهو حق و إن لم يشبههما فهو باطل و ما ورد فيه أخبار كثيرة فان لم يكن فيها كثير اختلاف اقتصرنا منها على ما اشتمل على مجامعها و تركنا سائرها مما في معناه روماً للاختصار و صوناً من الإكثار.

و ربما أشرنا إلى تعددها و تكثرها إذا أهممنا (اهمّنا خ ل) الاعتماد و إن كانت مختلفة نقلنا أصحها و أحسنها و أعمها فائدة ثم أشرنا إلى مواضع الاختلاف ما استطعنا و ما لا يحتاج إلى شرح اللفظ المفهوم و النكات المتعلقة بعلوم الرسوم مما لا يفتقر إلى السماع من المعصوم أوردنا فيه ما ذكره المفسرون الظاهريون من كان تفسيره أحسن و بيانه أوجز و اتقن كائناً من كان الا أوائل السورة التي يذكر فيها البقرة فان تفسير أكثرها و أكثر تفسيرها مأخوذ من التفسير المنسوب إلى مولانا الزكي أبي محمد العسكري الذي منه ما هو من كلامه و منه ما يرويه عن آبائه عليهم السلام.

منه ما أوردناه بألفاظه و متونه. و منه ما أوردناه بمعانيه و مضمونه.

و منه ما لفّقناه من غير موضع منه ثم منه ما نسبناه إليه و منه ما لم ننسبه إليه و ما لم ننسبه إليه و لا إلى غيره فهو منه إلا نادراً من شرح لفظه لا يجري فيه اختلاف و إنما النسبة للفصل من كلام الغير فان (فإذا خ ل) فصل بالقرآن فلا نسبة و ذلك إلى حيث ما وجد منه من تفسير هذه السورة و هو قوله عز و جل (وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) ثم من قوله تعالى: (الَّذينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَ الْهُدى) إلى قوله سبحانه (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) فان وجد منه تفسير آية اخرى في ضمن تفسير هذه الآيات أو على حدة نسبناه إليه في محله إنشاء اللّٰه و هو تفسير حسن لا سيما ما يتعلق منه بألفاظ القرآن و معناه مما له مدخل في فهم القرآن و إن لم يقع موقع القبول عند جماعة من أصحابنا طاعنين في إسناده و إذا أردنا أن نأتي بمزيد بيان لآية أو حديث من لدنا أو من قول بعض أهل العلم و المعرفة أو أردنا أن نجمع و نوفق بين ما يوهم التناقض أو نحو ذلك صدّرنا كلامنا بقولنا (أقول أو قيل) ليفصل من كلام المعصوم عليه

السلام إلا إذا كانت هناك قرينة تدل على ذلك و ما لا يحتاج إلى مزيدكشف و بيان إما لوضوحه و إحكام معناه أو لما عرف مما سلف قريباً من تفسير ما يجري مجراه طوينا تفسيره أو أحلنا على ما أسلفناه، و قلما نتعرض لانحاء النحو و صروف الصرف و شقوق الاشتقاق و اختلاف القراءة فيما لا يختلف به أصل المعنى لأن نظر أولي الألباب إلى المعاني أكثر منه إلى المباني. و ربما يحوجنا تمام الكشف عن المقصود إلى ذكر شيء من الأسرار فمن لم يكن من أهله فلا يبادر بالإنكار و ليتركه لأهله فان لكل أهلًا و ذاك أيضاً من مخزون علمهم الذي استفدناه من عباراتهم و مكنون سرهم الذي استنبطناه من إشاراتهم بإخلاص الولاء و الحب و بمصاص المخ و اللب و للّٰه الحمد و ما نقلناه من كتب الأصحاب نسبناه إليها باقتصار في أسمائها كالاكتفاء بالمضاف عما أُضيف إليه كالمجمع و الجوامع للشيخ أبي علي الطبرسي، وكالتوحيد و العيون و العلل و الإكمال و المعاني و المجالس و الاعتقادات من تصنيف (تصانيف خ ل) الصدوق أبي جعفر بن بابويه رحمه اللّٰه وكالمناقب لمحمد بن شهرآشوب المازندراني، وكالتهذيب و الغيبة و الأمالي للشيخ أبي جعفر الطوسي أطاب اللّٰه ثراهم، وكنّينا عن كتاب من لا يحضره الفقيه بالفقيه و اكتفينا عن ذكر تفسيري علي بن إبراهيم القمي و محمد بن مسعود العياشي و اسميهما بالقمي و العياشي، و عبرنا عن تفسير الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام بتفسير الإمام و اقتصرنا في التعبير عن المعصوم على ذكر لقبه تعظيماً بعدم التسمية و حذراً عن الاشتباه بذكر الكنى لاشتراك بعضها و طلباً للاختصار وكلما أضمرنا عن المعصوم بقولنا عنه عليه السلام فمرجع الضمير الإمام الذي سبق ذكره وكلما لم نسم الكتاب فالمروي عنه (منه خ ل) الكتاب الذي مضى اسمه أو اسم مصنّفه إلا ما صدّر بروي و القمي قد يسند إلى المعصوم عليه السلام و قد لا يسند و ربما يقول: قال و الظاهر أنه أراد به الصادق عليه السلام فان (كما ان خ ل) الشيخ أبا علي الطبرسي قد يروي عنه ما أضمره و يسنده إلى الصادق عليه السلام و نحن نروي ما أضمره على إضماره و حذفنا الأسانيد في الكل لقلة جدوى المعرفة بها في هذا العصر البعيد العهد عنها مع الاختلاف فيها و الاشتباه على أنا إنما نصحح الأخبار بنحو آخر غير الأسانيد إلا قليلًا و نستعين في ذلك كله باللّٰه وحده و لا نتخذ إلى غيره سبيلا فيها إخواني خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ.

تفسير الاستعاذة

في تفسير الإمام عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام: أَعُوذُ امتنع بِاللّٰهِ السّمِيْعِ لمقال الأخيار و الأشرار و لكل المسموعات من الإعلان و الأسرار الْعَلِيْمِ بأفعال الأبرار و الفجّار و بكل شي مما كان و ما يكون و ما لا يكون أن لوكان كيف يكون مِنَ الشَّيْطانِ البعيد من كل خير الرَّجِيْمِ المرجوم باللعن المطرود من بقاع الخير، و في المعاني عن الزكي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم معنى الرجيم أنه مرجوم باللعن مطرود من الخير لا يذكره مؤمن الا لعنه و إن في علم اللّٰه السابق إذا خرج القائم عليه السلام لا يبقى مؤمن إلا رجمه بالحجارة كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن، و في تفسير الامام عليه السلام و الاستعاذة هي: ما قد أمر اللّٰه بها عباده عند قراءتهم القرآن فقال: فَإِذا (إذا خ ل) قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ.
أقول: الاستعاذة تطهير اللسان عما جرى عليه من غير ذكر اللّٰه ليستعد لذكر اللّٰه و التلاوة و التنظيف للقلب من تلوث الوسوسة، ليتهيأ للحضور لدى المذكور و يجد الحلاوة.

سُورة الفاتحة

(مكيّة، و قيل مدنية، و قيل أُنزلت مرتين مرة بمكة و مرة بالمدينة و هي سبع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ في التوحيد و تفسير الإمام عن أمير المؤمنين عليه السلام: اللَّه هو الذي يتألّه إليه كل مخلوق عند الحوائج و الشدائد إذا انقطع الرجاء من كل وجه من دونه و تقطع الأسباب من (عن خ ل) جميع من سواه تقول بِسْمِ اللَّهِ أي أستعين على أموري كلها باللَّه الذي لا تحق العبادة الّا له المغيث إذا استغيث و المجيب إذا دعي.

أقول: معنى يتألّه اليه: يفزع إليه و يلتجأ و يسكن.

و في رواية اخرى عنه عليه السلام يعني بهذا الاسم اقرأ و اعمل هذا العمل.

و في العيون و المعاني عن الرضا عليه السلام يعني بهذا أَسِمُ نفسي بسمة من سمات اللَّه و هي العبادة، قيل له ما السمة قال العلامة.

و في التوحيد و تفسير الإمام عليه السلام قال رجل للصادق عليه السلام:

يا بن رسول اللَّه دلني على اللَّه ما هو فقد أكثر علي المجادلون و حيروني فقال يا عبد للّه هل ركبت سفينة قط؟ قال: بلى، قال: فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك و لا سباحة تغنيك؟ قال: بلى قال: فهل تعلّق قلبك هناك أنَّ شيئاً من الأشياء قادر على ان يخلصك من ورطتك؟ قال: بلى. قال الصادق عليه السلام: فذاك الشيء هو اللَّه القادر على الإنجاء حين لا منجي و على الإغاثة حين لا مغيث و يأتي في معنى اللَّه حديث آخر في تفسير سورة الإخلاص إن شاء اللَّه، و عن أمير المؤمنين عليه السلام: اللَّه أعظم اسم من اسماء اللَّه عز و جل لا ينبغي أن يتسمى به غيره.

و عنه عليه السلام: الرَّحْمنِ الذي يرحم ببسط الرزق علينا. و في رواية العاطف على خلقه بالرزق لا يقطع عنهم مواد رزقه و إن انقطعوا عن طاعته.

الرَّحِيمِ بنا في أدياننا و دنيانا و آخرتنا خفف علينا الدين و جعله سهلًا خفيفاً (حنيفاً خ ل) و هو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه.

أقولُ: رزق كل مخلوق ما به قوام وجوده وكماله اللائق به فالرحمة الرحمانية تعم جميع الموجودات و تشتمل كل النعم كما قال اللَّه سبحانه: أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدى. و أما الرحمة الرحيمية بمعنى التوفيق في الدنيا و الدين فهي مختصة بالمؤمنين و ما ورد من شمولها للكافرين فإنما هي من جهة دعوتهم إلى الإيمان و الدين مثل ما في تفسير الامام عليه السلام من قولهم عليهم السلام الرَّحِيمِ بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعاته و بعباده الكافرين في الرفق في دعائهم إلى موافقته. و من ثمة قال الصادق عليه السلام: الرَّحْمنِ اسم خاص لصفة عامة و الرَّحِيمِ اسم عام لصفة خاصة. و قال عيسى بن مريم عليه السلام:

الرحمن رحمن الدنيا و الرحيم رحيم الآخرة يعني في الأمور الأخروية رواهما في المجمع و في الكافي و التوحيد و المعاني و العياشي عن الصادق عليه السلام الباء بهاء اللَّه و السين سناء اللَّه و الميم مجد اللَّه. و في رواية ملك اللَّه و الله إله كل شيء الرَّحْمنِ بجميع خلقه و الرَّحِيمِ بالمؤمنين خاصة.

و القمّي عنه عليه السلام مثله بالرواية الأخيرة فحسب. و روى في المشكاة أورده في المجمع عن النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله أن للَّه عزّ و جلّ مائة رحمة أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون و يتراحمون و أخر تسعاً و تسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة.

و روي أن اللَّه قابض هذه إلى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيامة.

و في تفسير الامام معنى ما في الروايتين عن امير المؤمنين عليه السلام و التسمية في أول كل سورة آية منها و إنما كان يعرف انقضاء السورة بنزولها ابتداء للأخرى و ما أنزل اللَّه كتاباً من السماء الا و هي فاتحته كذا عن الصادق عليه السلام رواه العياشي.

و في الكافي عن الباقر عليه السلام: أول كل كتاب أنزل من السماء بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فإذا قرأتها فلا تبال أن لا تستعيذ فإذا قرأتها سترتك فيما بين السماء و الأرض.

و في العيون عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنها من الفاتحة و أن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله يقرؤها و يعدها آية منها و يقول فاتحة الكتاب هي السبع المثاني، و فيه و في العياشي عن الرضا عليه السلام أنها أقرب إلى اسم اللَّه الأعظم من ناظر العين إلى بياضها.
و رواه في التهذيب عن الصادق عليه السلام.
و القمّي عنه أنها أحق ما يجهر به و هي الآية التي قال اللَّه عز و جل: وَ إِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً.
و في الخصال عنه عليه السلام: أن الإجهار بها في الصلاة واجب.
و العياشي عنه عليه السلام قال: ما لهم قاتلهم اللَّه عمدوا إلى أعظم آية في كتاب اللَّه فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها. أقول: يعني العامة، عن الباقر عليه السلام سرقوا آية من كتاب اللَّه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ و ينبغي الإتيان بها عند افتتاح كل أمر عظيم أو صغير ليبارك فيه.
ففي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: لا تدعها و لوكان بعده شعر.
و في التوحيد و تفسير الامام عنه عليه السلام من تركها من شيعتنا امتحنه اللَّه بمكروه لينبهه على الشكر و الثناء و يمحق عنه و صمة تقصيره عند تركه، و عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله حدّثني عن اللَّه عز و جل أنه قال كل امر ذي بال لم يذكر فيه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فهو أبتر.
الْحَمْدُ لِلَّهِ: يعني على ما أنعم اللَّه به علينا، في العيون و تفسير الامام عليه السلام عن امير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن تفسيرها فقال: هو أن اللَّه عرف عباده بعض نعمه عليهم جملا إذ لا يقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل لأنها أكثر من أن تحصى أن تعرف فقال قولوا الْحَمْدُ لِلَّهِ على ما أنعم به علينا.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام: ما أنعم اللَّه على عبد بنعمة صغرت أوكبرت فقال: الْحَمْدُ لِلَّهِ الا أدى شكرها. رَبِّ الْعالَمِينَ: في العيون و تفسير الامام عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني مالك الجماعات من كل مخلوق و خالقهم و سائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون و من حيث لا يعلمون يقلّب الحيوانات في قدرته و يغذوها من رزقه و يحوطها بكنفه و يدبركلا منها بمصلحته و يمسك الجمادات بقدرته و يمسك ما اتصل منا عن التهافت و المتهافت عن التلاصق و السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه و الأرض أن تنخسف الّا بأمره.
الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ: قيل لعل تكريرهما للتنبيه بهما في جملة الصفات المذكورة على استحقاقه للحمد.
مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ: في تفسير الامام عليه السلام يعني القادر على إقامته و القاضي فيه بالحق و الدين و الحساب.و قرئ ملك يوم الدين روى العياشي أنه قرأه الصادق عليه السلام ما لا يحصى.
و في تفسير الامام عليه السلام عن النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله و سلم قال:
أكيس الكيّسين من حاسب نفسه و عمل لما بعد الموت و إنّ أحمق الحمقاء من أتبع نفسه هواه و تمنّى على اللَّه تعالى الأماني، و في حديث آخر: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا و زنوها قبل أن توزنوا.
أقول: و فيهما دلالة على أن لكل انسان أن يفرغ من حسابه و وزن عمله في دار الدنيا بحيث لا يحتاج إليهما في الآخرة و هوكذلك عند اولي الألباب.
إِيَّاكَ نَعْبُدُ في تفسير الإمام عليه السلام قال اللَّه تعالى: قُولوا يا أيّها الخلق المنعم عليهم إِيَّاكَ نَعْبُدُ أيّها المنعم علينا نطيعك مخلصين موحّدين مع التذلل و الخضوع بلا رياء و لا سمعة.
و في رواية عامية عن الصادق عليه السلام: يعني لا نريد منك غيرك لا نعبدك بالعوض و البدل كما يعبدك الجاهلون بك المغيبون عنك.
أقول: إنّما انتقل العبد من الغيبة إلى الخطاب لأنه كان بتمجيده (لتمجيده خ ل) للَّه سبحانه و تعالى يتقرب إليه متدرجاً إلى أن يبلغ في القرب مقاماً كأنّ العلم صار له عياناً و الخبر شهوداً و الغيبة حضوراً.

وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ : على طاعتك و عبادتك و على دفع شرور أعدائك ورد مكائدهم و المقام على ما أمرت، كذا في تفسير الامام عليه السلام. قيل:
المستتر في نعبد و نستعين للقاري و من معه من الحفظة و حاضري صلاة الجماعة أوله و لسائر الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف عباداتهم و خلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها و تجاب إليها و لهذا شرعت الجماعة و قدّم إيّاك للتعظيم له و الاهتمام به و للدلالة على الحصر.
اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ: في المعاني و تفسير الامام عن الصادق عليه السلَام يعني أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك و المبلغ إلى جنّتك و المانع من أن نتّبع أهواءنا فنعطب أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك.
و عن أمير المؤمنين عليه السلام: يعني أدِمْ لنا توفيقك الذي أطعناك به في ماضي أيامنا حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا.
أقول: لما كان العبد محتاجاً إلى الهداية في جميع أموره آناً فآناً و لحظة فلحظة فادامة الهداية هي هداية أخرى بعد الهداية الأولى فتفسير الهداية بإدامتها ليس خروجاً عن ظاهر اللفظ. و عنه عليه السلام الصراط المستقيم في الدنيا ما قصر عن الغلو و ارتفع عن التقصير و استقام و في الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنة.
و في المعاني عن الصادق عليه السلام: و هي الطريق إلى معرفة اللّه و هما صراطان صراط في الدنيا و صراط في الآخرة فأما الصراط في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا و اقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنّم في الآخرة و من لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردّى في نار جهنّم.
و عنه عليه السلام: ان الصراط أمير المؤمنين عليه السلام.
و في رواية اخرى: و معرفته.
و في أخرى: أنه معرفة الامام، و في اخرى: نحن الصراط المستقيم.
و القمّي عنه عليه السلام: الصراط أدقّ من الشّعر و أحدّ من السيف فمنهم من يمر عليه مثل البرق و منهم من يمر عليه مثل عدو الفرس و منهم من يمر عليه ماشياً و منهم من يمر عليه حبواً و منهم من يمر عليه متعلقاً فتأخذ النار منه شيئاً و تترك شيئاً.
و في رواية اخرى: أنه مظلم يسعى الناس عليه على قدر أنوارهم.
أقول: و مآل الكل واحد عند العارفين بأسرارهم.
و بيانه على قدر فهمك أن لكل انسان من ابتداء حدوثه إلى منتهى عمره انتقالات جبلية باطنية في الكمال و حركات طبيعية و نفسانية تنشأ من تكرار الأعمال و تنشأ منها المقامات و الأحوال فلا يزال ينتقل من صورة الى صورة و من خلق إلى خلق و من عقيدة إلى عقيدة و من حال إلى حال و من مقام إلى مقام و من كمال إلى كمال حتى يتصل بالعالم العقلي و المقربين و يلحق بالملإ الأعلى و السابقين إن ساعده التوفيق وكان من الكاملين أو بأصحاب اليمين إن كان من المتوسطين أو يحشر مع الشياطين و اصحاب الشمال إن ولاه الشيطان و قارنه الخذلان في المآل و هذا معنى الصراط المستقيم، و منه ما إذا سلكه أوصله إلى الجنّة و هو ما يشتمل عليه الشرع كما قال اللّه عز و جل: (وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) صراط اللّه و هو صراط التوحيد و المعرفة و التوسط بين الأضداد في الأخلاق و التزام صوالح الأعمال.
و بالجملة: صورة الهدى الذي أنشأه المؤمن لنفسه ما دام في دار الدنيا مقتدياً فيه بهدى إمامه و هو أدق من الشعر و أحدّ من السيف في المعنى مظلم لا يهتدي إليه الا من جعل اللّه له نوراً يمشي به في الناس يسعى الناس عليه على قدر أنوارهم.

و روي عن الصادق عليه السلام أن الصورة الانسانية هي الطريق المستقيم إلى كل خير و الجسر الممدود بين الجنّة و النار.

أقول: فالصراط و المار عليه شيء واحد في كل خطوة يضع قدمه على رأسه أعني يعمل على مقتضى نور معرفته التي هي بمنزلة رأسه بل يضع رأسه على قدمه أي يبني معرفته على نتيجة عمله الذي كان بناؤه على المعرفة السابقة حتى يقطع المنازل إلى اللّه و إلى اللّه المصير.

و قد تبيّن من هذا أن الامام هو الصراط المستقيم و انه يمشي سوياً على الصراط المستقيم و أن معرفته معرفة الصراط المستقيم و معرفة المشي على الصراط المستقيم و إن من عرف الامام و مشى على صراطه سريعاً أو بطيئاً بقدر نوره و معرفته إيّاه فاز بدخول الجنّة و النجاة من النار و من لم يعرف الامام لم يدر ما صنع فزل قدمه و تردّى في النار.

صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ: في المعاني و تفسير الامام عن أمير المؤمنين عليه السلام: أي قولوا اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك و طاعتك لا بالمال و الصحة فإنهم قد يكونون كفاراً أو فساقاً. و قال: هم الذين قال اللّه تعالى: وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً.

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ: قال هم اليهود الذين قال اللّه فيهم مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ.

وَ لَا الضَّالِّينَ: قال هم النصارى الذين قال اللّه فيهم: قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيراً.

و زاد في تفسير الامام عليه السلام ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام كل من كفر باللّه فهو مغضوب عليه و ضال عن سبيل اللّه.

و في المعاني عن النبي صلّى اللّه عليه و آله الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ شيعة عليّ عليه السلام يعني أنعمت عليهم بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم تغضب عليهم و لم يضلوا.

و عن الصادق عليه السلام يعني محمداً و ذريته.

و القمّي عنه عليه السلام أن المغضوب عليهم النصاب، و الضالين أهل الشكوك الذين لا يعرفون الامام.

أقول: و يدخل في صراط المنعم عليهم كل وسط و استقامة في اعتقاد أو عمل فهم الَّذِينَ قالُوا: رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا. و في صراط المغضوب عليهم كل تفريط و تقصير و لا سيما إذا كان عن علم كما فعلت اليهود بموسى و عيسى و محمد و في صراط الضالين كل افراط و غلو لا سيما إذا كان عن جهل كما فعلت النصارى بعيسى و ذلك لأن الغضب يلزمه البعد و الطرد و المقصّر هو المدبر المعرض فهو البعيد و الضّلال هو الغيبة عن المقصود و المفرط هو المقبل المجاوز فهو الذي غاب عنه المطلوب.

و العيّاشي عن النبي صلّى اللّه عليه و آله أن ام الكتاب أفضل سورة أنزلها اللّه في كتابه و هي شفاء من كل داء الا السّام يعني الموت.

و في الكافي عن الباقر عليه السلام: من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيء.

و عن الصادق عليه السلام: لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرّة ثم ردت فيه الروح ما كان عجيباً.

و في رواية: أنها من كنوز العرش.

و في العيون و تفسير الامام عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: لقد سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول:

قال اللّه عزّ و جلّ: قسمت فاتحة الكتاب بيني و بين عبدي فنصفها لي و نصفها لعبدي و لعبدي ما سأل إذا قال العبد: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قال اللّه جلّ جلاله: بدأ عبدي باسمي و حق علي أن أُتمم له أموره و أُبارك له في أحواله فإذا قال الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ قال جلّ جلاله: حمدني عبدي و علم أن النعم التي له من عندي و ان البلايا التي اندفعت عنه فبتطولي أشهدكم أني أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة و ادفع عنه

بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا، و إذا قال الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قال اللّٰه جل جلاله: شهد لي عبدي بأني الرحمن الرحيم أشهدكم لأوفرن من نعمتي حظه و لأجزلن من عطائي نصيبه فإذا قال مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ قال اللّٰه تعالى: أشهدكم كما اعترف بأني أنا الملك يوم الدين لأسهلن يوم الحساب حسابه و لأقبلن حسناته و لأجاوزن عن سيئاته فإذا قال العبد: إِيَّاكَ نَعْبُدُ قال اللّٰه عز و جل صدق عبدي إياي يعبد أشهدكم لأثيبنه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي فإذا قال وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قال اللّٰه تعالى: بي استعان و إليّ التجأ أشهدكم لأعينته على أمره و لأغيثنه في شدائده و لآخذن بيده يوم نوائبه فإذا قال اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ إلى آخر السورة قال اللّٰه جل جلاله هذا لعبدي و لعبدي ما سأل فقد استجبت لعبدي و أعطيته ما أمل و أمنته بما منه وَجَل.

سُورة البقرة

(مدنية كلها الّا آية واحدة منها، و هي (وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ) الآية و هي مائتان و ست و ثمانون آية) بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مضى تفسيرها.

الم: في المعاني عن الصادق عليه السلام الم هو حرف من حروف اسم اللّٰه الأعظم المقطّع في القرآن الذي يؤلفه النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله أو الامام فإذا دعا به أُجيب.

أقول: فيه دلالة على أن الحروف المقطّعات أسرار بين اللّٰه تعالى و رسوله و رموز لم يقصد بها إفهام غيره و غير الرّاسخين في العلم من ذرّيته و التخاطب بالحروف المفردة سنّة الأحباب في سنن (سنة خ ل) المحابّ فهو سرّ الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطّلع عليه الرقيب:

بين المحبين سرّ ليس يفشيه قول و لا قلم للخلق يحكيه و الدليل عليه ايضاً من القرآن قوله عز و جل: وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ، إلى قوله:

وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّٰهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.

و من الحديث ما رواه العياشي عن أبي لبيد المخزومي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا أبا لبيد إنه يملك من ولد العباس إثنا عشر يقتل بعد الثامن منهم أربعة تصيب أحدهم الذبحة فتذبحه فئة قصيرة أعمارهم خبيثة سيرتهم منهم الفويسق الملقب بالهادي و الناطق و الغاوي يا أبا لبيد إن لي في حروف القرآن المقطعة لعلماً جمّاً إن اللّٰه تبارك و تعالى أنزل (الم) ذلِكَ الْكِتابُ فقام محمد حتى ظهر نوره و ثبتت كلمته و ولد يوم ولد و قد مضى من الألف السابع مائة سنة و ثلاث سنين ثم قال: و تبيانه في كتاب اللّٰه في الحروف المقطعة إذا عددتها من غير تكرار و ليس من حروف مقطعة حرف تنقضي أيامه الا و قام من بني هاشم عند انقضائه ثم قال: الألف واحد و اللام ثلاثون و الميم أربعون و الصاد تسعون فذلك مائة و واحد و ستون ثم كان يدور خروج الحسين بن علي عليهما السلام الم اللّٰه فلما بلغت مدته قام قائم من ولد العباس عند المص و يقوم قائمنا عند انقضائها بالمر فافهم ذلك وعد و اكتمه.

و في تفسير الامام أن معنى الم إن هذا الكتاب الذي أنزلته هو الحروف المقطعة التي منها الف لام ميم و هو بلغتكم و حروف هجائكم فأتوا بمثله إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ.

أقول: هذا ايضاً يدل على أنها من جملة الرموز المفتقرة إلى هذا البيان فيرجع إلى الأول وكذا سائر ما ورد في تأويلها و هي كثيرة.

و في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لكل كتاب صفوة و صفوة هذا الكتاب حروف التهجي.

أقول: و من الأسرار الغريبة في هذه المقطعات أنها تصير بعد التركيب و حذف المكررات «عليّ صراط حق نمسكه أو صراط علي حق نمسكه».

ذٰلِكَ الْكِتابُ: في تفسير الامام عليه السلام يعني القرآن الذي افتتح ب الم هو ذٰلِكَ الْكِتابُ الذي أخبرت به موسى عليه السلام و من بعده من الأنبياء و هم أخبروا بني إسرائيل اني سأنزله عليك يا محمد لا رَيْبَ فِيهِ: لا شك فيه لظهوره عندهم.

العيّاشي عن الصادق عليه السلام قال: كتاب علي لا رَيْبَ فِيهِ.

أقول: ذلك تفسيره و هذا تأويله و إضافة الكتاب إلى علي بيانيّة يعني أن ذٰلِكَ إشارة إلى علي و الْكِتابُ عبارة عنه، و المعنى أن ذٰلِكَ الْكِتابُ الذي هو علي لا مرية فيه و ذلك لأن كمالاته مشاهدة من سيرته و فضائله منصوص عليها من اللّٰه و رسوله و اطلاق الكتاب على الإنسان الكامل شائع في عرف اهل اللّٰه و خواص أوليائه. قال أمير المؤمنين عليه السلام:

دواؤك فيك و ما تشعر … و داؤك منك و ما تبصر

و انت الكتاب المبين الذي … بأحرفه يظهر المُضْمَرُ

و تَزعُم أنّكَ جرْمٌ صغير … و فيكَ انطَوَى العالَم الأكبر

و قال الصادق عليه السلام الصورة الانسانية هي أكبر حجّة للّٰه على خلقه و هي الكتاب الذي كَتَبَه اللّٰه بيده.

هُدىً: بيان من الضلالة.

لِلْمُتَّقِينَ: الذين يتّقون الموبقات و يتّقون تسليط السّفه على أنفسهم حتى إذا علموا ما يجب عليهم علمه عملوا بما يوجب لهم رضاء ربّهم.

و في المعاني و العياشي عن الصادق عليه السلام: المتّقون شيعتنا.

أقول: و إنّما خص المتّقين بالاهتداء به لأنهم المنتفعون به و ذلك لأن التقوى شرط في تحصيل المعرفة الحقّة.

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ: بما غاب عن حواسهم من توحيد اللّٰه و نبوة الأنبياء و قيام القائم و الرجعة و البعث و الحساب و الجنّة و النار و سائر الأمور التي يلزمهم الايمان بها مما لا يعرف بالمشاهدة و إنما يعرف بدلائل نصبها اللّٰه عز و جل عليه.

وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ: بإتمام ركوعها و سجودها و حفظ مواقيتها و حدودها و صيانتها مما يفسدها أو ينقصها.

وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ: من الأموال و القوى و الأبدان و الجاه و العلم.

يُنْفِقُونَ: يتصدقون يحتملون الكلّ و يؤدون الحقوق لأهاليها و يقرضون و يسعفون الحاجات و يأخذون بأيدي الضعفاء يقودون الضرائر و ينجونهم من المهالك و يحملون عنهم المتاع و يحملون الرّاجلين على دوابهم و يؤثرون على من هو أفضل منهم في الايمان على أنفسهم بالمال و النفس و يساوون من كان في درجتهم فيه بهما و يعلّمون العلم لأهله و يروون فضائل أهل البيت عليهم السلام لمحبّيهم و لمن يرجون هدايته.

و في المعاني و المجمع و العياشي عن الصادق عليه السلام: و مما علّمناهم يبثون.

(٤) وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ: من القرآن وَ الشّريعة.

وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ: من التوراة و الإنجيل و الزّبور و صحف إبراهيم و سائركتب اللّٰه المنزلة.

وَ بِالْآخِرَةِ أي الدار التي بعد هذه الدنيا التي فيها جزاء الأعمال الصالحة بأفضل مما عملوه و عقاب الأعمال السيئة بمثل ما كسبوه.

هُمْ يُوقِنُونَ: لا يشكونَ.

(٥) أُولٰئِكَ عَلىٰ هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ: على بيان و صواب و علم بما أمرهم به.

وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ: النّاجون مما منه يوجلون الفائزون بما يؤملون.

(٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا باللّه: و بما آمن به هؤلاء المؤمنون.
سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ: خوّفتهم.
أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ: أخبر عن علمه فيهم.
(٧) خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ: و سمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته و أوليائه إذا نظر إليها بأنهم الذين لا يؤمنون، في العيون عن الرضا عليه السلام قال الختم: هو الطبع على قلوب الكفّار عقوبة على كفرهم كما قال عزّ و جلّ (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا).
وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ: غطاء و ذلك أنّهم لما أعرضوا عن النظر فيما كلّفوه و قصّروا فيما أريد منهم جهلوا ما لزمهم الايمان به فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه فان اللّه عز و جل يتعالى عن العيث و الفساد و عن مطالبة العباد بما قد منعهم بالقهر منه.
وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ: يعني في الآخرة العذاب المعد للكافرين في الدنيا ايضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الاستصلاح لينبهه على طاعته أو من عذاب الاصطلام ليصيره إلى عدله و حكمته.
أقول: الاصطلام بالمهملتين الاستيصال و الاستصلاح إنما هو يصح لمن لم يستحكم ختمه و غشاؤه وكان ممن يرجى له الخير بعداً و هو تنبيه من اللّه له و إتمام للحجة و إن لم ينتفع هو به.
(٨) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.
أقول كابن أُبيّ و أصحابه وكالأول و الثاني و اضرابهما من المنافقين الذين زادوا على الكفر الموجب للختم و الغشاوة و النفاق و لا سيما عند نصب أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة و الإمامة.
أقول: و يدخل فيه كل من ينافق في الدين إلى يوم القيامة و إن كان دونهم في النفاق كما قال الباقر عليه السلام في حكم بن عتيبة إنه من أهل هذه الآية و في تفسير الامام ما ملخصه أنه لما أمر الصحابة يوم الغدير بمبايعة أمير المؤمنين عليه السلام بإمرة المؤمنين و قام أبو بكر و عمر إلى تسعة من المهاجرين و الأنصار فبايعوه بها و وكد عليهم بالعهود و المواثيق و اتى عمر بالبخبخة و تفرقوا، تواطأ قوم من متمرديهم و جبابرتهم بينهم لئن كانت بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم كائنة ليدفعن هذا الأمر عن علي عليه السلام و لا يتركونه له وكانوا يأتون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و يقولون: لقد أقمت علينا أحب الخلق إلى اللّه و إليك وكفيتنا به مؤنة الظلمة لنا و الجائرين في سياستنا و علم اللّه تعالى من قلوبهم خلاف ذلك و أنهم مقيمون على العداوة و دفع الحق عن مستحقيه فأخبر اللّه عنهم بهذه الآية. وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ: بل تواطئوا على إهلاكك و إهلاك من أحبك و تحبه إذا قدروا و التمرّد عن أحكام اللّه خصوصاً خلافة من استخلفته بأمر اللّه على أُمّتك من بعدك لجحودهم خلافته و إمارته عليهم حَسَداً و عتواً.
قيل: أخرج ذواتهم من عداد المؤمنين مبالغة في نفي الايمان عنهم رأساً.
يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا: يخادعون رسول اللّه بإبدائهم له خلاف ما في جوانحهم.
أقول: و إنّما أضاف مخادعة الرسول إلى اللّه لأن مخادعته ترجع إلى مخادعة اللّه كما قال اللّه عز و جل: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ) و قال (إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ). و قال: (وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى). و لك أن تقول معناه يعاملون اللّه معاملة المخادع كما يدل عليه ما رواه العياشي عن الصادق عليه السلام أن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم سُئل فيما النّجاة غداً؟ قال: إنما النجاة ان لا تخادعوا اللّه فيخدعكم فان من يخادع اللّه يخدعه و يخلع منه الايمان و نفسه يخدع لو يشعر. قيل له: وكيف يخادع اللّه؟ قال: يعمل ما أمره عز و جل ثم يريد به غيره فاتّقوا اللّه و الرّياء فانّه شرك باللّه.
وَ ما يَخْدَعُونَ: و ما يضرّون بتلك الخديعة، و قُرئ يُخادِعُونَ.
إِلَّا أَنْفُسَهُمْ: فإنّ اللّه غني عنهم و عن نصرتهم و لو لا إمهاله لهم لما قدروا على شيء من فجورهم و طغيانهم.

وَ ما يَشْعُرُونَ: أن الأمركان كذلك و أنّ اللّه يطلع نبيّه على نفاقهم وكذبهم وكفرهم و يأمره بلعنهم في لعنة الظالمين. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: قيل نفاق و شكّ و ذلك لأنّ قلوبهم تغلي على النبيّ و الوصيّ و المؤمنين حقداً و حَسَداً و غيظاً و حَنَقاً و في تنكير المرض و إيراد الجملة ظرفية إشارة إلى استقراره و رسوخه و إلّا لقال قلوبهم مرضى.

فَزادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً: بحيث تاهت له قلوبهم.

وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ.

أقول: أي عذاب مؤلم يبلغ إيجاعه غاية البلوغ بسبب كذبهم أو تكذيبهم على اختلاف القراءة فانّ وصف العذاب بالأليم إنّما يكون للمبالغة و هو العذاب المعدّ للمنافقين و هو أشد من عذاب الكافرين لأنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النار.

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ: بإظهار النّفاق لعباد اللّه المستضعفين فتشوّشوا عليهم دينهم و تحيّروهُم في مذاهبهم.

قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ: لأنّا لا نعتقد ديناً فنرضى محمّداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم في الظاهر و نعتق أنفسنا من رقّه في الباطن و في هذا صلاح حالنا.

أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ: بما يفعلون في أمور أنفسهم لأن اللّه يعرف نبيّه نفاقهم فهو يلعنهم و يأمر المسلمين بلعنهم و لا يثق بهم أيضاً أعداء المؤمنين لأنهم يظنّون أنّهم ينافقونهم أيضاً كما ينافقون المؤمنين فلا يرتفع لهم عندهم منزلة و لهذا رد عليهم أبلغ ردّ .

وَ لكِنْ لا يَشْعُرُونَ.

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ: قال لهم خيار المؤمنين:

آمَنُوا: قيل هو من تمام النّصح و الإرشاد فان كمال الايمان إنّما هو

بالإعراض عمّا لا ينبغي المقصود من قوله: لا تُفْسِدُوا و الإتيان بما ينبغي المطلوب بقوله آمِنُوا كَما آمَنَ النَّاسُ: المؤمنون كسلمان و المقداد و أبي ذرّ و عمّار، و قيل أي الكاملون في الانسانية العاملون بمقتضى العقل أي آمنوا إيماناً مقروناً بالإخلاص مبرّءاً عن شوائب النّفاق، قالُوا: في الجواب لمن يفيضون إليه لا لهؤلاء المؤمنين فانَّهم لا يجسرون على مكاشفتهم بهذا الجواب، أَ نُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ المذلّون أنفسهم لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم حتى إذا اضمحل أمره أهلكهم أعداؤه.

أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهاءُ الأخفّاء العقول و الآراء الذين لم ينظروا حقّ النّظر فيعرفوا نبوّته و ثبات أمره و صحّة ما ناطه بوصيّه من أمر الدين و الدنيا فبقوا خائفين من محمد صلّى اللّه عليه و آله و أصحابه و من مخالفيهم و لا يأمنون أيّهم يغلب فيهلكون معه فان كلًا من الفريقين يقدّر ان نفاقهم معه كنفاقهم مع الآخر وَ لكِنْ لا يَعْلَمُونَ ان الأمركذلك و أنّ اللّه يطلع نبيّه على أسرارهم فيخسئهم و يسقطهم.

وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا: بيان لمعاملتهم مع المؤمنين و الكفّار بعد بيان مذهبهم و تمهيد نفاقهم فانّهم كانوا يظهرون الايمان لسلمان و أبي ذرّ و مقداد و عمّار وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ أخدانهم من المنافقين المشاركين لهم في تكذيب الرسول قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ أي في الدين و الاعتقادكما كنّا إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ بالمؤمنين.

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ يجازيهم جزاء من يستهزئ به امّا في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم و أمره الرسول بالتعريض لهم حتى لا يخفى من المراد بذلك التعريض و امّا في الآخرة فبما روي انّه يفتح لهم و هُم في النار باباً إلى الجنّة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سدّ عليهم الباب و ذلك قوله تعالى: فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ، رواه العامة.

و في تفسير الامام عليه السلام ما يقرب من معناه في حديث طويل، وَ يَمُدُّهُمْ يمهلهم و يتأنّى بهم برفقه و يدعوهم إلى التوبة و يعدهم إذا أنابُوا المغفرة فِي طُغْيانِهِمْ قيل في التعدّي عن حدّهم الذي كان ينبغي أن يكونوا عليه يَعْمَهُونَ لا يرعوون عن قبيح و لا يتركون أذى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم، قيل يعمي قلوبهم و العمه عمى القلب و هو التحيّر في الأمر.

أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى: باعوا دين اللّه و اعتاضُوا منه الكفر باللّه فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ مَا ربحوا في تجارتهم في الآخرة لأنّهم اشتروا النار و أصناف عذابها بالجنّة التي كانت معدّة لهم لو آمَنُوا وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ إلى الحقّ و الصَّوَاب.

أقولُ: و لا لطرق التجارة لأنّ المقصود منها سلامة رأس المال و الربح و هؤلاء أضاعوا رأس مالهم الذي هو الفطرة السليمة بما اعتقدوه من الضلالات و لم يربحوا.

مَثَلُهُمْ حالهم العجيبة قيل إنّما يضرب اللّه الأمثال للناس في كتبه لزيادة التوضيح و التقرير فإنها أوقع في القلب و أقمعُ للخصم الألدّ لأنّها ترى المتخيّل محقّقاً و المعقول محسوساً كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً طلب سطوع النار ليبصر بها ما حوله فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ قيل أي النّار ما حول المستوقد أو استضاءت الأشياء التي حوله ان جعلت أضاءت لازمةً ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ بإرسال ريح أو مطر أطفأها و ذلك أنّهم أبصروا بظاهر الإيمان الحق و الهدى و أعطوا أحكام المسلمين من حقن الدم و سلامة المال فلمّا أضاء إيمانهم الظاهر ما حولهم أماتهم اللّه و صاروا في ظلمات عذاب اللّه في الآخرة لا يرون منها خروجاً و لا يجدون عنها محيصاً وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ في العيُون عن الرضا عليه السلام أن اللّه لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه و لكنّه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر و الضلال منعهم المعاونة و اللطف و خلّى بينهم و بين اختيارهم.

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ: يعني في الآخرة كما قال عز و جلّ: (وَ نَحْشُرُهُمْ) (عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ بُكْماً وَ صُمًّا).

أقول: و في الدنيا أيضاً عمّا يتعلّق بالآخرة من العلوم و المعارف و لذلك يحشرون يومئذ كذلك قال اللّه تعالى: (لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بها وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بها وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بها) يعني أمور الآخرة في الدنيا. و قال أيضاً (فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) و قال أيضاً (وَ تَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لا يُبْصِرُونَ) فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ عن الضلالة إلى الهدى.

أَوْ كَصَيِّبٍ: قيل يعني أو مثل ما خوطبوا به من الحق و الهدى كمثل مطر إذ به حياة القلوب كما بالمطر حياة الأرض مِنَ السَّماءِ من العلوّ.

فِيهِ ظُلُماتٌ مثل للشّبهات و المصيبات المتعلّقة به وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ مثل للتخويف و الوعيد و الآيات الباهرة المتضمنة للتبصير و التسديد يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ لئلا يخلع «٢» الرّعد أفئدتهم أو ينزل البرق بالصاعقة عليهم فيموتوا فان هؤلاء المنافقين فيما هم فيه من الكفر و النفاق كانوا يخافون أن يعثر النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم على كفرهم و نفاقهم فيقتلهم أو يستأصلهم فإذا سمعوا منه لعناً أو وعيداً لمن نكث البيعة جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا فتتغيّر ألوانهم فيعرف المؤمنون أنّهم المعنيّون بذلك وَ اللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ مقتدر عليهم لو شاء أظهر لك نفاق منافقيهم و أبدا لك أسرارهم و أمرك بقتلهم.

يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ يذهب: بها و ذلك لأنّ هذا مثل قوم ابتلوا ببرق فنظروا إلى نفس البرق و لم يغضّوا عنه أبصارهم و لم يستروا منه وجوههم لتسلم عيونهم من تلألؤه و لم ينظروا إلى الطريق الذي يريدون أن يتخلّصوا فيه بضوءِ البرق فهؤلاء المنافقون يكاد ما في القرآن من الآيات المحكمة الدالة على صدق النبيّ صلّى اللّه عليه و آله التي يشاهدونها و لا يتبصرون بها و يجحدون الحق فيها يبطل عليهم سائر ما عملوه من الأشياء التي يعرفونها فان من جحد حقاً أدّاه ذلك إلى أن يجحد كلّ حقّ فصار جاحده في بطلان سائر الحقوق عليه كالناظر إلى جرم الشمس في ذهاب نور بصره كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ ظهر لهم ما اعتقدوه انه الحجّة

مَشَوْا فِيهِ و هؤلاء المنافقون إذا رأوا ما يحبّون في دنياهم فرحوا ببيعتهم و يتمنّوا بإظهار طاعتهم وَ إذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا وقفوا و تحيّروا و هؤلاء المنافقون إذا رأوا في دنياهم ما يكرهون وقفوا و تشاءموا ببيعتهم التي بايعوها قيل مثلُ اهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يتطلع إليه أبصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم و تحيّرهم و توقّفهم في الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعنّ لهم مصيبة بتوقّفهم إذا أظلم عليهم و إنما قال مع الاضاءة كلما و مع الاظلام إذا لأنهم حرّاص عن المشي كلما صادفوا منه فرصة انتهزوها و لا كذلك التوقف وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ حتى لا يتهيّأ لهم الاحتراز من أن تقف على كفرهم انت و أصحابك فتوجب قتلهم إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْ‏ءٍ قَدِيرٌ لا يعجزه شيء.

يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ: قيل لمّا عدّد فرق المكلّفين و ذكر خواصهم و مصارف أمورهم أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزّاً للسامع و تنشيطاً له و اهتماماً بأمر العبادة و تفخيماً لشأنها و جبراً لكلفة العبادة و اهتماماً بلذّة المخاطبة.

و في تفسير الامام عليه السلام لها وجهان أحدهما خلقكم و خلق الذين من قبلكم لتتّقوا كما قال: (وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) و الوجه الآخر (اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) أي اعبدوه لعلّكم تتّقون النار و لعل من اللَّه واجب لأنّه أكرم من أن يعني عبده بلا منفعة و يطمعه في فضله ثم يخيبه. أقول: لعلّكم على الوجه الأول يتعلق ب خَلَقَكُمْ و يراد بالتقوى العبادة و على الوجه الثاني يتعلق ب اعْبُدُوا و يراد بالتقوى الحذر، نبّه عليه السلام بقوله: لها وجهان على أن القرآن ذو وجوه و ان حمله على الجمع صحيح و يأتي نظائره في كلامهم عليهم السلام وكون الكلام ذا وجوه مما يزيد في بلاغته و لطافته.

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لأجسادكم مطاوعة لحرثكم و أبنيتكم و دفن موتاكم لم يجعلها شديدة الحمى و الحرارة فتحرقكم و لا شديدة البرودة فتجمدكم و لا شديدة طيّب الرّيح فتصدع هاماتكم و لا شديدة النتن فتعطبكم و لا شديدة اللين كالماء فتغرقكم و لا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم و أبنيتكم و دفن موتاكم و لكنه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به و تتماسكون و تتماسك عليها أبدانكم و بنيانكم و جعل فيها من اللين ما تنقاد به لدوركم و قبوركم وكثير من منافعكم وَ السَّماءَ بِناءً سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها شمسها و قمرها و نجومها لمنافعكم وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً: يعني المطر ينزله من علىً ليبلغ قلل جبالكم و تلالكم و هضابكم و أوهادكم ثم فرّقه رذاذاً و وابلًا و هطلًا و طلًّا لتنشفه أرضوكم و لم يجعل نازلًا عليكم قطعة واحدة فيفسد أراضيكم و أشجاركم و زروعكم و ثماركم، و عن النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أنه قال: (ينزل مع كل قطرة ملك يضعها في موضعها الذي أمره به ربّه عزّ و جلّ) فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ.

أقول: لمطعمكم و مشربكم و ملبسكم و سائر منافعكم فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً أشباهاً و أمثالًا من الأصنام التي لا تعقل و لا تسمع و لا تبصر و لا تقدر على شيء وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنّها لا تقدر على شيء من هذه النّعَمْ الجليلة التي أنعمها عليكم ربّكم.

وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا: حتّى تجحدوا أن يكون محمد رسول اللَّه صلّى اللّه عليه و آله و أن يكون هذا المنزّل عليه كلامي مع إظهاري عليه بمكّة من الآيات الباهرة كالغمامة المظلّة عليه و الجمادات المسلّمة عليه و غير ذلك فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ من مثل محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم رجل منكم لا يقرأ و لا يكتب و لا يدرس كتاباً و لا اختلف إلى عالم و لا تعلم من احد و أنتم تعرفونه في أسفاره و حضره بقي كذلك أربعين سنة ثم أُوتي جوامع العلم حتى عَلِم عِلم الأوّلين و الآخرين أو من مثل هذا القرآن من الكتب السّالفة في البلاغة و النّظم.

في الكافي عن الكاظم عليه السلام ما معناه أنه لما كان الغالب على أهل عصره الخطب و الكلام أتاهم اللّه من مواعظه و أحكامه ما أبطل به قولهم و أثبت به الحجّة عليهم كما أتى قوم موسى عليه السلام ما أبطل به

سحرهم إذكان الغالب عليهم السحر و قوم عيسى عليه السلام الطّبّ و إحياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص إذكان الغالب عليهم الزّمانات وَ ادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أصنامكم التي تعبدونها أيها المشركون و شياطينكم أيها اليهود و النّصارى و قرناءكم الملحدين يا منافقي المسلمين من النصّاب لآل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم الطّيبين الذين يشهدون بزعمكم أنّكم محقّون و تزعمون أنّهم شهداؤكم عند رب العالمين بعبادتكم و يشفعون لكم إليه ليشهدوا لكم أنّ ما أتيتم مثله قيل أو لينصروكم على معارضته كما في قوله تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) فانّ الشهيد جاء بمعنى الامام و النّاصر و القائم بالشهادة و التركيب للحضور حسّاً أو خيالًا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ بأنّ محمداً صلّى اللّه عليه و آله تقوّله من تلقاء نفسه لم ينزله اللّه عليه.

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا هذا الذي تَحَدَّيْتُكُمْ بِهِ أيّها المقرّعون بحجّة ربّ العالمين وَ لَنْ تَفْعَلُوا و لا يكون هذا منكم ابداً و لن تقدروا عليه فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا حطبها النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ حجارة الكبريت لأنّها أشدّ الأشياء حرّاً.

و في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام: لقد مررنا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بجبل و إذ الدموع تسيل من بعضه فقال: ما يبكيك يا جبل؟

قال: يا رسول اللّه كان المسيح مرّ بي و هو يخوّف الناس بنار وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ فانا أخاف أن أكون من تلك الحجارة. قال (ص): (لا تخف تلك حجارة الكبريت) فقرّ الجبل و سكن و هَدَءَ. و قيل المراد بها الأصنام التي نحتوها و قرنوا بها أنفسهم و عبدوها طمعاً في شفاعتها، كما في قوله تعالى: (إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ).

القمّي عن الصادق (ع) قال إن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنّم و قد أطفئت سبعين مرّة بالماء ثم التهبت و لو لا ذلك ما استطاع آدمي أن يطفأها و إنّها ليؤتى بها يوم القيامة حتى توضع على النار فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل الا جَثَا على ركبتيه فزعاً من صرختها أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ المكذّبين بكلامه و نبيّه.

وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا: من تحت أشجارها و مساكنها الْأَنْهارُ رُوِي أَنّها نزلت في عليّ و حمزة و جعفر و عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.

أقول: و هذا لا ينافي عموم حكمها كما دريت كُلَّما رُزِقُوا مِنْها من تلك الجنّات مِنْ ثَمَرَةٍ من ثمارها رِزْقاً قالُوا هذَا الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ في الدنيا فأسماؤه كأسمائه و لكنها في غاية الطيب غير مستحيل إلى ما يستحيل إليه ثمار الدنيا من العذرة و الصفراء و السوداء و الدم إلا العرق الذي يجري في أعراضهم أطيب ريحاً من المسك.

أقول: العِرض بالكسر الجسد.

وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً يشبه بعضه بعضاً بأنها كلها خيار لا رذل فيها و بأنّ كل صنف منها في غاية الطيب و اللذة ليست كثمار الدنيا التي بعضها نيّ و بعضها متجاوز لحدّ النّضج و الإدراك إلى حد الفساد من حموضة و مرارة و سائر صنوف المكاره و متشابهات أيضاً متفقات الألوان مختلفات الطعوم.

أقول: لما كان المعرفة في الدنيا بذر المشاهدة في الآخرة جاز أن يكون أشير هذَا الَّذِي رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ لأهل المعرفة إلى ثمرة علومهم و معارفهم التي صارت عيناً و عياناً.

وَ لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ من الحيض و النّفاس و سائر أنواع الأقذار و الفواحش لا ولّاجات و لا خرّاجات و لا دخّالات و لا ختّالات و لا متغايرات و لا لأزواجهن فركات و لا صخّابات و لا عيابات و لا نخّاسات و من كل العيوب و المكاره بريئات.

أقول: الولّاجات الخرّاجات اللواتي يكثرن الظّرف و الاختيار و الدخّالات الغاشّات و الختّالات الخداعات و المتغايرات من الغيرة و فركات مبغضات و الصّخابات الصيّاحات و العيّابات من العيب و النّخاسات الدفّاعات. و في الفقيه عن الصادق عليه السلام لا يحضن و لا يحدثن.
وَ هُمْ فِيها خالِدُونَ: لأنّ نيّاتهم في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا اللّه أبداً فبالنيّات خلّدوا كذا في العلل عن الصادق عليه السلام. إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا: للحقّ يوضحه به لعباده المؤمنين، ما ما هو المثل.
أقول: يعني أي مثل كان فان ما لزيادة الإبهام و الشيوع في النّكرة بَعُوضَةً فَما فَوْقَها و هو الذّباب ردّ بذلك على من طعن في ضربه الأمثالَ بالذّباب و العنكبوت و بمستوقد النّار و الصّيّب في كتابه.
و في المجمع عن الصادق عليه السلام إنّما ضرب اللّه المثل بالبعوضة لأنّها على صغر حجمها خلق اللّه فيها جميع ما خلق اللّه في الفيل مع كبره و زيادة عضوين آخرين فأراد اللّه أن ينبّه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه و عجيب صنعه. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ إنّه المثل المضروب الحقّ من ربهم أراد به الحق و إبانته و الكشف عنه و إيضاحه.
أقول: يعني يعلمون أنّ المعتبر في المثل أن يكون على وفق الممثل له في الصغر و العظم و الخسّة و الشّرف ليبيّنه و يوضحه حتى يصير في صورة المشاهد المحسوس دون الممثل.
وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ما ذا أَرادَ اللَّهُ بهذا مَثَلًا أيّ شيء أراد به من جهة المثل يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيراً قيل هو جواب ما ذا أي إضلال كثير بسبب إنكاره و هداية كثير من جهة قبوله فهو يجري مجرى البيان للجملتين المتقدمتين يعني أنّ كلا الفريقين موصوف بالكثرة و لسببيّته لهما نسبا إليه.
و في تفسير الامام عليه السلام يعني يقول الذين كفروا لا معنى للمثل لأنه و إن نفع به من يهديه فهو يضرّ به من يضل به فردّ اللّه عليهم قولهم فقال: وَ ما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ الخارجين عن دين اللّه الجانين على أنفسهم بترك تأمله و بوضعه على خلاف ما أمر اللّه بوضعه عليه.
الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ: المأخوذ عليهم للّه بالرّبوبيّة و لمحمد صلّى اللّه عليه و آله بالنبوة و لعليّ عليه السلام بالإمامة و لشيعتهما بالكرامة مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ إحكامه و تغليظه وَ يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ من الأرحام و القرابات أن يتعاهدوهم و يقضوا حقوقهم و أفضل رحم و أوجبهم حقاً رحم محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم فان حقهم بمحمد صلّى اللّه عليه و آله كما أن حقّ قرابات الإنسان بأبيه و امّه و محمد أعظم حقّاً من أبويه و كذلك حق رحمه أعظم و قطيعته أقطع و أفضح.
أقول: و يدخل في الآية التفريق بين الأنبياء و الكتب في التصديق و ترك موالاة المؤمنين و ترك الجمعة و الجماعات المفروضة و سائر ما فيه رفض خير أو تعاطي شرّ فانّه يقطع الوصلة بين اللّه و بين العبد التي هي المقصودة بالذّات من كل وصل و فصل. وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بسبب قطع ما في وصله نظام العالم و صلاحه أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ الذين خسروا أنفسهم بما صاروا إلى النيران و حرموا الجنان فيا لها من خسارة ألزمتهم عذاب الأبد و حرمتهم نعيم الأبد.
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ الخطاب لكفّار قريش و اليهود وَ كُنْتُمْ أَمْواتاً في أصلاب آبائكم و أرحام أمهاتكم فَأَحْياكُمْ أجرى فيكم الروح و أخرجكم أحياء ثُمَّ يُمِيتُكُمْ في هذه الدنيا و يقبركم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ في القبور و ينعّم فيها المؤمنين و يعذّب الكافرين ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ في الآخرة بأن تموتوا في القبور بعد الأحياء ثمّ تحيوا للبعث يوم القيامة ترجعون إلى ما وعدكم من الثواب على الطاعات إن كنتم فاعليها و من العقاب على المعاصي إن كنتم مقارفيها.
هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً: قال أمير المؤمنين عليه السلام خلق لكم لتعتبروا به و تتوصّلوا به إلى رضوانه و تتقّوا من عذاب نيرانه ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ أخذ في خلقها و إتقانها فَسَوَّاهُنَّ و قيل عدّلهن مصونة

عن العوج و الفتور و الضمير مبهم يفسره ما بعده سَبْعَ سَماواتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و لهذا خلق ما خلق كما خلق لصالحكم على حسَب ما اقتضته الحكمة.

وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ الذين كانوا في الأرض مع إبليس و قد طردوا عنها الجنّ بنيّ الجان و خفّفت العبادة و القمّي عن الصادق عليه السلام إن إبليس كان بين الملائكة يعبد اللَّه في السماء وكانت الملائكة تظنّه منهم و لم يكن منهم و ذلك ان اللَّه خلق خلقاً قبل آدم وكان إبليس حاكماً فيهم فأفسدوا في الأرض و عَتَوْا و سفكوا بغير حقّ فبعث اللَّه عليهم الملائكة فقتلوهم و أسروا إبليس و رفعوه معهم إلى السماء فكان مع الملائكة يعبد اللَّه إلى أن خلق اللَّه آدم فلمّا أمر اللَّه الملائكة بالسجود لآدم و ظهر ما كان من حَسَد إبليس له و استكباره علمت الملائكة أنّه لم يكن منهم، و قال إنّما دخل في الأمر لكونه منهم بالولاء و لم يكن من جنسهم. و العيّاشي عنه عليه السلام أنه سئل عن إبليس أكان من الملائكة أو هل يلي شيئاً من أمر السماء؟ قال: لم يكن من الملائكة و لم يكن يلي شيئاً من أمر السماء وكان من الجنّ وكان مع الملائكة وكانت الملائكة ترى أنّه منها وكان اللَّه يعلم أنّه ليس منها فلمّا أمر بالسّجود كان منه الذي كان. و في الكافي: عنه عليه السلام مثله إلى قوله و لم يكن يلي شيئاً من أمر السماء و زاد بعده و لا كرامة إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً بَدَلًا منكم و رافعكم منها فاشتد ذلك عليهم لأن العبادة عند رجوعهم إلى السماء تكون أثقل عليهم.

و في رواية خَلِيفَةً تكون حجّة لي في أرضي على خلقي كما يأتي قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ كما فعلته الجنّ بني الجان الذين قد طردناهم عن هذه الأرض وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ننزّهك عمّا لا يليق بك من الصفات وَ نُقَدِّسُ لَكَ نطهّر أرضك ممّن يعصيك. قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ من الصلاح الكامن فيه و من الكفر الباطن في من هو فيكم و هو إبليس لعنه اللَّه.

القمّي عن الباقر عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام، و رواه في العلل أيضاً عنه عليه السلام على اختلاف في ألفاظه قال: إنّ اللَّه لما أراد أن يخلق خلقاً بيده و ذلك بعد ما مضى عن الجنّ و النّسناس في الأرض سبعة آلاف سنة فرفع سبحانه حجاب السموات و أمر الملائكة أن انظروا إلى أهل الأرض من الجنّ و النّسناس فلمّا رأوا ما يعملون فيها من المعاصي و سفك الدماء و الفساد في الأرض بغير الحقّ عظم ذلك عليهم و غضبوا اللَّه تعالى و تأسفوا على الأرض و لم يملكوا غضبهم و قالوا ربّنا انت العزيز القادر العظيم الشأن و هذا خلقك الذّليل الحقير المتقلّب في نعمتك المتمتّع بعافيتك المرتهن في قبضتك و هم يعصونك بمثل هذه الذنوب و يفسدون في الأرض و لا تغضب و لا تنتقم لنفسك و انت تسمع و ترى و قد عظم ذلك علينا و أكبرناه لك، فقال جل جلاله: إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً تكون حجّة لي في أرضي على خلقي. قالت الملائكة أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها كما أفسد هؤلاء وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ كما فعل هؤلاء و يتحاسدون و يتباغضون فاجعل ذلك الخليفة منّا فانّا لا نتحاسد و لا نتباغض و لا نسفك الدماء وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ، قالَ تبارك و تعالى: إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ إنّي أُريد أن أخلق خلقاً بيدي و اجعل من ذرّيته الأنبياء و المرسلين و عباد اللَّه الصّالحين و أئمّة مهديّين و اجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي يهدونهم إلى طاعتي و ينهونهم عن معصيتي و اجعلهم حجّة لي عليهم عذراً و نذراً و أبين النّسناس عن أرضي و اطهّرها منهم و أنقل الجنّ المردة العصاة عن بريّتي و خيرتي من خلقي و أسكنهم في الهواء و في اقفار الأرض فلا يجاورون خلقي و اجعل بين الجنّ و بين نسل خلقي حجاباً و من عصاني من نسل خلقي الذين اصطفيتهم أسكنتهم مسكن العصاة و أوردتهم مواردهم فقالت الملائكة: سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا قال: فباعدهم اللَّه عز و جل من العرش مسيرة خمسمائة عام فلاذوا بالعرش و أشاروا بالأصابع فنظر الربّ جلّ جلاله إليهم و نزلت الرّحمة فوضع لهم البيت المعمور فقال: طوفوا به ودعوا العرش فانّه لي رضاً. فطافوا به و هو البيت الذي يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً و وضع اللَّه البيت المعمور توبة لأهل السماء و الكعبة توبة لأهل الأرض فقال اللَّه تبارك و تعالى: إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قال وكان

ذلك من اللَّه تعالى تقدمة في آدم قبل أن يخلقه و احتجاجاً منه عليهم قال فاغترف جلّ جلاله من الماء العذب الفرات غرفة بيمينه وكلتا يديه يمين فَصَلْصَلَهَا فجمدت، و قال اللَّه جلّ جلاله: (منك أخلق النّبيين و المرسلين و عبادي الصَّالحين و الأئمّة المهديّين الدّعاة إلى الجنّة و اتباعهم إلى يوم القيامة و لا أُسئلُ عمّا أفعل و هم يسألون). ثم اغترف من الماء المالح الأجاج غرفة فَصَلْصَلَهَا فجمدت فقال تعالى: و منك أخلق الفراعنة و الجبابرة و اخوان الشياطين و العتاة و الدعاة إلى النار و أشياعهم إلى يوم القيامة (و لا أُسْئَلُ عمّا أفعل و هم يسألون) قال و شرط في ذلك البدَاء فيهم و لم يشرط في أصحاب اليمين ثم خلط الماءين جميعاً في كفّه فَصَلْصَلَهَما، ثمّ كفاهما قدّام عرشه و هما سلالة من طين ثم أمر ملائكة الجهات الشّمال و الجنوب و الصّبا و الدّبور أن يجُولوا على هذه السلالة من الطّين فأبرءوها و أنشأوها ثم جزؤوها و فصّلوها و أجروا فيها الطّبائع الأربع المرّتين و الدمّ و البلغم فجالت الملائكة عليها و أجروا فيها الطبائع الأربع فالدّم من ناحية الصّبَا و البلغم من ناحية الشمال و المرّة الصّفراء من ناحية الجنوب و المرّة السّوداء من ناحية الدّبور فاستقلّت النّسمة وكمل البدن فلزمه من جهة الرِّيح حبّ النِّساء و طول الأمل و الحرص و من جهة البلغم حبّ الطّعام و الشّراب و البرّ و الحلم و الرّفق و من جهة المرّة الغضَبَ و السّفه و الشّيطنة و التجبّر و التمرّد و العجلة و من جهة الدمّ حبّ الفساد و اللّذات و ركوب المحارم و الشّهوات.

قال أبو جعفر عليه السلام: وجدنا هذا في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام و زاد القمي في روايته فخلق اللَّه آدم عليه السلام و بقي أربعين سنة مصوّراً وكان يمرّ به إبليس اللّعين فيقول: لأمر ما خلقت قال العالم عليه السلام: فقال إبليس لئن أمرني اللَّه بالسّجود لهذا عصيته قال ثم نفخ فيه الرّوح و بلغت دماغه عطسَ عطسةً و جلس منها مستوياً فقال الحمد للَّه فأجابه اللَّه عزّ و جلّ يرحمك اللَّه ربّك يا آدم فقال الامام عليه السلام فَسَبَقَت له من اللَّه الرّحمة.

أقول: أكثر ما تضمنه هذا الحديث قد روي في أخباركثيرة عنهم عليهم السلام.

و في رواية العياشي أن الملائكة منّوا على اللَّه بعبادتهم إيّاه فأعرض عنهم و أنّهم قالوا في سجودهم في أنفسهم ماكنّا نظنّ أن يخلق اللَّه خلقاً أكرم عليه منّا نحن خزّانُ اللَّه و جيرانه و أقرب الخلق إليه فلمّا رفعوا رؤوسهم قال اللَّه وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ من ردّكم عليّ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ من ظنّكم أنِّي لا أخلق خلقاً أكرم عليّ منكم فلمّا عرفت الملائكة أنّها وقعت في خطيئة لاذوا بالعرش و انّها كانت عصابة من الملائكة و لم يكن جميعهم. الحديث. و عن الباقر عليه السلام كان ذلك تعصّباً منهم فاحتجب عنهم سبع سنين فلاذوا بالعرش يقولون لبّيك ذا المعارج لبّيك حتّى تاب عليهم فلمّا أصاب آدم الذّنب طاف بالبيت حتّى قبل اللَّه منه. و في الكافي و العيّاشي عنه عليه السلام فغضب اللَّه عليهم ثمّ سألوه التّوبة فأمرهم أن يطوفوا بالضّراح و هو البيت المعمور فمكثوا يطوفون به سبع سنين يستغفرون اللَّه ممّا قالوا ثم تاب اللَّه عليهم من بعد ذلك و رضي عنهم فكان هذا أصل الطّواف ثم جعل اللَّه البيت الحرام حذاء الضّراح توبةً لمن أذنب من بني آدم و طهوراً لهم. و في العِلل عن الصادق عليه السلام فحَجَبَهم عن نوره سبعة آلاف عام فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم و تاب عليهم و جعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة فجعله مثابة لهم و أمناً و وضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابةً للنّاسِ و أمناً فصار الطّواف سبعة أشواط أوجب على العباد لكلّ ألف سنة شوطاً.

أقول: لا منافاة بين السبع سنين و سبعة آلاف عام لأنّ مدّة السّنين و الأيام تختلف باختلاف النّشئات و العوالم، قال اللَّه تعالى: (فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) و قال (وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) فيجوز أن يكون تارة عدّه بسنّي نشأة و أخرى بسنّي اخرى.

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ القمّي قال (ع) أسماء الجبال و البحار و الأودية و النّبات و الحيوان.

و في المجمع و العياشي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل ما ذا علّمه قال الأرضين و الجبال و الشّعاب و الأدوية ثم نظر إلى بساط تحته فقال و هذا البساط ممّا علّمه.و في تفسير الإمام عن السجّاد عليه السلام علّمه أسماء كلّ شيء، و فيه أيضاً أسماء أنبياء اللّه و أوليائه و عتاة أعدائه. أقول: تحقيق المقام و التوفيق بين روايتي الامام يقتضي بسطاً من الكلام و ذكر نبذ من الأسرار فنقول و باللّه التوفيق ليس المراد بتعليم الأسماء تعليم الألفاظ و الدّلالة على معانيها فحسب كيف و هو يرجع إلى تعليم اللّغة و ليس هو علماً يصلح لأن يتفاخر به على الملائكة و يتفضّل به عليهم بل المراد بالأسماء حقائق المخلوقات الكائنة في عالم الجَبَروت المسمّاة عند طائفة بالكلمات و عند قوم بالأسماء و عند آخرين بالعقول. و بالجملة أسباب وجود الخلائق و أرباب أنواعها التي بها خلقت و بها قامت و بها رزقت فانّها أسماء اللّه تعالى لأنّها تدلّ على اللّه بظهورها في المظاهر دلالة الاسم على المسمّى فانّ الدلالة كما تكون بالألفاظ كذلك تكون بالذّوات من غير فرق بينهما فيما يؤول إلى المعنى و أسماء اللّه لا تشبه أسماء خلقه و إنّما أُضيفت في الحديث تارة إلى المخلوقات كلّها لأنّ كلّها مظاهرها التي فيها ظهرت صفاتها متفرّقة و أُخرى إلى الأولياء و الأعداء لأنّهما مظاهرها التي فيها ظهرت صفاتها مجتمعة أي ظهرت صفات اللّطف كلّها في الأولياء و صفات القهر كلّها في الأعداء و إلى هذا أُشير في الحديث القدسيّ الّذي يأتي ذكره في تفسير آية سجود الملائكة لآدم عليه السلام من قوله سبحانه: يا آدم هذه أشباح أفضل خلائقي و برّياتي هذا محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أنا الحميد المحمود في فعالي شققت له اسماً من اسمي و هذا عليّ و أنا العلِيّ العظيم شققت له اسماً من اسمي، إلى آخر ما ذكر من هذا القبيل فانّ معنى الاشتقاق في مثل هذا يرجع إلى ظهور الصّفات و انباء المظهر عن الظّاهر فيه أو هما سببان للاشتقاق أو مسبّبان عنه و إنّما يقول بالسّببيّة من لم يفهم العينيّة، و المراد بتعليم آدم الأسماء كلّها خلقه من أجزاء مختلفة و قوىً متباينة حتى استعدّ لادراك أنواع المدركات من المعقولات و المحسوسات و المتخيّلات و الموهومات و الهامه معرفة ذوات الأشياء و خواصّها و أصول العلم و قوانين الصّناعات وكيفيّة آلاتها و التّمييز بين أولياء اللّه و أعدائه فتأتي له بمعرفة ذلك كلّه مظهريّته لأسماء اللّه الحسنى كلّها و بلوغه مرتبة أحديّة الجمع الّتي فاق بها سائر أنواع الموجودات و رجوعه إلى مقامه الأصلي الذي جاء منه و صار منتخباً لكتاب اللّه الكبير الذي هو العالم الأكبر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: و فيك انطوى العالم الأكبر.

ان قلت: ما نفقه كثيراً ممّا نقول فهب أنّ المراد بالأسماء الحقائق فأيّ مناسبة بين تعليم آدم أسماء المخلوقات و بين خلقه مختلف القوى و الأجزاء و الهامه معرفة ذوات الأشياء و التميز بين الأولياء و الأعداء فهل لك من تبيان أو تستطيع الإتيان فيه بسلطان على ان ينحلّ به هذا اللّغز و المعميّ أو ينجلي به عن البصائر العَمَهَ و العمى.

قلت: لعلّك نسيت ما حقّقناه في المقدمة الرابعة في معنى المتشابه و تأويله أو لم تستطع إجراءه فيما نحن بسبيله فلنورد ذلك لك بتقرير آخر يكون اظهر لك فيما نحن فيه ممّا قرّرناه هنالك.

فنقول: و باللّه التّوفيق انّ الاسم ما يدلّ على المسمّى و يكون علامة لفهمه فمنه ما يعتبر فيه صفة تكون في المسمى و بذلك الاعتبار يطلق عليه و منه ما لا يعتبر فيه ذلك فالأوّل يدلّ على الذّات الموصوفة بصفة معيّنة كلفظ الرّحمن فانّه يدلّ على ذات متّصفة بالرّحمة و لفظ القهّار فانه يدلّ على ذات لها القهر إلى غير ذلك، و قد يطلق الاسم بهذا المعنى على مظاهر صفة الذّات باعتبار اتّصافه بالصّفة كالنّبيّ الذي هو مظهر هداية اللّه سبحانه فانّه اسم اللّه الهادي لعباده و الأسماء الملفوظة بهذا الاعتبار هي أسماء الأسماء. و سئل مولانا الرضا عليه السلام عن الاسم ما هو؟ قال: صفة لموصوف و هذا اللّفظ يحتمل المعنيين اللّفظ و المظهر و إن كان في المظهر اظهر و قد يطلق الاسم على ما يفهم من اللّفظ أي المعنى الذّهني، و عليه ورد قول الصّادق عليه السلام: مَنْ عَبَدَ اللّه بالتّوهّم فقدكفر، و من عبَدَ الاسم و المعنى فقد أشرك و من عبد المعنى بإيقاع الأسماء

عليه بصفاتها التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه و نطق به لسانه في سرائره و علانيته فأولئك هم المؤمنون حقّاً فانّ المراد بالاسم هاهنا ما يفهم من اللّفظ لا اللّفظ فانّ اللّفظ لا يعبد و بالمعنى ما يصدق عليه اللّفظ فالاسم معنى ذهنيّ و المعنى موجود عيني و هو المسمّى و الاسم غير المسمّى لأنّ الإنسان مثلًا في الذّهن ليس بإنسان و لا له جسميّة و لا حياة و لا حسّ و لا حركة و لا نطق و لا شيء من خواصّ الإنسانية فتدبّر فيه تفهم معنى الحديث و من اللّه الإعانة إذا تمهّد هذا فاعلم أنّ لكلّ اسم من أسماء اللّه الإلهيّة مظهراً من الموجودات باعتبار غلبة ظهور الصّفة التي اشتمل عليها ذلك الاسم فيه و هو اسم باعتبار دلالته على اللّه من جهة اتّصافه بتلك الصّفة و ذلك لأنّ اللّه سبحانه إنّما يخلق و يدبّر كلّ نوع من أنواع الخلائق باسم من أسمائه و ذلك الاسم هو ربّ ذلك النّوع و اللّه سبحانه ربّ الأرباب. و إلى هذا أُشير في كلام أهل البيت عليهم السلام في أدعيتهم عليهم السلام بقولهم و بالاسم الذي خلقت به العرش و بالاسم الذي خلقت به الكرسيّ و بالاسم الذي خلقت به الأرواح إلى غير ذلك من هذا النّمط، و عن مولانا الصادق عليه السلام نحن و اللّه الأسماء الحسنى التي لا يقبل اللّه من العباد عملًا إلا بمعرفتنا و ذلك لأنّهم عليهم السلام وسائل معرفة ذاته و وسائط ظهور صفاته و أرباب أنواع مخلوقاته و لا يحصل لأحد العلم بالأسماء كلّها إلّا إذا كان مظهراً لها كلّها و لا يكون مظهراً لها كلّها إلّا إذا كان في جبلّته استعداد قبول ذلك كلّه و هو ما ذكرناه فافهم ترشد ان شاء اللّه.

ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ: أقول: أي عرض أشباح المخلوقات فرداً فرداً في عالم الملكوت المسمّى عند قوم بعالم الرّوحانيّات المدلول عليها بذكر الأسماء إذ هي مظاهر الأسماء كلّها أو بعضها و لهذا أورد بضمير ذوي العقول لأنهم كلّهم ذوو عقل، و في الرّواية الأخيرة أي عرض أشباحهم و هم أنوار في الأظلّة و هو صريح فيما قلناه؛ قالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ:

أقول: يعني بأسماء اللّه التي بها خلقت هذه الأشباح فإنها بتمامها كانت مستورة على الملائكة الأرضيّة الّا نوعاً واحداً لكلّ صنف منهم كما أنها مستورة على سائر المخلوقات سوى الأنبياء و الأولياء.

إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ: بأنّكم أحقّاء بالخلافة من آدم و أنّ جميعكم تسبّحون و تقدّسون و أنّ ترككم هاهنا أصلح من إيراد من بعدكم أي فكما لم تعرفوا غيب من في خلالكم ممّن ترون أشخاصها فبالحريّ أن لا تعرفوا الغيب الذي لم يكن.

قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ بكلّ شيءٍ الْحَكِيمُ المصيب بكلّ فعل.

أقول: و إنّما اعترفوا بالعجز و القصور لما قد بان لهم من فضل آدم و لاحت لهم الحكمة في خلقه فصغر حالهم عند أنفسهم و قلّ عملهم لديهم و انكسرت سفينة جبروتهم فغرقوا في بحر العجز و فوّضوا العلم و الحكمة إلى اللّه و إنّما لم يعرفوا حقائق الأشياء كلّها لاختلافها و تباينها وكونهم وحدانيّة الصّفة إذ ليس في جبلّتهم خلط و تركيب و لهذا لا يفعل كلّ صنف منهم إلّا فعلًا واحداً فالرّاكع منهم راكع ابداً و السّاجد منهم ساجد أبداً و القائم منهم قائم أبداً كما حكى اللّه عنهم بقوله: (وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ) و لهذا ليس لهم تنافس و تباغض بل مثالهم مثال الحواس فان البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات و لا الشم يزاحمهما و لا هما يزاحمان الشمّ فلا جرم مجبولون على الطاعة و لا مجال للمعصية في حقّهم لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ فكل صنف منهم مظهر لاسم واحد من الأسماء الإلهية لا يتعداه ففاقهم آدم بمعرفته الكاملة و مظهريته الشاملة. قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ.

أقول: يعني أخبرهم بالحقائق المكنونة عنهم و المعارف المستورة عليهم ليعرفوا جامعيّتك لها و قدرة اللّه تعالى على الجمع بين الصفات المتباينة و الأسماء المتناقضة و مظاهرها بما فيها من التضاد في مخلوق واحد كما قيل: ليس على اللّه بمستنكر أن يجمع العالم في واحد.

فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فعرفوها أخذ عليهم العهود و المواثيق للأنبياء و الأولياء بالإيمان بهم و التفضيل لهم على أنفسهم فعند ذلك قالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ سرّهما وَ أَعْلَمُ ما تُبْدُونَ من ردكم عليّ وَ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ من اعتقادكم أنه لا يأتي أحد يكون أفضل منكم و عزم إبليس على الاباء على آدم أن أمر بطاعته فجعل آدم حجّة عليهم.

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ و ذلك لما كان في صلبه من أنوار نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أهل بيته المعصومين عليهم السلام وكانوا قد فُضِّلوا على الملائكة باحتمالهم الأذى في جنب اللّه فكان السجود لهم تعظيماً و إكراماً و للّه سبحانه عبودية و لآدم عليه السلام طاعة.

قال عليّ بن الحسين حدّثني أبي عن أبيه عليهم السلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال: يا عباد اللّه إن آدم عليه السلام لما رأى النور ساطعاً من صلبه إذكان اللّه قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النور و لم يتبيّن الأشباح فقال: يا رب ما هذه الأنوار فقال عزّ و جلّ: (أنوار و أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك و لذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذكنت وعاءً لتلك الأشباح فقال آدم يا رب لو بنيتها لي فقال اللّه عز و جل: انظر يا آدم إلى ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية فرأى أشباحنا فقال ما هذه الأشباح يا رب قال اللّه: يا آدم هذه أشباح أفضل خلائقي و بريّاتي هذا محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و انا الحميد المحمود في فعالي شققت له اسماً من اسمي و هذا عليّ و أنا العليّ العظيم شققت له اسماً من اسمي و هذه فاطمة و أنا فاطر السموات و الأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي و فاطم أوليائي عمّا يعيّرهم و يشينهم فشققت لها اسماً من اسمي و هذا الحسن و هذا الحسين و أنا المحسن المجمل شققت اسميهما من اسمي هؤلاء خيار خليقتي و كرام بريّتي بهم آخذ و بهم أُعطي و بهم أُعاقب و بهم أُثيب فتوسّل بهم إليّ يا آدم إذا دهتك داهية فاجعلهم إليّ شفعاءك فاني آليت على نفسي قسماً حقاً أن لا أُخيب بهم أملًا و لا أرد بهم سائلًا فلذلك حين زلت منه الخطيئة دعا اللّه عز و جل بهم فتيب عليه و غفرت له فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ في المعاني عن الرضا عليه السلام كان اسمه الحارث سمي إبليس لأنه أبلس من رحمة اللّه أَبى وَ اسْتَكْبَرَ أخرج ما كان في قلبه من الحسد وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ. في العيون عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه أول من كفر و أنشأ الكفر.

و العيّاشي عن الصادق عليه السلام مثله و القمّي عنه عليه السلام الاستكبار هو أول معصية عُصِيَ اللّه بها. قال عليه السلام: فقال إبليس رب اعفني من السجود لآدم و أنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل فقال جل جلاله لا حاجة لي في عبادتك إنما عبادتي من حيث أُريد لا من حيث تريد.

وَ قُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ في الكافي و العلل و القمّي عن الصادق عليه السلام أنّها كانت من جنان الدنيا يطلع فيها الشمس و القمر و لوكانت من جنان الخلد ما خرج منها أبداً، و زاد القمّي و لم يدخلها إبليس وَكُلا مِنْها رَغَداً واسعاً حَيْثُ شِئْتُما بلا تعب وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ العيّاشي عن الباقر عليه السلام يعني لا تأكلا منها قيل و إنما علّق النّهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه، و وجوب الاجتناب عنه و تنبيهاً على أن القرب من الشيء يورث داعية و ميلاناً يأخذ بمجامع القلب و يلهيه عمّا هو مقتضى العقل و الشرع.

و في تفسير الامام أنّها شجرة علم محمد و آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم آثرهم اللّه تعالى بها دون سائر خلقه لا يتناول منها بأمر اللّه الا هم و منها ما كان يتناوله النبي صلّى اللّه عليه و آله و علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام بعد إطعامهم المسكين و اليتيم و الأسير حتى لم يحسوا بعد بجوع و لا عطش و لا تعب و لا نصب و هي شجرة تميّزت من بين سائر الأشجار بأنّ كلّا منها إنّما يحمل نوعاً من الثمار وكانت هذه الشجرة و جنسها تحمل البرّ و العنب و التين و العنّاب و سائر أنواع الثمار و الفواكه و الأطعمة فلذلك اختلف الحاكون بذكرها، فقال بعضهم: برّة، و قال آخرون: هي عنبة، و قال آخرون: هي عنّابة

و هي الشجرة التي من تناول منها بإذن اللّه ألهم علم الأولين و الآخرين من غير تعلم و من تناول بغير اذن اللّه خاب من مراده و عصى ربه.
أقول: و في رواية أنّها شجرة الحسد، و في رواية اخرى أنها شجرة الكافور.
و في العيون بإسناده إلى عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام يا ابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم و حواء ما كانت فقد اختلف الناس فيها فمنهم من يروي أنّها الحنطة و منهم من يروي أنها العنب و منهم من يروي أنها شجرة الحسد فقال كل ذلك حق قلت فما معنى هذه الوجوه على اختلافها فقال يا أبا الصّلت انّ شجرة الجنّة تحمل أنواعاً وكانت شجرة الحنطة و فيها عنب ليست كشجرة الدنيا و إن آدم لما أكرمه اللّه تعالى ذكره بإسجاده ملائكته له و بإدخاله الجنّة قال في نفسه هل خلق اللّه بشراً أفضل منّي فعلم اللّه عز و جل ما وقع في نفسه فناداه ارفع رأسك يا آدم و انظر إلى ساق عرشي فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً لا إله إلّا اللّه محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين و زوجته فاطمة سيدة نساء العالمين و الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنّة فقال آدم يا رب من هؤلاء فقال عز و جل: هؤلاء من ذرّيتك و هم خير منك و من جميع خلقي و لولاهم ما خلقتك و لا خلقت الجنّة و النار و لا السماء و الأرض فإياك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأخرجك عن جواري فنظر إليهم بعين الحسد و تمنّى منزلتهم فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نهي عنها و تسلط على حواء لنظرها إلى فاطمة بعين الحسد حتّى أكلت من الشجرة كما أكل آدم فأخرجهما اللّه تعالى عن جنّته و أهبطهما عن جواره إلى الأرض.
أقول: كما أن لبَدَن الإنسان غذاء من الحبوب و الفواكه كذلك لروحه غذاء من العلوم و المعارف وكما أن لغذاء بدنه أشجاراً تثمرها فكذلك لروحه أشجار تثمرها و لكل صنف منه ما يليق به من الغذاء فان من الإنسان من يغلب فيه حكم البدن على حكم الروح و منه من هو بالعكس و لهم في ذلك درجات يتفاضل بها بعضهم على بعض و لأهل الدرجة العليا كل ما لأهل الدرجة السفلى و زيادة و لكل فاكهة في العالم الجسماني مثال في العالم الروحاني مناسب لها كما مرت الاشارة إليه في المقدمة الرابعة.
و لهذا فسرت الشجرة تارة بشجرة الفواكه و أخرى بشجرة العلوم وكان شجرة علم محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم إشارة إلى المحبوبية الكاملة المثمرة لجميع الكمالات الإنسانية المقتضية للتوحيد المحمدي الذي هو الفناء في اللّه و البقاء باللّه المشار إليه بقوله عليه السلام لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل فانّ فيها من ثمار المعارف كلها و شجرة الكافور إشارة إلى برد اليقين الموجب للطمأنينة الكاملة المستلزمة للخلق العظيم الذي كان لنبيّنا (ص) و دونه لأهل بيته عليهم السلام فلا منافاة بين الروايات و لا بينها و بين ما قاله أهل التأويل انها شجرة الهوى و الطبيعة لأن قربها إنما يكون بالهوى و الشهوة الطبيعية و هذا معنى ما ورد أنّها شجرة الحسد فان الحسد إنما ينشأ منها فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ بمعصيتكما و التماسكما درجة قد أوثر بها غيركما إذا رمتما بغير حكم اللّه.
فَأَزَلَّهُمَا و قرئ فأزالهما الشَّيْطانُ عَنْها بوسوسته و خديعته و إيهامه و عداوته و غروره بأن بدأ بآدم وَ قالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ ان تناولتما منها تعلمان الغيب و تقدران على ما يقدر عليه من خصّه اللّه تعالى بالقدرة أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدينَ لا تموتان أبداً وَ قاسَمَهُما حلف لهما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ وكان إبليس بين لحيي الحيّة أدخلته الجَنّة وكان آدم يظنّ أن الحيّة هي التي تخاطبه و لم يعلم أن إبليس قد اختبى بين لحييها فرد آدم على الحيّة أيّتها الحية هذا من غرور إبليس كيف يخوننا ربنا أم كيف تعظّمين اللّه بالقسم به و انت تنسبينه إلى الخيانة و سوء النظر و هو أكرم الأكرمين أم كيف أروم التوصل إلى ما منعني منه ربي و أتعاطاه بغير حكمه فلما أيس إبليس من قبول آدم (ع) منه عاد ثانية بين لحيي الحية فخاطب حواء من حيث يوهمها أن الحية هي التي تخاطبها و قال يا حواء أ رأيت هذه الشجرة التي كان اللّه

عز و جل حرّمها عليكما فقد أحلها لكما بعد تحريمها لما عرف من حسن طاعتكما له و توقيركما إياه و ذلك أن الملائكة الموكلين بالشجرة التي معها الحراب يدفعون عنها سائر حيوانات الجنة لا تدفعك عنها إن رمتها فاعلمي بذلك أنه قد أحل لك و ابشري بأنّك إن تناولتها قبل آدم (ع) كنت أنت المسلّطة عليه الآمرة الناهية فوقه فقالت حواء: سوف أُجرب هذا فرامت الشجرة فأرادت الملائكة أن يدفعوها عنها بحرابها فأوحى اللّه إليها إنّما تدفعون بحرابكم من لا عقل له يزجره فامّا من جعلته متمكّناً مميّزاً مختاراً فكلوه إلى عقله الذي جعلته حجّة عليه فان أطاع استحق ثوابي و إن عصى و خالف أمري استحق عقابي و جزائي فتركوها و لم يتعرضوا لها بعد ما همّوا بمنعها بحرابهم فظنت أن اللّه نهاهم عن منعها لأنه قد أحلّها بعد ما حرّمها فقالت صدقت الحيّة و ظنت أن المخاطب لها هي الحية فتناولت منها و لم تنكر من نفسها شيئاً فقالت لآدم عليه السلام ألم تعلم أن الشجرة المحرّمة علينا قد أُبيحت لنا تناولت منها و لم يمنعني أملاكها و لم أنكر شيئاً من حالي فلذلك اغترآدم عليه السلام و غلط فتناول فَأَخْرَجَهُما مِمَّا كانا فِيهِ من النعم وَ قُلْنا يا آدم و يا حواء و يا أيّتها الحيّة و يا إبليس اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فـآدم و حواء و ولدهما عدوّ للحيّة و إبليس، و إبليس و الحية و أولادهما أعداؤهم وكان هبوط آدم و حواء و الحية من الجنة فان الحية كانت من احسن دوابّها و هبوط إبليس من حواليها فانه كان يحرم عليه دخول الجنة.

أقول: لعله إنما يحرم عليه دخول الجنة بارزاً بحيث يعرف و ذلك لأنه قد دخلها مختفياً في فم الحية ليدلّيهما بغروركما ورد في حديث آخر و بهذا يرتفع التّنافي بين هذا الحديث و بين الحديث الذي مرّ انّها لوكانت من جنان الخلد لم يدخلها إبليس أراد به دخولها و هو في فم الحية فليتدبر.

وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ منزل و مقرّ للمعاش وَ مَتاعٌ منفعة إِلى حِينٍ حين الموت يخرج اللّه منها زروعكم و ثماركم و بها ينزّهكم و ينعّمكم و فيها بالبلايا يمتحنكم يلذّذكم بنعيم الدنيا تارة لتذكروا به نعيم الآخرة الخالص مما ينغّص نعيم الدنيا و يبطله و يزهد فيه و يصغره و يمتحنكم تارة ببلايا الدنيا التي تكون في خلالها الرّحمات و في تضاعيفها النّقمات ليحذّركم بذلك عذاب الأبد الذي لا يشوبه عافية، و في رواية القمّي: إلى حِينٍ يعني إلى يوم القيامة.

أقول: لا منافاة بين الروايتين لأن الموت هو القيامة الصغرى للأكثرين و الكبرى للآخرين، و لذا ورد من مات فقد قامت قيامته.

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمات يقولها فقالها و قرئ بنصب آدم و رفع كلمات فَتابَ عَلَيْهِ بها إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الكثير القبول للتوبة الرَّحِيمُ بالتائبين.

أقول: التوبة بمعنى الرجوع و الانابة فإذا نسبت إلى اللّه تعالى تعدت بعلى و إذا نسبت إلى العبد تعدت بإلى و لعل الأول لتضمين معنى الإشفاق و العطف و معنى التوبة من العبد رجوعه إلى اللّه بالطاعة و الانقياد بعد ما عصى و عتا و معناها من اللّه رجوعه بالعطف على عبده بإلهامه التوبة أولًا ثم قبوله إيّاها منه آخراً فللّه توبتان و للعبد واحدة بينهما قال اللّه: (ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) أي ألهمهم التوبة ليرجعوا ثم إذا رجعوا قبل توبتهم لأنه هو التواب الرحيم و لهذه الآية معنى آخر يأتي في سورة التوبة ان شاء اللّه.

و في الكافي عن أحدهما عليهما السلام أن الكلمات (لا إلهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ اللّهُمّ وَ بِحَمْدِك عملت سوءً و ظلمت نفسي فاغفر لي و انت خير الغافرين لا إله إلّا أنت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوءً و ظلمت نفسي فاغفر لي و ارحمني إنك أنت أرحم الراحمين لا إله إلّا أنت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوءً و ظلمت نفسي فتب عليّ إنّك التواب الرحيم) و في رواية: (بحق محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين)، و في أخرى: بحق محمد و آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

و في تفسير الإمام «ع» لما زلت من آدم الخطيئة و اعتذر إلى ربه عز و جل قال:

يا رب تب عليّ و اقبل معذرتي و اعدني إلى مرتبتي و ارفع لديك درجتي فلقد تبين نقص الخطيئة و ذلها بأعضائي و سائر بدني قال اللّه تعالى: يا آدم أما تذكر امري إيّاك بأن تدعوني بمحمد و آله الطيّبين عند شدائدك و دواهيك و في النّوازل التي تبهظك.

قال آدم: يا رب بلى، قال اللّه عز و جل: فبهم بمحمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين خصوصاً فادعني أجبك إلى ملتمسك و أزدك فوق مرادك. فقال آدم: يا رب إلهي و قد بلغ عندك من محلهم لأنّك بالتوسل بهم تقبل توبتي و تغفر خطيئتي و انا الذي اسجدْتَ له ملائكتك و أبحته جنّتك و زوّجته حواء امَتَكَ و أخدمته كرام ملائكتك.

قال اللّه تعالى: يا آدم إنما أمرت الملائكة بتعظيمك بالسجود لك إذكنت وعاء هذه الأنوار و لوكنت سألتني بهم قبل خطيئتك أن أعصمك منها و أن أفطّنك لدواعي عدوك إبليس حتى تحترز منها لكنت قد جعلت ذلك و لكن المعلوم في سابق علمي يجري موافقاً لعلمي فالآن فبهم فادعني لأجيبك فعند ذلك قال آدم: اللهم بجاه محمد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين و الطّيبين من آلهم لما تفضّلت بقبول توبتي و غفران زلتي و إعادتي من كراماتك إلى مرتبتي قال اللّه عز و جل: قد قبلت توبتك و أقبلت برضواني عليك و صرفت آلائي و نعمائي إليك و أعدتك إلى مرتبتك من كراماتي و وفرت نصيبك من رحماتي فذلك قوله عز و جل (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمات فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ).

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً أُمروا أولًا بالهبوط و ثانياً بأن لا يتقدم أحدهم الآخرين فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُداَيَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ:

قيل ما مزيدة لتأكيد الشرط و لذلك حسن النّون و إن لم يكن فيه معنى الطلب و الشرط الثاني مع جوابه جواب للشرط الأول.

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا و لآلائنا أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ: ذكر العياشي حديثاً طويلًا في محاجة آدم ربه في خطيئته قال في آخره:

بلى يا رب الحجّة لك علينا ظلمنا أنفسنا و عصينا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا نكن من الخاسرين، و القمّي عن الصادق عليه السلام: أن آدم هبط على الصّفا و حواء على المروة فمكث آدم أربعين صباحاً ساجداً يبكي على خطيئته و فراقه للجنّة قال: فنزل جبرائيل على آدم و قال: يا آدم ألم يخلقك اللّه بيديه و نفخ فيك من روحه و أسجد لك ملائكته قال: بلى. قال: و أمرك أن لا تأكل من تلك الشجرة فلِمَ عَصَيته؟ قال: يا جبرئيل إن إبليس حَلَفَ لي باللّه أنّه لي ناصح و ما ظننت أن أحداً خلقه اللّه يحلف باللّه عز و جل كاذباً. فقال له جبرائيل عليه السلام: يا آدم تب إلى اللّه. و عنه عليه السلام قال: سأل موسى ربه أن يجمع بينه و بين آدم فجمع فقال له موسى: يا أبت أ لَم يخلقك اللّه بيده و نفخ فيك من روحه و أسجد لك ملائكته و أمرك أن لا تأكل من تلك الشجرة فلِمَ عصيته. قال يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة قال:

بثلاثين ألف سنة قال: فهو ذلك. قال الصادق عليه السلام: فحجّ آدم موسى.

و في العيون عن الرضا عليه السلام أن اللّه تعالى قال لهما لا تقربا هذه الشجرة و أشار لهما إلى شجرة الحنطة و لم يقل لهما و لا تأكلا من هذه الشجرة و لا مما كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة و إنما أكلا من غيرها لمّا أن وسوس الشيطان إليهما.

ثم قال: وكان ذلك من آدم قبل النبوة و لم يكن ذلك منه بذنب كبير استحق به دخول النار و إنّما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي إليهم فلمّا اجتباه اللّه تعالى و جعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة و لا كبيرة. قال اللّه تعالى: (وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى و قال: إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً)، الآية.

و في رواية ان اللَّه عز و جل خلق آدم حجّة في أرضه و خليفة في بلاده لم يخلقه للجنّة وكانت المعصية من آدم في الجنّة لا في الأرض ليتمّ مقادير أمر اللَّه عز و جل فلما اهبط إلى الأرض و جعله حجّة و خليفة عصم بقوله عز و جل: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً الآية. و القمّي عن الباقر عليه السلام كان عمر آدم منذ خلقه اللَّه إلى أن قبضه تسعمائة و ثلاثين سنة و دفن بمكة و نفخ فيه يوم الجمعة بعد الزّوال ثم برأ زوجته من أسفل أضلاعه و أسكنه جنّته من يومه ذلك فما استقر فيها الا ست ساعات من يومه ذلك حتى عصى اللَّه فأخرجهما من الجنة بعد غروب الشمس و ما باتا فيها.

و العياشي عن الصادق عليه السلام ان اللَّه تعالى نفخ في آدم روحه بعد زوال الشمس من يوم الجمعة ثم برأ زوجته من أسفل أضلاعه الحديث كما مر، و زاد في آخره و صيّرا بفناء الجنة حتى أصبحا و بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَ ناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ فاستحى آدم من ربه فخضع و قال: رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا و اعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا. قال اللَّه لهما: اهبطا من سماواتي إلى الأرض فانه لا يجاورني في جنّتي عاصٍ و لا في سمواتي. ثم قال عليه السلام: إن آدم لما أكل من الشجرة ذكر ما نهاه اللَّه عنها فندم فذهب ليتنحى من الشجرة فأخذت الشجرة برأسه فجرّته إليها و قالت له: أفلا كان فرارك من قبل أن تأكل مني.

يا بَنِي إِسْرائِيلَ ولد يعقوب.

في العلل عن الصادق عليه السلام في حديث يعقوب هو إسرائيل و معنى إسرائيل عبد اللَّه لأن اسرا هو العبد و إيل هو اللَّه. و في رواية اسرا هو القوة و ايل هو اللَّه اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ أن بعثت محمداً و أقررته في مدينتكم و لم أُجشِّمكم الحطّ و التّرحال إليه و أوضحت علاماته و دلائل صدقه كيلا يشتبه عليكم حاله وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي الذي أخذه على أسلافكم أنبياؤهم و أمروهم أن يؤدّوه إلى أخلافهم ليؤمننّ بمحمد العربي القرشي الهاشمي المبان بالآيات و المؤيد بالمعجزات الذي من آياته عليّ بن أبي طالب عليه السلام شقيقه و رفيقه عقله من عقله و علمه من علمه و حلمه من حلمه مؤيد دينه بسيفه أُوف بِعَهْدِكُمْ الذي أوجبت به لكم نعيم الأبد في دار الكرامة وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ في مخالفة محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فاني القادر على صرف بلاء من يعاديكم على موافقتي فهم لا يقدرون على صرف انتقامي عنكم إذا آثرتم مخالفتي، و العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال أوفوا بولاية عليّ فرضاً من اللَّه أوف لكم بالجنّة.

مَعَكُمْ فان مثل هذا الذكر في كتابكم وَ لا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ قيل تعريض بأن الواجب أن تكونوا أوّل من آمن به لأنهم كانوا أهل النظر في معجزاته و العلم بشأنه و المستفتحين به و المبشّرين بزمانه.

و في تفسير الإمام عليه السلام هؤلاء يهود المدينة جحدوا بنبوة محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و خانوه و قالوا نحن نعلم أن محمداً نبيّ و أنّ علياً وصيّه و لكن لست انت ذلك و لا هذا و لكن يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسمائة سنة.

وَ لا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَناً قَلِيلًا في المجمع عن الباقر عليه السلام في هذه الآية أن حيّ بن اخطب وكعب بن أشرف و آخرين من اليهود كان لهم مأكلة على اليهود في كل سنة فكرهوا بطلانها بأمر النبي فحرّفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته و ذكره فذلك الثمن الذي أُريد به في الآية وَ إِيَّايَ فَاتَّقُونِ في كتمان أمر محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و أمر وصيه.

وَ لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ: لا تخلطوه به بأن تقرّوا به من وجه و تجحدوه من وجه وَ تَكْتُمُوا عطف على النّهي أو نصب بإضمار أن الْحَقَّ من نبوة هذا و إمامة هذا وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنّكم تكتمونه تكابرون علومكم و عقولكم.

وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ: المكتوبة التي جاء بها محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و أقيموا أيضاً الصلاة على محمد و آله الطاهرين وَ آتُوا الزَّكاةَ من أموالكم إذا وجبت و من أبدانكم إذا لزمت و من معونتكم إذا التمست.

و في الكافي عن الكاظم عليه السلام أنه سئل عن صدقة الفطرة أ هي مما قال اللّه تعالى وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ فقال نعم، و العياشي عنه عليه السلام مثله.
و عن الصادق عليه السلام هي الفطرة التي افترض اللّه على المؤمنين.
و في رواية: نزلت الزكاة و ليست للناس الأموال و إنما كانت الفطرة وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ تواضعوا مع المتواضعين لعظمة اللّه في الانقياد لأولياء اللّه، و قيل أي في جماعاتهم للصلاة.
أقول: و هذا فرد من افراد ذاك.
أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ بالصدقات و أداء الأمانات وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ تتركونها وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتابَ التوراة الآمرة لكم بالخيرات النَاهِية عن المنكرات أَ فَلا تَعْقِلُونَ ما عليكم من العقاب في أمركم بما به لا تأخذون و في نهيكم عما أنتم فيه منهمكون نزلت في علماء اليهود و رؤسائهم المردة المنافقين المحتجنين أموال الفقراء المستأكلين للأغنياء الذين كانوا يأمرون بالخير و يتركونه و ينهون عن الشر و يرتكبونه.
القمّي: نزلت في الخطباء و القصَّاص و هو قول أمير المؤمنين عليه السلام و على كل منبر منهم خطيب مصقع يكذب على اللّه و على رسوله و على كتابه.
أقول: و هي جارية في كل من وصف عدلًا و خالف إلى غيره.
و في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام قال من لم ينسلخ من هواجسه و لم يتخلص من آفات نفسه و شهواتها و لم يهزم الشيطان و لم يدخل في كنف اللّه و أمان عصمته لا يصلح للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لأنه إذا لم يكن بهذه الصفة فكل ما اظهر يكون حجة عليه و لا ينتفع الناس به، قال اللّه تعالى: أَ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ و يقال له يا خائن أ تطالب خلقي بما خنت به نفسك و أرخيت عنه عنانك.وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ عن الحرام على تأدية الأمانات و عن الرئاسات الباطلة على الاعتراف بالحق و استحقاق الغفران و الرضوان و نعيم الجنان.
أقول: و عن سائر المعاصي و على أصناف الطاعات و أنواع المصيبات و على قرب الوصول إلى الجنان.
و في الكافي و الفقيه و العياشي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية أن الصبر الصّيام و فيهما و قال عليه السلام إذا نزلت بالرجل النازلة الشديدة فليصم فان اللّه تعالى يقول اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ يعني الصيام، و العياشي عن الكاظم عليه السلام مثله وَ الصَّلاةِ الصلوات الخمس و الصلاة على النبي و آله الطاهرين.
أقول: وكل صلاة فريضة أو نافلة لما روي في المجمع و العياشي عن الصادق عليه السلام ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غمّ من غموم الدنيا أن يتوضأ ثم يدخل مسجده فيركع ركعتين فيدعو اللّه فيهما أ ما سمعت اللّه يقول: (وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ).
و في الكافي عنه عليه السلام قال: كان علي عليه السلام إذا هاله شيء فزع إلى الصلوة ثم تلا هذه الآية و استعينوا بالصبر و الصلوة وَ إِنَّها القمّي يعني الصلاة و قيل الاستعانة بهما، و في تفسير الامام عليه السلام أن هذه الفعلة من الصلوات الخمس و الصلاة على محمد و آله مع الانقياد لأوامرهم و الايمان بسرهم و علانيتهم و ترك معارضتهم بِلِمَ وكيف لَكَبِيرَةٌ: عظيمة.
أقول: يعني لثَقيلة شاقّة كقوله تعالى: (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ الخائفين عقاب اللّه في مخالفته في أعظم فرائضه.
أقول: و ذلك لأن نفوسهم مرتاضة بأمثالها متوقعة في مقابلتها ما يستخفّ لأجله مشاقّها و يستلذّ بسببه متاعبها كما قال نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلم جعلت قرة عيني في الصلاة وكان يقول روّحنا أو أرحنا يا بلال.
الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ: في التوحيد و الاحتجاج و العياشي عن أمير المؤمنين عليه السلام يوقنون أنهم يبعثون و الظن منهم يقين و فيهما قال عليه السلام: اللقاء البعث و الظن هاهنا اليقين.

و في تفسير الإمام عليه السلام يقدرون و يتوقعون أنهم يلقون ربهم اللقاء الذي هو أعظم كرامته لعباده وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ إلى كراماته و نعيم جناته قال: و إنما قال يظنون لأنهم لا يدرون بماذا يختم لهم لأن العاقبة مستورة عنهم لا يعلمون ذلك يقيناً لأنهم لا يأمنون أن يغيروا و يُبَدِّلوا. قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم: لا يزال المؤمن خائفاً، من سوء العاقبة و لا يتيقن الوصول إلى رضوان اللَّه حتى يكون وقت نزع روحه و ظهور ملك الموت له الحديث. و يأتي تمامه في سورة حم السجدة ان شاء اللَّه عند تفسير إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا، الآية.

يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ إذ بعثت موسى و هارون إلى أسلافكم بالنبوة فهدياهم إلى نبوّة محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و وصية عليّ عليه السلام و إمامة عترته الطيبين عليهم السلام و أخذا عليهم بذلك العهود التي إن وفوا بها كانوا ملوكاً في الجنان وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ هناك أي فعلته بأسلافكم فضّلتهم في دينهم بقبول ولاية محمد و آله عليهم السلام و في دنياهم بتظليل الغمام و انزال المنّ و السلوى و سقيهم من الحجر ماء عذباً و فلق البحر لهم و انجائهم و غرق أعدائهم فضلتهم بذلك على عالمي زمانهم الذين خالفوا طريقتهم و حادوا عن سبيلهم.

أقول: و إنما خاطب اللَّه الأخلاف بما فعل بالأسلاف أو فعلوه من الخير و الشر لأن القرآن نزل بلغة العرب و هم يخاطبون بمثل ذلك يقول الرجل للتميمي الذي أغار قومه على بلدة و قتلوا من فيها أغرتم على بلدة كذا و فعلتم كذا و قتلتم أهلها و إن لم يكن هو معهم مع أن الأخلاف راضون بما فعل بالأسلاف أو فعلوه، كذا في تفسير الإمام عليه السلام عن السجاد عليه السلام و قد مضى تحقيقه في المقدمة الثالثة.

وَ اتَّقُوا يَوْماً وقت النزع لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً لا تدفع عنها عذاباً قد استحقته وَ لا يُقْبَلُ و قرئ بالتاء مِنْها شَفاعَةٌ بتأخير الموت عنها وَ لا يُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ أي فداء مكانها تُمات و تترك هي وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ.

أقول: يعني في دفع الموت و العذاب. و في تفسير الإمام عليه السلام هذا يوم الموت فان الشفاعة و الفداء لا يغني عنه فأمّا في القيامة فانّا و أهلنا نجزي عن شيعتنا كل جزاء لنكوننّ على الأعراف بين الجنة و النار محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين و الطيبون من آلهم (ع) فنرى بعض شيعتنا في تلك العرصات فمن كان منهم مقصراً و في بعض شدائدها فنبعث عليهم خيار شيعتنا كسلمان و المقداد و أبي ذرّ و عمّار و نظرائهم في العصر الذي يليهم ثم في كل عصر إلى يوم القيامة فينقضّون عليهم كالبزاة و الصقور و يتناولونهم كما يتناول البزاة و الصقور صيدها فيزفونهم إلى الجنة زفاً و انا لنبعث على آخرين من محبينا خيار شيعتنا كالحمام فيلتقطونهم من العرصات كما يلتقط الطير الحب و ينقلونهم إلى الجنان بحضرتنا و سيؤتى بالواحد من مقصّري شيعتنا في أعماله بعد أن قد حاز الولاية و التقية و حقوق إخوانه و يوقف بإزائه ما بين مائة و أكثر من ذلك إلى مائة ألف من النصّاب فيقال له هؤلاء فداؤك من النار فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة و أولئك النصّاب النار و ذلك ما قال اللَّه عز و جل (رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) يعني بالولاية لو كانوا مسلمين في الدنيا منقادين للإمامة ليجعل مخالفوهم من النار فداؤهم.

وَ إِذْ نَجَّيْناكُمْ و اذكروا إذ أنجينا أسلافكم.

أقول: هذا تفصيل لما أجمله في قوله اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ و هم الذين كانوا يدنون إليه بقرابته و بدينه و مذهبه يَسُومُونَكُمْ كانوا يعذّبونكم.

أقول: يعني يكلّفونكم العذاب من سامه الأمر كلّفه إيّاه و أكثر ما يستعمل في العذاب و الشر. سُوءَ الْعَذابِ شدّة العذاب وكان من عذابهم الشديد أنه كان فرعون يكلّفهم عمل البناء و الطين و يخاف أن يهربوا عن العمل فأمر بتقييدهم وكانوا ينقلون ذلك الطين على السلاليم إلى السطوح فربما سقط الواحد منهم فمات أو زمن و لا يحفلون بهم إلى أن أوحى اللَّه إلى موسى عليه السلام قل لهم لا يبتدئون عملًا إلا بالصلاة على محمد و آله الطيّبين فيخفف عليهم فكانوا يفعلون ذلك فيخفف عليهم يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ و ذلك لما قيل

لفرعون أنه يولد في بني إسرائيل مولود يكون على يده هلاكك و زوال ملكك فأمر بذبح أبنائهم وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ يبقونهن و يتخذونهن إماءً ثم قال ما ملخصه أنه: ربما يسلم أبناءهم من الذبح و ينشئون في محل غامض بصلاتهم على محمد و آله الطيّبين وكذلك نساؤهم يسلمن من الافتراش بصلواتهم عليه و آله وَ فِي ذلِكُمْ و في ذلك الإنجاء منهم بَلاءٌ نعمة مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ كبير قال اللّه تعالى: يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا إذكان البلاء يصرف عن أسلافكم و يخفف بالصلاة على محمد و آله الطيّبين أ فما تعلمون أنكم إذا شاهدتموهم فآمنتم بهم كانت النعمة عليكم أعظم و أفضل و فضل اللّه لديكم أجزل.

وَ إِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ و اذكروا إذ جعلنا ماء البحر فرقاً ينقطع بعضه من بعض فَأَنْجَيْناكُمْ هناك وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ فرعون و قومه وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إليهم و هم يغرقون و ذلك أن موسى لما انتهى إلى البحر أوحى اللّه إليه قل لبني إسرائيل جددوا توحيدي و اقرُّوا بقلوبكم ذكر محمد سيد عبيدي و إمائي و أعيدوا على أنفسكم ولاية عليّ أخي محمد و آله الطيبين و قولوا اللهم جوزنا على متن هذا الماء فان الماء يتحول لكم أرضاً فقال لهم موسى ذلك فقالوا: تورد علينا ما نكرهه و هل فررنا من فرعون الا من خوف الموت و انت تقتحم بنا هذا الماء الغمر بهذه الكلمات و ما يدرينا ما يحدث من هذه علينا: فقال لموسى كالب بن يوحنا و هو على دابة له وكان ذلك الخليج أربعة فراسخ يا نبي اللّه: اللّه أمرك بهذا أن نقوله و ندخل قال: نعم. قال: و انت تأمرني به قال: بلى، فوقف و جدد على نفسه من توحيد اللّه و نبوة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و ولاية عليّ و الطّيبين من آلهما ما أمره به ثم قال اللهم بجاههم جوّزني على متن هذا الماء ثم أقحم فرسه فركض على متن الماء و إذا الماء من تحته كأرض ليّنة حتى بلغ آخر الخليج ثم عاد راكضاً ثم قال لبني إسرائيل: يا بني إسرائيل أطيعوا موسى فما هذا الدعاء الا مفتاح أبواب الجنان و مغاليق أبواب النيران و مستنزل الأرزاق و الجالب على عباد اللّه و إمائه رضاء الرحمن المهيمن الخلاق فأبوا و قالوا نحن لا نسير الا على الأرض فأوحى اللّه إلى موسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ و قل اللهم صلّ على محمد و آله الطيبين لما فلقته ففعل فانفلق و ظهرت الأرض إلى آخر الخليج فقال موسى ادخلوها قالوا: الأرض وحلة نخاف أن نرسب فيها فقال اللّه: يا موسى قل اللهم بحق محمد و آله الطيبين جفّفها فقالها فأرسل اللّه عليها ريح الصَّبا فجفّت و قال موسى: ادخلوها قالوا: يا نبي اللّه نحن اثنتا عشرة قبيلة بنو اثني عشر أباً فان دخلنا رام كل فريق منا تقدم صاحبه و لا نأمن وقوع الشر بيننا فلوكان لكل فريق منا طريق على حدة لآمنّا مما نخافه فأمر اللّه موسى أن يضرب البحر بعددهم اثنتي عشرة ضربة في اثني عشر موضعاً إلى جانب ذلك و يقول اللهم بجاه محمد و آله الطيبين بيّن لنا الأرض و أمط الماء عنّا فصار فيه تمام اثني عشر طريقاً و جف قرار الأرض بريح الصبا فقال ادخلوها قالوا: كل فريق منا يدخل سكة من هذه السكك لا يدري ما يحدث على الآخرين فقال اللّه عز و جل فاضرب كل طود من الماء بين هذه السكك فضرب و قال اللهم بجاه محمد و آله الطيبين لما جعلت في هذه الماء طيقاناً واسعة يرى بعضهم بعضاً ثم دخلوها فلما بلغوا آخرها جاء فرعون و قومه فدخل بعضهم فلما دخل آخرهم و همّ بالخروج أوّلهم أمر اللّه تعالى البحر فانطبق عليهم فغرقوا و اصحاب موسى ينظرون إليهم قال اللّه عز و جل لبني إسرائيل في عهد محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم إذا كان اللّه فعل هذا كله بأسلافكم لكرامة محمد صلّى اللّه عليه و آله و دعاء موسى دعاء تقرب بهم فما تعقلون إن عليكم الايمان بمحمد و آله صلّى اللّه عليهم إذ قد شاهدتموه الآن.

وَ إِذْ واعَدْنا مُوسى و قرئ وعدنا بغير الف أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ كان موسى ابن عمران يقول لبني إسرائيل إذا فرّج اللّه عنكم و أهلك أعدائكم أتيتكم بكتاب من ربكم يشتمل على أوامره و نواهيه و مواعظه و عبره و أمثاله فلما فرّج اللّه عنهم أمره اللّه عز و جل أن يأتي للميعاد و يصوم ثلاثين يوماً فلما كان في آخر الأيام استاك قبل الفطر فأوحى اللّه عز و جل إليه يا موسى أ ما علمت أن خلوق فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك صم عشراً آخر و لا تستك عند الإفطار ففعل ذلك موسى فكان وعد اللّه عز و

جلّ أن يعطيه الكتاب بعد أربعين ليلة فأعطاه إياه فجاء السامري فشبه على مستضعفي بني إسرائيل و قال وعدكم موسى أن يرجع إليكم بعد أربعين ليلة و هذه عشرون ليلة و عشرون يوماً تمت أربعون اخطأ موسى ربه و قد أتاكم ربكم أراد أن يريكم أنه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه بنفسه و إنه لم يبعث موسى لحاجة منه إليه فأظهر لهم العجل الذي كان عمله فقالوا له فكيف يكون العجل إلهنا قال لهم إنما هذا العجل يكلمكم منه ربكم كما كلّم موسى من الشجرة فالإله في العجل كما كان في الشجرة فضلوا بذلك و أضلوا فقال موسى: يا ايها العجل أكان فيك ربنا كما يزعم هؤلاء فنطق العجل و قال عز ربنا عن أن يكون العجل حاوياً له أو شيء من الشجرة و الأمكنة عليه مشتملًا لا و اللّه يا موسى و لكن السامري نصب عجلًا مؤخّره إلى حائط و حفر في الجانب الآخر في الأرض و اجلس فيه بعض مردته فهو الذي وضع فاه على دبره و تكلم بما تكلم لما قال هذا إلهكم و إله موسى يا موسى بن عمران ما خذل هؤلاء بعبادتي و اتخاذي إلهاً الا لتهاونهم بالصلاة على محمد و آله الطيبين و جحودهم لموالاتهم و نبوة النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم و وصية الوصي قال اللّه تعالى: فإذا خذل عبدة العجل بتهاونهم بالصلاة على محمد و عليّ فما تخافون من الخذلان الأكبر في معاندتكم لهما و قد شاهدتموها و تبيّنتم آياتهما و دلائلهما.

و القمّي: إن بني إسرائيل لما ذهب موسى إلى الميقات ليأتيهم بألواح التوراة و وعدهم الرجعة بعد ثلاثين يوماً فعند ما انتهت الثلاثون يوماً و لم يرجع موسى إليهم جاءهم إبليس في صورة شيخ و قال لهم إن موسى قد هرب و لا يرجع إليكم ابداً فاجمعوا إلي حليّكم حتى اتخذ لكم إلهاً تعبدونه وكان السامري يوم أغرق اللّه فرعون و أصحابه على مقدمة موسى و هو من خيار من اختصه موسى فنظر السامري إلى جبرائيل عليه السلام و هو على مركوب في صورة رَمَكَة فكانت كلما وضعت حافرها على موضع من الأرض تحرك موضع حافرها فجعل السامري يأخذ التراب من تحت حافر رمكة جبرئيل فصرّه في صرّة و حفظه وكان يفتخر به على بني إسرائيل فلما اتخذ إبليس لهم العجل قال للسامري هات التراب الذي عندك فأتاه به فألقاه في جوف العجل فتحرك و خار و نبت له الوبر و الشعر فسجد بنو إسرائيل للعجل، وكان عدد من سجد له سبعين ألفاً.

ثُمَّ عَفَوْنا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أي عفونا عن أوائلكم عبادتهم العجل لعلكم يا أيها الكائنون في عصر محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم من بني إسرائيل تشكرون تلك النعمة على أسلافكم و عليكم بعدهم و إنما عفا اللّه عز و جل عنهم لأنهم دعوا اللّه بمحمد و آله صلّى اللّه عليهم و جددوا على أنفسهم الولاية بمحمد و علي و آلهما الطاهرين فعند ذلك رحمهم و عفا عنهم.

وَ إِذْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ و اذكروا إِذْ آتَيْنا مُوسَى التوراة المأخوذ عليكم الإيمان به و الانقياد لما يوجبه وَ الْفُرْقانَ أتيناه أيضاً فرّق ما بين الحق و الباطل و فرّق ما بين المحق و المبطل و ذلك انه لما أكرمهم اللّه بالكتاب و الايمان به أوحى اللّه إلى موسى هذا الكتاب قد أقروا به و قد بقي الْفُرْقانَ فرّق ما بين المؤمنين و الكافرين فجدد عليهم العهد به فانّي آليت على نفسي قسماً حقاً ان لا أتقبل من أحد إيماناً و لا عملًا الا به قال موسى ما هو يا رب قال اللّه يا موسى: تأخذ عليهم أن محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم خير النبيين و سيد المرسلين و ان أخاه و وصيّه عليّاً خير الوصيين و أن أولياءه الذين يقيمهم سادة الخلق و ان شيعته المنقادين له و لخلفائه نجوم الفردوس الأعلى و ملوك جنات عدن قال فأخذ عليهم موسى ذلك فمنهم من اعتقده حقاً و منهم من أعطاه بلسانه دون قلبه قال ف الْفُرْقانَ النور المبين الذي كان يلوح على جبين من آمن بمحمد و علي و عترتهما و شيعتهما و فقد من جبين من أعطى ذلك بلسانه دون قلبه لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ أي لعلكم تعلمون أن الذي يشرف العبد عند اللّه هو اعتقاد الولاية كما تشرف به أسلافكم و قيل أريد ب الْكِتابَ التوراة و ب الْفُرْقانَ المعجزات الفارقة بين المحق و المبطل في الدعوى و بالاهتداء الاهتداء بتدبّر الكتاب و التفكّر في الآيات.

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ: و اذكروا يا بني إسرائيل إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ عبدة العجل يا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أضررتم بها بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ الذي برأكم و صوركم قيل فاعزموا على التوبة و الرجوع إلى من خلقكم فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ يقتل بعضكم بعضاً يقتل من لم يعبد العجل من عبده ذلِكُمْ ذلك القتل خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ لأنه كفّارتكم فهو خير من أن تعيشوا في الدنيا ثم تكونوا في النار خالدين فَتابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قَبل توبتكم قبل استيفاء القتل لجماعتكم و قبل إتيانه على كافتكم و أمهلكم للتوبة و استبقاكم للطاعة و ذلك أن موسى لما أبطل اللّٰه على يديه أمر العجل فأنطقه بالخبر عن تمويه السامري و أمر موسى عليه السلام أن يقتل من لم يعبده من عبده تبرأ أكثرهم و قالوا لم نعبد وَ وَشى بعضهم ببعض فقال اللّٰه عزّ و جلّ لموسى عليه السلام: أبرد هذا العجل المذهب بالحديد برداً ثم ذرّه في البحر فمن شرب ماءه اسودّ شفتاه و انفه ان كان ابيض اللون و ابيضتا ان كان اسود و بان ذنبه ففعل فبان العابدون فأمر اللّٰه الاثني عشر ألفاً أن يخرجوا على الباقين شاهرين السيوف و يقتلوهم و نادى مناديه الا لعن اللّٰه احداً اتّقاهم بيد او رجل و لعن اللّٰه من تأمل المقتول لعله تبينه حميماً او قريباً فيتعداه إلى الأجنبي فاستسلم المقتولون فقال القاتلون نحن أعظم مصيبة منهم نقتل بأيدينا آباءنا و أبناءنا و إخواننا و قراباتنا و نحن لم نعبد فقد ساوى بيننا و بينهم في المصيبة فأوحى اللّٰه إلى موسى يا موسى إني إنما امتحنتهم بذلك لأنهم ما اعتزلوهم لما عبدوا العجل و لم يهجروهم و لم يعادوهم على ذلك قل لهم من دَعَا اللّٰه بمحمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم و آله الطاهرين الطيبين يسهل عليه قتل المستحقين للقتل بذنوبهم فقالوها فسهّل عليهم و لم يجدوا لقتلهم ألماً فلما استحر القتل فيهم و هم ستمائة ألف الا اثني عشر ألفاً وقف اللّٰه الذين عبدوا العجل بمثل هذا التوسل فتوسلوا بهم و استغفروا لذنوبهم فأزال اللّٰه القتل عنهم.

و القمّي إن موسى لما رجع من الميقات و قد عبد قومه العجل قال لهم بعد الغضب عليهم و العتب لهم فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ قالوا وكيف نقتل أنفسنا قال لهم ليعدكل واحد منكم إلى بيت المقدس و معه سيف أو سكين فإذا صعدت المنبر تكونوا أنتم متلثّمين لا يعرف أحدكم صاحبه فاقتلوا بعضكم بعضاً فاجتمع الذين عبدوا العجل وكانوا سبعين ألفاً فلما صلّى بهم موسى عليه السلام و صعد المنبر أقبل بعضهم يقتل بعضاً حتى نزل الوحي قل لهم يا موسى ارفعوا القتل فقد تاب اللّٰه عليكم وكان قد قتل منهم عشرة آلاف.

وَ إِذْ قُلْتُمْ قال أسلافكم: يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ أخذتهم وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ و هم ينظرون إلى الصاعقة تنزل بهم. ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ بسبب الصاعقة.

أقول: قيد البعث بالموت لأنه قد يكون عن إغماء و نوم و فيه دلالة واضحة على جواز الرجعة التي قال بها أصحابنا نقلًا عن أئمتهم و قد احتج بهذه الآية أمير المؤمنين عليه السلام على ابن الكوّا حين أنكرها كما رواه عنه الأصبغ بن نباتة. و القمّي هذا دليل على الرجعة في أمة محمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فانه قال: لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا و في أمتي مثله يعني دليل على وقوعها لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لعل أسلافكم يشكرون الحياة التي فيها يتوبون و يقلعون و إلى ربهم ينيبون لم يدم عليهم ذلك الموت فيكون إلى النار مصيرهم و هم فيها خالدون.

و في العيون: عن الرضا عليه السلام أنهم السبعون الذين اختارهم موسى و صاروا معه إلى الجبل فقالوا له إنك قد رأيت اللّٰه فأرناه كما رأيته فقال لهم: إني لم أرَهُ فقالوا له لن نؤمن لك حتى نرى اللّٰه جهرةً و يأتي تمام القصة ان شاء اللّٰه تعالى في سورة الأعراف.

و في تفسير الإمام عليه السلام أن موسى لما أراد أن يأخذ عليهم عهد الفرقان فرّق ما بين المحقين و المبطلين لمحمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم بنبوته و لعلي و الأئمة عليهم السلام بإمامتهم قالوا: لن نؤمن لك ان هذا أمر ربك حتى نرى اللّٰه عياناً يخبرنا بذلك فأخذتهم الصاعقة معاينة فقال موسى عليه السلام للباقين الذين لم

يصعقوا: أ تقبلون و تعترفون و إلا فأنتم بهؤلاء لاحقون فقالوا لا ندري ما حل بهم فان كانت انما أصابتهم لردهم عليك في أمر محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و علي عليه السلام فاسأل اللَّه ربك بمحمد و آله أن يحييهم لنسألهم لما ذا أصابهم ما أصابهم فدعا اللَّه موسى عليه السلام فأحياهم فسألوهم فقالوا: أصابنا ما أصابنا لآبائنا اعتقاد امامة عليّ بعد اعتقاد نبوة محمد لقد رأينا بعد موتنا هذا ممالك ربنا من سماواته و حجبه و عرشه وكرسيه و جنانه و نيرانه فما رأينا أنفذ أمراً في جميع الممالك و أعظم سلطاناً من محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و إنّا لما متنا بهذه الصاعقة ذهبنا إلى النيران فناداهم محمد و علي كفّوا عن هؤلاء عذابكم فإنهم يحيون بمسألة سائل سأل ربنا عز و جل بنا و بآلنا الطيبين قال اللَّه عز و جل لأهل عصر محمد فإذا كان بالدعاء بمحمد و آله الطيبين نشر ظلمة أسلافكم المصعوقين بظلمهم فإنما يجب عليكم أن لا تتعرضوا لمثل ما هلكوا به إلى أن أحياهم اللَّه.

وَ ظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الْغَمامَ لما كنتم في التيه يقيكم من حر الشمس و برد القمر وَ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ الترنجبين كان يسقط على شجرهم فيتناولونه وَ السَّلْوى السماني أطيب طير كان يسترسل بهم فيصطادونه كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ قال اللَّه تعالى:

كلوا.

و القميّ لما عبر بهم موسى البحر نزلوا في مفازة فقالوا يا موسى أهلكتنا و أخرجتنا من العمران إلى مفازة لا ظلّ فيها و لا شجر و لا ماء فكانت تجيء بالنهار غمامة تظلّهم من الشمس و تنزل عليهم بالليل المنّ فيأكلونه و بالعشي يجيء طائر مشوي فيقع على موائدهم فإذا أكلوا و شبعوا طار عنهم وكان مع موسى حجر يضعه في وسط العسكر ثم يضربه بعصاه فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً فيذهب الماء إلى كل سبط وكانوا إثنا عشر سبطاً فلما طال عليهم ملّوا و قالوا: يا مُوسى لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ وَ ما ظَلَمُونا لما بدلوا و غيروا ما به أمروا و لم يفوا بما عليه عوهدوا لأن كفر الكافر لا يقدح في سلطاننا و ممالكنا كما أن إيمان المؤمن لا يزيد في سلطاننا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ يضرون بها بكفرهم و تبديلهم.

و في الكافي عن الباقر عليه السلام في قوله عز و جل وَ ما ظَلَمُونا قال إن اللَّه أعظم و أعزّ و أجل و أمنع من أن يظلم و لكنه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه و ولايتنا ولايته حيث يقول إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا يعني الأئمة.

وَ إِذْ قُلْنَا و اذكروا يا بني إسرائيل إِذْ قُلْنَا لأسلافكم ادْخُلُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ و هي أريحا من بلاد الشام و ذلك حين خرجوا من التيه فَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً واسعاً بلا تعب وَ ادْخُلُوا الْبابَ باب القرية سُجَّداً مثّل اللَّه تعالى على الباب مثال محمد و علي و أمرهم أن يسجدوا تعظيماً لذلك و يجدّدوا على أنفسهم بيعتهما و ذكر موالاتهما و يذكروا العهد و الميثاق المأخوذين عليهم لهما وَ قُولُوا حِطَّةٌ و قولوا سجودنا للَّه تعظيماً للمثال و اعتقادنا الولاية حطة لذنوبنا و محو لسيئاتنا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ السالفة و نزيل عنكم آثامكم الماضية و قرئ بضم الياء و فتح الفاء وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ من لم يقارف منكم الذنب و ثبت على عهد الولاية ثواباً.

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ لم يسجدوا كما أُمروا و لا قالوا ما أُمروا بل دخلوها بأستاههم و قالوا ما معناه حنطة حمراء نتقوّتها أحبّ إلينا من هذا الفعل و هذا القول.

و في موضع آخر من تفسير الإمام عليه السلام وكان خلافهم أنهم لما بلغوا الباب رأوا باباً مرتفعاً قالوا ما بالنا نحتاج أن نركع عند الدخول هاهنا ظننا أنه باب متطامن لا بد من الركوع فيه و هذا باب مرتفع و إلى متى يسخر بنا هؤلاء يعنون موسى عليه السلام ثم يوشع بن نون و يسجدوننا في الأباطيل و جعلوا أستاههم نحو الباب و قالوا بدل قولهم حطّة ما معناه حنطة حمراء فذلك تبديلهم.

فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا و بدلوا ما قيل لهم و لم ينقادوا لولاية محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و علي و آلهما، قيل كرّره مبالغة في تقبيح أمرهم و اشعاراً بأن الانزال عليهم بظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه أو

بظلمهم على أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب بهلاكها رِجْزاً مِنَ السَّماءِ قيل أي عذاباً مقدّراً من السماء هو في الأصل لما يعاف عنه كالرجس بما كانُوا يَفْسُقُونَ يخرجون من أمر اللّه و طاعته و الرجز الذي أصابهم أنه مات منهم بالطاعون في بعض يوم مائة و عشرون ألفاً و هم الذين كان في علم اللّه أنهم لا يؤمنون و لا يتوبون و لم ينزل على من علم أنه يتوب أو يخرج من صلبه ذرية طيبة.

و العيّاشي عن الباقر عليه السلام قال: نزل جبرائيل بهذه الآية فَبَدَّلَ الَّذينَ ظَلَمُوا آل محمد صلّى اللّه عليهم حقّهم غَيْرَ الَّذي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذينَ ظَلَمُوا آل محمد صلّى اللّه عليهم حقهم رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بما كانُوا يَفْسُقُونَ. وَ إِذِ اسْتَسْقى و اذكروا إذ اسْتَسْقى مُوسى لِقَوْمِهِ طلب لهم السقيا لما عطشوا في التيه ضجّوا إليه بالبكاء فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً فضربه بها داعياً بمحمد و آله الطيبين فانفجرت. و في المجمع و العياشي عن الباقر عليه السلام نزلت ثلاثة أحجار من الجنة حجر مقام إبراهيم و حجر بني إسرائيل و الحجر الأسود. و في الكافي و الإكمال عنه عليه السلام إذا خرج القائم عليه السلام من مكة ينادي مناديه الا لا يحملن احد طعاماً و لا شراباً و حمل معه حجر موسى بن عمران و هو وقر بعير و لا ينزل منزلًا الا انفجرت منه عيون فمن كان جائعاً شبع و من كان ظمآناً روي و رويت دوابهم حتى ينزلوا النّجف من ظهر الكوفة. قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ كل قبيلة: من بني أب من أولاد يعقوب مَشْرَبَهُمْ و لا يزاحم الآخرين في مشربهم كُلُوا وَ اشْرَبُوا قال اللّه تعالى: كلوا و اشربوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ الذي أتاكموه قيل أي من المنّ و السلوى و الماء وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ و لا تعثوا فيها و أنتم مفسدون عاصون قيل هو من العثوّ بمعنى الاعتداء و يقرب منه العيث غير أنه يغلب على ما يدرك بالحس.

وَ إِذْ قُلْتُمْ و اذكروا إذ قال اسلافكم يا مُوسى لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ اي المنّ و السلوى و لا بدّ لنا من خلط معه فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَ قِثَّائِها وَ فُومِها في المجمع عن الباقر عليه السلام و القمّي الثوم الحنطة و قيل هو الثوم.

وَ عَدَسِها وَ بَصَلِها قالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذي هُوَ أَدْنى أ تستدعون الأدون بِالَّذي هُوَ خَيْرٌ ليكون لكم بدلًا من الأفضل اهْبِطُوا من هذه التيه مِصْراً من الأمصار فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ الجزية و الفقر وَ باؤُ بِغَضَبٍ احتملوا الغضب و اللعنة مِنَ اللَّهِ أقول: يعني و رجعوا و عليهم الغضب كما يأتي في مثله في مثل هذه السورة فالمذكور هنا محصّل المعنى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ بلا جرم منهم إليهم و لا إلى غيرهم، و قرئ النبيئين بالهمزة حيث وقع و في سائر تصاريفها اجمع ذلِكَ بما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ يتجاوزون امر اللّه إلى أمر إبليس، قيل جرّهم العصيان و الاعتداء فيه إلى الكفر بالآيات و قتل النبيين فان صغار الذنوب تؤدي إلى كبارها كما ان صغار الطاعات تؤدي إلى كبارها.

و في تفسير الامام عليه السلام عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم يا عباد اللّه فاحذروا الانهماك في المعاصي و التهاون بها فان المعاصي يستولي بها الخذلان على صاحبها حتى توقعه فيما هو أعظم منها فلا يزال يعصي و يتهاون و يخذل و يوقع فيما هو أعظم مما جنى حتى توقعه في رد ولاية وصي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم دفع نبوة نبي اللّه و لا يزال ايضاً بذلك حتى توقعه في دفع توحيد اللّه و الإلحاد في دين اللّه قيل المراد بِآياتِ اللَّهِ المعجزات و الكتب المنزلة و ما فيها من نعت نبينا صلّى اللّه عليه و آله و سلم و بقتل النبيين قتل شعيب و زكريا و يحيى و غيرهم.

و في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام انه تلا هذه الآية فقال و اللّه ما ضربوهم بأيديهم و لا قتلوهم بأسيافهم و لكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقتلوا فصار قتلًا باعتداء و معصية.

إِنَّ الَّذينَ آمَنُوا باللّه و بما فرض عليهم الايمان به وَ الَّذينَ هادُوا اليهود وَ النَّصارى الذين زعموا انهم في دين اللّه متناصرون. و في العيون عن الرضا عليه السلام انهم من قرية اسمها ناصرة من بلاد الشام نزلها مريم و عيسى بعد رجوعهما من مصر. وَ الصَّابِئِينَ الذين زعموا انهم صَبَوْا إلى دين اللّه و هم كاذبون.

أقول: صَبَوْا اي مالوا إن لم يهمز و خرجوا ان قرئ بالهمزة. و القمّي انهم ليسوا من أهل الكتاب و لكنهم يعبدون الكواكب و النجوم مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ منهم و نزع عن كفره وَ عَمِلَ صالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ في الآخرة حين يخاف الفاسقون وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ إذا حزن المخالفون.

وَ إِذْ أَخَذْنا و اذكروا إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ عهودكم ان تعملوا بما في التوراة و ما في القرآن الذي أعطيته موسى مع الكتاب و تقرّوا بما فيه من نبوة محمد صلّى اللَّه عليه و آله و وصية علي و الطيبين من ذريتهما و ان تؤدوه إلى اخلافكم قرناً بعد قرن فأبيتم قبول ذلك و استكبرتموه وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ الجبل أمرنا جبرائيل ان يقلع من جبل فُلسطين قطعة على قدر معسكر اسلافكم فرسخاً في فرسخ فقطعها و جاء بها فرفعها فوق رؤوسهم خُذُوا ما آتَيْناكُمْ قال لهم موسى اما ان تأخذوا بما أمرتم به فيه و اما ان القي عليكم هذا الجبل فالجأوا إلى قبوله كارهين الا من عصمه اللَّه من العناد فانه قبله طائعاً مختاراً ثم لما قبلوه سجدوا و عفّروا وكثير منهم عفّر خدّيه لا لارادة الخضوع للَّه و لكن نظراً إلى الجبل هل يقع أم لا بِقُوَّةٍ من قلوبكم و من أبدانكم. في المحاسن و العياشي عن الصادق عليه السلام انه سئل عن هذه الآية أ قوّة في الأبدان أم قوة في القلوب فقال: فيهما جميعاً وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ من جزيل ثوابنا على قيامكم به و شديد عقابنا على إبائكم له.

و في المجمع عن الصادق عليه السلام وَ اذْكُرُوا ما في تركه من العقوبة لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لتتقوا المخالفة الموجبة للعقاب فتستحقوا بذلك الثواب.

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ يعني تولى أسلافكم مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عن القيام به و الوفاء بما عوهدوا عليه فَلَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ بامهالكم للتوبة و إنظاركم للانابة لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ المغبونين.

وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ لما اصطادوا السّموك فيه فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ مبعدين عن كل خير. فَجَعَلْناها: اي المسخة التي أخزيناهم و لعناهم بها.

و في المجمع عن الباقر عليه السلام فَجَعَلْنا الأمة. نَكالًا لِما بَيْنَ يَدَيْها وَ ما خَلْفَها عقوبة لما بين يدي المسخة من ذنوبهم الموبقات التي استحقوا بها العقوبة و ردعاً للذين شاهدوهم بعد مسخهم و للذين يسمعون بها من بعدها لكي يرتدعوا عن مثل أفعالهم وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ و سيأتي قصتهم في سورة الأعراف إنشاء اللَّه.

وَ إِذْ قالَ مُوسى: وَ اذكروا إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً تضربون ببعضها هذا المقتول بين أظهركم ليقوم حياً سوياً بإذن اللَّه عز و جل و يخبركم بقاتله و ذلك حين القى القتيل بين أظهركم فالزم موسى أهل القبيلة بأمر اللَّه ان يحلف خمسون من أماثلهم باللَّه القوي الشديد إله بني إسرائيل مفضّل محمد و آله الطيبين على البرايا أجمعين إنّا ما قتلناه و لا علمنا له قاتلًا فان حلفوا بذلك غرموا دية المقتول و إن نكلوا نصّوا على القاتل او أقرّ القاتل فيقاد منه و إن لم يفعلوا حبسوا في محبس ضنك إلى أن يحلفوا او يقرّوا او يشهدوا على القاتل فقالوا يا نبي اللَّه أما وقت أيماننا أموالنا و لا أموالنا أيماننا قال: لا هذا حكم اللَّه وكان السبب ان امرأةً حسناء ذات جمال و خلق كامل و فضل بارع و نسب شريف و ستر ثخين كثر خطّابها وكان لها بنو أعمام ثلاثة فرضيت بأفضلهم علماً و اثخنهم ستراً و أرادت التزويج به فاشتد حسد ابني عمّه الآخرين له و غبطاهُ عليها لإيثارها إياه فعمدا إلى ابن عمها المرضي فأخذاه إلى دعوتهما ثم قتلاه و حملاه إلى محلة تشتمل على اكثر قبيلة من بني إسرائيل فألقياه بين أظهرهم ليلًا فلما أصبحوا وجدوا القتيل هناك فعرف حاله فجاء ابنا عمّه القاتلان له فمزّقا على أنفسهما و حثيا التراب على رؤوسهما و استعديا عليهم فأحضرهم موسى و سألهم فأنكروا ان يكونوا قتلوه و علموا قاتله فقال: فحكم اللَّه عز و جل على من فعل هذه الحادثة ما عرفتموه فالتزموه فقالوا يا موسى اي نفع في إيماننا إذا لم تدرأ عنّا الغرامة الثقيلة ام اي نفع في غرامتنا إذا لم تدرأ عنّا الأيمان.

فقال موسى عليه السلام: كل النّفع في طاعة اللَّه و الائتمار لأمره و الانتهاء عمّا نهى عنه فقالوا: يا نبي اللَّه غرم ثقيل و لا جناية لنا و ايمان غليظة و لا حق في رقابنا لو ان اللَّه عز و جل عرفنا قاتله بعينه وكفانا مئونته

ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا هذا القاتل لينزل به ما يستحقه من العذاب و ينكشف أمره لذوي الألباب. فقال موسى عليه السلام إن اللّٰه قد بين ما أحكم به في هذا فليس لي ان اقترح عليه غير ما حكم و لا اعترض عليه فيما أمر الا ترون أنه لما حرّم العمل في يوم السبت و حرم لحم الجمل لم يكن لنا ان نقترح عليه ان نغيّر ما حكم به علينا من ذلك بل علينا ان نسلّم حكمه و نلتزم ما ألزمناه و همّ بأن يحكم عليهم بالذي كان يحكم به على غيرهم في مثل حادثتهم فأوحى اللّٰه عز و جل إليه: يا موسى أجبهم إلى ما اقترحوا و سلني ان أُبين لهم القاتل ليقتل و يسلم غيره من التهمة و الغرامة فاني إنّما أريد بإجابتهم إلى ما اقترحوا توسعة الرزق على رجل من خيار أمتك دينه الصلاة على محمد و آله الطيبين و التفضيل لمحمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم و علي بعده على سائر البرايا و أغنيه في الدنيا في هذه القضية ليكون بعض ثوابه عن تعظيمه لمحمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فقال موسى: يا رب بيّن لنا قاتله فأوحى اللّٰه عز و جل إليه قل لبني إسرائيل إنّ اللّٰه يبيّن لكم ذلك بأن يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً فتضربوا ببعضها المقتول فيحيى أ فتسلمون لرب العالمين ذلك و الا فكفّوا عن المسألة و التزموا ظاهر حكمي فذلك ما حكى اللّٰه عز و جل وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أي سيأمركم أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً إن أردتم الوقوف على القاتل.

و القمّي عن الصادق عليه السلام أن رجلًا من خيار بني إسرائيل و علمائهم خطب امرأة منهم فأنعمت له و خطبها ابن عم لذلك الرجل وكان فاسقاً فردّته فحسد ابن عمه الذي أنعمت إليه فرصده و قتله غيلة ثم حمله إلى موسى عليه السلام فقال يا نبي اللّٰه إن هذا ابن عمّي قد قتل فقال من قتله قال: لا أدري وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جداً فعظم قتل ذلك الرجل على موسى عليه السلام فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا ما ترى يا نبيّ اللّٰه وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة وكان له ابن بار وكان عند ابنه سلعة فجاء قوم يطلبون سلعته و كان مفتاح بيته في تلك الحال تحت رأس أبيه و هو نائم فكَرِهَ ابنه أن ينبّهه و ينغّص عليه نومه فانصرف القوم و لم يشتروا سلعته فلما انتبه أبوه قال يا بني ما صنعت في سلعتك؟ قال: هي قائمة لم أبعها لأن المفتاح كان تحت رأسك فكرهت أن أزعجك من رقدتك و انغّص عليك نومك قال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عمّا فاتك من ربح سعلتك و شكر اللّٰه للابن ما فعل بأبيه فأمر اللّٰه جل جلاله موسى أن يأمر بني إسرائيل بذبح تلك البقرة بعينها ليظهر قاتل ذلك الرجل الصالح فلمّا اجتمع بنو إسرائيل إلى موسى و بكوا و ضجّوا قالَ لهم موسى إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً فتعجّبوا و قالوا: أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً نأتيك بقتيل فتقول اذبحوا بقرة قالُوا:يا موسى أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً سخرية تزعم أن اللّٰه يأمر أن نذبح بقرة و نأخذ قطعة من ميت و نضرب بها ميتاً فيحي أحد الميتين بملاقاة بعض الميت له فكيف يكون هذا و قرئ بإسكان الزاى و بغير همز قالَ موسى أَعُوذُ بِاللّٰهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ أنسب إلى اللّٰه ما لم يقل لي أُعارض أمر اللّٰه بقياسي على ما شاهدت دافعاً القول للّٰه عز و جل و أمره ثم قال موسى:أو ليس ماء الرجل نطفة ميتة و ماء المرأة كذلك ميّتان يلتقيان فيحدث اللّٰه من التقاء الميّتين بشراً حياً سوياً أو ليس بذوركم التي تزرعونها في أرضكم تتفسّخ في أرضكم و تتعفّن و هي ميتة ثم يخرج منها هذه السنابل الحسنة البهيجة و هذه الأشجار الباسقة المونقة فلما بهرهم موسى. قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ مواصفاتها لنقف عليها.

و في رواية القمّي: فعلموا أنهم قد أخطأوا قالَ إِنَّهُ يَقُولُ بعد ما سأل ربه إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ لا كبيرة وَ لا بِكْرٌ و لا صغيرة عَوانٌ وسط بَيْنَ ذلِكَ بين الفارض و البكر فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ إذا أمرتم به.

قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها أي لون هذه البقرة التي تريد أن تأمرنا بذبحها قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إنّ اللّٰه يقول إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها حسنة الصفرة ليس بناقص يضرب إلى البياض و لا بمشبع يضرب إلى السواد تَسُرُّ النَّاظِرِينَ إليها لبهجتها و حسنها و بريقها. قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ ما صفتها يزيد في صفتها إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَ إِنَّا إِنْ شاءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُونَ و في الحديث النبوي لو لم يستثنوا لما بيّنت لهم آخر الأبد.قالَ إِنَّهُ يَقُولُ

إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ لم تذلل لإثارة الأرض و لم تُرض بها وَ لا تَسْقِي الْحَرْثَ و لا هي مما تجر به الدلاء للزرع و لا تدير النواعير قد أُعفيت من ذلك أجمع مُسَلَّمَةٌ من العيوب كلها لا شِيَةَ فِيها من غيرها.

في العيون و العياشي عن الرضا عليه السلام لو عمدوا إلى أي بقرة أجزئهم و لكن شدّدوا فشدّد اللَّه عليهم، و في تفسير الامام عليه السلام فلما سمعوا هذه الصفات قالوا يا موسى أفقد أمرنا ربنا بذبح بقرة هذه صفتها قال: بلى و لم يقل موسى في الابتداء ان اللَّه قد أمركم بل قال: يَأْمُرُكُمْ لأنه لو قال إنّ اللَّه أمركم لكانوا إذ قالوا: ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها كان لا يحتاج أن يسأله ذلك عز و جل و لكن كان يجيبهم هو بأن يقول أمركم ببقرة فأي شيء وقع عليه اسم البقرة فقد خرجتم من أمره إذا ذبحتموها فلما استقرّ الأمر عليهم طلبوا هذه البقرة فلم يجدوها الا عند شاب من بني إسرائيل أراه اللَّه في منامه محمداً و علياً و طيّبي ذريتهما عليهم السلام فقالا له إنك كنت لنا محباً مفضلًا و نحن نريد أن نسوق إليك بعض جزائك في الدنيا فإذا راموا شراء بقرتك فلا تبعها الا بأمر امّك فان اللَّه يلقّنها ما يغنيك به و عقبك ففرح الغلام و جاء القوم يطلبون بقرته فقالوا بكم تبيع بقرتك هذه قال: بدينارين و الخيار لأمي قالوا رضينا بدينار فسألها فقالت بأربعة فأخبرهم فقالوا نعطيك دينارين فأخبر أمّه فقالت ثمانية فما زالوا يطلبون على النصف مما تقول أمّه و يرجع إلى أمّه فتضعف الثمن حتّى بلغ ثمنها ملأ مسك ثوراً أكثر مما يكون ملأ دنانير فأوجبت لهم البيع ثم ذبحوها قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ في رواية القمّي عرفناها هي بقرة فلان فذهبوا ليشتروها فقال لا أبيعها الا بملء جلدها ذهباً فرجعوا إلى موسى فأخبروه فقال لهم موسى لا بد لكم من ذبحها بعينها فاشتروها بملء جلدها ذهباً.

و في تفسير الإمام عليه السلام أنه بلغ خمسمائة الف دينار فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ فأرادوا أن لا يفعلوا ذلك من عظم ثمن البقرة و لكن اللّجاج حملهم على ذلك و اتّهامهم موسى حداهم عليه.

وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها اختلفتم و تدارأتم ألقى بعضكم ذنب القتل على بعض و ادّرأه عن نفسه و ذويه وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ من خبر القاتل و إرادة تكذيب موسى باقتراحكم عليه ما قدرتم أن ربه لا يجيب إليه. فَقُلْنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِها اضربوا الميت ببعض البقرة ليحيى و قولوا له من قتلك فأخذوا الذنب و ضربوه به.

و العيّاشي عن الرضا عليه السلام أن اللَّه أمرهم بذبح بقرة و إنما كانوا يحتاجون بذنبها فشدّدوا فشدّد اللَّه عليهم. و في تفسير الإمام عليه السلام أخذوا قطعة و هي عجز الذّنب الذي منه خلق ابن آدم و عليه يركب إذا أُعيد خلقاً جديداً فضربوا بها و قالوا: اللهم بجاه محمد و عليّ و آله الطيبين لمّا أحييت هذا الميت و أنطقته ليخبر عن قاتله فقام سالماً سوياً و قال: يا نبي اللَّه قتلني هذان ابنا عمّي حسداني على بنت عمي فقتلاني و القياني في محلّة هؤلاء ليأخذا ديتي فأخذ موسى الرجلين فقتلهما.

و في رواية القمي: قتلني ابن عمي فلان بن فلان الذي جاء به. كَذلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتى في الدنيا و الآخرة كما أحيى الميت بملاقاة ميت آخر له أما في الدنيا فيلاقي ماء الرجل ماء المرأة فيحيى اللَّه الذي كان في الأصلاب و الأرحام حياً و اما في الآخرة فان اللَّه عز و جل ينزّل بين نفختي الصّور بعد ما ينفخ النّفخة الأولى من دوين السماء من البحر المسجور المملوّ الذي قال اللَّه وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ و هي مني كمني الرجال فيمطر ذلك على الأرض فيلتقي الماء المنيّ مع الأموات البالية فينبتون من الأرض و يحيون وَ يُرِيكُمْ آياتِهِ سوى هذه من الدلالات على توحيده و نبوة موسى و فضل محمد و آله عليهم السلام على سائر خلق اللَّه أجمعين لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ و تتفكرون أن اللَّه الذي يفعل هذه العجائب لا يأمر الخلق الا بالحكمة و لا يختار محمداً و آله عليهم السلام الا لأنهم أفضل أولي الألباب و قيل لكي يكمل عقلكم و تعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلها. و في تفسير الامام عليه السلام أن المقتول المنشور توسل إلى اللَّه سبحانه بمحمد و آله أن يبقيه في الدنيا متمتعاً بابنة عمه و يخزي أعداءه و يرزقه رزقاً كثيراً طيباً فوهبه اللَّه له سبعين سنة بعد أن كان قد مضى عليه ستون سنة قبل قتله صحيحة حواسّه فيها قوية شهواته فتمتع بحلال الدنيا و عاش لم يفارقها و لم تفارقه و ماتا جميعاً معاً و صارا إلى الجنة وكانا زوجين فيها ناعمين و ان أصحاب

البقرة ضجوا إلى موسى و قالوا افتقرت القبيلة و انسلخنا بلجاجنا عن قليلنا وكثيرنا فأرشدهم موسى عليه السلام إلى التوسّل بنبيّنا و آله عليهم السلام فأوحى اللَّه إليه ليذهب رؤساؤهم إلى خربة بني فلان و يكشفوا عن موضع كذا و يستخرجوا ما هناك فانه عشرة آلاف الف دينار ليردّوا على كل من دفع في ثمن هذه البقرة ما دفع لتعود أحوالهم على ما كانت ثم ليتقاسموا بعد ذلك ما يفضل و هو خمسة آلاف الف دينار على قدر ما دفع كل واحد منهم في هذه المحنة كذا في نسخة من تفسير الامام عليه السلام ليتضاعف أموالهم جزاءً على توسلهم بمحمد و آله عليهم السلام و اعتقادهم لتفضيلهم.

ثُمَّ قَسَتْ: غلظت و جفّت و يبست من الخير و الرحمة قُلُوبُكُمْ معاشر اليهود مِنْ بَعْد ذلِكَ من بعد ما تبيّنت الآيات الباهرات في زمن موسى و المعجزات التي شاهدتموها من محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فَهِيَ كَالْحِجارَةِ اليابسة لا يترشح برطوبة و لا ينتفض منها ما ينتفع به اي انّكم لا حق اللَّه تؤدّون و لا من أموالكم و لا من مواشيها تتصدّقون و لا بالمعروف تتكرمون و تجودون و لا الضيف تقرون و لا مكروباً تغيثون و لا بشيء من الإنسانية تعاشرون و تعاملون أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً أبهم على السامعين اولًا ثم بيّن ثانياً ان قلوبهم أشد قسوة من الحجارة بقوله: وَ إِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ فيجيء بالخير و النبات لبني آدم وَ إِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ و هو ما يقطر منه الماء دون الأنهار و قلوبكم لا يجيء منها الكثير من الخير و لا القليل وَ إِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ إذا اقسم عليها باسم اللَّه و بأسماء أوليائه محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين و الطّيبين من آلهم وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ بل عالم بها يجازيكم بالعدل و قرئ بالياء.

أَ فَتَطْمَعُونَ يا محمد انت و أصحابك و قرئ بالياء أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ هؤلاء اليهود و يصدّقوكم بقلوبهم وَ قَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ طائفة من أسلافهم يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ في اصل جبل طور سيناء و أوامره و نواهيه ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ عمّا سمعوه إذ أدّوه إلى من ورائهم من سائر بني إسرائيل مِنْ بَعْد ما عَقَلُوهُ فهموه بعقولهم وَ هُمْ يَعْلَمُونَ انهم في تقوّلهم كاذبون قيل معنى الآية ان أخيار هؤلاء و مقدّميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم و جهّالهم. وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا كسلمان و أبي ذر و مقداد قالُوا آمَنَّا كإيمانكم و اخبروهم بما بين اللَّه لهم من الدلالات على نعت محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم وَ إِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قالُوا اي كبراؤهم اي شيء صنعتم أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ من الدلالات الواضحة على صدقه لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ بأنكم قد علمتم هذا و شاهدتموه فلم لم تؤمنوا به و لم تطيعوه و قد رأوا بجهلهم انهم إن لم يخبروهم بتلك الآيات لم يكن لهم عليهم حجّة في غيرها أَ فَلا تَعْقِلُونَ إنّ هذا الذي تخبرونهم به حجة عليكم عند ربكم.

أَ وَ لا يَعْلَمُونَ: هؤلاء القائلون لإخوانهم تُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ من عداوة محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و ان إظهارهم الايمان به أمكن لهم من اصطلامه و إبادة أصحابه وَ ما يُعْلِنُونَ من الايمان به ظاهراً ليؤنسوهم و يقفوا به على أسرارهم و يذيعوها بحضرة من يضرّهم.

وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يقرءون الكتاب و لا يكتبون و الأمّي منسوب إلى الام اي هو كما خرج من بطن امه لا يقرأ و لا يكتب لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ المنزل من السماء و لا المكذّب به لا يميزون بينهما إِلَّا أَمانِيَّ الا ان يقرأ عليهم و يقال لهم هذا كتاب اللَّه وكلامه لا يعرفون ان ما قرئ من الكتاب خلاف ما فيه.

أقول: هو استثناء منقطع يعني الا ما يقدرونه في أنفسهم من منى أخذوها تقليداً من المحرفين للتوراة و اعتقدوها و لم يعرفوا انه خلاف ما في التوراة وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ما يقلّدونه من رؤسائهم مع انه محرم عليهم تقليدهم.

قال عليه السلام: قال رجل للصادق عليه السلام فإذا كان هؤلاء العوام من اليهود لا يعرفون الكتاب الا بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره فكيف ذمّهم بتقليدهم و القبول من علمائهم و هل عوام اليهود الا كعوامنا يقلّدون علمائهم فان لم يجز لأولئك القبول من علمائهم لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم فقال عليه السلام بين عوامنا و علمائنا و بين عوام اليهود و علمائهم فرق من جهة و تسوية من جهة أما من حيث استووا

فان اللّه قد ذم عوامنا بتقليدهم علماءهم كما قد ذم عوامهم و أما من حيث افترقوا فلا، قال بيّن لي ذلك يا بن رسول اللّه قال انّ عوام اليهود كانوا قد عرفوا علمائهم بالكذب الصريح و بأكل الحرام و الرّشا و بتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات و العنايات و المصانعات و عرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم و إنهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه و اعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من اموال غيرهم و ظلموهم من أجلهم و عرفوهم يقارفون المحرّمات و اضطروا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز ان يصدق على اللّه و لا على الوسائط بين الخلق و بين اللّه فلذلك ذمّهم لما قلّدوا من قد عرفوا و من قد علموا أنه لا يجوز قبول خبره و لا تصديقه في حكايته و لا العمل بما يؤديه إليهم عمّن لم يشاهدوه و وجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذ كانت دلائله أوضح من أن يخفى و أشهر من أن لا يظهر لهم وكذلك عوام أمّتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر و العصبية الشديدة و التّكالب على حطام الدنيا و حرامها و إهلاك من يتعصبون عليه و إن كان لإصلاح أمره مستحقاً و بالترفق بالبر و الإحسان على من تعصبوا له و إن كان للاذلال و الإهانة مستحقاً فمن قلّد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمّهم اللّه بالتقليد لفسقه فقهائهم فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه، و ذلك لا يكون الا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم فان من يركب من القبائح و الفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئاً و لا كرامة لهم.

فَوَيْلٌ: شدّة من العذاب في أسوء بقاع جهنّم لِلَّذينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْديهِمْ يحرّفون من أحكام التوراة ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ و ذلك أنّهم كتبوا صفة زعموا أنه صفة النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم و هو خلاف صفته و قالوا للمستضعفين هذه صفة النبي المبعوث في آخر الزمان إنه طويل عظيم البدن و البطن أصهب الشعر و محمد صلّى اللّه عليه و آله بخلافه و أنه يجيء بعد هذا الزمان بخمسمائة سنة لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا لتبقى لهم على ضعفائهم رئاستهم و لهم منهم إصاباتهم و يكفوا أنفسهم مؤنة خدمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْديهِمْ يعني المحرّف وَ وَيْلٌ لَهُمْ شدّة من العذاب ثانية مضافة إلى الأولى مِمَّا يَكْسِبُونَ من الأموال التي يأخذونها إذا ثبتوا عوامهم على الكفر.

وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً لمّا قال لهم ذووا أرحامهم لم تفعلون هذا النفاق الذي تعلمون أنكم به عند اللّه مسخوط عليكم معذّبون أجابهم هؤلاء اليهود بأن مدة العذاب الذي نعذب به لهذه الذنوب أيام معدودة و هي التي عبدنا فيها العجل و هي تنقضي ثم نصير بعده في النعمة في الجنان و لا نستعجل المكروه في الدنيا للعذاب الذي هو بقدر أيام ذنوبنا فإنها تفنى و تنقضي و نكون قد حصلنا لذات الحرية من الخدمة و لذات نعمة الدنيا ثم لا نبالي بما يصيبنا بعد فانه إذا لم يكن دائماً فكأنه قد فنى قُلْ يا محمد أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْداً ان عذابكم على كفركم منقطع غير دائم فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ يعني أَتَّخَذْتُمْ عَهْداً أَمْ تَقُولُونَ بل أنتم في أيهما ادّعيتم كاذبون بل ما هو الا عذاب دائم لا نفاذ له.

بَلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ و قرئ خطيئاته بالجمع، قيل أي استولت عليه و شملت جملة أحواله حتى صاركالمحاط بها لا يخرج عنها شيء من جوانبه.

و في تفسير الامام عليه السلام السيئة المحيطة به أن تخرجه عن جملة دين اللّه و تنزعه عن ولاية اللّه و تؤمنه من سخط اللّه و هي الشرك باللّه و الكفر به و بنبوّة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و ولاية علي عليه السلام و خلفائه وكل واحدة من خلفاء محمد او على اى الائمة هذه سيئة تحيط به أي تحيط بأعماله فتبطلها و تمحقها، قيل و تحقيق ذلك أنّ من أذنب ذنباً و لم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله و الانهماك فيه و ارتكاب ما هو أكبر منه حتّى تستولي عليه الذنوب و تأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلًا إلى المعاصي مستحسناً إياها معتقداً أن لا لذة سواها مبغضاً لمن يمنعه عنها مكذباً لمن ينصحه فيها كما قال اللّه تعالى ثُمَّ

كانَ عاقِبَةَ الَّذينَ أَساؤُا السُّواى أَنْ كَذَّبُوا بِآيات اللَّهِ فَأُولئِكَ عاملوا هذه السيئة المحيطة أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ لأن نيّاتهم في الدنيا ان لو خلّدوا فيها أن يعصوا اللّه أبداً فبالنيّات خلّدوا كذا في الكافي عن الصادق عليه السلام. و في التوحيد عن الكاظم عليه السلام لا يخلّد اللّه في النار إلا أهل الكفر و الجحود و أهل الضّلال و الشّرك. و في الكافي عن أحدهما عليهما السلام قال: إذا جحدوا إمامة أمير المؤمنين عليه السلام فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ.

وَ الَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحات أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ.

وَ إِذْ أَخَذْنا وَ اذكروا إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ عهدهم المؤكّد عليهم.

أقول: و هو جار في أخلافهم لمّا أدّى إليهم أسلافهم قرناً بعد قرن و جار في هذه الامة أيضاً كما يأتي بيانه في ذي القربى لا تَعْبُدُونَ و قرئ بالياء إِلَّا اللَّهَ لا تشبّهوهُ بخلقه و لا تجوروا في حكمه و لا تعملوا ما يراد به وجهه تريدون به وجه غيره، قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: من شغلته عبادة اللّه عن مسألته أعطاه أفضل ما يعطي السائلين.

و قال الصادق عليه السلام: ما أنعم اللّه على عبد أجلّ من أن لا يكون في قلبه مع اللّه غيره وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً و أن تحسنوا بهما إحساناً مكافأةً عن إنعامهما عليهم و إحسانهما إليهم و احتمال المكروه الغليظ فيهم لترفيههم. و في الكافي سئل الصادق عليه السلام ما هذا الإحسان قال: أن تحسن صحبتهما و أن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه و إن كانا مستغنيين أ ليس اللّه يقول: (لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ). و في تفسير الامام عليه السلام قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أفضل والديكم و أحقهما بشكركم محمد (ص) و علي عليه السلام و قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: أنا و عليّ أبوا هذه الامة و لحقّنا عليهم أعظم من حق أبوي ولادتهم فانّا ننقذهم ان أطاعونا من النار إلى دار القرار و نلحقهم من العبودية بخيار الأحرار.

أقول: و لهذه الأبوة صار المؤمنون أخوة كما قال اللّه عز و جل إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ وَ ذِي الْقُرْبى و أن تحسنوا بقراباتهما لكرامتهما و قال أيضاً: هم قراباتك من أبيك و أمك قيل لك اعرف حقّهم كما أخذ العهد به على بني إسرائيل و أخذ عليكم معاشر أمة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم بمعرفة حق قرابات محمد الذين هم الأئمة بعده و من يليهم بعد من خيار أهل دينهم، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من رعى حق قرابات أبويه أُعطي في الجنة ألف ألف درجة ثم فسّر الدّرجات ثم قال و من رعى حق قربى محمد و عليّ أوتي من فضائل الدّرجات و زيادة المثوبات على قدر زيادة فضل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و علي عليه السلام على أبوي نسبه وَ الْيَتامى الذين فقدوا آباءهم الكافين لهم أمورهم السائقين إليهم قوتهم و غذائهم المصلحين لهم معاشهم قال عليه السلام: و أشد من يتم هذا اليتيم من يتم عن إمامه و لا يقدر على الوصول إليه و لا يدري كيف حكمه فيما يبتلي به من شرائع دينه الا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا و هذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ألا فمن هداه و أرشده و علّمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى حدّثني بذلك أبي عن آبائه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم وَ الْمَساكِينِ هو من سكن الضرّ و الفقر حركته قال: ألا فمن واساهم بحواشي ماله وسّع اللّه عليه جنانه و أنا له غفرانه و رضوانه ثم قال عليه السلام: إن من محبّي محمد مساكين مواساتهم أفضل من مواساة مساكين الفقر و هم الذين سكنت جوارحهم و ضعفت قواهم عن مقاتلة أعداء اللّه الذين يعيّرونهم بدينهم و يسفّهون أحلامهم ألا فمن قوّاهم بفقهه و علمه حتى أزال مسكنتهم ثم سلّطهم على الأعداء الظاهرين من النواصب و على الأعداء الباطنين إبليس و مردته حتى يهزمونهم عن دين اللّه و يذودوهم عن أولياء رسول اللّه حوّل اللّه تعالى تلك المسكنة إلى شياطينهم و أعجزهم عن إضلالهم قضى اللّه بذلك قضاء حقاً على لسان رسول اللّه وَ قُولُوا لِلنَّاسِ الذين لا مؤنة لهم عليكم حُسْناً و قرئ بفتحتين عاملوهم بخلق جميل، قال: قال الصادق عليه السلام: قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً كلهم

مؤمنهم و مخالفهم أما المؤمنون فيبسط لهم وجهه و بشره و أما المخالفون فيكلمهم بالمداراة لاجتذابهم إلى الإيمان فان ييأس من ذلك يكف شرورهم عن نفسه و إخوانه المؤمنين ثم قال عليه السلام:
إن مداراة أعداء اللَّه من أفضل صدقة المرء على نفسه و إخوانه وكان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم في منزله إذ استأذن عليه عبد اللَّه بن أبي بن سلول فقال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم بئس أخو العشيرة ائذنوا له فلما دخل أجلسه و بشر في وجهه فلمّا خرج قالت عائشة: يا رسول اللَّه «ص» قلت فيه ما قلت و فعلت فيه من البشر ما فعلت فقال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم:
يا عويش يا حميراء إن شرّ الناس عند اللَّه يوم القيامة من يكرم اتقاء شرّه.
و في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً أحسن ما تحبون أن يقال لكم فان اللَّه يبغض اللعان السبّاب الطعّان على المؤمنين المتفحش السائل الملحف و يحب الحيّي الحليم الضعيف المتعفف.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام لا تقولوا الا خيراً حتى تعلموا ما هو.
و فيه و في التهذيب و الخصال عنه عليه السلام و العياشي عن الباقر عليه السلام أنها نزلت في أهل الذمّة ثم نسخها قوله تعالى: قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ.
و القمّي: نزلت في اليهود ثم نسخت بقوله تعالى: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.
أقول: إن قيل فما وجه التوفيق بين نسخها و بقاء حكمها قلنا إنما نسخت في حق اليهود و أهل الذمة المأمور بقتالهم و بقي حكمها في سائر الناس وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ بإتمام ركوعها و سجودها و حفظ مواقيتها و أداء حقوقها التي إذا لم تؤد لم يتقبلها رب الخلائق أ تدرون ما تلك الحقوق هو إتباعها بالصلاة على محمد و علي و آلهما منطوياً على الاعتقاد بأنهم أفضل خيرة اللَّه و القوّام بحقوق اللَّه و النصّار لدين اللَّه، قال عليه السلام: وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ على محمد و آله عند أحوال غضبكم و رضاكم و شدّتكم و رخاكم و همومكم المعلّقة بقلوبكم وَ آتُوا الزَّكاةَ من المال و الجاه و قوّة البدن ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ أيها اليهود من الوفاء بالعهد الذي أداه إليكم أسلافكم إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ عن ذلك العهد تاركين له غافلين عنه.
وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ و اذكروا يا بني إسرائيل حين أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ على أسلافكم و على كل من يصل إليه الخبر بذلك من أخلافكم الذين أنتم فيهم لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ و لا يسفك بعضكم دماء بعض وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ لا يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ بذلك الميثاق كما أقرّ به أسلافكم و التزمتموه كما التزموه وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ بذلك على أسلافكم و أنفسكم.
ثُمَّ أَنْتُمْ معاشر اليهود هؤُلاءِ قيل هو خبر أنتم على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقصون كقولك انت ذلك الرجل الذي فعل كذا استبعاداً لما ارتكبوه بعد الميثاق و الإقرار به و الشهادة عليه تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ يقتل بعضكم بعضاً وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ غضباً و قهراً عليهم تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ تظاهر بعضكم بعضاً على إخراج من تخرجونه من ديارهم و قتل من تقتلونه منهم بغير حق و قرئ بتشديد الظاء و التظاهر التّعاون بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ بالتعدي تتعاونون و تتظاهرون وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ يعني هؤلاء الذين تخرجونهم أي ترومون إخراجهم و قتلهم ظلماً أن يأتوكم أُسارى قد أسرهم أعداؤكم و أعداؤهم و قرئ أسرى تُفادُوهُمْ من الأعداء بأموالكم و قرئ تفدوهم بفتح التاء بغير الف وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أعاد قوله إِخْراجُهُمْ لئلا يتوهم ان المحرم إنما هو مفاداتهم أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ و هو الذي أوجب عليكم المفاداة وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ و هو الذي حرّم عليكم قتلهم و إخراجهم فإذا كان قد حرم الكتاب قتل النفوس و الإخراج من الديار كما فرض فداء الأسرى فما بالكم تطيعون في بعض و تعصون في بعض كأنكم ببعض مؤمنون فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ معاشر اليهود إِلَّا خِزْيٌ ذلّ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا جزية تضرب عليه و يذلّ بها وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ

الْعَذابِ إلى جنس أشد العذاب يتفاوت ذلك على قدر تفاوت معاصيهم وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ يعمل هؤلاء اليهود و قرئ بالياء.
أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ و رضوا بالدنيا و حطامها بدلًا من نعيم الجنان المستحق بطاعات اللَّه فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لاَ هُمْ يُنْصَرُونَ و لا ينصرهم أحد يدفع عنهم العذاب قال عليه السلام: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم: لما نزلت الآية في اليهود أي الذين نقضوا عهد اللَّه وكذبوا رسل اللَّه و قتلوا اولياء اللَّه أ فلا انبّئكم بمن يضاهيهم من يهود هذه الامة قالوا بلى يا رسول اللَّه قال قوم من أمّتي ينتحلون بأنهم من أهل ملّتي يقتلون أفاضل ذريتي و أطايب أرومتي و يبدّلون شريعتي و سنّتي و يقتلون ولديّ الحسن و الحسين كما قتل أسلاف اليهود زكريا و يحيى ألا و ان اللَّه يلعنهم كما لعنهم و يبعث على بقايا ذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهدياً من ولد الحسين المظلوم يحرفهم بسيوف أوليائه إلى نار جهنم.
و القمّي أنها نزلت في أبي ذرّ «ره» و فيما فعل به عثمان بن عفان وكان سبب ذلك أنه لما امر عثمان بنفي أبي ذرّ «ره» إلى الرّبذة دخل عليه ابو ذرّ وكان عليلًا و هو متّكئ على عصاه و بين يدي عثمان مائة الف درهم أتته من بعض النواحي و أصحابه حوله ينظرون إليه و يطمعون ان يقسّمها فيهم فقال ابو ذر لعثمان: ما هذا المال؟ فقال: حمل إلينا من بعض الأعمال مائة الف درهم أُريد أن اضم إليها مثلها ثم ارى فيها رأيي. قال ابو ذرّ: يا عثمان أيّما اكثر مائة الف درهم ام اربعة دنانير؟ قال عثمان: بل مائة الف درهم فقال: اما تذكر إذ أنا و انت دخلنا على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم عشاء فوجدناه كئيباً حزيناً فسلمنا عليه و لم يرد علينا السلام فلما أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكاً مستبشراً فقلت له بأبي أنت و أمي دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيباً حزيناً و عدنا إليك اليوم فرأيناك ضاحكاً مستبشراً فقال: نعم كان قد بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسّمتها و خفت ان يدركني الموت و هي عندي و قد قسّمتها اليوم فاسترحت. و نظر عثمان إلى كعب الأحبار فقال له: يا أبا اسحق ما تقول في رجل أدّى زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيها بعد ذلك فقال: لا و لو اتّخذ لبنة من ذهب و لبنة من فضة ما وجب عليه شيء فرفع ابو ذرّ عصاه فضرب بها رأس كعب و قال: يا بن اليهودية المشركة ما انت و النظر في احكام المسلمين قول اللَّه عز و جل اصدق من قولك حيث قال: الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ إلى قوله فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ قال عثمان: يا أبا ذرّ إنك شيخ قد خرفت و ذهب عقلك و لو لا صحبتك لرسول اللَّه لقتلتك. فقال: كذبت يا عثمان ويلك اخبرني حبيبي رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فقال: لا يفتنونك يا أبا ذرّ و لا يقتلونك اما عقلي فقد بقي منه ما اذكرني حديثاً سمعته من رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم قاله فيك و في قومك قال: و ما سمعت من رسول اللَّه فيّ و في قومي قال سمعته يقول:
و هو قوله صلّى اللَّه عليه و آله و سلم إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلًا صيّروا مال اللَّه دولًا وكتاب اللَّه دَغَلًا و عباد اللَّه خولًا و الصّالحين حرباً و الفاسقين حزباً. قال عثمان: يا معشر اصحاب محمد هل سمع احد منكم هذا الحديث من رسول اللَّه؟ قالوا: لا ما سمعنا هذا من رسول اللَّه فقال عثمان ادعوا علياً عليه السلام فجاءه امير المؤمنين فقال له عثمان: با أبا الحسن اسمع ما يقول هذا الشيخ الكذّاب فقال أمير المؤمنين: مَه يا عثمان لا تقل كذّاب فإنّي سمعت رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله يقول: ما أظلّت الخضراء و لا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ قال أصحاب رسول اللَّه: صدق علي سمعنا هذا القول من رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله فعند ذلك بكى أبو ذرّ و قال ويلكم كلكم قد مد عنقه إلى هذا المال ظننتم إني أكذب على رسول اللَّه. ثم نظر إليهم فقال من خيركم فقالوا: انت تقول إنّك خيرنا قال: نعم خلفت حبيبي رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم في هذه الجبّة و هي علي بعد و أنتم قد أحدثتم احداثاً كثيرة و اللَّه سائلكم عن ذلك و لا يسألني فقال عثمان: يا أبا ذرّ أسألك بحق رسول اللَّه إلا ما أخبرتني عما أنا سائلك عنه فقال أبو ذر: و اللَّه لو لم تسألني بحق رسول اللَّه أيضاً لأخبرتك فقال: أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها؟ فقال مكة حرم اللَّه و

حرم رسوله أعبد اللّٰه فيها حتى يأتيني الموت فقال لا و لا كرامة لك قال المدينة حرم رسول اللّٰه فقال لا و لا كرامة لك قال:
فسكت أبو ذر. فقال أي البلاد أبغض إليك أن تكون بها قال الرّبذة التي كنت بها على غير دين الإسلام. فقال عثمان سر إليها فقال أبو ذرّ: قد سألتني فصدقتك و أنا أسألك فأصدقني قال نعم قال أخبرني لو أنّك بعثتني فيمن بعثت من أصحابك إلى المشركين فأسروني و قالوا لا نفديه إلا بثلث ما تملك قال:
كنت أفديك قال فان قالوا لا نفديه إلا بنصف ما تملك قال: كنت أفديك قال: فان قالوا لا نفديه إلا بكل ما تملك قال: كنت أفديك فقال أبو ذر: اللّٰه أكبر قال لي حبيبي رسول اللّٰه يوماً: يا أبا ذر كيف انت إذا قيل لك أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها فتقول مكة حرم اللّٰه و حرم رسوله أعبد اللّٰه فيها حتى يأتيني الموت فيقال لا و لا كرامة لك فتقول فالمدينة حرم رسول اللّٰه فيقال: لا و لا كرامة لك ثم يقال لك فأيّ البلاد أبغض إليك أن تكون فيها فتقول الرّبذة التي كنت فيها على غير دين الإسلام فيقال لك سر إليها فقلت: و إن هذا لكائن يا رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فقال: إي و الذي نفسي بيده انه لكائن فقلت يا رسول اللّٰه أفلا أضع سيفي على عاتقي فأضرب به قدماً قدماً، قال: لا اسمع و اسكت و لو لعبد حبشي و قد أنزل اللّٰه تعالى فيك و في عثمان خصمك آية فقلت: و ما هي يا رسول اللّٰه فقال قول اللّٰه تعالى: و تلا هذه الآية.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام في حديث وجوه الكفر في القرآن قال: الرابع من الكفر ترك ما أمر اللّٰه و هو قول اللّٰه عز و جل و تلا هذه الآية فقال فكفّرهم بترك ما أمر اللّٰه و نسبهم إلى الإيمان و لم يقبله منهم و لم ينفعهم عنده.
وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ: التوراة المشتملة على أحكامنا و على ذكر فضل محمد صلّى اللّٰه عليه و آله و أهل بيته و إمامة علي عليه السلام و خلفائه بعده و شرف أحوال المسلمين له و سوء أحوال المنافقين عليه وَ قَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ جعلنا رسولًا في إثر رسول وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ أعطيناه الآيات الواضحات كإحياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص و الانباء بما يأكلون و ما يدّخرون في بيوتهم وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ و قرئ مخففاً و هو جبرائيل و ذلك حين رفعه من روزنة بيته إلى السماء و القى شبهه على من رام قتله فقتل بدلًا منه و قيل هو المسيح. أقول: و في رواية أخرى أنه القى شبهة على رجل من خواصه إثر حياته على حياة نفسه كما يأتي. و القمّي عن الباقر عليه السلام القى شبهة على رجل من خواصه ليقتل فيكون معه في درجته كما يأتي في سورة آل عمران ان شاء اللّٰه. أَ فَكُلَّما جاءَكُمْ أيها اليهود رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ أخذ عهودكم و مواثيقكم بما لا تحبّون من اتباع النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم و بذل الطاعة لأولياء اللّٰه اسْتَكْبَرْتُمْ على الإيمان و الاتباع فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ كموسى و عيسى وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ قتل أسلافكم زكريا و يحيى و أنتم رمتم قتل محمد و علي عليهما السلام فخيب اللّٰه سعيكم وردكيدكم في نحوركم فمعنى تَقْتُلُونَ قتلتم كما تقول لمن توبّخه ويلك لم تكذب و لا تريد ما يفعله بعد و إنما تريد لم فعلت و انت عليه موطّن ثم قال عليه السلام: و لقد رامت الفجرة الكفرة ليلة العقبة قتل رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم على العقبة و رام من بقي من مردة المنافقين بالمدينة قتل علي بن أبي طالب صلوات اللّٰه عليه فما قدروا على مغالبة ربهم حملهم على ذلك حسدهم لرسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم في علي لما فخّم أمره و عظم شأنه ثم ذكر القصة بطولها و سيأتي ذكر ملخصها من طريق آخر من المجمع في سورة التوبة ان شاء اللّٰه.
و العياشي عن الباقر عليه السلام قال: ضرب اللّٰه مثلًا لأمة محمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فقال لهم: فان جاءَكُمْ محمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم بما لا تَهْوى أَنْفُسُكُمُ بموالاة علي اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً من آل محمد صلّى اللّٰه عليه و آله كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ، قال: فذلك تفسيرها في الباطن.
وَ قالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ: أي أوعية للخير و العلوم قد أحاطت بها و اشتملت عليها ثم هي مع ذلك لا نعرف لك يا محمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فضلًا مذكوراً في شيء من كتب اللّٰه و لا على لسان احد من أنبياء اللّٰه فرد

اللّه عليهم بقوله: بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ أبعدهم من الخير فَقَلِيلًا ما يُؤْمِنُونَ يعني فإيماناً قليلًا يؤمنون ببعض ما أنزل اللّه و يكفرون ببعض قال عليه السلام: و إذا قرئ غلف فإنهم قالُوا قُلُوبُنا في غطاء فلا نفهم كلامك و حديثك كما قال اللّه تعالى وَ قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَ فِي آذانِنا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ، قال: وكلتا القراءتين حق و قد قالوا بهذا و هذا جميعاً.

وَ لَمَّا جاءَهُمْ يعني اليهود كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ القرآن مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ من التوراة التي بيّن فيها أن محمداً الأميّ من ولد إسماعيل المؤيّد بخير خلق اللّه بعده علي ولي اللّه وَكانُوا مِنْ قَبْلُ ان ظهر محمد بالرسالة يَسْتَفْتِحُونَ يسألون اللّه الفتح و الظفر عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا من أعدائهم وكان اللّه يفتح لهم و ينصرهم فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا من نعت محمد و صفته كَفَرُوا بِهِ جحدوا نبوّته حسداً له و بغياً عليه فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ. في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام أنه قال: في هذه الآية كانت اليهود تجد في كتبها أن مهاجر محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم ما بين عَيْر و أُحُد فَخَرَجُوا يطلبون الموضع فمروا بجبل يسمى جُبَيْل و بجبل يسمى حِدَاد فقالوا حداد و احد سواء فتفرّقوا عنده فنزل بعضهم بتيماء و بعضهم بفدك و بعضهم بخيبر فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم فمرّ بهم أعرابي من قيس فتكاروا منه، و قال: أمر بكم ما بين عَيْر و أُحُد فقالوا له إذا مررت بهما فآذنا بهما فلما توسط بهم ارض المدينة قال لهم ذلك عَيْر و هذا أُحُد فنزلوا عن ظهر إبله و قالوا قد أصبنا بغيتنا فلا حاجة لنا في إبلك فاذهب حيث شئت وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك و خيبر أنّا قد أصبنا الموضع فهلمّوا إلينا فكتبوا إليهم أنا قد استقرت بنا الدار و اتخذنا الأموال و ما أقربنا منكم فلما كان ذلك فما أسرعنا إليكم فاتخذوا بأرض المدينة الأموال فلما كثرت أموالهم بلغ تبّع فغزاهم فتحصّنوا منه فحاصرهم وكانوا يرقون لضعفاء أصحاب تبّع فيلقون إليهم بالليل التمر و الشعير فبلغ ذلك تبّع فرقّ لهم و أمنهم فنزلوا إليه فقال لهم: إني قد استطبت بلادكم و لا أراني إلّا مقيماً فيكم فقالوا له إن ذاك ليس لك إنها مهاجر نبي و ليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك فقال لهم إني مخلّف فيكم من أسرتي من إذا كان ذلك ساعده و نصره فخلّف حيّين الأوس و الخزرج فلمّا كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود وكانت اليهود تقول لهم: أما لو قد بعث اللّه فيكم محمداً لنخرجَنكم من ديارنا و أموالنا فلما بعث اللّه محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود و هو قول اللّه عزّ و جلّ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ. و في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال كان قوم فيما بين محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و عيسى وكانوا يتوعدون أهل الأصنام بالنبي و يقولون ليخرجن النبي فليكسرن أصنامكم و ليفعلن بكم كذا فلما خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم كفروا به. و القمّي كانت اليهود يقولون للعرب قبل مجيء النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم: أيها العرب هذا أوان نبي يخرج من مكة وكانت مهاجرته بالمدينة و هو آخر الأنبياء و أفضلهم في عينيه حمرة و بين كتفيه خاتم النبوة يلبس الشّملة و يجتزئ بالكِسرة و التّميرات و يركب الحمار العري و هو الضحوك القتال يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى يبلغ سلطانه منقطع الخف و الحافر لنقتلنّكم به يا معشر العرب قتل عاد فلما بعث اللّه نبيّه بهذه الصفة حسدوه وكفروا به كما قال اللّه وَكانُوا مِنْ قَبْلُ، الآية.

و في تفسير الامام عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام: ان اللّه تعالى أخبر رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم بما كان من إيمان اليهود بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قبل ظهوره و من استفتاحهم على أعدائهم بذكره و الصلاة عليه و آله، قال وكان اللّه عز و جل أمر اليهود في ايام موسى و بعده إذا دهمهم أمر او دهتهم داهية أن يدعوا اللّه عز و جل بمحمد و آله الطيّبين و ان يستنصروا بهم، وكانوا يفعلون ذلك حتى كانت اليهود من أهل المدينة قبل ظهور محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم بسنين كثيرة يفعلون ذلك فيُكفونَ البلاءَ و الدهماء و الداهية وكانت اليهود قبل ظهور محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم بعشر سنين يعاديهم اسد و غطفان و قوم من المشركين و يقصدون أذاهم فكانوا يستدفعون شرورهم و بلاءهم بسؤالهم ربهم بمحمد و آله

الطيبين حتى قصدهم في بعض الأوقات اسد و غطفان في ثلاثة آلاف فارس إلى بعض قرى اليهود حوالي المدينة فتلقاهم اليهود و هم ثلاثمائة فارس و دعوا اللّه بمحمد و آله فهزموهم و قطّعوهم و قال اسد و غطفان بعضهم لبعض تعالوا نستعين عليهم بسائر القبائل فاستعانوا عليهم بالقبائل فأكثروا حتى اجتمعوا على قدر ثلاثين ألفاً و قصدوا هؤلاء الثلاثمائة في قريتهم فألجؤوها إلى بيوتها و قطعوا عنها المياه الجارية التي كانت تدخل إلى قرّاهم فلم يأمنوهم و قالوا لا إلا أن نقتلكم و نسبيكم و ننهبكم فقالت اليهود بعضها لبعض كيف نصنع فقال لهم أماثلهم و ذوو الرأي منهم أما أمر موسى اسلافكم فمن بعدهم بالاستنصار بمحمد و آله الطيبين أما أمركم بالابتهال إلى اللّه عز و جل عند الشدائد بهم قالوا بلى قالوا فافعلوا فقالوا اللهم بجاه محمد و آله الطيبين لما سقيتنا فقد قطعت الظلمة عنا المياه حتى ضعف شبّاننا و تماوت ولداننا و أشرفنا على الهلكة فبعث اللّه لهم وابلًا هطلًا صباً متتابعاً ملأ حياضهم و آبارهم و أنهارهم و أوعيتهم و ظروفهم فقالوا هذه إحدى الحسنيين ثم أشرفوا من سطوحهم على العساكر المحيطة بهم فإذا المطر قد أذاهم غاية الأذى و أفسد أمتعتهم و أسلحتهم و أموالهم فانصرف عنهم لذلك بعضهم و ذلك أن المطر أتاهم في غير أوانه في حمازة القيظ حين لا يكون مطر فقال الباقون من العساكر هبكم سقيتم فمن اين تأكلون و لئن انصرف عنكم هؤلاء فلسنا ننصرف حتى نقهركم على أنفسكم و عيالاتكم و أهاليكم و نشفي غيظاً منكم فقالت اليهود ان الذي سقانا بدعائنا بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم قادر على ان يطعمنا و ان الذي صرف عنا من صرفه قادر ان يصرف الباقين ثم دعوا اللّه بمحمد و آله ان يطعمهم فجاءت قافلة عظيمة من قوافل الطعام قدر ألفي جمل و بغل و حمار موقرة حنطة و دقيقاً و هم لا يشعرون بالعساكر فانتهوا إليهم و هم نيام و لم يشعروا بهم لأن اللّه تعالى ثقل نومهم حتى دخلوا القرية و لم يمنعوهم و طرحوا فيها أمتعتهم و باعوها منهم فانصرفوا و ابعدوا و تركوا العساكر نائمة و ليس في أهلها عين تطرف فلما ابعدوا انتبهوا و نابذوا اليهود الحرب و جعل يقول بعضهم لبعض: الْوَحَا الوَحَا فان هؤلاء اشتد بهم الجوع و سيذلّون لنا قال لهم اليهود: هيهات بل قد أطعمنا ربّنا وكنتم نياماً جاءنا من الطعام كذا وكذا و لو أردنا قتلكم في حال نومكم ليهيء لنا و لكنا كرهنا البغي عليكم فانصرفوا عنا و إلا دعونا عليكم بمحمد و آله و استنصرنا بهم ان يخزيكم كما قد أطعمنا و سقانا فأبوا إلا طغياناً فدعوا اللّه بمحمد و آله و استنصروا بهم.

ثم برز الثلاثمائة إلى الثلاثين ألفاً فقتلوا منهم و أسروا و طحطحوهم و استوثقوا منهم بأسرائهم فكان لا يبدأهم مكروه من جهتهم لخوفهم على من لهم في ايدي اليهود فلما ظهر محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم حسدوه إذ كان من العرب وكذبوه ثم قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم هذه نصرة اللّه تعالى لليهود على المشركين بذكرهم لمحمد و آله ألا فاذكروا يا أمة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم محمداً و آله عند نوائبكم و شدائدكم لينصرن اللّه به ملائكتكم على الشياطين الذين يقصدونكم فان كل واحد منكم معه ملك عن يمينه يكتب حسناته و ملك عن يساره يكتب سيئاته و معه شيطانان من عند إبليس يغويانه فإذا وسوسا في قلبه ذكر اللّه تعالى و قال: لا حول و لا قوة إلا باللّه العلي العظيم و صلّى اللّه على محمد و آله خنس الشيطانان و اختفيا. الحديث.

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ: ذم اللّه اليهود و عاب فعلهم في كفرهم بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم يعني اشتروا أنفسهم بالهدايا و الفضول التي كانت تصل إليهم وكان اللّه أمرهم بشرائها من اللّه بطاعتهم له ليجعل لهم أنفسهم و الانتفاع بها دائماً في نعيم الآخرة فلم يشتروها بل اشتروها بما أنفقوه في عداوة رسول اللّه ليبقى لهم عزهم في الدنيا و رئاستهم على الجهال و ينالوا المحرمات و أصابوا الفضولات من السّفلة و صرفوهم عن سبيل الرشاد و وقفوهم على طريق الضلالات أَنْ يَكْفُرُوا بما أَنْزَلَ اللَّهُ على موسى من تصديق محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم بَغْياً لبغيهم و حسدهم أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ و قرئ مخففاً مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ يعني تنزيل القرآن على محمد الذي ابان فيه نبوته و اظهر به آيته و معجزته و فضائل اهل بيته.

و في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام قال: بما أَنْزَلَ اللَّهُ في علي بغياً. فَباؤُ بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ يعني رجعوا و عليهم الغضب من اللّه في اثر غضب فالغضب الأول حين كذّبوا بعيسى بن مريم فجعلهم قِرَدَةً خاسئين و لعنهم على لسان عيسى و الغضب الثاني حين كذّبوا بمحمد صلّى اللّه عليه و آله فسلّط عليهم سيوف أصحابه حتى ذلّلهم بها فاما دخلوا في الإسلام طائعين و اما اعطوا الجزية صاغرين. قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول من سئل عن علم فكتمه حيث يجب إظهاره و يزول عنه التقيّة جاء يوم القيامة ملجّماً بلجام من نار وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ مُهِينٌ يعني لهم أظهر لينبئ عن السبب: كذا قيل و له نظائركثيرة في القرآن.

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ: على محمد صلّى اللّه على محمد و آله و سلم من القرآن قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا و هو التوراة وَ يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ ما سواه لا يُؤْمنون به وَ هُوَ الْحَقُّ لأنه هو الناسخ للمنسوخ الذي تقدمه مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ و هو التوراة قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ فلم كنتم تقتلون لم كان يقتل أسلافكم أَنْبِياءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بالتوراة فان فيها تحريم قتل الأنبياء و فيها الأمر بالإيمان بمحمد و القرآن فما آمنتم بعد بالتوراة.

و العيّاشي عن الصادق عليه السلام إنما نزل هذا في قوم من اليهود كانوا على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و لم يقتلوا الأنبياء بأيديهم و لا كانوا في زمانهم فإنما قتل اوائلهم الذين كانوا من قبلهم فجعلهم اللّه منهم و أضاف إليهم فعل اوائلهم بما تبعوهم و تولوهم.

أقول: قد مضى تحقيق ذلك في المقدمة الثالثة.

وَ لَقَدْ جاءَكُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ من بعد انطلاقه إلى الجبل و خالفتم خليفته الذي نصّ عليه و تركه عليكم و هو هارون وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ بما فعلتم.

وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ: و اذكروا إذ أخذنا ميثاق اسلافكم وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ: فعلنا بهم ذلك لما أبوا من قبول ما جاءهم به موسى من دين اللّه و أحكامه و فرض تعظيم محمد و آله خُذُوا قلنا لهم خُذُوا ما آتَيْناكُمْ ما أعطيناكم من الفرائض بِقُوَّةٍ قد أعطيناكموها و مكنّاكم بها و أزحنا عللكم في تركيبها فيكم وَ اسْمَعُوا ما يقال لكم و تؤمرون به قالُوا سَمِعْنا قولك وَ عَصَيْنا أمرك اي انهم عصوا بعد و أضمروا في الحال ايضاً العصيان قالوا سمعنا بآذاننا و عصينا بقلوبنا فاما في الظاهر فأعطوا كلهم الطاعة داخرين صاغرين وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ أُمروا بشرب العجل الذي كان قد ذرّيت سحالته في الماء الذي أمروا بشربه ليتبين من عبده ممن لم يعبده كما مرّ في تفسير قوله تعالى: فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ قال عليه السلام: عرضوا لشرب العجل الذي عبدوه حتى وصل ما شربوه من ذلك إلى قلوبهم بِكُفْرِهِمْ لأجل كفرهم أمروا بذلك.

أقول: لا تنافي بين هذا التفسير و ما هو المشهور في تفسير الآية و هو ان معناه تداخلهم حبه و رسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبّع الثوب و الشراب اعماق البدن لجواز الجمع بين الأمرين و ان يكون الشرب ظاهراً سبباً للحب باطناً و فِي قُلُوبِهِمُ بيان لمكان الأشراب كقوله: إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً.

و العياشي عن الباقر عليه السلام قال: لما ناجى موسى ربه أوحى اللّه تعالى إليه أن يا موسى قد فتنت قومك قال بماذا يا رب؟ قال بالسامري قال و ما السامري قال قد صاغ لهم من حليهم عجلًا قال: يا رب ان حليّهم لا يحتمل أن يصاغ منه غزال او تمثال او عجل فكيف فتنتهم؟ قال: انه صاغ لهم عجلًا فخار قال: يا رب و من أخاره قال: انا فقال: عندها موسى إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَ تَهْدِي مَنْ تَشاءُ قال: فلمّا انتهى موسى إلى قومه و رآهم يعبدون العجل القى الألواح من يده فكسرت.

قال ابو جعفر عليه السلام: كان ينبغي أن يكون ذلك عند اخبار اللّه تعالى إياه قال: فعمد موسى فبرد العجل من انفه إلى طرف ذنبه ثم أحرقه بالنار فذرّه في اليمّ قال: فكان أحدهم ليقع في الماء و ما به إليه من حاجة فيتعرض بذلك الرماد فيشربه و هو قول اللّه: (وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ).

أقول: و على هذه الرواية يشبه أن يكون حبّهم للعجل صار سبباً لشربهم إياه بالعكس مما مر.

قُلْ بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ بموسى و التوراة ان تكفروا بي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ كما تزعمون بموسى و التوراة و لكن معاذ اللّه لا يأمركم إيمانكم بموسى و التوراة الكفر بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم.
قُلْ: يا محمد لهؤلاء اليهود القائلين بأن الجنّة خالصة لنا من دونك و دون أهل بيتك و انا مبتلون بكم و ممتحنون و نحن اولياء اللّه المخلصون و عباد اللّه الخيرون و مستجاب دعاؤنا غير مردود علينا شيء من سؤالنا إِنْ كانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ الجنة و نعيمها عِنْدَ اللَّهِ خالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ محمد و اهل بيته و مؤمني أمته فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ للكاذب منكم و من مخالفيكم فان محمداً و علياً و ذريتهما يقولون انهم اولياء اللّه من دون الناس الذين هم يخالفونهم في دينهم و هو المجاب دعاؤهم فان كنتم معاشر اليهود تدّعون ذلك فقولوا اللّهم امت الكاذب منّا و من مخالفينا ليستريح منا الصادقون و ليزداد حجّتك وضوحاً بعد أن وضحت إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ إنّكم أنتم المحقون المجاب دعاؤكم على مخالفيكم ثم قال رسول اللّه بعد ما عرض هذا عليهم: لا يقولها احد منكم الا غصّ بريقه فمات مكانه وكانت اليهود علماء بأنهم الكاذبون و ان محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أصحابه هم الصادقون فلم يجسروا ان يدعوا به.
أقول: المشهور أن المراد بتمنيهم الموت تمنيه لأنفسهم لدعواهم انهم أولياء اللّه و احباؤه و قولهم لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً فان في التوراة مكتوبا ان أولياء اللّه يتمنون الموت و لا يرهبونه و الوجه في ذلك ان من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها و أحب التخلص إليها من الدار ذات الشوائب كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: بماذا أحببت لقاء ربك قال لما رأيته قد اختار لي دين ملائكته و رسله و أنبيائه علمت بأن الذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقائه.
وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ من موجبات الناركالكفر بمحمد و آله و القرآن و تحريف التوراة وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ تهديد لهم و تنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم و نفيه عمّن هو لهم كذا قيل.
وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ: ليأسهم عن نعيم الآخرة لانهماكهم في كفرهم الذي يعلمون انه لا حظ لهم معه في شيء من خيرات الجنة وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا و احرص من الذين أشركوا يعني المجوس الذين لا يرون النعيم الا في الدنيا و لا يأملون خيراً في الآخرة قيل افرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد إذ لم يعرفوا الا الحياة العاجلة او للزيادة في التوبيخ و التقريع فإنهم لما زاد حرصهم و هم مقرّون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بأنهم سائرون إلى النار يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَ ما هُوَ أي التعمير الف سنة بِمُزَحْزِحِهِ مباعده مِنَ الْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ إنما أبدل من الضمير و كرر التعمير لئلا يتوهم عوده إلى التمني وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ فعلى حسبه يجازيهم و يعدل عليهم و لا يظلمهم.
قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ: و قرئ بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز و بفتحهما مهموزاً بياء بعد الهمزة و بغير ياء فَإِنَّهُ فان جبرائيل نَزَّلَهُ نزّل القرآن عَلى قَلْبِكَ يا محمد و هذا كقوله سبحانه نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ بأمره مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ من كتب اللّه وَ هُدىً من الضلالة وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ بنبوة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و ولاية علي صلوات اللّه عليه و من بعده من الأئمة عليهم السلام بأنهم أولياء اللّه حقاً قال شيعة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و علي عليه السلام و من تبعهم من أخلافهم و ذراريهم.
مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ: بأن يخالفه عناداً لإنعامه على المقربين من عباده وَ مَلائِكَتِهِ المبعوثين لنصرتهم وَ رُسُلِهِ المخبرين عن فضلهم الداعين إلى متابعتهم وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ خصوصاً و قرئ بغير همزة و لا ياء و بهمزة من غير ياء فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ بهم و ذلك قول من قال من النصاب لمّا قال النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم في علي عليه السلام: جبرائيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و إسرافيل من خلفه و ملك الموت امامه و اللّه تعالى من فوق عرشه ناظر بالرضوان إليه ناصره قال بعض النصّاب انا أبرأ من اللّه و جبرائيل و ميكائيل و الملائكة الذين حالهم مع عليّ ما قاله محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقال اللّه مَنْ كانَ عَدُوًّا لهؤلاء تعصّباً على علي فان اللّه يفعل بهم ما يفعل العدو بالعدو.

و القمّي انها نزلت في اليهود الذين قالوا لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم لوكان الملك الذي يأتيك ميكائيل لآمنّا بكَ فانه ملك الرحمة هو صديقنا و جبرائيل ملك العذاب و هو عدوّنا.
و في تفسير الامام عليه السلام ان اللَّه ذمّ اليهود في بغضهم لجبرائيل الذي كان ينفّذ قضاء اللَّه فيهم فيما يكرهون كدفعه عن بخت نصّر ان يقتله دانيال عليه السلام من غير ذنب جنى بخت نصّر حتى بلغ كتاب اللَّه في اليهود أجله و حل بهم ما جرى في سابق علمه و ذمّهم ايضاً و ذمّ النّواصب في بغضهم لجبرائيل و ميكائيل و ملائكة اللَّه النازلين لتأييد عليّ بن أبي طالب عليه السلام على الكافرين حتى أذلّهم بسيفه الصارم.
و فيه و في الاحتجاج قال ابو محمد قال جابر بن عبد اللَّه لما قدم النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم المدينة أتوه بعبد اللَّه بن صوريا غلام اعور يهودي تزعم اليهود انه اعلم يهودي بكتاب اللَّه و علوم أنبيائه فسأله عن أشياء فأجابه عنها رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم بما لم يجد إلى إنكار شيء منه سبيلا إلى أن قال بقيت خصلة ان قلتها آمنت بك و اتّبعتك أيّ ملك يأتيك بما تقوله عن اللَّه قال جبرائيل: قال ابن صوريا ذلك عدونا من بين الملائكة ينزل بالقتل و الشدة و الحرب و رسولنا ميكائيل يأتي بالسرور و الرخاء فلوكان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنّا بك و ميكائيل كان يشدّ ملكنا و جبرائيل كان يهلك ملكنا فهو عدوّنا قال فقال له رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم: ويحك أجهلت أمر اللَّه و ما ذنب جبرائيل إن أطاع اللَّه فيما يريده بكم أرأيتم الآباء و الأمهات إذا أوجروا الأولاد الدواء الكريهة لمصالحهم يجب أن يتّخذهم أولادهم اعداء من أجل ذلك لا و لكنّكم باللَّه جاهلون و عن حكمه غافلون اشهد ان جبرائيل و ميكائيل بأمر اللَّه عاملان و له مطيعان و انه لا يعادي أحدهما الا من عادى الآخر و انه من زعم انه يحب أحدهما و يبغض الآخر فقد كذب وكذلك محمد رسول اللَّه «ص» و علي اخوان فمن أحبّهما فهو من أولياء اللَّه و من أبغضهما فهو من أعداء اللَّه و من ابغض أحدهما و زعم أنه يحبّ الآخر فقدكذب و هما منه بريئان و اللَّه تعالى و ملائكته و خيار خلقه منه براء.
و قال الامام عليه السلام: فقال له سلمان الفارسي «رض» فما بدو عداوته لكم قال نعم يا سلمان عادانا مراراً كثيرة وكان من أشد ذلك علينا ان اللَّه أنزل على أنبيائه: ان بيت المقدس يخرب على يد رجل يقال له بخت نصّر و في زمانه أخبرنا بالخبر الذي يخرّب به و اللَّه يحدث الأمر بعد الأمر فيمحوا ما يشاء و يثبت ما يشاء فلمّا بلغنا ذلك الخبر الذي يكون فيه هلاك بيت المقدس بعث أوائلنا رجلًا من أقوياء بني إسرائيل و أفاضلهم كان يعدّ من أنبيائهم يقال له دانيال في طلب بخت نصّر ليقتله فحمل معه و قرة مال لينفقه في ذلك فلمّا انطلق في طلبه لقيه ببابل غلاماً ضعيفاً مسكيناً ليس له قوّة و لا منعة فأخذه صاحبنا ليقتلهِ فدفع عنه جبرائيل و قال لصاحبنا ان كان ربّكم هو الذي امر بهلاككم فانه لا يسلطك عليه و إن لم يكن هذا فعلي اي شيء تقتله فصدّقه صاحبنا و تركه و رجع إلينا فأخبرنا بذلك و قوي بخت نصّر و ملك و غزانا و خرَّب بيت المقدس فلهذا نتّخذه عدواً و ميكائيل عدو لجبرائيل.
فقال سلمان: يا ابن صوريا بهذا العقل المسلوك به غير سبيله ضللتم أرأيتم أوائلكم كيف بعثوا من يقتل بخت نصّر و قد أخبر اللَّه تعالى في كتبه على ألسنة رسله انه يملك و يخرّب بيت المقدس أرادوا بذلك تكذيب أنبياء اللَّه في خبرهم و اتّهموهم في اخبارهم أو صدّقوهم في الخبر عن اللَّه و مع ذلك أرادوا مغالبة اللَّه هل كان هؤلاء و من وجّهوه الا كفاراً باللَّه و اي عداوة يجوز ان يعتقد لجبرائيل و هو يصده عن مغالبة اللَّه عز و جل و ينهى عن تكذيب خبر اللَّه تعالى فقال ابن صوريا لقدكان اللَّه اخبر بذلك على ألسن أنبيائه و لكنه يمحو ما يشاء و يثبت.
قال سلمان: فإذاً لا تثقوا بشيء ممّا في التوراة من الأخبار عما مضى و ما يستأنف فان اللَّه يمحو ما يشاء و يثبت و إذاً لعل اللَّه قدكان عزل موسى و هارون عن النبوة و أبطلا في دعواهما لأن اللَّه يمحو ما يشاء و يثبت و لعل كل ما أخبراكم أنه يكون لا يكون و ما أخبراكم أنه لا يكون يكون وكذلك ما أخبراكم عمّا كان لعلّه

لم يكن و ما أخبراكم أنه لم يكن لعله كان و لعل ما وعده من الثواب يمحوه و لعل ما توعّده به من العقاب يمحوه فانه يمحو ما يشاء و يثبت و إنّكم جعلتم معنى يمحو اللّه ما يشاء و يثبت فلذلك كنتم أنتم باللّه كافرون و لأخباره عن الغيوب مكذّبون و عن دين اللّه منسلخون ثم قال سلمان فاني أشهد ان من كان عدواً لجبرائيل فانه عدو لميكائيل و انهما جميعاً عدوان لمن عاداهما سلمان لمن سالمهما فأنزل اللّه تعالى عند ذلك موافقاً لقول سلمان قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ الآية.

وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آيات بَيِّنات: دالّات على صدقك في نبوتك و إمامة علي عليه السلام أخيك موضحات عن كفر من شك فيكما وَ ما يَكْفُرُ بِها إِلَّا الْفاسِقُونَ الخارجون عن دين اللّه و طاعته من اليهود و الكاذبين من النّواصب المتسمّين بالمسلمين.

أَ وَ كُلَّما عاهَدُوا واثقوا و عاقدوا عَهْداً ليكونن لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم طائعين و لعلي عليه السلام بعده مؤتمرين و إلى أمره صائرين نَبَذَهُ نبذ العهد فَرِيقٌ مِنْهُمْ و خالفه بَلْ أَكْثَرُهُمْ بل أكثر هؤلاء اليهود و النواصب لا يُؤْمِنُونَ في مستقبل أعمارهم لا يرعوون و لا يتوبون مع مشاهدتهم الآيات و معاينتهم الدلالات.

وَ لَمَّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ قال: قال الصادق عليه السلام و لما جاءهم جاء اليهود و من يليهم من النواصب كتاب من عند اللّه القرآن مشتملًا على وصف محمد و علي و إيجاب ولايتهما و ولاية أوليائهما و عداوة أعدائهما.

أقول: إنما فسر الرسول بالكتاب لاستلزامه إياه دون العكس و ليوافق ما سبق في نظيره و لموافقة المنبوذ. نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللَّهِ التوراة و سائر كتب أنبيائه وَراءَ ظُهُورِهِمْ تركوا العمل بما فيها حسداً لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم على نبوته و لعلي عليه السلام على وصيته و جحدوا على ما وقفوا عليه من فضائلهما كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ فعلوا فعل من لا يعلم مع علمهم بأنه حق.

وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ ما يقرؤه كفرة الشياطين من السحر و النّيرنجات عَلى‏ مُلْكِ سُلَيْمانَ على عهده و زعموا ان سليمان كان كافراً ساحراً ماهراً به و بذلك السحر و النيرنجات نال ما نال و ملك ما ملك و قدر على ما قدر و قالوا و نحن ايضاً به نظهر العجائب حتى ينقاد لنا الناس و نستغني عن الانقياد لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و علي عليه السلام.

و القمّي و العياشي عن الباقر عليه السلام قال: لما هلك سليمان وضع إبليس السحر ثم كتبه في كتاب فطواه و كتب على ظهره هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم من أراد كذا وكذا و كذا فليفعل كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير ثم استشاره لهم فقرأه فقال الكافرون ما كان يغلبنا سليمان إلا بهذا و قال المؤمنون بل هو عبد اللّه و نبيه فقال اللّه في كتابه وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى‏ مُلْكِ سُلَيْمانَ أي السحر.

و في الاحتجاج عن الصادق عليه السلام في حديث قال السائل فمن اين علم الشياطين السحر قال من حيث عرف الأطباء الطب بعضه تجربه و بعضه علاج وَ ما كَفَرَ سُلَيْمانُ و لا استعمل السحر كما قال هؤلاء الكافرون وَ لكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا و قرئ بتخفيف النون و رفع ما بعده يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ يعني كفروا بتعليمهم الناس السحر الذي نسبوه إلى سليمان بن داود وَ ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ و بتعليمهم إيّاهم ما أنزل على الملكين بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوتَ اسم الملكين.

قال الصادق عليه السلام: وكان بعد نوح قد كثر السحرة و المموّهون فبعث اللّه تعالى ملكين إلى نبي ذلك الزمان بذكر ما يسحر به السحرة و ذكر ما يبطل به سحرهم و يرد به كيدهم فتلقاه النبي عن الملكين و أداه إلى عباد اللّه بأمر اللّه عز و جل و أمرهم أن يقفوا به على السحر و ان يبطلوه و نهاهم أن يسحروا به الناس و هذا كما يدل على السم ما هو و على ما يدفع به غائلة السم ثم يقال لمتعلم ذلك هذا السم فمن رأيته سم فادفع غائلته بكذا وكذا و إياك أن تقتل بالسم احداً قال: و ذلك النبي أمر الملكين أن يظهرا للناس بصورة بشرين و

يعلماهم ما علمهما اللّه من ذلك و يعظاهم وَ ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ ذلك السحر و إبطاله حَتَّى يَقُولا للمتعلم إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ امتحان للعباد ليطيعوا اللّه عز و جل فيما يتعلمون من هذا و يبطلوا به كيد السحر و لا يسحروا فَلا تَكْفُرْ باستعمال هذا السحر و طلب الإضرار به و دعاء الناس إلى أن يعتقدوا أنك به تحيي و تميت و تفعل ما لا يقدر عليه الا اللّه فان ذلك كفر فَيَتَعَلَّمُونَ يعني طالبي السحر مِنْهُما يعني ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ من النّيرنجات وَ ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوتَ يتعلمون من هذين الصنفين ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ هذا من يتعلم للإضرار بالناس يتعلمون التفريق بضروب من الحيل و التمائم و الإيهام و انه قد دفن في موضع كذا و عمل كذا ليخبّ قلب المرأة على الرجل و قلب الرجل على المرأة و تؤدي إلى الفراق بينهما وَ ما هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ أي ما المتعلمون لذلك بضائرين به من احد إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ يعني بتخلية اللّه و علمه فانه لو شاء لمنعهم بالجبر و القهر وَ يَتَعَلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ لأنهم إذا تعلموا ذلك السِّحر ليسحروا به و يضرّوا فقد تعلّموا ما يضرّهم في دينهم و لا ينفعهم فيه بل ينسلخون عن دين اللّه بذلك وَ لَقَدْ عَلِمُوا علم هؤلاء المتعلمون لَمَنِ اشْتَراهُ بدينه الذي ينسلخ عنه بتعلمه ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ من نصيب في ثواب الجنة.

و في العيون عن الصادق عليه السلام لأنهم يعتقدون أن لا آخرة فهم يعتقدون أنها إذا لم تكن فلا خلاق لهم في دار الآخرة بعد الدنيا و إن كانت بعد الدنيا آخرة فهم مع كفرهم بها لا خلاق لهم فيها.

وَ لَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ رهنوها بالعذاب لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ انهم قد باعوا الآخرة و تركوا نصيبهم من الجنة لأن المتعلمين لهذا السحر هم الذين يعتقدون ان لا رسول و لا إله و لا بعث و لا نشور.

وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ قال الراوي: قلت لأبي محمد عليه السلام فان قوماً عندنا يزعمون أن هاروت و ماروت ملكان اختارتهما الملائكة لمّا كثر عصيان بني آدم و انزلهما اللّه مع ثالث لهما إلى الدنيا و انهما افتتنا بالزهرة و أرادا الزنا بها و شربا الخمر و قتلا النفس المحرمة و أن اللّه تعالى يعذبهما ببابل و ان السحرة منهما يتعلمون السحر و ان اللّه مسخ تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزهرة فقال الامام معاذ اللّه عن ذلك ان ملائكة اللّه معصومون محفوظون عن الكفر و القبائح بألطاف اللّه تعالى قال اللّه عز و جل فيهم: (لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ) و قال: (وَ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ). يعني الملائكة لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ، و قال في الملائكة ايضاً بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ إلى قوله مُشْفِقُونَ.

و في العيون عن الصادق عليه السلام مثل ما في تفسير الامام عليه السلام من قوله وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ إلى هنا بزيادة أشرنا إليها في محلها و عن الرضا عليه السلام أنه سئل عما يرويه الناس من امر الزهرة و انها كانت امرأة فتن بها هاروت و ماروت و ما يروونه من أمر سهيل و انه كان عشّاراً باليمن فقال: كذبوا في قولهم انهما كوكبان و انهما كانتا دابتين من دواب البحر فغلط الناس و ظنوا انهما الكوكبان و ما كان اللّه عز و جل ليمسخ أعداءه أنواراً مضيئة ثم يبقيها ما بقيت السموات و الأرض و ان المسوخ لم يبق اكثر من ثلاثة أيام حتى ماتت و ما تناسل منها شيء و ما على وجه الأرض اليوم مسخ و ان التي وقع عليها اسم المسوخة مثل القردة و الخنزير و الدب و أشباهها انما هي مثل ما مسخ اللّه عز و جل على صورها قوماً غضب اللّه عليهم و لعنهم بانكارهم توحيد اللّه و تكذيبهم رسله و اما هاروت و ماروت فكانا ملكين علّما الناس السحر ليحترزوا به من سحر السحرة و يبطلوا به كيدهم و ما علّما احداً من ذلك شيئاً الا قالا له إنما نحن فتنة فلا تكفر فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز منه و جعلوا يفرّقون بما تعلّموه بين المرء و زوجه.

أقول: و اما ما كذّبوه عليهم السلام من امر هاروت و ماروت و مسخ زهرة و قصّتهم المشتهرة بين الناس فقد ورد عنهم عليهم السلام في صحتها ايضاً روايات و الوجه في الجمع و التوفيق اي يحمل روايات الصحة على

كونها من مرموزات الأوائل و اشاراتهم و إنهم لما رأوا ان حكاتها كانوا يحملونها على ظاهرها كذّبوها و لا بأس بإيرادها و حلّها فان هاهنا محلها.

القمّي و العياشي عن الباقر عليه السلام انه سأله عطاء عن هاروت و ماروت فقال عليه السلام إن الملائكة كانوا ينزلون من السماء إلى الأرض في كل يوم و ليلة يحفظون اعمال أوساط اهل الأرض من ولد آدم و من الجنّ و يسطرونها و يعرجون بها إلى السماء قال فضجّ أهل السماء من اعمال أوساط اهل الأرض في المعاصي و الكذب على اللّه تعالى و جرأتهم عليه و نزّهوا اللّه مما يقولون و يصفون فقالت طائفة من الملائكة يا ربّنا اما تغضب مما يعمل خلقك في أرضك و ما يصفون فيك الكذب و يقولون الزّور و مما يرتكبونه من المعاصي التي نهيتهم عنها و هم في قبضتك و تحت قدرتك قال: فأحب اللّه عز و جل ان يرى الملائكة سابق علمه في جميع خلقه و يعرّفهم ما منّ به عليهم مما طبعهم عليه من الطاعة و عدل به عنهم من الشهوات الإنسانية فأوحى اللّه عز و جل إليهم ان انتدبوا منكم ملكين حتى أهبطهما إلى الأرض و اجعل فيهما الطبائع البشرية من الشهوة و الحرص و الأمل كما هو في ولد آدم ثم اختبرهما في الطاعة لي و مخالفة الهوى قال: فندبوا لذلك هاروت و ماروت وكانا من أشد الملائكة قولًا في العيب لولد آدم و استيثار غضب اللّه تعالى عليهم فأوحى اللّه سبحانه و تعالى إليهما اهبطا إلى الأرض فقد جعلت فيكما طبائع الشهوات و الحرص و الأمل و أمثالها كما جعلت في بني آدم و اني آمركما ألا تشركا بي شيئاً و لا تقتلا النفس التي حرمتها و لا تزنيا و لا تشربا الخمر ثم اهبطا إلى الأرض في صورة البشر و لباسهم فَهَبَطا في ناحية بابل فرفع لهما بناء مشرف فأقبلا نحوه فإذا ببابه امرأة جميلة حسناء متزينة متعطرة مسفرة مستبشرة نحوهما فلمّا تأملا حسنها و جمالها و ناطقاها وقعت في قلوبهما أشد موقع و اشتد بهما الشهوة التي جعلت فيهما فمالا إليها ميل فتنة و خذلان و حادثاها و راوداها عن نفسها فقالت لهما إن لي ديناً أدين به و ليس في ديني أن أجيبكما إلى ما تريدان الا ان تدخلا في ديني فقالا و ما دينك فقالت لهما: إن لي إلهاً من عبد و سجد له فهو ممن في ديني و انا مجيبه لما يسأل مني فقالا و ما إلهك فقالت إلهي هذا الصنم فنظركل إلى صاحبه فقال له: هاتان خصلتان مما نهينا عنه الزنا و الشرك لأنّا إن سجدنا لهذا الصنم و عبدنا أشركنا باللّه و هو ذا نحن نطلب الزنا و لا نقدر على مغالبة الشهوة فيه و لن يحصل بدون هذا قالا لها: إنّا نجيبك إلى ما سألت قالت: فدونكما هذه الخمرة فاشربا فإنها قربان لكما منه و بها تبلغان مرادكما فائتمرا بينهما و قالا: هذه ثلاث خصال مما نهينا عنها الشرك و الزنا و شرب الخمر و إنّا لا نقدر على الزنا الا بهاتين حتى نصل إلى قضاء وطرنا فقالا ما أعظم البليّة بك فقد أجبناك قالت: فدونكما اشربا هذه الخمر و اسجدا للصنم فشربا الخمر و سجدا ثم راوداها فلما تهيأت لذلك دخل عليهما سائل فرآهما على تلك الحالة فذعرا منه، فقال: ويلكما قد خلوتما بهذه المرأة المعطّرة الحسناء و قعدتما منها على مثل هذه الفاحشة إنّكما لرجلا سوء لأفعلنّ بكما و خرج على ذلك فنهضت، فقالت: لا و إلهي لا تصلان الآن إلي و قد اطّلع هذا الرجل علينا و عرف مكانكما و هو لا محالة يخبر بخبركما فبادرا و اقتلاه قبل أن يفضحنا جميعاً ثم دونكما فاقضيا وطركما مطمئنين آمنين فأسرعا إلى الرجل فأدركاه و قتلاه ثم رجعا إليها فلم يرياها و بدت لهما سوءاتهما و نزع عنهما رياشهما و اسقطا في أيديهما، و سمعا هاتفاً: إنكما هبطتما إلى الأرض بين البشر من خلق اللّه تعالى ساعة من النهار فَعَصَيتما بأربع من كبائر المعاصي و قد نهاكما عنها و قدم إليكما فيها و لم تراقباه و لا استحييتما منه و قد كنتما أشد من نقم على اهل الأرض المعاصي و اسجر غضبه عليهم و لما جعل فيكما من طبع خلقه البشري وكان عصمكم من المعاصي كيف رأيتم موضع خذلانه فيكم قال وكان قلبهما في حب تلك المرأة ان وضعا طرائق من السحر ما تداوله اهل تلك الناحية.

قال الامام عليه السلام: فخيرهما اللّه عز و جل بين عذاب الدنيا و عذاب الآخرة فقال أحدهما لصاحبه نتمتع من شهوات الدنيا إذ صرنا إليها إلى أن نصير إلى عذاب الآخرة فقال الآخر: ان عذاب الدنيا له انقطاع و

عذاب الآخرة لا انقطاع له و ليس حقيق بنا أن نختار عذاب الآخرة الشديد الدائم على عذاب الدنيا المنقطع الفاني قال: فاختارا عذاب الدنيا وكانا يعلمان الناس السحر بأرض بابل ثم لما علّما الناس السحر رفعا من الأرض إلى الهواء فهما معذبان منكّسان معلّقان في الهواء إلى يوم القيامة. و العياشي عن أبي الطفيل قال كنت في مسجد الكوفة فسمعت علياً و هو على المنبر فناداه ابن الكوّا و هو في مؤخر المسجد فقال: يا أمير المؤمنين عليه السلام ما الهدى؟ قال: لعنك اللّه او لم تسمعه ما الهدى تريد و لكن العمى تريد.
ثم قال عليه السلام: ادن فدنا منه فسأله عن أشياء فأخبره فقال: أخبرني عن هذه الكوكبة الحمراء يعني الزهرة قال: إن اللّه اطلع ملائكته على خلقه و هم على معصية من معاصيه فقال الملكان هاروت و ماروت هؤلاء الذين خلقت آباءهم بيدك و أسجدت له ملائكتك يعصونك قال فلعلكم لو ابتليتم بمثل الذي ابتليتم به عصيتموني كما عصوني قالا: لا و عزّتك قال: فابتلاهم بمثل الذي ابتلي به بني آدم من الشهوة ثم أمرهم أن لا يشركوا به شيئاً و لا يقتلوا النفس التي حرّم اللّه و لا يزنوا و لا يشربوا الخمر ثم أهبطهما إلى الأرض فكانا يقضيان بين الناس هذا في ناحية و هذا في ناحية فكانا بذلك حتى أتت أحدهما هذه الكوكبة تخاصم إليه و كانت من أجمل الناس فأعجبته فقال لها: الحق لك و لا أقضي لك حتى تمكنيني من نفسك فواعدت يوماً ثم أتت الآخر فلما خاصمت إليه وقعت في نفسه و أعجبته كما أعجبت الآخر فقال لها مثل مقالة صاحبه فواعدته الساعة التي واعدت صاحبه فاتفقا جميعاً عندها في تلك الساعة فاستحي كل واحد من صاحبه حيث رآه و طأطأ رؤوسهما و نكّسا ثم نزع الحياء منهما فقال أحدهما لصاحبه يا هذا جاء بي الذي جاء بك قال ثم اعلماها و راودا عن نفسها فأبت عليهما حتى يسجدا لوثنها و يشربا من شرابها فأبيا عليها و سألاها فأبت الا أن يشربا من شرابها فلما شربا صلّيا لوثنها و دخل مسكين فرآهما فقالت لهما يخرج هذا فيخبر عنكما فقاما إليه فقتلاه ثم راوداها عن نفسها فأبت حتى يخبرانها بما يصعدان به إلى السماء وكان يقضيان بالنهار فإذا كان الليل صعدا إلى السماء فأبيا عليها و أبت أن تفعل فأخبراها فقالت: ذلك لتجرب مقالتهما و صعدت و رفعا أبصارهما إليها فرأيا أهل السماء مشرفين عليها ينظرون إليها و تناهت إلى السماء فمسخت و هي الكوكبة التي ترى.
و في الخصال عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده قال: ان المسوخ من بني آدم ثلاثة عشر إلى أن قالوا و ما الزهرة فكانت امرأة فتنت هاروت و ماروت فمسخها اللّه كوكباً.
و عنه عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم عن المسوخ قال هي ثلاثة عشر إلى أن قال: و أمّا الزهرة فكانت امرأة نصرانية وكانت لبعض ملوك بني إسرائيل و هي التي فتن بها هاروت و ماروت وكان اسمها ناهيل و الناس يقولون ناهيد.
و في العلل عن أبي الحسن عليه السلام في حديث قال: و مسخت الزهرة لأنها كانت امرأة فتن بها هاروت و ماروت.
و عنه عن أبيه في حديث قال: و اما الزهرة فإنها كانت امرأة تسمى ناهيل و هي التي تقول الناس انه افتتن بها هاروت و ماروت.
أقول: في نسبة افتتانهما إلى قول الناس دليل على ما قلناه من انها من المرموزات، و أما حلّها فلعل المراد بالملكين الروح و القلب فإنهما من العالم الروحاني اهبطا إلى العالم الجسماني لاقامة الحق فافتتنا بزهرة الحياة الدنيا و وقعا في شبكة الشهوة فشربا خمر الغفلة و عبدا صنم الهواء و قتلا عقلهما الناصح لهما بمنع تغذيته بالعلم و التقوى و محو اثر نصحه عن أنفسهما تهيّئا للزنا ببغي الدنيا الدنية التي تلي تربية النشاط و الطرب فيها الكوكب المسمى بزهرة فهربت الدنيا منهما و فاتتهما لما كان من عاداتها أن تهرب من طالبيها لأنها متاع الغرور و بقي اشراق حسنها في موضع مرتفع بحيث لا تنالها ايدي طلابها ما دامت الزهرة باقية في السماء و حملهما حبها في قلبهما إلى أن وضعا طرائق من السحر و هو ما لطف مأخذه و ذق فخيرا للتخلص

منها فاختارا بعد التنبه و عود العقل إليهما أهون العذابين ثم رفعا إلى البرزخ معذّبين و رأسهما بعد إلى أسفل إلى يوم القيامة هذا ما خطر بالبال في حل هذا الرمز و اما حل بقية اجزائه التي في رواية أبي الطفيل فموكول إلى بصيرة ذوي البصائر و قيل بل هو إشارة إلى أن الشخص العالم الكامل المقرّب من حظائر القدس قد يوكل إلى نفسه الغرّارة و لا يلحقه العناية و التوفيق فينبذ علمه وراء ظهره و يقبل على مشتهياته الحسّية الخسيسة و يطوي كشحه عن اللّذات الحقيقية و المراتب العليّة فينحطّ إلى أسفل السّافلين و الشخص الناقص الجاهل المنغمس في الأوزار قد يختلط بذلك الشخص العالم قاصداً بذلك الفساد و الفحشاء فيدركه توفيق إلهي فيستفيد من ذلك العالم ما يضرب بسببه صفحاً عن ادناس دار الغرور و أرجاس عالم الزور و يرتفع ببركة ما تعلّمه عن حضيض الجهل و الخسران إلى أوج العز و العرفان فيصير المتعلّم في أرفع درج العلاء و المعلّم في أسفل درك الشقاء. أقول: هذا الحل غير منطبق على الرمز بتمام أجزائه.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا العياشي عن أمير المؤمنين عليه السلام و السجّاد ليس في القرآن يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الا و هي في التوراة يا أيها المساكين لا تَقُولُوا راعِنا راع أحوالنا و راغبنا و تأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه و ذلك لأن اليهود لما سمعوا المسلمين يخاطبون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم بقولهم راعنا وكان راعنا في لغتهم سبّاً بمعنى اسمع لا سمعت قال بعضهم لبعض لوكنا نشتم محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم إلى الآن سرّاً فتعالوا الآن نشتمه جهراً فكانوا يقولون له راعنا يريدون شتمه ففطن لذلك سعد بن معاذ الأنصاري فلعنهم و أوعدهم بضرب أعناقهم لو سمعها منهم فنزلت وَ قُولُوا انْظُرْنا انظر إلينا وَ اسْمَعُوا إذا قال لكم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قولا و أطيعوا وَ لِلْكافِرِينَ الشاتمين عَذابٌ أَلِيمٌ.

ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ لَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ آية بيّنة و حجّة معجزة لنبوة محمد صلّى اللّه عليه و آله و شرفه و شرف أهل بيته وَ اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ توفيقه لدين الإسلام و موالاة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و علي عليه السلام مَنْ يَشاءُ، و في المجمع عن أمير المؤمنين و الباقر عليهما السلام يعني بنبوته وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ يعني على من وفّقه لدينه و موالاتهما.

أقول: او يختاره لنبوته أو ما يشملهما و غيرهما.

ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ بأن نرفع حكمها، و قرأ بعضهم بضم النون وكسر السين أَوْ نُنْسِها بأن نرفع رسمها و نبلي عن القلوب حفظها و عن قلبك يا محمدكما قال: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ أن ينسيك فرفع عن قلبك ذكره و قرئ ننساها بفتح النون و اثبات الألف نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها بما هو أعظم لثوابكم و اجل لصلاحكم أَوْ مِثْلِها من الصلاح يعني إنا لا ننسخ و لا نبدّل الا و غرضنا في ذلك مصالحكم.

أقول: و ذلك لأن المصالح تختلف باختلاف الأعصار و الأشخاص فان النافع في عصر و بالنسبة إلى شخص قد يضرّ في غير ذلك العصر و في غير ذلك الشخص، و يأتي بيان ذلك مفصلًا من كلام المعصوم عليه السلام في تفسير آيات القبلة ان شاء اللّه، قيل انها نزلت حين قالوا ان محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم يأمر بأمر ثم ينهى عنه و يأمر بخلافه. أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقدر على النّسخ و التبديل لمصالحكم و منافعكم. أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و هو العالم بتدبيرها و مصالحها فهو يدبّركم بعلمه وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ يلي صلاحكم إذكان العالم بالمصالح هو دون غيره وَ لا نَصِيرٍ و لا لكم من ناصر ينصركم من مكروه إن أراد إنزاله بكم أو عقاب إن أراد إحلاله بكم. أَمْ تُرِيدُونَ بل تريدون ياكفار قريش و يهود أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ ما تقترحونه من الآيات التي لا تعلمون هل فيه صلاحكم أو فسادكم كَما سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ و اقترح عليه لما قيل له لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ بعد جواب الرسول له إن ما سأله لا يصلح اقتراحه على اللّه فلا يؤمن إذا عرف أنه ليس له أن يقترح أو بعد ما يظهر له ما اقترح إن كان اقتراحه صواباً فلا يؤمن عند مشاهدته ما يقترح أو لا يكتفي بما أقامه اللّه من الدلالات و البينات بأن يعاند و لا يلزم الحجّة القائمة و ذلك أن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و

سلم قصده عشرة من اليهود يريدون أن يتعنّتوه و يسألوه عن أشياء و يعانتوه بها ثم ذكر عليه السلام أشياء سألوها و آيات اقترحوها و سنذكرها إن شاء اللّه في مواضعها فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ أخطأ طريق القصد المؤدية إلى الجنان و أخذ في الطريق المؤدية إلى النيران. وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً بما يوردونه عليكم من الشبه حَسَداً لكم بأن أكرمكم بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و علي و آلهما الطّيبين مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ. قيل أي تمنوا ذلك مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ و تشهيهم لا من عند تدينهم و ميلهم إلى الحق أو حسداً بالغاً منبعثاً من أصل أنفسهم مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ بالمعجزات الدالات على صدق محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و فضل علي و آلهما عليهم السلام قيل و بالنعوت المذكورة في التوراة فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا عن جهلهم و قابلوهم بحجج اللّه و ادفعوا بها أباطيلهم قيل العفو ترك عقوبة الذنب و الصفح ترك تثريبه حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ فيهم بالقتل يوم فتح مكة إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ قيل عطف على فَاعْفُوا كأنه أمرهم بالصبر و المخالفة و اللجأ إلى اللّه بالعبادة و البر وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ كصلاة و مال تنفقونه في طاعة اللّه أو جاه تبذلونه لإخوانكم المؤمنين تجرّون به اليهم المنافع و تدفعون به المضار تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ تجد ثوابه تحط به سيئاتكم و تضاعف به حسناتكم و ترفع به درجاتكم إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ عالم ليس يخفى عليه ظاهر فعل و لا باطن ضمير على حسب اعتقاداتكم و نيّاتكم.

وَ قالُوا يعني اليهود و النصارى قالت الْيَهُودُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أي يهودياً أَوْ نَصارى يعني و قالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانياً تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ التي يتمنونها بلا حجّة قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ حجتكم على مقالتكم إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ في دعواكم.

بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ لما سمع الحق و برهانه وَ هُوَ مُحْسِنٌ في عمله للّه فَلَهُ أَجْرُهُ ثوابه عِنْدَ رَبِّهِ يوم الفصل و القضاء وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ حين يخاف الكافرون مما يشاهدونه من العقاب وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ عند الموت لأن البشارة بالجنان تأتيهم. وَ قالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ من الدين بل دينهم باطل وكفر وَ قالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ من الدين بل دينهم باطل وكفر لأن كلّاً من الفريقين مقلّد بلا حجّة وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ وَ لا يتأملونه ليعملوا بما يوجبه فيتخلصوا من الضلالة كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ الحق و لم ينظروا فيه من حيث أمره اللّه مِثْلَ قَوْلِهِمْ يكفر بعضهم بعضاً فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بين الفريقين يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ في الدنيا يبين ضلالتهم و فسقهم و يجازي كل واحد منهم بقدر استحقاقه قال عليه السلام قال الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام إنما نزلت لأن قوماً من اليهود و قوماً من النصارى جاؤوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقالوا يا محمد اقض بيننا فقال عليه السلام قصّوا عليّ قصّتكم فقالت اليهود نحن المؤمنون باللّه الواحد الحكيم و أولياؤه و ليست النصارى على شيء من الدين و الحق و قالت النصارى بل نحن المؤمنون باللّه الواحد الحكيم و أولياؤه و ليست هؤلاء اليهود على شيء من الحق و الدين فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: كلكم مخطئون مبطلون فاسقون عن دين اللّه و أمره فقالت اليهود وكيف نكون كافرين و فينا كتاب اللّه الإنجيل نقرؤه فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: إنكم خالفتم ايها اليهود و النصارى كتاب اللّه و لم تعملوا به فلوكنتم عاملين بالكتابين لما كفر بعضكم بعضاً بغير حجّة لأن كتب اللّه أنزلها شفاء من العمى و بياناً من الضلالة تهدي العالمين بها إلى صراط مستقيم وكتاب اللّه إذا لم تعملوا به كان وبالاً عليكم و حجّة اللّه إذا لم تنقادوا لها كنتم للّه عاصين وَ لسَخَطه متعرضين ثم أقبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم على اليهود فقال: احذروا أن ينالكم لخلاف أمر اللّه و خلاف كتابه ما أصاب أوائلكم الذين قال اللّه فيهم: (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ).

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ هي مساجد خيار المؤمنين بمكة منعوهم من التعبد فيها بأن ألجأوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم إلى الخروج عن مكة، و في المجمع عن الصادق عليه

السلام و القمي أنهم قريش حين منعوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم دخول مكة و المسجد الحرام و عن زيد ابن علي عن آبائه عن علي عليهم السلام أنه أراد جميع الأرض لقول النبي صلّى اللّه
عليه و آله و سلم: جعلت لي الأرض مسجداً و ترابها طهوراً.
أقول: و هو عام لكل مسجد و كل مانع و ان نزل خاصاً.
وَ سَعى فِي خَرابِها خراب تلك المساجد لئلا تعمر بطاعة اللّه أُولئِكَ ما كانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوها إِلَّا خائِفِينَ من عدله و حكمه النافذ عليهم أن يدخلوها كافرين بسيوفه و سياطه.
أقول: يعني إمام العدل فهو وعد للمؤمنين بالنصرة و استخلاص المساجد منهم و قد أنجز وعده بفتح مكة لمؤمني ذلك العصر و سينجزه لعامة المؤمنين حين ظهور العدل. و العياشي عن محمد بن يحيى يعني لا يقبلون الايمان إلا و السيف على رؤوسهم. لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ و هو طرده إياهم عن الحرم و منعهم أن يعودوا إليه وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ بكفرهم و ظلمهم، قال قال علي بن الحسين عليهم السلام:
و لقد كان من المنافقين و الضعفاء أشباه المنافقين قصد إلى تخريب المساجد بالمدينة و تخريب مساجد الدنيا كلها بما همّوا به من قتل علي عليه السلام بالمدينة و قتل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم في طريقهم إلى العقبة يعني في غزوة تبوك. هذا آخر ما وجد من تفسير أبي محمد الزكي مرتباً مجتمعاً و ما وجد منه متفرقاً نذكره في مواضعه إن شاء اللّه. وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يعني ناحيتي الأرض أي له كلها فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ قيل. اي ذاته إذ لا يخلو منه مكان إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ ذاتاً و علماً و قدرة و رحمة و توسعة على عباده عَلِيمٌ بمصالح الكل و ما يصدر عن الكل في كل مكان وجهة. القمّي إنها نزلت في صلاة النافلة تصلّيها حيث توجهت إذا كنت في السفر و أما الفرائض فقوله تعالى: (وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) يعني الفرائض لا تصليها إلا إلى القبلة.
و في المجمع مثله قال هذا هو المروي عن أئمتنا.
و العياشي عن الباقر عليه السلام أنزل اللّه هذه الآية في التطوع خاصة فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ و صلّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم المساء على راحلته أينما توجهت به حيث خرج إلى خيبر و حين رجع من مكة و جعل الكعبة خلف ظهره، قال: قال زرارة قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام الصلاة في السفر و السفينة و المحمل سواء قال النافلة كلها سواء تومئ إيماء أينما توجهت دابتك و سفينتك و الفريضة تنزل بها عن المحمل إلى الأرض إلا من خوف فان خفت أومأت و اما السفينة فصلّ فيها قائماً و توخ القبلة بجهدك ان نوحاً قد صلّى الفريضة فيها قائماً متوجهاً إلى القبلة و هي مطبقة عليهم قال قلت و ما كان علمه بالقبلة فيتوجّهها و هي مطبقة عليهم قال كان جبرائيل يقوّمه نحوها قال قلت فأتوجه نحوها في كل تكبيرة قال اما في النافلة فلا إنّما تكبر في النافلة على غير القبلة أكثر ثم قال كل ذلك قبلة للمتنفّل انه قال فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ.
و في العلل و العياشي عنه عليه السلام أنه سئل عن رجل يقرأ السجدة و هو على ظهر دابته قال يسجد حيث توجهت فان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم كان يصلي على ناقته النافلة و هو مستقبل المدينة يقول فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ.
و في الفقيه عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن رجل يقوم في الصلاة ثم ينظر بعد ما فرغ فيرى أنه قد انحرف عن القبلة يميناً و شمالاً فقال قد مضت صلواته و ما بين المشرق و المغرب قبلة و نزلت هذه الآية في قبلة المتحيّر وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ.
و في التوحيد عن سلمان الفارسي «رض» في حديث الجاثليق الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل فأجابه عنها أن فيما سأله ان قال أخبرني عن وجه الرب تبارك و تعالى فدعا عليّ عليه السلام بنار و حطب فأضرمه فلما اشتعلت قال علي عليه السلام: اين وجه هذه النار قال النصراني هي وجه من جميع

حدودها قال علي عليه السلام هذه النار مدبّرة مصنوعة لا يعرف وجهها و خالقها لا يشبهها وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ

لا تخفى على ربّنا خافية و قريب منه ما رواه في الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام في أجوبة مسائل اليهودي. و في الاحتجاج عن امير المؤمنين عليه السلام ان وجه اللّه هم الحُجج الذين قرنهم اللّه بنفسه و برسوله و فرض على العباد طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه.

وَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً قالت اليهود عزيرٌ ابن اللّه و قالت النصارى المسيح ابن اللّه و قالت مشركوا العرب الملائكة بنات اللّه سُبْحانَهُ تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه و الحاجة و الفناء بَلْ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ بل كله ملك له عزير و المسيح و الملائكة و غيرهم كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ منقادون مقرّون له بالعبودية طبعاً و حيلة لا يمتنعون عن مشيئته و تكوينه فكيف يكونون مجانسين له و من حق الولد أن يجانس والده.

بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ في الكافي عن الباقر عليه السلام في تفسيره ابتدع الأشياء كلها بعلمه على غير مثال كان قبله فابتدع السموات و الأرض و لم يكن قبلهن سموات و لا أرضون أما تسمع لقوله تعالى: (وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ) وَ إِذا قَضى أَمْراً أراد فعله و خلقه كما قال إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ لا بصوت يقرع و لا بنداء يسمع و إنما كلامه سبحانه فعل منه إنشاء و مثله لم يكن من قبل ذلك كائناً و لوكان قديماً لكان إلهاً ثانياً كذا في نهج البلاغة قال يقول و لا يلفظ و يريد و لا يضمر.

و في الكافي و التوحيد عن الكاظم: الإرادة من المخلوق الضمير و ما يبدو له بعد ذلك من الفضل و اما من اللّه تعالى فإرادته للفعل احداثه لا غير ذلك لأنه لا يروّي و لا يهمّ و لا يتفكر و هذه الصفات منتفية عنه و هي من صفات الخلق فارادة اللّه هي الفعل لا غير ذلك يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ بلا لفظ و لا نطق بلسان و لا همة و لا تفكر و لا كيف لذلك كما أنه لا كيف له. و في رواية وكن منه صنع و ما يكون منه هو المصنوع. وَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ جهلة المشركين و غير العاملين بعلمهم من أهل الكتاب لَوْ لا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ.

أقول: هذا كقوله سبحانه في المدثّر يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتى صُحُفاً مُنَشَّرَةً كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الأمم الماضية مِثْلَ قَوْلِهِمْ فقالوا أرنا اللّه جهرةً و هل يستطيع ربّك أن ينزّل علينا مائدة من السماء تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قلوب هؤلاء و من قبلهم في العمى و العناد قَدْ بَيَّنَّا الْآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ الحقائق.

إِنَّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً فلا عليك ان أصروا أو كابروا وَ لا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ.

في المجمع عن الباقر عليه السلام أنه على النهي كما قرئ.

وَ لَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ مبالغة في اقناط الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم عن إسلامهم فإنهم إذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملّتهم فكيف يتّبعُون ملّته كذا قيل قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ أي الإسلام هُوَ الْهُدى إلى الحق لا ما تدعون اليه وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ آرائهم الزائغة بَعْدَ الَّذِي جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ يدفع عنك عقابه و هذا من قبيل إياك أعني و اسمعي يا جارة.

الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ بالوقوف عند ذكر الجنة و النار يسأل في الأولى و يستعيذ في الاخرى كذا في المجمع عن العياشي عن الصادق عليه السلام. و في الكافي عنه هم الأئمة و رواه العياشي أيضاً.

أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ.

يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ.

وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا تَنْفَعُها شَفاعَةٌ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ قد مضى تفسير الآيتين قيل لما صدر قصّتهم بالأمر بذكر النعم و القيام بحقوقها و الحذر من إضاعتها و الخوف عن الساعة و أهوالها كرر ذلك و ختم به الكلام معهم مبالغة في النصح و إيذاناً بأنه فذلكة القصة و المقصود منها. و العياشي عن الصادق عليه السلام ان العدل الفريضة و عن الباقر عليه السلام ان العدل الفداء.

وَ إِذِ ابْتَلى‏ إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ، القمّي: هو ما ابتلاه به مما رآه في نومه من ذبح ولده فاتمّها إبراهيم عليه السلام و عزم عليها و سلم فلما عزم قال تبارك و تعالى ثواباً لما صدق و سلم و عمل بما أمره اللَّه إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ إبراهيم وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ جل جلاله لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ أي لا يكون بعهدي إمام ظالم ثم أنزل عليه الحنيفيّة و هي الطهارة و هي عشرة أشياء خمسة في الرأس و خمسة في البدن فاما التي في الرأس فأخذ الشارب و اعفاء اللحى و طمّ الشعر و السّواك و الخلال و اما التي في البدن فحلق الشعر من البدن و الختان و قلم الأظافر و الغسل من الجنابة و الطهور بالماء فهذه الحنيفية الطاهرة التي جاء بها إبراهيم عليه السلام فلم تنسخ و لا تنسخ إلى يوم القيامة. و في الخصال عن الصادق عليه السلام قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه و هو أنه قال يا رب أسألك بحق محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات اللَّه عليهم الا تبت علي فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ فقيل له يا بن رسول اللَّه فما يعني بقوله عز و جل: فَأَتَمَّهُنَّ قال يعني اتمهنّ إلى القائم اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين عليهم السلام.

و العياشي مضمراً قال: أتمهن بمحمد و علي و الأئمة من ولد علي عليهم السلام قال و قال إبراهيم: يا رب فعجّل بمحمد و علي ما وعدتني فيهما و عجّل بنصرك لهما. و في الكافي عن الصادق عليه السلام قال إن اللَّه تبارك و تعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبياً و ان اللَّه اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولًا و ان اللَّه اتخذه رسولًا قبل أن يتخذه خليلًا و ان اللَّه اتخذه خليلًا قبل أن يجعله إماماً فلما جمع له الأشياء قال إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قال فمن عظمها في عين إبراهيم قال وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ قال لا يكون السفيه إمام التقيّ و عنه عليه السلام من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً.

أقول: و فيه تعريض بالثلاثة حيث عَبَدوا الأصنام قبل الإسلام.

في العيون عن الرضا عليه السلام في حديث طويل ان الامامة خصّ اللَّه عز و جل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة و الخلّة مرتبة ثالثة و فضيلة شرفه بها و أشاد بها ذكره فقال عز و جل إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً فقال الخليل عليه السلام سروراً بها وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ اللَّه عز و جل لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة و صارت في الصفوة.

وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ الكعبة مَثابَةً مرجعاً و محل عود لِلنَّاسِ وَ أَمْناً.

في الكافي عن الصادق عليه السلام من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهو آمن من سخط اللَّه عز و جل و من دخله من الوحش و الطيركان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم.

وَ اتَّخِذُوا و قرئ بفتح الخاء مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى هو الحجر الذي عليه أثر قدمه في التهذيب عن الصادق عليه السلام يعني بذلك ركعتي طواف الفريضة و مثله في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام ما أعظم فرية أهل الشام على اللَّه تعالى يزعمون ان اللَّه تبارك و تعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس و لقد وضع عبد من عباد اللَّه قدمه على صخرة فأمرنا اللَّه أن نتّخذه مصلى الحديث.

و في المجمع و العياشي عنه عليه السلام قال نزلت ثلاثة أحجار من الجنة مقام إبراهيم و حجر بني إسرائيل و الحجر الأسود.

وَ عَهِدْنا إِلى‏ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ القمّي عن الصادق عليه السلام نحيا عنه المشركين و قال لما بنى إبراهيم عليه السلام البيت و حج الناس شكت الكعبة إلى اللَّه تعالى ما تلقى من أنفاس المشركين فأوحى اللَّه تعالى اليها قرّي كعبتي فاني أبعث في آخر الزمان قوماً يتنظفون بقضبان الشجر و يتخللون.

و في العلل و العياشي عنه عليه السلام أنه سئل أ يغتسلن النساء إذا أتين البيت قال نعم إن اللّه تعالى يقول طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ فينبغي للعبد أن لا يدخل إلا و هو طاهر قد غسل عنه العرق و الأذى و تطهر و مثله في الكافي.

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ في العلل عن الرضا عليه السلام لما دعا إبراهيم ربه أن يرزق أهله من الثمرات أمر بقطعة من الأردن فسارت بثمارها حتى طافت بالبيت ثم أمرها أن تنصرف إلى هذا الموضع الذي سمي بالطائف و لذلك سمي طائفاً.

و القمّي عن الصادق عليه السلام يعني من ثمرات القلوب أي حبّبهم إلى الناس لينتابوا إليهم و يعودوا.

أقول: هذا تأويل و ذاك تفسير و شاهد التأويل قوله في سورة إبراهيم فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ. و في العوالي حديث آخر يأتي هناك إن شاء اللّه. مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ العياشي عن السجاد عليه السلام قال: إيانا عني بذلك و أوليائه و شيعة وصيه قالَ قال اللّه وَ مَنْ كَفَرَ ارزقه ايضاً فَأُمَتِّعُهُ و قرئ بالتخفيف قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلى عَذابِ النَّارِ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ عذاب النار قال عنى بذلك من جحد وصيّه و لم يتبعه من أمته كذلك و اللّه هذه الامة. وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا تقرّبنا إليك ببناء البيت إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ لدعائنا الْعَلِيمُ بنيّاتنا.

القمّي عن الصادق عليه السلام قال لما بلغ إسماعيل مبلغ الرجال أمر اللّه إبراهيم أن يبني البيت فقال: يا رب في أي بقعة قال في البقعة التي أنزلت بها على آدم القبّة فأضاء لها الحرم فلم يدر إبراهيم في أي موضع يبنيه فان القبة التي أنزلها اللّه على آدم كانت قائمة إلى أيام الطوفان أيام نوح فلما غرقت الدنيا رفع اللّه تلك القبة و بقي موضعها لم يغرق و لهذا سمي البيت العتيق لأنه أعتق من الغرق فبعث اللّه جبرائيل فخطّ له موضع البيت فأنزل اللّه عليه القواعد من الجنة وكان الحجر لما أنزله اللّه على آدم أشد بياضاً من الثلج فلما مسّته أيدي الكفّار اسود فبنى إبراهيم عليه السلام البيت و نقل إسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة أذرع ثم دلّه على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم و وضعه في موضعه الذي هو فيه الآن فلما بنى جعل له بابين باباً إلى المشرق و باباً إلى المغرب و الباب الذي إلى المغرب يسمى المستجار ثم القى عليه الشجر الإذخر و علّقت هاجر على بابه كساء كان معه وكانوا يَكِنُّون تحته.

و في الكافي عنه عليه السلام في حديث فلما اذن اللّه له في البناء قدم إبراهيم فقال يا بني قد أمر اللّه ببناء الكعبة وكشفا عنها فإذا هو حجر واحد احمر فأوحى اللّه تعالى اليه ضع بناءها عليه و انزل اللّه تعالى اربعة أملاك يجمعون اليه الحجارة و الملائكة تناولهما حتى تمت اثنا عشر ذراعاً و هيأ له بابين باباً يدخل منه و باباً يخرج منه و وضعا عليه عتباً و شرجاً من حديد على أبوابه. و عن أحدهما عليهما السلام قال إن اللّه تعالى أمر إبراهيم ببناء الكعبة و ان يرفع قواعدها و يري الناس مناسكهم فبنى إبراهيم و إسماعيل البيت كل يوم ساقاً حتى انتهى إلى موضع الحجر الأسود.قال أبو جعفر عليه السلام فنادى ابو قبيس إبراهيم ان لك عندي وديعة فأعطاه الحجر فوضعه موضعه.

و في العلل و العياشي عن الصادق عليه السلام قال إن اللّه عز و جل أنزل الحجر لآدم عليه السلام من الجنة وكان البيت درّة بيضاء فرفعه اللّه إلى السماء و بقي اسُّه فهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون إليه أبداً فأمر اللّه إبراهيم و إسماعيل ببنيان البيت على القواعد.

و في المجمع عن الباقر عليه السلام ان إسماعيل أول من شق لسانه بالعربية وكان أبوه يقول و هما يبنيان: هاي أي أعطني حجراً فيقول له إسماعيل بالعربية يا أبت هاك حجراً فإبراهيم يبني و إسماعيل يناوله.

رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ منقادين مخلصين لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا و اجعل بعض ذريتنا أُمَّةً جماعة يؤمون أي يقصدون و يقتدى بهم مُسْلِمَةً لَكَ و هم أهل البيت الذي اذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً كذا عن الصادق عليه السلام و في رواية العياشي عنه عليه السلام أراد بالامة بني هاشم خاصة وَ أَرِنا عرفنا و قرئ بإسكان الراء

حيث وقع مَناسِكَنا متعبداتنا و النسك في الأصل العبادة و شاع في الحج لما فيه من الكلفة و البعد عن العادة وَ تُبْ عَلَيْنا عما لا ينبغي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ لمن تاب.

رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ في الامة المسلمة رَسُولًا مِنْهُمْ يعني من تلك الأمة كذلك عن الصادق عليه السلام و رواه العياشي و لم يبعث من ذريتهما غير نبينا صلّى اللَّه عليه و آله و سلم.

و القمّي يعني ولد إسماعيل قال فلذلك قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أنا دعوة أَبي إبراهيم عليه السلام يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ يقرأ عليهم و يبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد و النبوة وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ ما تكمل به نفوسهم من المعارف و الأحكام وَ يُزَكِّيهِمْ عن الشرك و المعاصي إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الذي لا يقهر و لا يغلب على ما يريد الْحَكِيمُ المحكم للأمر و الصانع على وفق الحكمة.

وَ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ استبعاد و انكار يعني لا يرغب عن ملته إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ الا من استهانها و أذلها و استخف بها قيل أصله سفه نفسه بالرفع نصب على التميز مثل غبن رأيه و قيل سفه بالكسر متعدّ و بالضم لازم و يشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق و تغمض الناس.

في المحاسن عن السجاد: ما احد على ملة ابراهيم الا نحن و شيعتنا و سائر الناس منها براء.

و في الكافي عن الصادق و الكاظم عليهما السلام ما في معناه.

وَ لَقَدِ اصْطَفَيْناهُ فِي الدُّنْيا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ حجة و بيان لذلك فان من كان بهذه الصفة فهو حقيق بأن يتبع لا يرغب عن اتباعه الا سفيه أو متسفّه.

إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ مبادراً إلى الإذعان و اخلاص السر أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ.

وَ وَصَّى بها أي بالملّة أو بهذه الكلمة أي بكلمة أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ و قرئ أوصى إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ و وصى بها يعقوب أيضاً بنيه يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ دين الإسلام فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أمرهم بالثبات على الإسلام بحيث لا يتطرق إليه الزوال بحال.

أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ على الإنكار أي ما كنتم حاضرين، قيل ان اليهود قالوا لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أ لست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت إِذْ قالَ لِبَنِيهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي أراد به تقريرهم على التوحيد و الإسلام و أخذ ميثاقهم على الثبات عليهما قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَ إِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ عد إسماعيل من آبائه لأن العرب تسمي العم أباً كما تسمي الجدّ اباً و ذلك لوجوب تعظيمهما كتعظيمه، و في الحديث عم الرجل صنو أبيه إِلهاً واحِداً تصريح بالتوحيد وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. العياشي عن الباقر عليه السلام أنها جرت في القائم عليه السلام.

أقول: لعل مراده عليه السلام أنها جارية في قائم آل محمد عليهم السلام فكل قائم منهم يقول حين الموت ذلك لبنيه و يجيبونه بما أجابوا به. تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ يعني إبراهيم و يعقوب و بنيهما لَها ما كَسَبَتْ وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ لكل أجر عمله.

أقول: يعني انتسابكم اليهم لا ينفعكم و إنما الانتفاع بالأعمال. وَ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم.

وَ قالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارى تَهْتَدُوا قالت اليهود كونوا هوداً تهتدوا و قالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ بل نكون اهل ملة ابراهيم متبعين له حَنِيفاً مائلًا عن كل دين إلى دين الحق.

العياشي عن الصادق عليه السلام قال الحنيفيّة هي الإسلام، و عن الباقر عليه السلام قال ما أبقت الحنيفية شيئاً حتى ان منها قص الشارب و قلم الأظافر و الختان وَ ما كانَ إبراهيم مِنَ الْمُشْرِكِينَ تعريض لأهل الكتابين فإنهم كانوا يدعون اتّباع ملّة إبراهيم و هم مع ذلك كانوا على الشرك.

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ. في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام إنما عني بذلك علياً و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و جرت في الأئمة عليهم السلام ثم يرجع القول من اللَّه في الناس فقال فَإِنْ آمَنُوا يعني الناس

بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ الآية و العياشي مضمراً و أما قوله قُولُوا فهم آل محمد عليهم السلام. وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا يعني القرآن وَ ما أُنْزِلَ إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ يعني الصحف و الأسباط حفدة يعقوب. العياشي: عن الباقر عليه السلام أنه سئل هل كان ولد يعقوب أنبياء قال: لا و لكنهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء و لم يكونوا فارقوا الدنيا الا سعداء تابوا و تذكروا ما صنعوا. وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى التوراة و الإنجيل وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ جملة المذكورون منهم و غير المذكورين مِنْ رَبِّهِمْ نزّل عليهم من ربهم لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ كاليهود يؤمن ببعض و يكفر ببعض، و أحد لوقوعه في سياق النفي عمّ فساغ أن يضاف إليه بين وَ نَحْنُ لَهُ للّه مُسْلِمُونَ مذعنون مخلصون.

في الخصال فيما علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه إذا قرأتم قُولُوا آمَنَّا فقولوا آمنا إلى قوله مُسْلِمُونَ.

و في الفقيه في وصاياه لابنه محمد بن الحنفيّة و فرض على اللسان الإقرار و التعبير عن القلب بما عقده عليه فقال عز و جل قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا الآية.

فَإِنْ آمَنُوا أي سائر الناس بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ بما آمنتم به و المثل مقحم في مثله كما في قوله تعالى وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ أي عليه و قرئ بحذفه فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا أعرضوا فَإِنَّما هُمْ فِي شِقاقٍ في كفر كذا في المجمع عن الصادق عليه السلام و أصله المخالفة و المناوأة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ تسلية و تسكين للمؤمنين و وعد لهم بالحفظ و النصر على من ناوأهم وَ هُوَ السَّمِيعُ لأقوالكم الْعَلِيمُ باخلاصكم.

صِبْغَةَ اللَّهِ صبغنا اللّه صبغة و هي فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها و فسرها الصادق عليه السلام بالإسلام كما في الكافي و رواه العياشي و عنه هي صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق و قيل سمي صبغة لأنه ظهر عليهم أثره ظهور الصّبغ على المصبوغ و تداخل قلوبهم تداخل الصبغ الثوب أو للمشاركة فان النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمّونه المعمودية و يقولون هو تطهير لهم و به تحقق نصرانيّتهم وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً لا صبغة احسن من صبغته وَ نَحْنُ لَهُ عابِدُونَ تعريض بهم أي لا نشرك به كشرككم.

قُلْ أَ تُحَاجُّونَنا أ تجادلوننا فِي اللَّهِ في شأنه و اصطفائه نبياً من العرب قيل ان أهل الكتاب قالوا الأنبياء كلهم منا و ديننا أقدم وكتابنا أسبق فلوكنت نبياً لكنت منا فنزلت وَ هُوَ رَبُّنا وَ رَبُّكُمْ لا اختصاص له يقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء وَ لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ موحدون نخلصه بالايمان و الطاعة دونكم.

أَمْ تَقُولُونَ و قرئ بالياء إِنَّ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطَ كانُوا هُوداً أَوْ نَصارى قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ قد نفى اللّه عز و جل عن إبراهيم اليهودية و النصرانية بقوله سبحانه ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ قيل يعني لا أحد أظلم من أهل الكتاب حيث كتموا شهادة اللّه لإبراهيم بالحنيفية و البراءة من اليهودية و النصرانية أو منا لوكتمنا هذه الشهادة و فيه تعريض بكتمانهم شهادة اللّه لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم بالنبوة و لعلي عليه السلام بالوصاية في كتبهم و غيرها وَ مَا اللَّهُ بغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ و قرئ بالياء وعيد لهم.

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ قيل التكرير للمبالغة في التحذير و الزجر عمّا استحكم في الطبائع من الافتخار بالآباء و الاتكال عليهم او الخطاب فيما سبق لهم و في هذه الآية لنا تحذير عن الاقتداء بهم أو المراد بالامة في الأول الأنبياء و في الثاني أسلاف اليهود و النصارى.

سَيَقُولُ السُّفَهاءُ مِنَ النَّاسِ الذين خفّ أحلامهم أو استمهنوها بالتقليد و الاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين و اليهود و المشركين و فائدة تقديم الأخبار به توطين النفس و أعداد الجواب ما وَلَّاهُمْ ما صرفهم عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها يعني بيت المقدس قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ لا يختص به مكان

دون مكان يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ و هو ما يقتضيه الحكمة و المصلحة من التوجه إلى بيت المقدس تارة و إلى الكعبة أخرى.و في تفسير الامام عليه السلام عند قوله عز و جل ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها.
و في الاحتجاج أيضاً عنه عليه السلام قال لما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم بمكة أمره اللّه عز و جل أن يتوجه نحو بيت المقدس في صلواته و يجعل الكعبة بينه و بينها إذا أمكن و إذا لم يمكن استقبل بيت المقدس كيف كان، وكان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاث عشرة سنة فلما كان بالمدينة وكان متعبداً باستقبال بيت المقدس استقبله و انحرف عن الكعبة سبعة عشر شهراً و جعل قوم من مردة اليهود يقولون و اللّه ما يدري محمدكيف صلّى حتى صار يتوجه إلى قبلتنا و يأخذ في صلواته بهدانا و نسكنا فاشتد ذلك على رسول اللّهِ صلّى اللّه عليه و آله و سلم لما اتصل به عنهم وكره قبلتهم و أحب الكعبة فجاءه جبرائيل فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: يا جبرائيل لوددت لو صرفني اللّه عز و جل عن بيت المقدس إلى الكعبة فلقد تأذّيت بما يتّصل بي من قبل اليهود من قبلتهم فقال جبرائيل عليه السلام: فسل ربك أن يحوّلك اليها فانه لا يردك عن طلبتك و لا يخيبك عن بغيتك فلما استتم دعاؤه صعد جبرائيل ثم عاد من ساعته فقال اقرأ يا محمد قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ الآيات فقالت اليهود عند ذلك ما وَلّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها فأجابهم اللّه بأحسن جواب فقال قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ و هو يملكهما و تكليفه التحول إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ و هو مصلحهم و مؤدّيهم بطاعة إلى جنات النعيم و جاء قوم من اليهود الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقالوا يا محمد هذه القبلة بيت المقدس قد صليت إليها اربع عشرة سنة ثم تركتها الآن فحقاً كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل فان ما يخالف الحق فهو باطل أوكان باطلًا فقدكنت عليه طول هذه المدة فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم بل ذلك كان حقاً و هذا حق يقول اللّه تعالى: (قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) إذا عرف صلاحكم يا أيها العباد في استقبال المشرق أمركم به و إذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به فلا تنكروا تدبير اللّه تعالى في عباده و قصده إلى مصالحكم ثم قال لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لقد تركتم العمل يوم السبت ثم عملتم بعده في سائر الأيام ثم تركتموه في السبت ثم عملتم بعده أ فتركتم الحق إلى باطل أو الباطل إلى حق أو الباطل إلى باطل أو الحق إلى حق قولوا كيف شئتم فهو قول محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و جوابه لكم قالوا بل ترك العمل في السبت حق و العمل بعده حق فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حق ثم قبلة الكعبة في وقتها حق فقالوا يا محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم فبدا لربك فيما كان أمرك به بزعمك من الصلاة إلى بيت المقدس حين نقلك إلى الكعبة فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ما بدا له عن ذلك فانه العالم بالعواقب و القادر على المصالح لا يستدرك على نفسه غلطاً و لا يستحدث رأياً بخلاف المتقدم جل عن ذلك و لا يقع عليه أيضاً مانع يمنعه من مراده و ليس يبدو الا لمن كان هذا وصفه و هو جل و عز يتعالى عن هذه الصفات علواً كبيراً ثم قال لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أيها اليهود أخبروني عن اللّه أليس يمرض ثم يصح و يصح ثم يمرض أبداً له في ذلك أليس يحيي و يميت أبداً له في كل واحد من ذلك قالوا: لا، قال فكذلك اللّه يعبّد نبيّه محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم بالصلاة إلى الكعبة بعد أن كان يعبده بالصلاة إلى بيت المقدس و ما بدا له في الأول قال أليس اللّه يأتي بالشتاء في أثر الصيف و الصيف بعد الشتاء أبدا له في كل واحد من ذلك قالوا: لا قال: فكذلك لم يبد له في القبلة ثم قال أليس ألزمكم في الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة و ألزمكم في الصيف أن تحترزوا من الحر فبدا له في الصيف حتى أمركم بخلاف ما كان أمركم به في الشتاء قالوا: لا، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: فكذلكم اللّه في تعبّدكم في وقت لصلاح يعلمه بشيء ثم تعبّدكم في وقت آخر لصلاح آخر يعلمه بشيء آخر فإذا أطعتم اللّه في الحالين استحققتم ثوابه و أنزل اللّه (وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ

فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) إذا توجهتم بأمره فثمّ الوجه الذي تقصدون منه اللّه و تأملون ثوابه ثم قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يا عباد اللّه أنتم كالمرضى و اللّه رب العالمين كالطبيب و صلاح المريض فيما يعلمه الطبيب و يدبّره لا فيما يشتهيه المريض و يقترحه الا فسلّموا للّه أمره تكونوا من الفائزين.وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً القمّي يعني أئمّة وَسَطاً قال أي عدلًا واسطة بين الرسول و الناس.

أقول: فالخطاب للمعصومين عليهم السلام خاصة لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ يعني يوم القيامة وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام نحن الأمة الوسط و نحن شهداء اللّه على خلقه و حججه في أرضه و سمائه و في حديث ليلة القدر عنه عليه السلام و ايم اللّه لقد قضي الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختلاف و لذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم علينا و لنشهد على شيعتنا و ليشهد شيعتنا على الناس.

أقول: أراد بالشيعة خواص الشيعة الذين معهم و في درجتهم كما قالوا شيعتنا معنا و في درجتنا لئلا ينافي الخبر السابق و الأخبار الآتية، و في شواهد التنزيل عن أمير المؤمنين عليه السلام إيّانا عني بقوله: لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ فرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم شاهد علينا و نحن شهداء اللّه على خلقه و حجته في أرضه و نحن الذين قال اللّه وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً.

و العياشي عن الباقر عليه السلام نحن نمط الحجاز قيل و ما نمط الحجاز قال أوسط الأنماط إن اللّه يقول وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً قال إلينا يرجع الغالي و بنا يلحق المقصّر.

و في المناقب عنه عليه السلام إنما أنزل اللّه وكذلك جعلناكم أمّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول شهيداً عليكم قال و لا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة و الرسل فأمّا الأمّة فانه غير جائز ان يستشهدها اللّه و فيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل.

أقول: لعل المراد بهذا المعنى أنزل اللّه و قد مضى في دعاء إبراهيم وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ و قد عرفت هناك أن الامة بمعنى المقصود سميت بها الجماعة لأن الفرق تؤمها. و العياشي عن الصادق عليه السلام قال ظننت أن اللّه عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين أفترى أن من لا يجوز شهادته في الدنيا على صاعٍ من تمر يطلب اللّه شهادته يوم القيامة و يقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية كلا لم يعن اللّه مثل هذا من خلقه يعني الامة التي وجبت لها دعوة إبراهيم كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ و هم الأئمة الوسطى و هم خير أمة أخرجت للناس.

أقول: لما كان الأنبياء و الأوصياء معصومين من الكذب و جاز الوثوق بشهادتهم للّه سبحانه على الأمم دون سائر الناس جعل اللّه تعالى في كل أمة منهم شهيداً ليشهد عليهم بأن اللّه أرسل رسوله إليهم و اتمّ حجّته عليهم و بأن منهم من أطاعه و منهم من عصاه لئلا ينكروه غداً فالنبي يشهد للّه على الأئمة بأن اللّه أرسله إليهم و أنهم أطاعوه و الأئمة يشهدون للّه على الأمم بأن اللّه أرسل النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم اليهم و للنبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم بأنه بلغهم و أن منهم من أطاعه و منهم من عصاه وكذلك يشهد نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلم لسائر النبيين على أممهم بأن النبيين بلّغوا رسالات ربّهم إلى أممهم، و يأتي تمام الكلام في هذا في سورة النساء إنشاء اللّه. وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها يعني بيت المقدس إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ يرتد عن دينه الفاً بقبلة آبائه، في تفسير الامام و في الاحتجاج عنه عليه السلام يعني الا لنعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد قال و ذلك ان هوى أهل مكة كان في الكعبة فأراد اللّه أن يبين متّبع محمد ممن خالفه باتباع القبلة التي كرهها و محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم يأمر بها و لما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها و التوجه إلى الكعبة ليتبين من يوافق محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم فيما يكرهه فهو مصدقه و موافقه وَ إِنْ كانَتْ الصلاة إلى بيت المقدس في ذلك الوقت، لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ و عرف إن اللّه يتعبد بخلاف ما يريده المرء ليبتلي طاعته في مخالفة هواه وَ

ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ يعني صلاتكم إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ. العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الايمان أقَوْل هو و عمل أم قول بلا عمل فقال الايمان عمل كله و القول بعض ذلك العمل مفترض من اللَّه مبين في كتابه واضح نوره ثابتة حجّته يشهد له بها الكتاب و يدعو إليه و لما انصرف نبيه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أ رأيت صلاتنا التي كنا نصلي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها و حال من مضى من أمواتنا و هم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل اللَّه وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ فسمي الصلاة إيمانا فمن لقي اللَّه حافظاً لجوارحه موفياً كل جارحة من جوارحه ما فرض اللَّه عليه لقي اللَّه مستكملًا لإيمانه و هو من أهل الجنة و من خان في شيء منها أو تعدى ما أمر اللَّه فيها لقي اللَّه ناقص الايمان.

قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ أي تردد وجهك في جهة السماء تطلعاً للوحي، و قيل كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم يقع في روعه و يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم و أقدم القبلتين و ادعى للعرب إلى الايمان و لمخالفة اليهود فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها تحبها و تتشوق إليها لمقاصد دينية وافقت مشيّة اللَّه تعالى و حكمته فَوَلِّ وَجْهَكَ اصرف وجهك شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ نحوه و إنما ذكر المسجد اكتفاء بمراعاة الجهة. و القمّي ان هذه الآية متقدمة على آية سَيَقُولُ السُّفَهاءُ. و في الفقيه أن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم صلّى إلى بيت المقدس بعد النبوة ثلاث عشرة سنة بمكة و تسعة عشر شهراً بالمدينة ثم عيّرته اليهود فقالوا له إنّك تابع لقبلتنا فاغتمّ لذلك غمّاً شديداً فلما كان في بعض الليل خرج عليه السلام يقلّب وجهه في آفاق السماء فلما أصبح صلّى الغداة فلما صلّى من الظهر ركعتين جاء جبرائيل فقال له قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ الآية ثم أخذ بيد النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فحوّل وجهه إلى الكعبة و حول من خلفه وجوههم حتى قام الرجال مقام النساء و النساء مقام الرجال فكان أول صلاته إلى البيت المقدس و آخرها إلى الكعبة و بلغ الخبر مسجداً بالمدينة و قد صلّى أهله من العصر ركعتين فحولوا نحو القبلة فكانت أول صلاتهم إلى بيت المقدس و آخرها إلى الكعبة فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين.

و القمّي ما يقرب منه قال: وكان النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم في مسجد بني سالم.

وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ خصّ الرسول بالخطاب تعظيماً له و إيجاباً لرغبته ثم عمّ تصريحاً بعموم الحكم جميع الامة و سائر الأمكنة و تأكيداً لأمر القبلة و تخصيصاً للامة على المتابعة وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ لعلمهم بأن عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة و لتضمّن كتبهم أنه يصلي إلى القبلتين وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ وعد و وعيد للفريقين.

وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ برهان و حجة ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ لأن المعاند لا تنفعه الدلالة وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ قطع لأطماعهم وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ لتصلب كل حزب فيما هو فيه وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ على سبيل الفرض المحال او المراد به غيره من أمته من قبيل إياك أعني و اسمعي يا جارة إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ أكد تهديده و بالغ فيه تعظيماً للحق و تحريصاً على اقتفائه و تحذيراً عن متابعة الهواء و استعظاماً لصدور الذنب عن الأنبياء.

الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يعني علماءهم يَعْرِفُونَهُ يعرفون محمداً صلّى اللَّه عليه و آله و سلم بنعته و صفته و مبعثه و مهاجره و صفة أصحابه في التوراة و الإنجيل كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ في منازلهم وَ إِنَّ فَرِيقاً و هم المعاندون دون المؤمنين مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ إنك لرسول إليهم فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ الشاكين. لِكُلٍّ وِجْهَةٌ و لكل قوم قبلة و ملّة و شرعة و منهاج يتوجهون إليهاوَ مُوَلِّيها اللَّه موليها إياهم و قرئ مولاها بالألف أي قد وليّهااسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ الطاعات و في الكافي عن الباقر عليه السلامْخَيْراتِ الولاية.

أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً قيل أينما متم في بلاد اللَّه يأت بكم اللَّه جميعاً إلى المحشر يوم القيامة.

و في اخبار أهل البيت أن المراد به أصحاب المهدي في آخر الزمان و في المجمع و العياشي عن الرضا عليه السلام أن لو قام قائمنا لجمع اللّٰه جميع شيعتنا من جميع البلدان.
و في الإكمال و العياشي عن الصادق عليه السلام لقد نزلت هذه الآية في أصحاب القائم و إنهم المفتقدون من فرشهم ليلًا فيصبحون بمكة و بعضهم يسير في السحاب نهاراً نعرف اسمه و اسم أبيه و حليته و نسبهإِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌعلى الاماتة و الأحياء و الجمع.
وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ للسفر في البلاد فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ إذا صلّيت وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ و إن التوجه إلى الكعبة للحق الثابت المأمور به من ربك وَ مَا اللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ و قرئ بالياء.
وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ وَ حَيْثُ مٰا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ قيل كرّر الحكم لتعدّد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول ابتغاء لمرضاته و جري العادة الالهية على أن يولي أهل كل ملّة و صاحب دعوة جهة يستقبلها و يتميز بها و دفع حجج المخالفين كما يأتي و قرن بكل علّة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريباً و تقريراً مع أن القبلة لها شأن و النّسخ من مظان الفتنة و الشبهة فبالحري أن يؤكد أمرها و يعاد ذكرها مرة بعد أخرى لِئَلّٰا يَكُونَ لِلنّٰاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ علّة لقوله تعالى فَوَلُّوا، و المعنى أن التولية عن بيت المقدس إلى الكعبة يدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة قبلته الكعبة و ان محمداً يجحد ديننا و يتّبعنا في قبلتنا و احتجاج المشركين بأنّه يدّعي ملّة إبراهيم و يخالف قبلته إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ.
القمّي: إلا هاهنا بمعنى و لا و ليست استثناء يعني و لا الذين ظلموا منهم و قيل معناه الا الحجة الداحضة من المعاندين بأن قالوا ما تحول إلى الكعبة الا ميلًا إلى دين قومه و حباً لبلده أو بدا له فرجع إلى قبلة آبائه و يوشك أن يرجع إلى دينهم.
فَلٰا تَخْشَوْهُمْ فان مطاعنهم لا تضرّكم وَ اخْشَوْنِي فلا تخالفوا ما أمرتكم به وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ عن النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم تمام النعمة دخول الجنة و عن أمير المؤمنين عليه السلام تمام النعمة الموت على الإسلام.
أقول: لا تنافي بين الخبرين لتلازم الأمرين.
كَمٰا أَرْسَلْنٰا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ أي وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ كما أتممتها بإرسال رسول منكم يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيٰاتِنٰا وَ يُزَكِّيكُمْ يحملكم على ما تصيرون به أزكياء قدّمه على التعليم باعتبار القصد و أخرّه في دعوة إبراهيم باعتبار الفعل وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتٰابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ مٰا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ بالفكر و النظر إذ لا طريق إلى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على أنه جنس آخر. فَاذْكُرُونِي بالطاعة أَذْكُرْكُمْ بالثواب وَ اشْكُرُوا لِي ما أنعمت به عليكم وَ لٰا تَكْفُرُونِ بجحد النعم و عصيان الأمر أراد بالكفركفر النعم كذا في الكافي و العياشي عن الصادق، و القمّي عن الباقر صلوات اللّٰه عليهما ذكر اللّٰه لأهل الطاعة أكبر من ذكرهم إياه ألا ترى أنّه يقول فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ.
و في الخصال: عن أمير المؤمنين عليه السلام اذكروا اللّٰه في كل مكان فانه معكم.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام قال قال اللّٰه عز و جل: يا بن آدم اذكرني في ملأ أذكرك في ملأ خير من مَلَئِكَ و عنه عليه السلام في حديث عيسى يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي و اذكرني في ملئك أذكرك في ملأ خير من ملأ الآدميين. و عنه عليه السلام ان اللّٰه لم يذكره أحد من عباده المؤمنين الا ذكره بخير فأعطوا اللّٰه من أنفسكم الاجتهاد في طاعته. و في المجمع و العياشي عن الباقر عليه السلام قال قال النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم ان الملك ينزل الصحيفة من أول النهار و أول الليل يكتب فيها عمل ابن آدم فأملوا في أولها خيراً و في آخرها خيراً فان اللّٰه يغفر لكم ما بين ذلك إن شاء اللّٰه فانه يقول فَاذْكُرُونِي

أَذْكُرْكُمْ. و في الخصال عنه عليه السلام في البلاء من اللّٰه الصبر فريضة و في القضاء من اللّٰه التسليم فريضة و في النعمة من اللّٰه الشكر فريضة.
و عن السجّاد: من قال الحمد للّٰه فقد أدى شكركل نعم اللّٰه.
و عن أمير المؤمنين عليه السلام شكركل نعمة الورع عمّا حرّمه اللّٰه.
و العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل هل للشكر حدّ إذا فعله الرجل كان شاكراً قال نعم قيل و ما هو قال الحمد للّٰه على كل نعمة أنعمها علي و إن كان له فيما أنعم عليه حق أداه و منه قول اللّٰه: (سُبْحانَ الَّذي سَخَّرَ لَنا هذا) حتى عدّ آيات. يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ عن المعاصي و حظوظ النفس وَ الصَّلاٰةِ التي هي أم العبادات و معراج المؤمنين و مناجاة رب العالمين إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصَّابرينَ بالنصر و إجابة الدعوة.
في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام في كلام له قال فمن صبركرهاً و لم يشك إلى الخلق و لم يجزع بهتك ستره فهو من العام و نصيبه ما قال اللّٰه وَ بَشِّرِ الصَّابرينَ أي بالجنة و من استقبل البلايا بالرّحب و صبر على سكينة و وقار فهو من الخاص و نصيبه ما قال إِنَّ اللّٰهَ مَعَ الصَّابرينَ.
وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أَمْواتٌ أي هم أموات بَلْ أَحْياءٌ بل هم أحياء وَ لكِنْ لا تَشْعُرُونَ ما حالهم.
في الكافي و التهذيب عن يونس بن ظبيان عن الصادق عليه السلام أنه قال له ما يقول الناس في أرواح المؤمنين قال يقولون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش فقال سبحان اللّٰه المؤمن أكرم على اللّٰه من أن يجعل روحه في حوصلة طير يا يونس إذا كان ذاك أتاه محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات اللّٰه عليهم و الملائكة المقرّبون فإذا قبضه اللّٰه تعالى صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون و يشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا.
و في التهذيب عنه عليه السلام أنه سئل عن أرواح المؤمنين فقال في الجنة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان. وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ و لنصيبنكم إصابة المختبر هل تصبرون على البلاء و تستسلمون للقضاء بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصَّابرينَ أي بالجنّة كما مرّ.
و في نهج البلاغة إن اللّٰه يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات و حبس البركات و إغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب و يقلع مقلع و يتذكر متذكّر و يزدجر مزدجر.
و في الإكمال عن الصادق عليه السلام ان هذه علامات قيام القائم يكون من اللّٰه عز و جل للمؤمنين قال بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ من ملوك بني أمية في آخر سلطانهم وَ الْجُوعِ بغلاء أسعارهم وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ فساد التجارات و قلّة الفضل و نقص من الْأَنْفُسِ الموت الذريع و نقص من الثَّمَراتِ بقلّة ريع ما يزرع وَ بَشِّرِ الصَّابرينَ عند ذلك بتعجيل خروج القائم عليه السلام ثم قال هذا تأويله ان اللّٰه عز و جل يقول وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّٰهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ. الَّذينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ في الحديث كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة قالُوا إِنَّا لِلّٰهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجعُونَ.
في نهج البلاغة: إن قولنا إِنَّا لِلّٰهِ إقرار على أنفسنا بالملك و قولنا إِنَّا إِلَيْهِ راجعُونَ إقرار على أنفسنا بالهلك.
و في المجمع: عن النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم من استرجع عند المصيبة جبر اللّٰه مصيبته و أحسن عقباه و جعل له خلفاً صالحاً يرضيه، و قال قال من أصيب بمصيبة فأحدث استرجاعاً و ان تقادم عهدها كتب اللّٰه له من الأجر مثله يوم أصيب. و في الكافي: عن الباقر عليه السلام ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند ذكره المصيبة و يصبر حين تفجأه الا غفر اللّٰه له ما تقدم من ذنبه وكل ما ذكر مصيبة فاسترجع عند ذكره المصيبة غفر اللّٰه له كل ذنب فيما بينهما. و عن الصادق عليه السلام من ذكر مصيبة و لو بعد حين فقال إِنَّا لِلّٰهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجعُونَ و الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ اللهم أجرني على مصيبتي و اخلف علي أفضل منها كان له من الأجر مثل ما كان له عند أول صدمته.

و في الخصال و العياشي: عنه عليه السلام عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أربع خصال من كنّ فيه كان في نور اللَّه الأعظم من كانت عصمة أمره شهادة أن لا إله إلّا اللَّه و أني رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و من إذا أصابته مصيبة قال: إنّا للَّه و إنّا إليه راجعون و من إذا أصاب خيراً قال الحمد للَّه و من إذا أصابته خطيئة قال استغفر اللَّه و أتوب إليه.أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ قيل الصلاة من اللَّه التزكية و المغفرة و الرحمة و اللطف و الإحسان. و في الخصال و العياشي عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم قال اللَّه إني جعلت الدنيا بين عبادي فيضاً فمن أقرضني منها قرضاً أعطيته بكل واحدة منها عشراً إلى سبعمائة ضعف و ما شئت من ذلك و من لم يقرضني منها قرضاً فأخذت منه قسراً أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهن ملائكتي لرضوا الصلاة و الهداية و الرحمة إن اللَّه تعالى يقول الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ الآية. إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ هما علما جبلين بمكة مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ من أعلام مناسكه جمع شعيرة و هي العلامة فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ الحج لغة القصد و الاعتمار الزيارة فغلّبا شرعاً على قصد البيت و زيارته على الوجهين المخصوصين فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما العياشي عن الباقر عليه السلام أي لا حرج عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بهما.و في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن السعي بين الصفا و المروة فريضة أم سنة فقال فريضة قيل أو ليس قال اللَّه عز و جل فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما، قال كان ذلك في عمرة القضاء ان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام من الصفا و المروة فتشاغل رجل عن السعي حتى انقضت الأيام و أعيدت الأصنام فجاءوا إليه فقالوا يا رسول اللّه إن فلاناً لم يسع بين الصفا و المروة و قد أعيدت الأصنام فأنزل اللّه تعالى: (إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ) إلى قوله فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما أي و عليهما الأصنام.

و القمّي أن قريشاً كانت وضعت أصنامهم بين الصفا و المروة و يتمسّحون بها إذا سعوا فلما كان من أمر رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم في غزوة الحديبيّة ما كان و صدّوه عن البيت و شرطوا له أن يخلوا له البيت في عام قابل حتى يقضي عمرته ثلاثة أيام ثم يخرج عنه فلما كانت عمرة القضاء في سنة سَبْع من الهجرة دخل مكة و قال لقريش ارفعوا أصنامكم حتى أسعى فرفعوها الحديث كما في الكافي بأدنى تفاوت.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام أن المسلمين كانوا يظنون أن السعي ما بين الصفا و المروة شيء صنعه المشركون فأنزل اللَّه هذه الآية، و عنه عليه السلام جعل السعي بين الصفا و المروة مذلّة للجبّارين وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فأكثر الطواف أو فعل طاعة اخرى و قرئ بالياء و تشديد الطاء و جزم العين فَإِنَّ اللَّهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ مثيب عليه لا يخفى عليه.

أقول: الآية الآتية و ما بعدها إلى قوله سبحانه: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ مما وجد من تفسير أبي محمد الزكيّ تفسيره و يكون بناء تفسيرنا فيها عليه كما كان فيما سبق فيما يوجد منه.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ كأحبار اليهود الكاتمين للآيات الشاهدة على أمر محمد و علي عليهما السلام و نعتهما و حليتهما وكالنواصب الكاتمين لما نزل في فضل علي عليه السلام وَ الْهُدى وكل ما يهدي إلى وجوب اتباعهما و الايمان بهما مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتابِ في التوراة و غيره أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ أي الذين يتأتى منهم اللّعن عليهم من الملائكة و الثّقلين حتى أنفسهم فان الكافرين يقولون لعن اللَّه الكافرين.

و العياشي: عن الصادق عليه السلام في قوله اللَّاعِنُونَ قال نحن هم و قد قالوا هوام الأرض.

و في الاحتجاج و تفسير الامام عليه السلام: في غير هذا الموضع قال ابو محمد عليه السلام قيل لأمير المؤمنين عليه السلام من خير خلق اللَّه بعد أئمة الهدى و مصابيح الدّجى قال العلماء إذا صلحوا قيل فمن شرّ خلق اللَّه بعد إبليس و فرعون و ثمود و بعد المتسمّين بأسمائكم و المتلقّبين بألقابكم و الآخذين لأمكنتكم و

المتآمرين في ممالككم قال العلماء إذا فسدوا هم المظهرون للأباطيل الكاتمون للحقائق و فيهم قال اللّٰه عز و جل أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ.
و عن النبيّ صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم أنه قال من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار.
و القمّي مرفوعاً عن النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه و من لم يفعل فعليه لعنة اللّٰه.
و العياشي عن الباقر عليه السلام أن رجلًا أتى سلمان الفارسي رضي اللّٰه عنه فقال حدثني فسكت عنه ثم عاد فسكت ثم عاد فسكت فأدبر الرجل و هو يتلو هذه الآية: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ) فقال له أقبل انا لو وجدنا أميناً لحدّثناه الحديث.
إِلَّا الَّذِينَ تابُوا عن الكتمان وَ أَصْلَحُوا ما أفسدوا بالتدارك وَ بَيَّنُوا ما ذكره اللّٰه من نعت محمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم و صفته و ما ذكره رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم من فضل علي و ولايته لتتم توبتهم فَأُولئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ بالقبول و المغفرة وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ المبالغ في قبول التوبة و إفاضة الرحمة.
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا في ردّهم نبوة محمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم و ولاية علي عليه السلام وَ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ استقر عليهم البعد من الرحمة.
خالِدِينَ فِيها في اللعنة في نار جهنم لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ يوماً و لا ساعة وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ يمهلون.
وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ قيل أي المستحق منكم للعبادة واحد لا شريك له يصحّ أن يعبد او يسمى إلهاً لا إِلهَ إِلَّا هُوَ تقرير للوحدانية و إزاحة لأن يتوهم ان في الوجود إلهاً و لكن لا يستحق منهم العبادة الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ كالحجة عليها. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ بلا عمد من تحتها يمنعها من السقوط و لا علاقة من فوقها تحبسها من الوقوع عليكم و أنتم أيها العباد و الإماء اسرائي في قبضتي الأرض من تحتكم لا منجى لكم منها أين هربتم و السماء من فوقكم لا محيص لكم عنها اين ذهبتم فان شئت أهلكتكم بهذه و إن شئت أهلكتكم بتلك ثم ما في السموات من الشمس المنيرة في نهاركم لتنشروا في معايشكم و من القمر المضيء في ليلكم لتبصروا في ظلمتها و ألجأتكم بالاستراحة في الظلمة إلى ترك مواصلة الكدّ الذي ينهك أبدانكم وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ المتتابعين الكارين عليكم بالعجائب التي يحدثها ربكم في عالمه من إسعاد و اشقاء و إعزاز و إذلال و إغناء و إفقار و صيف و شتاء و خريف و ربيع و خصب و قحط و خوف و أمن وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النَّاسَ التي جعلها اللّٰه مطاياكم لا تهدأ ليلًا و لا نهاراً و لا تقتضيكم علفاً و لا ماء وكفاكم بالرياح مئونة تسييرها بقواكم التي كانت لا تقوم بها لو ركدت عنها الرياح لتمام مصالحكم و منافعكم و بلوغكم الحوائج لأنفسكم وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ وابلًا و هطلًا و رذاذاً لا ينزل عليكم دفعة واحدة فيغرقكم و يهلك معايشكم لكنه ينزل متفرقاً من علاء حتى يعم الأوهاد و التلال و التلاع فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها فيخرج نباتها و حبوبها و ثمارها وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ منها ما هي لأهلكم و معايشكم و منها سباع ضارية حافظة عليكم أنعامكم لئلا تشذّ عليكم خوفاً من افتراسها لها وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ المربية لحبوبكم المبلّغة لثماركم النافية لركود الهواء و الإقتار عنكم، و قرئ بتوحيد الريح وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ المذلّل الواقف بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ يحمل أمطارها و يجري بإذن اللّٰه و يصبّها حيث يؤمر لَآياتٍ دلائل واضحات لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يتفكرون فيها بعقولهم.
وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْداداً من الأصنام و من الرؤساء الذين يطيعونهم.
في الكافي عن الباقر عليه السلام و العياشي عن الصادق عليه السلام هم و اللّٰه أولياء فلان و فلان اتخذوهم أئمة دون الامام الذي جعله اللّٰه للناس إماماً فلذلك قال وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الآية ثم قال و اللّٰه هم أئمة الظلم و أشياعهم يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ قيل أي يعظمونهم و يطيعونهم كتعظيمه و الميل إلى طاعته أي يسوّون

بينهم و بينه في المحبة و الطاعة وَ الَّذينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ من هؤلاء المتخذين الأنداد مع اللّه لأندادهم لأن المؤمنين يرون الربوبية و القدرة للّه لا يشركون به شيئاً فمحبّتهم خالصة له.
و العياشي عن الباقر و الصادق عليهما السلام هم آل محمد عليهم السلام.
أقول: يعني الَّذينَ آمَنُوا و يأتي تحقيق معنى محبة اللّه عز و جل في سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ إن شاء اللّه.
وَ لَوْ يَرَى الَّذينَ ظَلَمُوا باتخاذ الأصنام أنداداً للّه سبحانه و الكفار و الفجار مثالا لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و علي عليه السلام و قرئ بالتاء إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ حين يرون العذاب الواقع بهم لكفرهم و عنادهم و قرئ بضمّ الياء أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ يعلمون أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَميعاً يعذّب من يشاء و يكرم من يشاء و لا قوة للكفار يمتنعون بها من عذابه وَ أَنَّ اللَّهَ شَديدُ الْعَذابِ و يعلمون أَنَّ اللَّهَ شَديدُ الْعَذابِ و قيل جواب لو محذوف أي لندموا أشدّ الندم.
إِذْ تَبَرَّأَ الَّذينَ اتُّبِعُوا أي لو يرى هؤلاء المتخذون الأنداد حين تبرأ الرؤساء مِنَ الَّذينَ اتَّبَعُوا الرعايا و الاتباع وَ رَأَوُا الْعَذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ الوصلات التي كانت بينهم يتواصلون بها ففنيت حيلتهم و لا يقدرون على النجاة من عذاب اللّه بشيء. وَ قالَ الَّذينَ اتَّبَعُوا الاتباع لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً يتمنون لوكان لهم رجعة إلى الدنيا فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ هناك كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا هنا كَذلِكَ كما تبرى بعضهم من بعض يُريهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ و ذلك إنهم عملوا في الدنيا لغير اللّه أو على غير الوجه الذي أمر اللّه فيرونها لا ثواب لها و يرون أعمال غيرهم التي كانت للّه قد عظم اللّه ثواب أهلها. و في الكافي و الفقيه و العياشي عن الصادق عليه السلام في قوله عز و جل يُريهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة اللّه بخلًا ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة اللّه او معصية اللّه فان عمل به في طاعة اللّه رآه في ميزان غيره فرآه حسرة و قد كان المال له و إن كان عمل به في معصية اللّه قواه بذلك المال حتى عمل به في معصيته عز و جل وَ ما هُمْ بِخارِجينَ مِنَ النَّارِ و قدكان عذابهم سرمداً دائماً إذكانت ذنوبهم كفراً لا تلحقهم شفاعة نبي و لا وصي و لا خير من خيار شيعتهم.
يا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ من أنواع ثمارها و أطعمتها حَلالًا طَيِّباً لكم إذا أطعمتم ربكم في تعظيم من عظمه و الاستخفاف لمن أهانه و صغّره و قيل نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم رفيع الأطعمة و الملابس وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ ما يخطو بكم اليه و يغريكم به من مخالفة اللّه عز و جل.
العياشي عن الباقر عليه السلام كل يمين بغير اللّه فهو من خُطُواتِ الشَّيْطانِ و في المجمع عنهما عليهما السلام ما في معناه إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبينٌ. إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ قيل كاتخاذ الأنداد و تحليل المحرمات و تحريم الطيبات.
أقول: فيه دلالة على المنع من اتباع الظن في المسائل الدينية رأساً.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام إياك و خصلتين ففيهما هلك من هلك إياك ان تفتي الناس برأيك و تدين بما لا تعلم. و عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن حق اللّه تعالى على العباد قال أن يقولوا ما يعلمون و يقفوا عند ما لا يعلمون.
وَ إِذا قيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ في كتابه قيل الضمير للناس و عدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالتهم كأنه التفت إلى العقلاء و قال لهم انظروا إلى هؤلاء الحمقى ما ذا يجيبون قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا حسبنا ما وجدنا عَلَيْهِ آباءَنا من الدين و المذهب أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ إلى الحق و الصواب.
أقول: فيه دليل على وجوب اعمال البصيرة و لو في معرفة من يقلّده.
وَ مَثَلُ الَّذينَ كَفَرُوا في عبادتهم الأصنام و اتخاذهم الأنداد من دون محمد و علي كَمَثَلِ الَّذي يَنْعِقُ يصوت بِما لا يَسْمَعُ منه إِلَّا دُعاءً وَ نِداءً لا يفهم ما يراد منه فيغيث المستغيث و يعين من استعانه.

و في المجمع عن الباقر أي مثلهم في دعائك إياهم إلى الايمان كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم و إنما تسمع الصوت.
أقول: يعني بذلك أن مثل داعيهم كمثل داعي البهائم فإنهم لانهماكهم في التقليد لا يلقون أذهانهم إلى ما يتلى عليهم و لا يتأملون فيما يقرّر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق بها فتسمع الصوت و لا تعرف مغزاه و تحس النداء و لا تفهم معناه و هذا المعنى مع افتقاره إلى الإضمار أوضح من الأول لأن الأصنام لا تسمع دعاء و لا نداء كما انها لا تفهم ما يراد منها الا أن يجعل ذلك من باب التمثيل المركب أو يجعل اتخاذهم الأنداد في الحديث تفسيراً لعبادتهم الأصنام و أريد بالأنداد و الأصنام جميعاً أئمة الضلال.
صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ عن الهدى فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ امر اللّه سبحانه.
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ على ما رزقكم و أحلّ لكم إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ.
أقول: يعني و اشكروا له نعمه إن صح انّكم تختصونه بالعبادة و تقرّون انه مولى النعم فان عبادته لا تتم إلا بالشكر بأن تعتقدوا بأن النعمة من اللّه و تصرفوا النعم فيما خلقت له و تحمدوا اللّه بألسنتكم، و روي عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم يقول اللّه تعالى إني و الجن و الإنس في نبأ عظيم أخلق و يعبد غيري و ارزق و يشكر غيري.
إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ التي ماتت حتف أنفها بلا ذباحة من حيث اذن اللّه وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ما ذكر اسم غير اللّه عليه من الذبائح و هي التي تتقرب بها الكفّار بأسامي أندادهم التي اتخذوها من دون اللّه فَمَنِ اضْطُرَّ إلى شيء من هذه المحرّمات غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ و هو غير باغ عند الضرورة على إمام هدى و لا معتد قوّال بالباطل في نبوة من ليس بنبي و إمامة من ليس بإمام.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام الباغي الذي يخرج على الامام و العادي الذي يقطع الطريق لا تحل لهما الميتة. و العياشي عنه عليه السلام ما في معناه و في رواية الباغي الظالم و العادي الغاصب.
و في التهذيب و العياشي عنه عليه السلام الباغي باغي الصيد و العادي السارق ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرا هي حرام عليهما ليس هي عليهما كما هي على المسلمين.
و فيه و في الفقيه عن الجواد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقيل له إنّا نكون بأرض عراق فتصيبنا المخمصة فمتى تحل لنا الميتة قال ما لم تصطبحوا أو تغتبقوا أو تحتقبوا بقلًا فشأنكم بهذا، قال عبد العظيم فقلت له يا ابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فما معنى قول اللّه عز و جل: (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ) فقال العادي السارق و الباغي الذي يبغي الصيد بطراً و لهواً لا ليعود به على عياله ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرا هي حرام عليهما في حال الاضطرار كما هي حرام عليهما في حال الاختيار و ليس لهما أن يقصّرا في صوم و لا صلاة في سفر، الحديث. فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ في تناول هذه الأشياء إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ستار لعيوبكم رَحِيمٌ بكم حين أباح لكم في الضرورة ما حرمه لكم في الرخاء.
في الفقيه عن الصادق عليه السلام من اضطر إلى الميتة و الدم و لحم الخنزير فلم يأكل شيئاً من ذلك حتى يموت فهو كافر. إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا عرضاً من الدنيا يسيراً و ينالون به في الدنيا عند الجهّال رئاسة أُولئِكَ ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ قيل أي ملء بطونهم يقال أكل في بطنه و أكل في بعض بطنه و في الحديث كلوا في بعض بطنكم تعفوا إِلَّا النَّارَ بدلًا من إصابتهم اليسير من الدنيا لكتمانهم الحق وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ بكلام خير بل يلعنهم و يخزيهم و قيل هو كناية عن غضبه تعالى عليهم و تعريض لحرمانهم عن الزلفى من اللّه وَ لا يُزَكِّيهِمْ من ذنوبهم قيل و لا يثني عليهم وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ موجع في النار. أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى في الدنيا وَ الْعَذابَ بِالْمَغْفِرَةِ في الآخرة بكتمان الحق للأغراض الدنيوية فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ما أجرأهم على عمل يوجب عليهم عذاب النار.
و في الكافي و العياشي ما أصبرهم على فعل ما يعلمون انه يصيّرهم إلى النار.

و في المجمع ما أعملهم بأعمال أهل النار. و القمّي ما أجرأهم على الناركلها عن الصادق عليه السلام.
ذلِكَ العذاب بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ أي ما يوعدون به يصيبهم و لا يخطيهم و قيل نزل بالحق فرفضوا بالتكذيب و الكتمان وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتابِ بأن قال بعضهم سحر و قال آخر إنه شعر و قال آخر انه كهانة إلى غير ذلك لَفِي شِقاقٍ خلاف بَعِيدٍ عن الحق كان الحق في شق و هم في شق غيره يخالفه.
لَيْسَ الْبِرَّ الفعل المرضي و قرئ بالنصب أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ إلى الكعبة قيل ردّ على الذين أكثروا الخوض في أمر القبلة من أهل الكتاب حين حوّلت إلى الكعبة مدّعياً كل طائفة أن البر هو التوجه إلى قبلتها و المشرق قبلة النصارى و المغرب قبلة اليهود.
و في تفسير الامام عن السجاد عليه السلام قالت اليهود قد صلينا على قبلتنا هذه الصلاة الكثيرة و فينا من يحيي الليل صلاة اليها و هي قبلة موسى التي أمرنا بها و قالت النصارى قد صلينا على قبلتنا هذه الصلاة الكثيرة و فينا من يحيى الليل صلاة إليها و هي قبلة عيسى التي أمرنا بها و قال كل واحد من الفريقين أ ترى ربنا يبطل أعمالنا هذه الكثيرة و صلاتنا إلى قبلتنا لأنّا لا نتّبع محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم على هواه في نفسه و أخيه فأنزل اللّه يا محمد قل لَيْسَ الْبِرَّ الطاعة التي تنالون بها الجنان و تستحقون بها الغفران و الرضوان أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ بصلواتكم قِبَلَ الْمَشْرِقِ يا ايها النصارى و قبل الْمَغْرِبِ يا ايها اليهود و أنتم لأمر اللّه مخالفون و على ولي اللّه مغتاظون وَ لكِنَّ الْبِرَّ قرئ بتخفيف لكن و رفع البر مَنْ آمَنَ قيل يعني البر الذي ينبغي أن يهتم به بر من آمن بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ الْكِتابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ اعطى في اللّه تعالى المستحقين من المؤمنين على حبه للمال و شدة حاجته إليه يأمل الحياة و يخشى الفقر لأنه صحيح شحيح ذَوِي الْقُرْبى اعطى قرابة النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم الفقراء هدية و برّاً لا صدقة لأن اللّه أجلّهم عن الصدقة و اعطى قرابة نفسه صدقة و برّاً وَ الْيَتامى من بني هاشم الفقراء برّاً لا صدقة و يتامى غيرهم صدقة و صلة وَ الْمَساكِينَ مساكين الناس وَ ابْنَ السَّبِيلِ المجتاز المنقطع به لا نفقة معه وَ السَّائِلِينَ الذين يتكفّفون وَ فِي الرِّقابِ في تخليصها يعني المكاتبين يعينهم ليؤدوا حقوقهم فيعتقوا وَ أَقامَ الصَّلاةَ بحدودها وَ آتَى الزَّكاةَ الواجبة عليه لإخوانه المؤمنين وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا قيل عطف على من آمن يشمل عهد اللّه و الناس وَ الصَّابِرِينَ نصبه على المدح و لم يعطف لفضل الصبر على سائر الأعمال فِي الْبَأْساءِ يعني في محاربة الأعداء و لا عدو يحاربه أعدى من إبليس و مردته و يهتف به و يدفعه و إياهم بالصلاة على محمد و آله الطيبين وَ الضَّرَّاءِ الفقر و الشدة و لا فقر أشد من فقر مؤمن يلجأ إلى التكفف من اعداء آل محمد عليهم السلام يصبر على ذلك و يرى ما يأخذه من مالهم مغنماً يلعنهم به و يستعين بما يأخذ على تجديد ذكر ولاية الطّيبين الطاهرين وَ حِينَ الْبَأْسِ عند شدة القتال يذكر اللّه و يصلي على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و على علي ولي اللّه يوالي بقلبه و لسانه أولياء اللّه و يعادي كذلك أعداء اللّه أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا في إيمانهم و صدقوا أقاويلهم بأفاعيلهم وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لما أمروا باتقائه. قيل الآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية بأسرها دالة عليها صريحاً أو ضمناً فإنها بكثرتها و تشتّتها منحصرة في ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد و حسن المعاشرة و تهذيب النفس و قد أُشير إلى الأول بقوله: (مَنْ آمَنَ إلى ... وَ النَّبِيِّينَ و إلى الثاني بقوله: (وَ آتَى الْمالَ إلى وَ فِي الرِّقابِ) و إلى الثالث بقوله وَ أَقامَ الصَّلاةَ إلى آخرها و لذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظراً إلى إيمانه و اعتقاده و بالتقوى اعتباراً بمعاشرته للخلق و معاملة مع الحق و إليه أشار النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم بقوله من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان.
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ قيل أي فرض و أوجب عليكم الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى يعني المساواة و ان يسلك بالقاتل في طريق المقتول الذي سلكه به لما قتله الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثى بِالْأُنْثى.

العياشي: عن الصادق عليه السلام هي لجماعة المسلمين ما هي للمؤمنين خاصة. و في التهذيب عنه عليه السلام لا يقتل حر بعبد و لكن يضرب ضرباً شديداً و يغرم دية العبد و لا يقتل الرجل بالمرأة إلا إذا أدى أهلها إلى أهله نصف ديته.

و العياشي ما في معناه قيل كان بين حيين من أحياء العرب دماء و كان لأحدهما على الآخر طول فأقسموا ليقتلن الحر بالعبد و الذكر بالأنثى و الرجلين بالرجل فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فنزلت فأمرهم أن يتكافئوا فَمَنْ عُفِيَ لَهُ أي الجاني الذي عفي له مِنْ أَخِيهِ الذي هو ولي الدم قيل ذكر بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من أخوة الإسلام شَيْءٌ من العفو و هو العفو من القصاص دون الديّة فَاتِّباعٌ فليكن اتباع من العافي أي مطالبة بالدية بِالْمَعْرُوفِ و هي وصية للولي بأن يطلب الدية بالمعروف بأن لا يظلم الجاني بالزيادة و لا يعنّفه وَ أَداءٌ إِلَيْهِ من الجاني إلى العافي بِإِحْسانٍ وصية للجاني بأن لا يماطله و لا يبخس حقه بل يشكره على عفوه. في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام ينبغي للذي له الحق أن لا يعسر أخاه إذا كان قد صالحه على دية و ينبغي للذي عليه الحق أن لا يمطل أخاه إذا قدر على ما يعطيه و يؤدي إليه بإحسان ذٰلِكَ التخيير تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ لما فيه من التسهيل و النفع فانه لو لم يكن إلا القتل و العفو لقل ما طابت نفس ولي المقتول بالعفو بلا عوض يأخذه فكان قل ما يسلم القاتل من القتل، في العوالي: روي أن القصاص كان في شرع موسى حتماً و الدية كان حتماً في شرع عيسى فجاءت الحنفية السّمحة بتسويغ الأمرين معا قيل كتب على اليهود القصاص وحده و على النصارى العفو مطلقاً، و خير هذه الامة بينهما و بين الدية تيسيراً عليهم فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذٰلِكَ بأن يقبل الدية أو يعفو أو يصالح ثم يجيء بعد فيمثل أو يقتل كذا في الكافي و العياشي عن الصادق فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ.

وَ لَكُمْ يا أمة محمد فِي الْقِصاصِ حَياةٌ لأن من همّ بالقتل فعرف أنه يقتصّ منه فكفّ لذلك عن القتل كان حياة للذي همّ بقتله و حياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل و حياة لغيرهما من الناس إذا علموا أن القصاص واجب لا يجترءون على القتل مخافة القصاص قيل هذا من أوجز الكلام و أفصحه.

و في الأمالي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال اربع قلت فأنزل اللّٰه تصديقي في كتابه و عدّ منها قلت القتل يقلّ القتل فأنزل اللّٰه تعالى وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ أولي العقول قيل ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح و حفظ النفوس لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حضر أسبابه و ظهر أماراته إِنْ تَرَكَ خَيْراً مالًا كثيراً.

في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه دخل على مولى له في مرضه و له سبع مائة درهم أو ستمائة درهم فقال ألا أوصي قال لا إنما قال اللّٰه إِنْ تَرَكَ خَيْراً و ليس لك كثير مال الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ بالشيء الذي يعرف العقل أنه لا جور فيه و لا جنف حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ العيّاشي: عن أحدهما هي منسوخة بآية المواريث و حملت على التقية لموافقتها مذهب العامة و مخالفتها القرآن و لما في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن الوصية للوارث فقال تجوز ثم تلا هذه الآية و في معناه أخبار أخر كثيرة.

أقول: نسخ الوجوب لا ينافي بقاء الجواز.

و في المجمع و العياشي عن الصادق عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممن لا يرث فقد ختم عمله بمعصية.

و في الفقيه و العياشي عن الصادق عليه السلام أنه شيء جعله اللّٰه تعالى لصاحب هذا الأمر قيل هل لذلك حد قال أدنى ما يكون ثلث الثلث.

و العياشي عنه عليه السلام حق جعله اللّٰه في أموال الناس لصاحب هذا الأمر قيل لذلك حد محدود قال نعم قيل كم قال أدناه السدس و أكثره الثلث.

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ ما سَمِعَهُ فَإِنَّما إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وعيد للمبدل بغير حق.
في الكافي عن أحدهما عليهما السلام و العياشي عن الباقر عليه السلام في رجل أوصى بماله في سبيل اللّه قال أعطه لمن أوصى به له و إن كان يهودياً أو نصرانياً إن اللّه يقول و تلا هذه الآية و في معناه أخبار كثيرة و في عدة منها أنه يغرمها إذا خالف.
فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ و قرئ بفتح الواو و تشديد الصاد توقع و علم جَنَفاً أَوْ إِثْماً ميلًا عن الحق بالخطإ او التعمد كذا في المجمع عن الباقر عليه السلام.
و في العلل و العياشي عن الصادق يعني إذا اعتدى في الوصية.
و زاد العياشي على الثلث و يأتي له معنى آخر.
و في الفقيه عن أمير المؤمنين عليه السلام ان الجنف في الوصية من الكبائر فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ بين الورثة و الموصي لهم فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ في التبديل لأنه تبديل باطل إلى الحق إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وعد للمصلح و ذكر المغفرة لمطابقة ذكر الإثم.
و في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن قول اللّه تعالى فَمَنْ بَدَّلَهُ قال نسختها الآية التي بعدها فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ قال يعني الموصي إليه إن خاف جنفاً من الموصي فيما أوصى به إليه فيما لا يرضى اللّه به من خلاف الحق فلا إثم على الموصى إليه أن يرده إلى الحق و إلى ما يرضى اللّه به من سبيل الخير.
و في رواية في الكافي ان اللّه اطلق للموصى إليه أن يغير الوصية إذا لم تكن بالمعروف وكان فيها جنف و يردّها إلى المعروف لقوله تعالى فَمَنْ خافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ.
و القمّي عن الصادق عليه السلام إذا أوصى الرجل بوصية فلا يحل للوصي أن يغير وصيته بل يمضيها على ما أوصى إلا أن يوصي بغير ما أمر اللّه فعصي في الوصية و يظلم فالموصى إليه جائز له أن يردها إلى الحق مثل رجل يكون له ورثة فيجعل المال كله لبعض ورثته و يحرم بعضها فالوصي جائز له أن يردها إلى الحق و هو قوله تعالى جَنَفاً أَوْ إِثْماً فالجنف الميل إلى بعض ورثتك دون بعض و الإثم أن تأمر بعمارة بيوت النيران و اتخاذ المسكر فيحل للوصي أن لا يعمل بشيء من ذلك.
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية و عن قوله سبحانه كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ فقال هذه كلها يجمع الضلال و المنافقين وكل من أقرّ بالدعوة الظاهرة.
و في المجمع عنه عليه السلام قال لذة النداء أزال تعب العبادة و العناء كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ من الأنبياء و الأمم، و عن أمير المؤمنين عليه السلام أن أولهم آدم يعني أنه عبادة قديمة ما أخلى اللّه أمة من إيجابها عليهم لم يوجبها عليكم وحدكم و فيه ترغيب على الفعل و تطييب عن النفس لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ المعاصي فان الصيام يكسر الشهوة التي هي معظم أسبابها و في الحديث من لم يستطع الباه فليصم فان الصوم له وجاء.
أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ قيل أي قلائل فان القليل يعد عداً و الكثير يهال هيلًا أو موقتات بعدد معلوم فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً مرضاً يضره الصوم و يعسره كما يدل عليه قوله تعالى: (وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) أَوْ عَلى سَفَرٍ راكب سفر فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ فعليه عدة من أيام أخر و هذا نص في وجوب الإفطار على المريض و المسافر كما ورد عن أئمتنا عليهم السلام في أخبار كثيرة حتى قالوا الصائم شهر رمضان في السفر كالمفطر فيه في الحضر رواه في الكافي و التهذيب و الفقيه و في الثلاثة في حديث الزهري عن السجاد من صام في السفر أو المرض فعليه القضاء لأن اللّه تعالى يقول فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، و عن الباقر عليه السلام قال سمى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قوماً صاموا حين أفطر و قصر عصاة قال و هم العصاة إلى يوم القيامة و إنا لنعرف أبناءهم و أبناء أبنائهم إلى يومنا هذا.

و عن الصادق عليه السلام أنه سئل عمن صام في السفر فقال إذا كان بلغه أن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم نهى عن ذلك فعليه القضاء و إن لم يكن بلغه فلا شيء عليه.
و في رواية اخرى و إن صامه بجهالة لم يقض، و عنه عليه السلام أنه سئل ما حد المرض الذي يفطر فيه الرجل و يدع الصلاة من قيام قال بل الإنسان على نفسه بصيرة و هو أعلم بما يطيقه.
و في الكافي عنه عليه السلام هو مؤتمن عليه مفوّض اليه فان وجد ضعفاً فليفطر و إن وجد قوة فليصم كان المريض على ما كان.
و فيه أنه عليه السلام سئل عن حد المرض الذي يترك منه الصوم قال إذا لم يستطع أن يتسحّر.
و في الفقيه عنه عليه السلام الصائم إذا خاف على عينيه من الرمد أفطر، و عنه عليه السلام كلما أضر به الصوم فالإفطار له واجب و اما حدّ السفر الذي يفطر فيه فقصد ثمانية فراسخ فصاعداً ذهاباً أو مع الإياب ما لم ينقطع سفره دونها بعزم إقامة عشرة أيام أو مضي ثلاثين يوماً عليه متردداً في بلد أو بالوصول إلى بلد يكون له فيه منزل يقيم فيه ستة أشهر فان انقطع بأحدها فقد صار سفرين بينهما حضور و أن لا يكون السفر عمله إلا إذا جدّ به السير و شق عليه مشقّة شديدة و أن يكون السفر جائزاً له و أن يتوارى عن جدران البلد أو يخفى عليه أذانه هذا ما استفدناه من أخبار أئمتنا عليهم السلام في شرائط السفر الموجب للإفطار في الصيام و التقصير في الصلاة و بيّناه في كتابنا المسمى بالوافي من أراد الاطلاع عليه فليراجع اليه.
وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ إن أفطروا فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ في الجوامع عن الباقر عليه السلام طعام مساكين و قرأ به قيل كان القادر على الصيام الذي لا عذر له مخيراً بينه و بين الفدية لكل يوم نصف صاع و قيل مد و كان ذلك في بدو الإسلام حين فرض عليهم الصيام و لم يتعودوا فرخص لهم في الإفطار و الفدية ثم نسخ ذلك بقوله عز و جل فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ و قيل إنه غير منسوخ بل المراد بذلك الحامل المقرب و المرضعة القليلة اللبن و الشيخ و الشيخة فانه لما ذكر المرض المسقط للفرض وكان هناك اسباب أُخر ليست بمرض عرفاً لكن يشق معها الصوم و ذكر حكمها فيكون تقديره وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ثم عرض لهم ما يمنع الطاقة فِدْيَةٌ و هذا هو المروي عن الصادق عليه السلام و يؤيده ما ورد في شواذ القراءة عن ابن عباس وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ أي يتكلّفونه و على هذا يكون قوله وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ كلاماً مستأنفاً لا تعلق له بما قبله و تقديره و إن صومكم خير عظيم لكم هذا ما قالوا في معنى الآية و يخطر بالبال أنه لا حاجة بنا إلى مثل هذه التكلفات البعيدة من القول بالنسخ تارة مع دلالة الأخبار المعصومية على خلافه و التزام الحذف و التقدير و فصل ما ظاهره الوصل اخرى مع عدم ثبوت تلك الروايات المشار إليها و ذلك لأن اللَّه سبحانه لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها كما قاله في محكم كتابه و الوسع دون الطاقة كما ورد في تفسيره عن أهل البيت عليهم السلام فلا تكلف نفس بما هو على قدر طاقتها أي بما يشق عليها تحمله عادة و يعسر فالذين يطيقون الصوم يعني يكون الصوم بقدر طاقتهم و يكونون معه على مشقة و على عسر لم يكلفهم اللَّه على سبيل الحتم كالشيخ و الحامل و نحوهما بل خيرهم بينه و بين الفدية توسيعاً منه و رحمة ثم جعل الصوم خيراً لهم من الفدية في الأجر و الثواب إذا اختاروا المشقة على السعة و يؤيده القراءة الشاذة كما يؤيده ما ذكروه و يدل على هذا أيضاً ما رواه في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ) قال الشيخ الكبير و الذي يأخذه العطاش.
و في رواية المرأة تخاف على ولدها و الشيخ الكبير و قوله تعالى: (وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ) فانه يدل على أن المطيق هو الذي يقدر على الصيام حداً في القدرة دون الحد الذي أوجب عليه التكليف.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام في رجل كبير ضعف عن صوم شهر رمضان قال يتصدّق عن كل يوم بما يجزي من طعام مسكين و في رواية لكل يوم مد. فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً أي زاد في مقدار الفدية و قرئ يَطَّوَّع كما

في آية الحج فَهُوَ فالتطوع خَيْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا أيها المطيقون خَيْرٌ لَكُمْ من الفدية و تطوّع الخير إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما في الصيام من الفضيلة إن صمتم أو إن كنتم من أهل العلم علمتم ذلك.

شَهْرُ رَمَضانَ أي الأيام المعدودات هي شهر رمضان.

و في الفقيه عن الصادق عليه السلام إنما فرض اللَّه صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم ففضل اللَّه به هذه الأمة و جعل صيامه فرضاً على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و على أمته الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ أي بيانه و تأويله كما مضى تحقيقه في المقدمة التاسعة من هذا الكتاب و قرئ بغير الهمزة حيث وقع هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ قد مضى تفسيره في تلك المقدمة فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فمن حضر في الشهر و لم يكن مسافراً فَلْيَصُمْهُ في الكافي و الفقيه و التهذيب عن الصادق عليه السلام ما أبينها من شهد فليصمه و من سافر فلا يصمه.

و في التهذيب عنه عليه السلام إذا دخل شهر رمضان فللَّه فيه شرط قال اللَّه تعالى: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) فليس للرجل إذا دخل شهر رمضان أن يخرج إلا في حج أو عمرة أو مال يخاف تلفه أو أخ يخاف هلاكه و ليس له أن يخرج في إتلاف مال أخيه فإذا مضت ليلة ثلاث و عشرين فليخرج حيث شاء وَ مَنْ كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ كرر ذلك تأكيداً للأمر بالإفطار و إنه عزيمة لا يجوز تركه يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ يريد أن ييسر عليكم و لا يعسر فلذلك أمركم بالإفطار في المرض و السفر.

في الكافي عن الصادق عليه السلام قال قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم إن اللَّه تصدق على مرضى امتي و مسافريها بالتقصير و الإفطار أيسر أحدكم إذا تصدق بصدقة أن ترد عليه. في الخصال عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أن اللَّه تبارك و تعالى أهدى إلي و إلى أمتي هدية لم يهدها إلى أحد من الأمم كرامة من اللَّه لنا قالوا و ما ذلك يا رسول اللَّه قال الإفطار في السفر و التقصير في الصلاة فمن لم يفعل ذلك فقد رد على اللَّه هديته. وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ و شرع جملة ما ذكر لتكملوا عدة ايام الشهر، و قرئ لتكمّلوا مثقّلًا وَ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ و لتعظّموا اللَّه و تمجّدوه على هدايته إياكم وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ تسهيله الأمر لكم، في الفقيه عن الرضا عليه السلام و إنما جعل التكبير في صلاة العيد أكثر منه في غيرها من الصلوات لأن التكبير إنما هو تعظيم للَّه و تمجيد على ما هدى و عافى كما قال عز و علا وَ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام أما إن في الفطر تكبيراً و لكنه مسنون قال قلت و أين هو قال في ليلة الفطر في المغرب و العشاء الآخرة و في صلاة الفجر و في صلاة العيد ثم يقطع قال قلت كيف أقول قال تقول اللَّه أكبر اللَّه أكبر لا إله إلّا اللَّه و اللَّه أكبر و للَّه الحمد اللَّه أكبر على ما هدانا و هو قول اللَّه تعالى: (وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ) يعني الصيام وَ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ.

وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ فقل لهم إني قريب روي أن أعرابياً قال لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أ قريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت.

أقول: قربه تعالى عبارة عن معيّته عز و جل كما قال سبحانه وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فكما أن معيّته للأشياء ليست بممازجة و مداخلة و مفارقته عنها ليست بمباينة و مزايلة فكذلك قربه ليس باجتماع و أين و بعده ليس بافتراق و بين بل بنحو آخر أقرب من هذا القرب و أبعد من هذا البعد و لهذا قال تعالى وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ و قال وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ، و في مناجاة سيد الشهداء عليه الصلاة و السلام إلهي ما أقربك مني و أبعدني عنك و ما أرأفك بي فما الذي يحجبني عنك و إنما يجد قربه من عبده كأنه يراه كما قال نبيّنا صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أعبد اللَّه كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك، إن قيل كيف يكون الشيء قريباً من الآخر و يكون ذلك الآخر بعيداً عنه، قلنا هذا كما يكون لك محبوب و هو حاضر عندك و أنت عنه في عمى لا تراه و لا تشعر بحضوره فانه قريب منك و أنت بعيد عنه أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ

تقرير للقرب و وعد للداعي بالإجابة فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي إذا دعوتهم للايمان و الطاعة كما أجبتهم إذا دعوني لمهامهم وَ لْيُؤْمِنُوا بِي في المجمع عن الصادق عليه السلام أي و ليتحققوا اني قادر على إعطائهم ما سألوه.
و العياشي ما في معناه لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ قال أي لعلهم يصيبون الحق و يهتدون إليه.
و روي أن الصادق عليه السلام قرأ أَمن يجيب المضطر إذا دعاه فسئل ما لنا ندعو و لا يستجاب لنا فقال لأنّكم تدعون من لا تعرفون و تسألون ما لا تفهمون فالاضطرار عين الدين وكثرة الدعاء مع العمى عن اللّه من علامة الخذلان من لم يشهد ذلّة نفسه و قلبه و سره تحت قدرة اللّه حكم على اللّه بالسؤال و ظن أن سؤاله دعاء و الحكم على اللّه من الجرأة على اللّه.
و في الكافي عنه عليه السلام أنه قيل له في قوله سبحانه ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ندعوه و لا نرى إجابة قال أفترى اللّه عز و جل أخلف وعده قال لا قال فممّ ذلك قال لا أدري قال لكني أخبرك من أطاع اللّه عز و جل فيما أمره ثم دعاه من جهة الدعاء أجابه قيل و ما جهة الدعاء قال تبدأ و تحمد اللّه و تذكر نعمه عندك ثم تشكره ثم تصلي على النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم ثم تذكر ذنوبك فتقرّ بها ثم تستعيذ منها فهذا جهة الدعاء.
و عنه عليه السلام أن العبد ليدعو فيقول اللّه للملكين قد استجبت له و لكن احبسوه بحاجته فاني أحب أن أسمع صوته و ان العبد ليدعو فيقول اللّه تبارك و تعالى عجّلوا له حاجته فاني أبغض صوته.
و القمّي عنه عليه السلام أنه قيل له إن اللّه تعالى يقول: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و إنا ندعوه فلا يستجاب لنا فقال لأنكم لا توفون بعهد اللّه و ان اللّه يقول: (أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) و اللّه لو وفيتم للّه لوفى لكم.
و في الكافي عنه عليه السلام أن من سره أن يستجاب دعوته فليطيّب مكسبه.
و روي عنه عليه السلام إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه فلييأس من الناس كلّهم و لا يكون له رجاء إلا عند اللّه عز و جل فإذا علم اللّه ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه و يأتي حديث آخر في هذا الباب في سورة المؤمن إن شاء اللّه.
أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ أي الليلة التي تصبح منها صائماً الرَّفَثُ إِلى نِسائِكُمْ كنى به عن الجماع لأنه قلّما يخلو عن رفث و هو الإفصاح بما يجب أن يكنّى عنه و عدّى بالي لتضمنّه معنى الإفضاء هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ استيناف يبين سبب الإحلال و هو قلّة الصبر عنهن و صعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة و شدة الملابسة عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ من الخيانة كالاكتساب من الكسب و هو أبلغ منها أي تظلمونها بتعريضها للعقاب و تنقيص حظها من الثواب فَتابَ عَلَيْكُمْ لما تبتم و رخّص لكم و أزال التشديد عنكم وَ عَفا عَنْكُمْ محى أثره عنكم فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ كنى بالمباشرة عن الجماع و هي الصاق البشرة بالبشرة وَ ابْتَغُوا ما كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ قيل يعني اطلبوا ما قدر لكم و أثبته في اللوح من الولد بالمباشرة أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها و لكن لابتغاء ما وضع اللّه النكاح له من التناسل و قيل و ابتغوا ما كتب اللّه لكم من الاباحة بعد الحظر فان اللّه يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وَكُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ شبّه أوّل ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق و ما يمتد معه من ظلمة الليل بخيطين ابيض و اسود و اكتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله مِنَ الْفَجْرِ عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام هو بياض النهار من سواد الليل.
و في رواية: هو الفجر الذي لا شك فيه و في أخرى ليس هو الأبيض صعداء إن اللّه لم يجعل خلقه في شبهة من هذا و تلا هذه الآية فقال المعترض.
و في التهذيب عنه أنه سئل آكل في شهر رمضان بالليل حتى أشك قال كل حتى لا تشك.

و فيه و في الكافي و العياشي عنه عليه السلام أنه سئل عن رجلين قاما في رمضان فقال أحدهما هذا الفجر و قال الآخر ما أرى شيئاً قال ليأكل الذي لم يستيقن الفجر و قد حرم الأكل على الذي زعم أنه رأى الفجر لأن اللَّه يقول: (وَكُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ) الآية.

و في الكافي و الفقيه و العياشي عن الصادق عليه السلام أنها نزلت في خوّات بن جبير الأنصاري وكان مع النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم في الخندق و هو صائم فأمسى و هو على تلك الحال وكانوا قبل أن تنزل هذه الآية إذا نام أحدهم حرم عليه الطعام و الشراب فجاء خوّات إلى أهله حين أمسى فقال هل عندكم طعام فقالوا لا تنم حتى نصلح لك طعاماً فاتّكى فنام فقالوا له قد فعلت فقال نعم فبات على تلك الحال فأصبح ثم غدا إلى الخندق فجعل يغشى عليه فمرّ به رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فلما رأى الذي به أخبره كيف كان أمره فأنزل اللَّه فيه الآية، و زاد القمّي فيما زاد وكان النكاح حراماً بالليل و النهار و في شهر رمضان قال وكان قوم من الشبّان ينكحون بالليل في شهر رمضان فأنزل اللَّه، في الجوامع عن الصادق عليه السلام قال كان الأكل محرماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم وكان النكاح حراماً بالليل و النهار وكان رجل من أصحاب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم يقال له مطعم بن جبير نام قبل أن يفطر و حضر حفر الخندق فأغمي عليه وكان قوم من الشبان ينكحون بالليل سراً في شهر رمضان فنزلت الآية فأحلّ النكاح بالليل و الأكل بعد النوم فذلك قوله وَ عَفا عَنْكُمْ.

و في المجمع اختلفت العامة في اسم هذا الرجل ثم ذكر قصته عنهم بنحو آخر قال فقال عمر يا رسول اللَّه اعتذر إليك من مثله رجعت إلى أهلي بعد ما صلّيت العشاء فأتيت امرأتي و قام رجال فاعترفوا بمثل الذي سمعوا فنزلت ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيْلِ بيان لآخر وقت الصيام وَ لا تُبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عاكِفُونَ فِي الْمَساجِد معتكفون فيها و الاعتكاف أن يحبس نفسه في المسجد الجامع للعبادة تِلْكَ أي الأحكام التي ذكرت حُدُودُ اللَّهِ حرمات اللَّه و مناهيه فَلا تَقْرَبُوها في الحديث النبوي الشريف أن لكل ملك حمىً و ان حمى اللَّه محارمه فمن وقع حول الحمى يوشك أن يقع فيه كَذلِكَ مثل ذلك التّبيين يُبَيِّنُ اللَّهُ آياتِهِ حججه و دلائله لِلنَّاسِ على ما أمرهم به و نهاهم عنه لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ مخالفة أوامره و نواهيه.

وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ لا يأكل بعضكم مال بعض بِالْباطِلِ بالوجه الذي لا يحل و لم يشرعه اللَّه.

و في المجمع عن الباقر يعني بالباطل اليمين الكاذبة يقتطع به الأموال و في الفقيه و العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل الرّجل منا يكون عنده الشيء يبتلغ به و عليه الدين أ يطعمه عياله حتى يأتيه اللَّه تعالى بميسرة فيقضي دينه أو يستقرض على ظهره في خبث الزمان و شدة المكاسبة أو يقبل الصدقة فقال يقضي بما عنده دينه و لا يأكل أموال الناس الا و عنده ما يؤدي إليهم ان اللَّه عز و جل يقول وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَ تُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ عطف على المنهيّ أو نصب بإضمار ان، و الأدلاء الإلقاء أي و لا تلقوا أمرها و الحكومة فيها إلى الحكام لِتَأْكُلُوا بالتحاكم فَرِيقاً طائفة مِنْ أَمْوالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ بما يوجب إثماً كشهادة الزّور و اليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بأن المقضي له ظالم وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنكم مبطلون.

في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال إن اللَّه عز و جل قد علم أن في الامة حكّاماً يجورون اما إنه لم يعن حكام أهل العدل و لكنه عنى حكام أهل الجور.

و القمّي قال العالم عليه السلام قد علم اللَّه أنه يكون حكام يحكمون بغير الحق فنهى أن يتحاكم إليهم لأنهم لا يحكمون بالحق فيبطل الأموال.

و في التهذيب و العياشي عن الرضا عليه السلام أنه كتب في تفسيرها ان الحكّام القضاة ثم كتب تحته و هو أن يعلم الرجل أنه ظالم فيحكم له القاضي فهو غير معذور في أخذه ذلك الذي حكم له إذا كان قد علم أنه ظالم. و في المجمع عن الصادق عليه السلام كانت قريش تقامر الرجل في أهله و ماله فنهاهم اللَّه.

أقول: الآية تعمّ الكل و لا تنافي بين الأخبار.

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ عن أحوالها في زيادتها و نقصانها و وجه الحكمة في ذلك قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ أي معالم يوقّت بها الناس عباداتهم و مزارعهم و متاجرهم و محال ديونهم و عدد نسائهم.
و في التهذيب عن الصادق عليه السلام لصومهم و فطرهم و حَجِّهم وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ و قرئ بكسر الباء حيث وقع مِنْ ظُهُورِها في المجمع عن الباقر عليه السلام كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها و لكنهم كانوا ينقبون في ظهور بيوتهم أي في مؤخرها نقباً يدخلون و يخرجون منه فنهوا عن التدين بها وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى ما حرّم اللَّه كذا عن الصادق عليه السلام وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها و في المحاسن و المجمع و العياشي عن الباقر عليه السلام يعني أن يأتي الأمر من وجهه أي الأمور كان.
أقول: و منه أخذ أحكام الدين عن أمير المؤمنين عليه السلام و عترته الطيّبين لأنهم أبواب مدينة علم النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أجمعين كما قال أنا مدينة العلم و علي بابها و لا يؤتى المدينة إلا من بابها.
و في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام قد جعل اللَّه للعلم أهلًا و فرض على العباد طاعتهم بقوله وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها و البيوت هي بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء و أبوابها أوصياؤهم.
و عنه عليه السلام نحن البيوت التي أمر اللَّه أن يؤتى أبوابها نحن باب اللَّه و بيوته التي يؤتى منه فمن تابعنا و أقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها و من خالفنا و فضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها إن اللَّه لو شاء عرّف الناس نفسه حتى يعرفونه و يأتونه من بابه و لكن جعلنا أبوابه و صراطه و سبيله و بابه الذي يؤتى منه قال فمن عدل عن ولايتنا و فضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها و إنهم عن الصراط لناكبون.
و في المجمع و العياشي عن الباقر عليه السلام آل محمد صلوات اللَّه عليهم أبواب اللَّه و سُبُله و الدّعاة إلى الجنة و القادة إليها و الأدلاء عليها إلى يوم القيامة وَ اتَّقُوا اللَّهَ في تغيير أحكامه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ لكي تظفروا بالهدى و البرّ.
وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جاهدوا لإعلاء كلمته و إعزاز دينه الَّذِينَ يُقاتِلُونَكُمْ هي ناسخة لقوله تعالى كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ كذا في المجمع عنهم عليهم السلام وَ لا تَعْتَدُوا بابتداء القتال و المفاجأة به من غير دعوة و المثلة و قتل من نهيتم عن قتله من النساء و الصبيان و المشايخ و المعاهدين إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ.
وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وجدتموهم هي ناسخة لقوله عز و جل وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعْ أَذاهُمْ كذا في المجمع عنهم عليهم السلام وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ منها أخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها و قد فعل ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم منهم وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ قيل معناه شركهم في الحرم و صدّهم إيّاكم عنه أشد من قتلكم إياهم فيه وَ لا تُقاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ حَتَّى يُقاتِلُوكُمْ فِيهِ لا تفاتحوهم بالقتال و هتك حرمة الحرم فَإِنْ قاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فلا تبالوا بقتالهم ثمّة فإنهم الذين هتكوا حرمته، و قرئ و لا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم بدون الألف كَذلِكَ مثل ذلك جَزاءُ الْكافِرِينَ جزاؤهم يفعل بهم ما فعلوا.
فَإِنِ انْتَهَوْا عن القتال و الشرك فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر لهم ما قد سلف.
وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ شرك كذا في المجمع عن الباقر عليه السلام وَ يَكُونَ الدِّينُ أي الطاعة و العبادة لِلَّهِ وحده خالصاً ليس للشيطان فيه نصيب فَإِنِ انْتَهَوْا عن الشرك فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ فلا تعتدوا على المنهين سمّي الجزاء باسم الاعتداء للمشاكلة و ازدواج الكلام كما في قوله سبحانه: (وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها) و مثله فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ كما يأتي. و العياشي عن أحدهما عليهما السلام أي فَلا عُدْوانَ إِلَّا على ذرية قتلة الحسين عليه السلام. و في رواية لا يعتدي اللَّه على أحد الا على نسل ولد قتلة الحسين (ع).
و في العلل: عن الرضا عليه السلام أنه سئل يا بن رسول اللَّه ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام أنه قال إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم فقال هو كذلك فقيل فقول اللَّه عز و جل وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ما معناه فقال صدق اللَّه في جميع أقواله لكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بأفعال آبائهم كذلك و يفتخرون بها و من رضي شيئاً كان كمن أتاه و لو ان رجلًا قتل في

المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الرّاضي عند اللّه شريك القاتل و إنما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل ابائهم.
أقول: و ذلك لأنهم إنما يكونون من سنخهم و حقيقتهم بحيث لو قدروا على ما قدر عليه أولئك فعلوا ما فعلوا كما حقّق في المقدمة الثالثة.
الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ قيل قاتلهم المشركون في عام الحديبيّة في ذي القعدة و اتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه فكرهوا أَن يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذلك و هتكه بهتكه فلا تبالوا به.
و في المجمع روي مثله عن الباقر عليه السلام وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ أي كل حرمة و هي ما يجب أن يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله.
في التهذيب و العياشي مضمراً أنه سئل عن المشركين أ يبتدؤهم المسلمون بالقتال في الشهر الحرام فقال إذا كان المشركون ابتداؤهم باستحلالهم ثم رأى المسلمون أنهم يظهرون عليهم فيه و ذلك قوله سبحانه:
الشَّهْرُ الْحَرامُ بِالشَّهْرِ الْحَرامِ وَ الْحُرُماتُ قِصاصٌ فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ فذلكة و تأكيد لما سبق في التهذيب عن الصادق عليه السلام في رجل قتل رجلًا في الحرم و سرق في الحرم فقال يقام عليه الحدّ و صغار له لأنه لم ير حرمة للحرم و قد قال اللّه تعالى: (فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ) يعني في الحرم و قال فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ في الانتصار فلا تعتدوا إلى ما لم يرخّص لكم وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ فيحرسهم و يصلح شأنهم.
وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ في الجهاد و سائر أبواب البر وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ بالإسراف و تضييع وجه المعاش و بكل ما يؤدي إلى الهلاك، في المجالس عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال طاعة السلطان واجبة و من ترك طاعة السلطان فقد ترك طاعة اللّه و دخل في نهيه ان اللّه يقول: (وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.
في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام قال لو أن رجلًا أنفق ما في يديه في سبيل من سبل اللّه ما كان أحسن و لا وفق للخير أليس يقول اللّه: (وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) يعني المقتصدين.
و في المحاسن عنه عليه السلام قال إذا أحسن المؤمن عمله ضاعف اللّه عمله بكل حسنة سبعمائة و ذلك قول اللّه سبحانه: (يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ) فأحسنوا أعمالكم التي تعملونها لثواب اللّه فقيل له و ما الإحسان فقال إذا صليت فأحسن ركوعك و سجودك و إذا صمت فتوق كل ما فيه فساد صومك و إذا حججت فتوق ما يحرم عليك في حجّك و عمرتك قال وكل عمل تعمله للّه فليكن نقياً من الدنس.
وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ ائتوا بهما تامين كاملين بشرائطهما و أركانهما و مناسكهما لِلَّهِ لوجه اللّه خالصاً و هو نص في وجوب العمرة كوجوب الحج.
في الكافي و العياشي سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية فقال هما مفروضان.
و فيه و في العلل و العياشي عنه عليه السلام قال العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحج على من استطاع لأن اللّه يقول وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ قيل فمن تمتّع بالعمرة إلى الحج أ يجزي ذلك عنه قال: نعم.
و في رواية قال يعني بتمامهما أداؤهما و اتقاء ما يتّقي المحرم فيهما.
و في المجمع عن أمير المؤمنين و السجاد صلوات اللّه عليهما يعني أقيموهما إلى آخر ما فيهما.
و في الخصال و العيون عنه عليه السلام تمامهما اجتناب الرفث و الفسوق و الجدال في الحج.
و العياشي عنهما ما في معناه.

و في الكافي عنه عليه السلام قال إذا أحرمت فعليك بتقوى اللّه و ذكر اللّه كثيراً و قلة الكلام الا بخير فان من تمام الحج و العمرة أن يحفظ المرء لسانه الا من خيركما قال اللّه تعالى: (فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِي الْحَجِّ).
و فيه عن الباقر عليه السلام قال تمام الحج لقاء الامام.
و عن الصادق عليه السلام إذا حج أحدكم فليختم حجّه بزيارتنا لأن ذلك من تمام الحج.
أقول: و في هذا الزمان زيارة قبورهم تنوب مناب زيارتهم و لقائهم كما يستفاد من اخبار أُخر و لا منافاة بين هذه الأخبار لأن ذلك كلّه من تمام الحج فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ منعكم خوف أو عدو أو مرض عن المضي إليه و أنتم محرمون بحج أو عمرة فامتنعتم لذلك كذا عنهم عليهم السلام رواه في المجمع.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام المحصور غير المصدود و المحصور المريض و المصدود الذي يردّه المشركون كما ردّوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الصحابة ليس من مرض و المصدود تحل له النساء و المحصور لا تحل له النساء فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فعليكم إذا أردتم التحلّل من الإحرام ما تيسر من الهدى من بعير أو بقرة أو شاة.
و في العيون عن الرضا عليه السلام يعني شاة وضع على أدنى القوم قوة ليسع القوي و الضعيف.
و العياشي عن الصادق عليه السلام يجزيه شاة و البدنة و البقرة أفضل.
و في الكافي عن الباقر عليه السلام المصدود يذبح حين صدّ و يرجع صاحبه فيأتي النساء و المحصور يبعث بهديه و يعدهم يوماً فإذا بلغ الهدي أحلّ هذا في مكانه و عنه عليه السلام إذا أُحصر الرجل بعث بهديه فإذا أفاق و وجد من نفسه خفة فليمض إن ظن أنه يدرك الناس فان قدم مكة قبل أن ينحر الهدي فليقم على إحرامه حتى يفرغ من جميع المناسك و لينحر هديه و لا شيء عليه و إن قدم من مكة و قد نحر هديه فان عليه الحج من قابل أو العمرة قيل فان مات و هو محرم قبل أن ينتهي إلى مكة قال يحج عنه إن كانت حجّة الإسلام و يعتمر إنّما هو شيء عليه وَ لا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ لا تحلّوا حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ مكانه الذي يجب أن ينحر فيه فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً مرضاً يحوجه إلى الحلق أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ كجراحة أو قمل فَفِدْيَةٌ فعليه فدية إن حلق مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ في الكافي عن الصادق عليه السلام إذا أُحصر الرجل بعث بهديه فان أذاه رأسه قبل أن ينحر هديه فانه يذبح شاة في المكان الذي أُحصر فيه أو يصوم أو يتصدّق و الصوم ثلاثة أيام و الصدقة على ستة مساكين نصف صاع لكل مسكين.
و فيه و العياشي عنه عليه السلام قال مرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم على كعب بن عجرة و القمّل يتناثر من رأسه و هو محرم فقال له أ تؤذيك هو امّك فقال نعم فأنزلت هذه الآية فأمره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أن يحلق و جعل الصيام ثلاثة أيام و الصدقة على ستة مساكين لكل مسكين مدّين و النّسك شاة، قال أبو عبد اللّه عليه السلام و لكل شيء في القرآن أو فصاحبه بالخيار يختار ما شاء و كل شيء في القرآن فمن لم يجد كذا فعليه كذا فالأول الخيار.
أقول: فالأول الخيار أي الخير و الحريّ بالاختيار فَإِذا أَمِنْتُمْ الموانع يعني إذا كنتم غير محصرين و في حال أمن وسعة فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ استمتع و انتفع بعد التحلّل من عمرته باستباحة ما كان محرماً عليه إِلَى الْحَجِّ إلى أن يحرم بالحج فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فعليه دم استيسره.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام شاة فَمَنْ لَمْ يَجِدْ الهدي فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ في وقت الحج و ايام الاشتغال به و الأفضل أن يصوم سابع ذي الحجّة و ثامنه و تاسعه.
و في الكافي أيضاً عن الصادق عليه السلام في المتمتّع لا يجد الهدي قال يصوم قبل التروية بيوم و يوم التروية و يوم عرفة قيل فانه قد قدم يوم التروية قال يصوم ثلاثة أيام بعد التشريق قيل لم يقم عليه جماله قال يصوم يوم الحصبة و بعده يومين قيل و ما الحصبة قال يوم نفره قيل يصوم و هو مسافر قال نعم أ ليس هو يوم

عرفة مسافراً إنا أهل بيت نقول ذلك بقول اللّه تعالى فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ يقول في ذي الحجة وَ سَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ إلى أهاليكم فان بدا له الاقامة بمكة نظر مقدم أهل بلاده فإذا ظن أنهم قد دخلوا فليصم السبعة الأيام كذا في الكافي عنهم عليهم السلام تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ لا تنقص عن الأضحية الكاملة.

في التهذيب عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن سفيان الثوري أي شيء يعني بكاملة قال سبعة و ثلاثة قال عليه السلام و يختلّ ذا على ذي حجىً إن سبعة و ثلاثة عشرة قال فأي شيء هو أصلحك اللّه قال انظر قال لا علم لي فأي شيء هو أصلحك اللّه قال الكاملة كمالها كمال الأضحية سواء أتيت بها أو لم تأت ذلِكَ أي التمتّع لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ في الكافي عن الصادق في هذه الآية من كان منزله على ثمانية عشر ميلا من بين يديها و ثمانية عشر ميلا عن خلفها و ثمانية عشر ميلا عن يمينها و ثمانية عشر ميلا عن يسارها فلا متعة له مثل مرّ و أشباهها، و فيه عن الباقر عليه السلام سئل عن هذه الآية قال ذلك أهل مكة ليس لهم متعة و لا عليهم عمرة قيل فما حدّ ذلك قال ثمانية و أربعون ميلا عن جميع نواحي مكة دون عسفان و ذات عرق وَ اتَّقُوا اللَّهَ في المحافظة على أوامره و نواهيه خصوصاً في الحج وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ لمن لم يتّقه و خالف أمره و تعدّى حدوده.

الْحَجُّ يعني وقت إحرامه و مناسكه أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ و هي شوال و ذو القعدة و ذو الحجّة كذا عن الباقر و الصادق عليهما الصلاة و السلام في عدة أخبار قالا عليهما السلام ليس لأحد أن يحج فيما سواهنّ و من أحرم الحج في غير أشهر الحجّ فلا حجّ له فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ في الكافي و العياشي قال الصادق عليه السلام الفرض التلبية و الاشعار و التقليد فأيّ ذلك فعل فقد فرض الحج فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ و قرئ بالرفع و التنوين فيهما وَ لا جِدالَ فِي الْحَجِّ في أيامه، في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام الرفث الجماع و الفسوق الكذب و السباب و الجدال قول الرجل لا و اللّه و بلى و اللّه، و زاد في الكافي و قال في الجدال شاة و في الفسوق بقرة و الرفث فساد الحج وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ حثّ على البر وَ تَزَوَّدُوا لمعادكم التّقوى فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى قيل كانوا يحجّون من غير زاد فيكونون كلا على الناس فأمروا أن يتزوّدوا و يتّقوا الإبرام و التثقيل على الناس وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ فان مقتضى اللبّ خشية اللّه عَقَبَ الحث على التقوى بأن يكون المقصود بها هو اللّه سبحانه و التبري عمّا سواه.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا في أن تطلبوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ كانوا يتأثّمون بالتجارة في الحج فرفع عنهم الجناح في ذلك كذا في المجمع عنهم عليهم السلام و في رواية فضلًا أي مغفرة.

و العياشي عن الصادق (ع) فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ يعني الرزق إذا حل الرجل من إحرامه و قضى نسكه فليشتر و ليبع في الموسم فَإِذا أَفَضْتُمْ دفعتم أنفسكم بكثرة من أفاض الماء إذا صبّه بكثرة مِنْ عَرَفاتٍ في تفسير الامام و مضيتم إلى المزدلفة فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ قال بنعمائه و آلائه و الصلاة على سيد أنبيائه و على علي سيد أصفيائه وَ اذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ لدينه و الايمان برسوله و قيل أي اذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة و قيل أي ذكراً يوازي هدايتكم إياه.

أقول: ليس المراد بالكاف في مثل هذا الكلام التشبيه بل المراد به تعليل الطلب بوجود ما يقتضيه و ان المطلوب ليس بغريب بل إن وقع فهو في موضعه و المعنى اذكروه بإزاء هدايته إياكم فانه هداكم فبالحرى أن تذكروه و له نظائر كثيرة في الكلام و لكنه اشتبه على كثير من الأعلام وَ إِنْ كُنْتُمْ و إنّه كنتم مِنْ قَبْلِهِ من قبل الهدى لَمِنَ الضَّالِّينَ الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه و تعبدونه.

و في تفسير الامام: الضَّالِّينَ عن دينه قبل أن يهديكم لدينه.

ثُمَّ أَفِيضُوا ثم لتكن إفاضتكم مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النَّاسُ قيل أي من عرفات.

و في المجمع عن الباقر (ع) كانت قريش و حلفاؤهم من الحمس لا يقفون مع الناس بعرفات و لا يفيضون منها و يقولون نحن أهل حرم اللّٰه تعالى فلا نخرج من الحرم فيقفون بالمشعر و يفيضون منه فأمرهم اللّٰه أن يقفوا بعرفات و يفيضوا منه.

و العياشي عن الصادق عليه السلام مثله في عدة أخبار.

و عنه عليه السلام يعني ب النّٰاسُ إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و من بعدهم ممّن أفاض من عرفات.

و في الكافي عن الحسين عليه السلام نحن النّٰاسُ، و عن الصادق عليه السلام في حديث حجّ النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم قال ثم غدا و الناس معه وكانت قريش تفيض من المزدلفة و هي جمع و يمنعون الناس أن يفيضوا منها فأقبل رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم و قريش ترجو أن تكون إفاضته من حيث كانوا يفيضون فأنزل اللّٰه تعالى: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفٰاضَ النّٰاسُ وَ اسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ يعني إبراهيم و إسماعيل و إسحاق فإفاضتهم منها و من كان من بعدهم. أقول: و على هذه الأخبار فمعنى ثم الترتيب في الرتبة لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير الكريم.

و أورد في المجمع سؤالًا و هو ان ثم للترتيب فما معنى الترتيب هاهنا و أجاب بأن أصحابنا رووا انّ هاهنا تقديماً و تأخيراً تقديره لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فَإِذٰا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفٰاتٍ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرٰامِ وَ اسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ و ذكر تفسيراً آخر و هو أن يكون المراد الافاضة من المزدلفة إلى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس قال و الآية تدل عليه لأن قوله ثُمَّ أَفِيضُوا يدل على أنها إفاضة ثانية.

أقول: و هو مخالف للأخبار الواردة في سبب نزول الآية من طرق الخاصة و العامة كما مر الا ما في تفسير الامام فان فيه ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفٰاضَ النّٰاسُ اي ارجعوا من المشعر الحرام من حيث رجع الناس من جمع قال و الناس في هذا الموضع الحاج غير الحمس فان الحمس كانوا لا يفيضون من جمع و هو كما ترى و العلم عند اللّٰه. وَ اسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ و اطلبوا المغفرة من اللّٰه من جاهليّتكم في تغيير المناسك إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر ذنب المستغفر و يرحم عليه.

فَإِذٰا قَضَيْتُمْ مَنٰاسِكَكُمْ فرغتم من أفعال الحج فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَذِكْرِكُمْ آبٰاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فاذكروا ذكر اللّٰه بآلائه لديكم و إحسانه إليكم و بالغوا فيه كما تفعلونه في ذكر آبائكم بأفعالهم و مآثرهم و أبلغ منه.

في تفسير الامام خيّرهم بين ذلك و لم يلزمهم أن يكونوا أشد ذكراً له منهم لآبائهم و إن كانت نعم اللّٰه عليهم أكثر و أعظم من نعم آبائهم.

و في المجمع عن الباقر عليه السلام كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك يعدّون مفاخر آبائهم و مآثرهم و يذكرون أيامهم القديمة و أياديهم الجسيمة فأمرهم اللّٰه سبحانه أن يذكروه مكان ذكر آبائهم في هذا الموضع أو أشد ذكراً أو يزيدوا على ذلك بأن يذكروا نعم اللّٰه سبحانه و يعدّوا آلاءه و يشكروا نعمائه لأن آبائهم و إن كانت لهم عليهم أياد و نعم فنعم اللّٰه سبحانه عليهم أعظم و أياديه عندهم أفخم و لأنه سبحانه المنعم بتلك المآثر و المفاخر على آبائهم و عليهم فَمِنَ النّٰاسِ مَنْ يَقُولُ فان الناس من بين مقلّ لا يطلب بذكره الا الدنيا و مكثر يطلب به خير الدارين فيكونوا من المكثرين رَبَّنٰا آتِنٰا اجعل إيتاءنا و منحتنا فِي الدُّنْيٰا خاصة وَ مٰا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاٰقٍ نصيب و حظ لأن همّه مقصور على الدنيا لا يعمل للآخرة عملًا و لا يطلب منها خيراً.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنٰا آتِنٰا فِي الدُّنْيٰا حَسَنَةً كالصحة و الأمن و الكفاف و توفيق الخير وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً كالرحمة و الزّلفة وَ قِنٰا عَذٰابَ النّٰارِ بالمغفرة و العفو.

في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام قال رضوان اللّٰه و الجنة في الآخرة و السعة في المعاش و حسن الخلق في الدنيا.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام في الدنيا المرأة الصالحة و في الآخرة الحوراء و عَذابَ النَّارِ المرأة السوء و قيل الحسنة في الدنيا العلم و العبادة و في الآخرة الجنّة، و عذاب النّار الشهوات و الذّنوب المؤدّية اليها.
أقول: كل ذلك أمثلة للمراد بها فلا تنافي بينها.
أُولئِكَ في تفسير الامام أولئك الدّاعون بهذا الدعاء على هذا الوصف لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا قال من ثواب ما كسبوا في الدنيا و الآخرة.
أقول: و إنما قيل ما كسبوا لأنّ الأعمال أنفسها تتصور بصور حسنة يتنعّم بها صاحبها أو بصور قبيحة يتعذّب بها صاحبها كما ورد في أخبار كثيرة عن اهل العصمة و في الحديث النبوي إنما (هي أعمالكم ترد إليكم) وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ يحاسب الخلائق كلهم على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لمح البصر كما ورد في الخبر.
و في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال معناه انه يحاسب الخلائق دفعة كما يرزقهم دفعة.
و عنه أنه سئل كيف يحاسب اللَّه سبحانه الخلق و لا يرونه قال كما يرزقهم اللَّه و لا يرونه.
و في تفسير الامام لأنه لا يشغله شأن عن شأن و لا محاسبة عن محاسبة فإذا حاسب واحداً فهو في تلك الحالة محاسب للكل يتم حساب الكل بتمام حساب الواحد و هوكقوله: (ما خَلْقُكُمْ وَ لا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ) و يأتي في سورة الأنعام ما يقرب منه.
أقول: و لسرعة الحساب معنى آخر يجتمع مع هذا المعنى و يؤيده و هو ان اللَّه يحاسب العبد في الدنيا في كل آن و لحظة فيجزيه على عمله في كل حركة و سكون و يكافئ طاعاته بالتوفيقات و معاصيه بالخذلانات فالخير يجرّ الخير و الشر يدعو إلى الشر و من حاسب نفسه في الدنيا عرف هذا المعنى و لهذا ورد حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا و هذا من الأسرار التي لا يمسها الا المطهرون.
وَ اذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُوداتٍ يعني ايام التشريق و ذكر اللَّه فيها التكبير في أعقاب الصلوات من ظهر يوم النحر إلى صلاة الفجر من اليوم الثالث لمن كان بمنى و في الأمصار إلى عشرة صلوات و التكبير اللَّه أكبر اللَّه أكبر لا إله إلا اللَّه و اللَّه أكبر اللَّه اكبر و للَّه الحمد اللَّه اكبر على ما هدانا اللَّه اكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام كذا عنهم عليهم السلام.
في الكافي و العياشي و غيرهما فَمَنْ تَعَجَّلَ استعجل النفر من منى فِي يَوْمَيْنِ بعد يوم النحر إذا فرغ من رمي الجمار فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ حتى رمى في اليوم الثالث فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ قيل معنى نفي الإثم بالتعجل و التأخر التخيير بينهما و الرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثَّم المتعجل و منهم من اثَّم المتأخر.
و في الفقيه سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية فقال ليس هو على ان ذلك واسع إن شاء صنع ذا و إن شاء صنع ذا لكنّه يرجع مغفوراً له لا إثم عليه و لا ذنب له.
و العياشي عنه قال يرجع مغفوراً له لا ذنب له.
لِمَنِ اتَّقى في الفقيه عن الباقر لمن اتقى اللَّه عز و جل قال و روي أنه يخرج من الذنوب كيوم ولدته امه.
و في التهذيب عن الصادق عليه السلام قال لمن اتقى الصيد يعني في إحرامه فان اصابه لم يكن له أن ينفر في النفر الأول. و العياشي ما في معناه. و في الفقيه عنه عليه السلام لمن اتقى الصيد حتى ينفر اهل منى في النفر الأخير. و العياشي عن الباقر عليه السلام لمن اتّقى منهم الصيد و اتّقى الرّفث و الفسوق و الجدال و ما حرّم اللَّه عليه في إحرامه. و في تفسير الامام فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ من ايام التشريق فانصرف من حجّه إلى بلاده التي خرج منها فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ إلى تمام اليوم الثالث فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ أي لا إثم عليه من ذنوبه السالفة لأنها قد غفرت له كلها بحجّته هذه المقارنة لندمه عليها و توقّيه منها لِمَنِ اتَّقى ان يواقع الموبقات بعدها فانه ان واقعها كان عليه إثمها و لم يغفر له تلك الذنوب السالفة بتوبة قد أبطلها بموبقاته بعدها و إنما يغفر بتوبة يجددها.

أقول: و ذلك لأن الذنوب السالفة هي التي حملت صاحبها على المعاودة إذ الباعث عليها بعد التوبة إنما هو المعاودة. و في الكافي و الفقيه عن الصادق عليه السلام يعني من مات قبل أن يمضي إلى أهله فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقى الكبائر.

و عن الباقر عليه السلام اتَّقى الكبر و هو أن يجهل الحق و يطعن على أهله. و عن الصادق عليه السلام إنما هي لكم و الناس سواد و أنتم الحاج.

أقول: أراد ان نفي الإثم في الصورتين مختص بأصحاب التقوى و هم الشيعة ليس الا.

و العياشي عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال أنتم و اللَّه هم ان رسول اللَّه قال: لا يثبت على ولاية علي صلوات اللَّه عليه الا المتّقون وَ اتَّقُوا اللَّهَ في مجامع أموركم.

و في تفسير الامام وَ اتَّقُوا اللَّهَ ايها الحاج المغفور لهم سالف ذنوبهم بحجّهم المقرون بتوبتهم فلا تعاودوا الموبقات فتعود إليكم أثقالها و يثقلكم احتمالها فلا تغفر لكم الا بتوبة بعدها وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ فيجازيكم بما تعملون و الحشر الجمع و ضمّ المتفرِّق.

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ يروقك و يعظم في قلبك فِي الْحَياةِ الدُّنْيا بإظهاره لك الدين و الإسلام و تزيّنه بحضرتك بالورع و الإحسان وَ يُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ بأن يحلف لك بأنه مؤمن مخلص مصدّق لقوله بعمله وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ شديد العداوة و الجدال للمسلمين.

القمّي نزلت في الثاني و يقال في معاوية. و العيّاشي عن الصادق عليه السلام فلان و فلان.

أقول: تشمل عامة المنافقين و ان نزلت خاصة.

وَ إِذا تَوَلَّى أدبر و انصرف عنك قيل ملك الأمر و صار والياً سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها يعني بالكفر المخالف لما اظهر و الظلم المباين لما وعد وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ الزّرع بأن يحرقه أو يفسده وَ النَّسْلَ الذرية بأن يقتل الحيوان فيقطع نسله.

و في المجمع و القميّ عن الصادي عليه السلام الْحَرْثَ في هذا الموضع الدين وَ النَّسْلَ الناس.

و في الكافي و العياشي عن أمير المؤمنين عليه السلام يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ بظلمه و سوء سيرته.

أقول: و منه ان يمنع اللَّه بشؤم ظلمه المطر فيهلك الحرث و النسل إلى غير ذلك من نتائج الظلم وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ لا يرتضيه و لا يترك العقوبة عليه.

وَ إِذا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ و دع سوء صنيعتك أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ حملته الانفة و حميّة الجاهليّة على الإثم الذي يؤمر باتّقائه و ألزمته ارتكابه لجاجاً من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه و ألزمته إياه فيزداد إلى شره شراً و يضيف إلى ظلمه ظلماً فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ كفته جزاء و عذاباً على سوء فعله وَ لَبِئْسَ الْمِهادُ أي الفراش يمهدها و يكون دائماً فيها كذا فسرت الآيات الثلاث في تفسير الامام الا ما نسب إلى غيره.

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي يبيع نَفْسَهُ ببذلها للَّه ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ طلباً لرضاه فيعمل بطاعته و يأمر الناس بها روت العامة عن جماعة من الصحابة و التابعين.

و العياشي و عدة من أصحابنا عن أئمتنا في عدة اخبار انها نزلت في امير المؤمنين عليه السلام حين بات على فراش النبي و هرب النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم إلى الغار.

و في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام ان المراد بالآية الرجل يقتل على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

أقول: يعني هي عامة و ان نزلت خاصة.

و في تفسير الامام عليه السلام هؤلاء خيار أصحاب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم عذّبهم اهل مكة ليفتنوهم عن دينهم فمنهم بلال و صهيب و خباب و عمّار بن ياسر و أبوه وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ روي أنه لما نام

على فراشه قام جبرائيل عند رأسه و ميكائيل عند رجليه و جبرائيل ينادي بخّ بَخّ من مثلك يا علي بن أبي طالب يباهي اللّٰه الملائكة بك.

و في تفسير الامام عليه السلام اما الطالبون لرضاء ربهم فيبلغهم أقصى أمانيهم و يزيدهم عليها ما لم يبلغه آمالهم و اما الفاجرون فيرفق بهم في دعوتهم إلى طاعته و لا يقطع ممن علم انه سيتوب عن ذنبه عظيم كرامته. يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ في الاستسلام و الطاعة و قرئ بالفتح و هو بمعناه.

و في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام ولايتنا.

و العياشي عن الصادق عليه السلام في ولاية علي عليه السلام و عنهما أمروا بطاعتنا و معرفتنا كَافَّةً جميعاً وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ بالتفرق و التفريق.

و العياشي عن الصادق عليه السلام السِّلْمِ ولاية علي و الأئمة عليهم السلام و الأوصياء من بعده و خُطُواتِ الشَّيْطانِ ولاية فلان و فلان و في رواية هي ولاية الثاني و الأول.

و في تفسير الامام السِّلْمِ في المسالمة إلى دين الإسلام كَافَّةً جماعة ادخلوا فيه و أدخلوا جميع الإسلام فتقبّلوه و اعملوا به و لا تكونوا ممّن يقبل بعضه و يعمل به و يأبى بعضه و يهجره قال و منه الدخول في قبول ولاية علي فانه كالدخول في قبول نبوة رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فانه لا يكون مسلماً من قال ان محمداً صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم رسول اللّٰه فاعترف به و لم يعترف بأن علياً وصيه و خليفته و خير أمته و قال خُطُواتِ الشَّيْطانِ ما يتخطى بكم اليه من طرق الغيّ و الضلالة و يأمركم من ارتكاب الآثام الموبقات إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ظاهر العداوة.

فَإِنْ زَلَلْتُمْ عن الدخول في السلم مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ الحجج و الشواهد على أن ما دعيتم اليه حق فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غالب لا يعجزه الانتقام منكم حَكِيمٌ لا ينتقم الا بالحق.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ أي يأتيهم أمر اللّٰه أو بأسه فِي ظُلَلٍ جمع ظلة و هي ما أظلك مِنَ الْغَمامِ من السحاب الأبيض الذي هو مظنّة الرحمة فإذا جاء منه العذاب كان أصعب وَ الْمَلائِكَةُ و يأتي الملائكة إن قرئ بالرفع و بهم ان قرئ بالجرّ. و في العيون و التوحيد عن الرضا عليه السلام إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بالملائكة فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ قال و هكذا نزلت وَ قُضِيَ الْأَمْرُ و أتم أمر إهلاكهم و فرغ منه وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ و قرئ بفتح التاء و كسر الجيم حيث وقع. و في تفسير الامام عليه السلام أي هل ينظر هؤلاء المكذّبون بعد إيضاحنا لهم الآيات و قطعنا معاذيرهم بالمعجزات إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ و تأتيهم الْمَلائِكَةُ كما كانوا اقترحوا عليك اقتراحهم المحال في الدنيا في إتيان اللّٰه الذي لا يجوز عليه الإتيان و اقتراحهم الباطل في إتيان الملائكة الذين لا يأتون الا مع زوال هذا التعبد لأنه وقت مجيء الأملاك بالإهلاك فهم في اقتراحهم مجيء الأملاك جاهلون وَ قُضِيَ الْأَمْرُ أي هل ينظرون مجيء الملائكة فإذا جاؤوا وكان ذلك قضي الأمر بهلاكهم.

القمّي عن الباقر عليه السلام قال ان اللّٰه إذا بدا له أن يُبين خلقه و يجمعهم لما لا بد منه أمر منادياً ينادي فاجتمع الإنس و الجن في اسرع من طرفة العين ثم اذن للسماء الدنيا فتنزل وكان من وراء الناس و اذن للسماء الثانية فتنزل و هي ضِعْف التي تليها فإذا رآها اهل السماء الدنيا قالوا جاء ربنا قالوا لا و هو آت يعني أمره حتى ينزل كل سماء يكون كل واحدة منها من وراء الاخرى و هي ضعف التي تليها ثم ينزل امر اللّٰه في ظلل من الغمام و الملائكة و قضي الأمر و إلى ربكم ترجع الأمور ثم يأمر منادياً ينادي يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ.

و العياشي عنه عليه السلام في هذه الآية قال ينزل في سبع قباب من نور و لا يعلم في ايها هو حين ينزل في ظهر الكوفة فهذا حين ينزل، و في رواية اخرى عنه عليه السلام قال كأني بقائم اهل بيتي قد علا نجفكم نشر راية رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فإذا نشرها انحطت عليه ملائكة بدر، و قال انه نازل في قباب من

نور حين ينزل بظهر الكوفة على الفاروق فهذا حين ينزل و اما قُضِيَ الْأَمْرُ فهو الوسم على الخرطوم يوم يوسم الكافر.

أقول: لعل المراد انه ينزل على أمر يفرق به بين المؤمن و الكافر و ان المعني بقضاء الأمر امتياز أحدهما عن الآخر بوسمه على خرطوم الكافر و ذلك في الرجعة.

سَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ كَمْ آتَيْناهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ معجزة ظاهرة على أيدي أنبيائهم أو آية في التوراة شاهدة على صحة نبوة محمد. في الكافي عن الصادق عليه السلام انه كان يقرأ كَمْ آتَيْناهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ فمنهم من آمن و منهم من جَحَدَ و منهم من اقرّ و منهم من بدّل. و العياشي لم يذكر القراءة و إنما روى الزيادة كأنها تفسير و أورد أنكر مكان بدل وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ آياته التي هي سبب الهدى و النجاة الذين هما من أَجَلّ النِّعم يجعلها سبب الضلالة و ازدياد الرجس مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُ من بعد ما عرفها أو تمكن من معرفتها فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ فيعاقبه أشد عقوبة لأنه ارتكب أشَد جريمة.

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَياةُ الدُّنْيا حسنت في أعينهم و أشربت محبّتها في قلوبهم حتّى تهالكوا عليها وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا من فقراء المؤمنين الذين لا حظ لهم منها وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا من المؤمنين فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ لأنهم في علّيين و في الكرامة و هم في سجين و في الندامة وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ في الدارين بِغَيْرِ حِسابٍ بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجاً تارة و ابتلاء أخرى و يعطي أهل الجنة ما لا يحصى.

كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً العياشي عن الصادق عليه السلام قال كان هذا قبل بعث نوح كانوا أمة واحدة فبدا للَّه فأرسل الرسل قبل نوح عليه السلام قيل أعلى هدى كانوا ام على ضلالة قال بل كانوا ضلالا لا مؤمنين و لا كافرين و لا مشركين.

و في رواية اخرى له عنه قال و ذلك أنه لما انقرض آدم و صالح ذريته بقي شيث وصيّه لا يقدر على اظهار دين اللَّه الذي كان عليه آدم و صالح ذرّيته و ذلك أن قابيل توعّده بالقتل كما قتل أخاه هابيل فسار فيهم بالتقيّة و الكتمان فازدادوا كل يوم ضلالًا حتى لحق الوصي بجزيرة في البحر يعبد اللَّه فبدا للَّه تبارك و تعالى أن يبعث الرسل و لو سئل هؤلاء الجهال لقالوا قد فرغ من الأمر وكذبوا إنما هي شيء يحكم به اللَّه في كل عام ثم قرأ فيها يفرق كل امر حكيم فيحكم اللَّه تبارك و تعالى ما يكون في تلك السنة من شدة او رخاء او مطر او غير ذلك قيل أ فضلالًا كانوا قبل النبيين ام على هدى قال لم يكونوا على هدى كانوا على فطرة اللَّه التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق اللَّه و لم يكونوا ليهتدوا حتى يهديهم اللَّه اما تسمع بقول إبراهيم لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ أي ناسياً للميثاق.

و في الكافي عنه عليه السلام قال كان قبل نوح امّة ضلال فبدا للَّه فبعث المرسلين و ليس كما يقولون لم يزل وكذبوا يفرق في ليلة القدر ما كان من شدة او رخاء او مطر بقدر ما يشاء أن يقدر إلى مثلها.

و في المجمع عن الباقر عليه السلام كانوا قبل نوح امّة واحدة على فطرة اللَّه لا مهتدون و لا ضلالًا فبعث اللَّه النبيين.

أقول: أريد بالضلال المنفيّ في هذا الحديث التديّن بالشرك أو الكفر و بالمثبت في الحديث السابق الخلو عن الدين فلا منافاة بينهما.

و القمّي كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً قبل نوح على مذهب واحد فاختلفوا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ قيل و إنما حذف لدلالة قوله فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ عليه.

أقول: لا دلالة فيه على وقوع الاختلاف قبل البعث بل الظاهر أن المراد بالاختلاف في الآية اختلافهم في الدين بعد البعث على أن ظاهر الأخبار السابقة يدل على أنه لم يكن قبل البعث اختلاف و قيل بل اختلفوا بعد البعث على الرسل.فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ ليتّخذ عليهم الحجّة كذا في الكافي عن الصادق عليه السلام وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ

جعلوا نزول الكتاب الذي أُنزل لإزالة الخلاف سبباً في شدة الاختلاف مِنْ بَعْد ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ بَغْياً حسداً و ظلماً بَيْنَهُمْ لحرصهم على الدنيا فَهَدَى اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ من بيان لما بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ.أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ قيل أ حَسبتم استبعاد للحسبان و تشجيع للنبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم و المؤمنين على الصبر و الثبات مع الذين اختلفوا عليه و عداوتهم له وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ متوقّع إتيانه منتظر مَثَلُ الَّذينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ حالهم التي هي مثل في الشدة مَسَّتْهُمُ بيان للمثل الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ من القتل و الخروج عن الأهل و المال وَ زُلْزِلُوا و ازعجوا ازعاجاً شديداً بما أصابهم من الشدائد.

و في الكافي: عن الصادق عليه السلام أنه كان يقرأ و زلزلوا ثم زلزلوا حَتَّى يَقُولَ و قرئ بالرفع الرَّسُولُ وَ الَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ لتناهي الشدة و استطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر مَتى نَصْرُ اللَّهِ استبطاءً له لتأخره أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَريبٌ فقيل ذلك لهم إسعافاً لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر قيل فيه إشارة إلى أن الوصول إلى اللّه تعالى و الفوز بالكرامة عنده برفض الهوى و اللذّات و مكابدة الشدائد و الرياضات كما قال عليه السلام حفّت الجنّة بالمكاره و حفّت النار بالشهوات.

و في الخرائج عن السجاد عليه السلام قال فما تمدون أعينكم ألستم آمنين لقد كان من قبلكم ممن هو على ما أنتم عليه يؤخذ فيقطع يده و رجله و يصلب ثم تلا هذه الآية.

يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ أي شيء ينفق قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ من مال فَلِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبينَ وَ الْيَتامى وَ الْمَساكينِ وَ ابْنِ السَّبيلِ سئل عن المنفق فأجيب ببيان المصرف لأنه أهم إذ النفقة لا تعتد بها إذا وقعت موقعها قيل و كان السؤال متضمناً للمصرف أيضاً و إن لم يكن مذكوراً في الآية على ما روي أن عمرو بن الجمُوح الانصاري كان هِماً ذا مال عظيم فقال يا رسول اللّه ما ذا ننفق من أموالنا و أين نضعها فنزلت وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَليمٌ ان تفعلوا خيراً فان اللّه يعلم كنهه و يوفّي ثوابه.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَكُمْ شاق عليكم مكروه طبعاً وَ عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً في الحال وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ في العاقبة و هكذا أكثر ما كلفوا به فان الطبع يكرهه و هو مناط صلاحهم و سبب فلاحهم وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً في الحال وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ في العاقبة و هكذا اكثر ما نهوا عنه فان النفس تحبّه و تهواه و هو يفضي بها إلى الردى و إنما ذكر عسى لأن النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما هو خير لكم وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ذلك.

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فيهِ قيل بعث النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم عبد الرحمن بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الاخرى قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد اللّه الحضرمي و ثلاثة معه فقتلوه و أسروا إثنين و استاقوا العير و فيها تجارة الطائف و كان ذلك في غرة رجب و هم يظنونه من جمادى الاخرى فقالت قريش قد استحل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف و يذعر فيه الناس إلى معايشهم و شق على أصحاب السرية و قالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم مال العير و الأسارى فنزلت و القمّي ما يقرب منه مع زيادات في آخره فكتب قريش الى النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم إنك استحللت الشهر الحرام و سفكت فيه الدم و أخذت المال وكثر القول في هذا قال الصحابة يا رسول اللّه أ يحل القتل في الشهر الحرام فنزلت قُلْ قِتالٌ فيهِ كَبيرٌ عظيم تم الكلام هاهنا ثم ابتدأ و قال وَ صَدٌّ عَنْ سَبيلِ اللَّهِ يعني و لكن ما فعلوه من صدهم عن سبيل اللّه أي الإسلام وَكُفْرٌ بِهِ وكفرهم باللّه وَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ و بالمسجد الحرام على تقدير الباء أو صدهم عن المسجد الحرام على أن يكون الكفر باللّه عين الصد عن سبيل اللّه فلا يكون أجنبياً بين المعطوفين أو يكون تقديمه مع أن حقه التأخير لفرط العناية به كما في قوله تعالى وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ وَ إِخْراجُ أَهْلِهِ و إخراج أهل مسجد الحرام و هم رسول اللّه و المؤمنون مِنْهُ أَكْبَرُ أعظم وزراً عِنْدَ اللَّهِ من القتل الذي وقع في الشهر الحرام وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ و ما ارتكبوه من الإخراج و الشرك أفظع مما وقع من القتل وَ لا يَزالُونَ

يُقاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ لكي يردّوكم عنه اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم و أنهم لا ينفكون عنها حتى يردّوهم عن دينهم هذا إِنِ اسْتَطاعُوا استبعاد لاستطاعتهم و إيذان بأنهم لا يردونهم وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ يرجع عنه فَيَمُتْ وَ هُوَ كافِرٌ أي على الردة فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا لما يفوتهم من ثمرات الإسلام وَ الْآخِرَةِ لما يفوتهم من الثواب وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ كسائر الكفّار.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ قيل نزلت في قصة ابن جحش و أصحابه و قتلهم الحضرمي في رجب حين ظن قوم أنهم ان أسلموا من الإثم فليس لهم أجر وَ اللَّهُ غَفُورٌ لما فعلوه خطأ و قلّة احتياط رَحِيمٌ باجزال الأجر و الثواب.

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ أي عن تعاطيهما قُلْ فِيهِما في تعاطيهما إِثْمٌ كَبِيرٌ لأنهما مفتاح كل شيء و قرئ بالثاء المثلثة وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ من الطرب وكسب المال و غيرهما وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما أي المفاسد التي تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقعة منهما.

في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه قال إنّ الخمر رأس كل إثم و مفتاح كل شر و قال إن اللّه جعل للشر أقفالا فجعل مفاتيحها الشراب، و قال ما عصي اللّه بشيء أشد من شرب المسكر ان أحدهم ليدع الصلاة الفريضة و يثب على أمه و أخته و بنته و هو لا يعقل و قال إنه أشر من ترك الصلاة لأنه يصير في حال لا يعرف معها ربه و قال يغفر اللّه في شهر رمضان لكل احد الا لثلاثة صاحب مسكر او صاحب شاهَيْنِ أو مشاحن، و قال كلما قومر عليه فهو ميسر، و فسّر المشاحِن بصاحب البدعة المفارق للجماعة. و عن الباقر عليه السلام قال: ما بعث اللّه نبياً قط الا و في علم اللّه تعالى أنه إذا أكمل له دينه كان فيه تحريم الخمر و لم يزل الخمر حراماً و إنما ينقلون من خصلة ثم خصلة و لو حمل ذلك عليهم جملة لقطع بهم دون الدين قال ليس أحد أرفق من اللّه تعالى فمن رفقه تبارك و تعالى انه ينقلهم من خصلة إلى خصلة و لو حمل عليهم جملة لهلكوا، و عنهم عليهم السلام أن أول ما نزل في تحريم الخمر قوله تعالى:

(يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما) فلما نزلت هذه الآية أحسّ القوم بتحريمها و علموا أن الإثم مما ينبغي اجتنابه و لا يحمل اللّه تعالى عليهم من كل طريق لأنه قال وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ ثم أنزل اللّه آية أخرى إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فكانت هذه الآية أشد من الأولى و اغلظ في التحريم ثم ثلّث بآية اخرى فكانت أغلظ من الأولى و الثانية و أشد فقال تعالى (إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) فأمر تعالى باجتنابها و فسّر عللها التي لها و من أجلها حرّمها ثم بيّن اللّه تعالى تحريمها وكشفه في الآية الرابعة مع ما دل عليه في هذه الآية المذكورة المتقدمة بقوله تعالى: قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، و قال عز و جل في الآية الأولى يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ ثم قال في الآية الرابعة قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ الْإِثْمَ، فخبر عز و جل ان الإثم في الخمر و غيرها و أنه حرام و ذلك ان اللّه تعالى إذا أراد أن يفترض فريضة أنزلها شيئاً بعد شيء حتى يوطن الناس أنفسهم عليها و يسكنوا إلى أمر اللّه و نهيه فيها وكان ذلك من أمر اللّه تعالى على وجه التدبير فيهم أصوب و أقرب لهم إلى الأخذ بها و أقل لنفارهم عنها، و عن علي بن يقطين قال سأل المهدي أبا الحسن عليه السلام عن الخمر هل هي محرّمة في كتاب اللّه تعالى فان الناس إنما يعرفون النهي عنها و لا يعرفون التحريم لها فقال له ابو الحسن عليه السلام بل هي محرمة في كتاب اللّه يا امير المؤمنين فقال له في أي موضع هي محرمة في كتاب اللّه عز و جل يا أبا الحسن فقال قول اللّه تعالى: (قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) إلى أن قال و امّا الإثم فإنها الخمر بعينها و قد قال اللّه في موضع آخر (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ) فأمّا الإثم في كتاب اللّه فهي الخمر و الميسر و إثمهما أكبر كما قال

اللَّه تعالى فقال المهدي يا علي بن يقطين و هذه فتوى هاشمية قال قلت له صدقت و اللَّه يا أمير المؤمنين الحمد للَّه الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت قال فو اللَّه ما صبر المهدي أن قال لي صدقت يا رافضي و يأتي ما طويناه من هذا الحديث في سورة الأعراف إن شاء اللَّه تعالى. وَ يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قيل سأله أيضاً ابن الجُمُوح سأل أولًا عن المنفق و المصرف ثم سأل عن كيفية الأنفال و قدره قُلِ الْعَفْوَ و قرئ بالرفع و الْعَفْوَ نقيض الجهد و هو أن ينفق ما تيسر له بذله و لا يبلغ منه الجهد و استفراغ الوسع قال خذي العفو مني تستديمي مودتي، و روي عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم يأتي أحدكم بماله كله يتصدق به و يجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى.

و في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام الْعَفْوَ الوسط.

و في المجمع عنه عليه السلام و القمي قال لا إقتار و لا إسراف.

و في التبيان و المجمع عن الباقر عليه السلام أن الْعَفْوَ ما يفضل عن قوت السنة.

و في المجمع عنه نسخ ذلك بآية الزكاة.

كَذلِكَ مثل ما بين أن العفو أصلح من الجهد يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ.

فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ في امور الدارين فتأخذون بالأصلح و الأنفع وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى القمّي عن الصادق عليه السلام لما نزلت إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً أخرج كل من كان عنده يتيم و سألوا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم في إخراجهم فنزلت.

و في المجمع عنه و عن أبيه عليهما السلام لما نزلت وَ آتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ كرهوا مخالطة اليتامى فشق ذلك عليهم فشكوا إلى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فنزلت قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ مداخلتهم لا صلاحهم خير من مجانبتهم وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ تعاشروهم و تشاركوهم فَإِخْوانُكُمْ فإنهم إخوانكم في الدين و من حق الأخ أن يخالط الأخ.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام و العياشي عن الباقر عليه السلام قال تخرج من أموالهم قدر ما يكفيهم و تخرج من مالك قدر ما يكفيك ثم تنفقه قلت أ رأيت ان كانوا يتامى صغاراً و كباراً و بعضهم أعلى كسوةً من بعض و بعضهم آكل من بعض و مالهم جميعاً فقال أما الكسوة فعلى كل انسان منهم ثمن كسوته و اما الطعام فاجعلوه جميعاً فان الصغير يوشك أن يأكل مثل الكبير.

و في رواية: و لا يرزأن من أموالهم شيئاً إنما هي النار.

وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ لا يخفى عليه من داخلهم لاصلاح أو افساد فيجازيهم على حسب مداخلتهم.

و في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام أنه قيل له أنّا ندخل على أخ لنا في بيت أيتام و معهم خادم لهم فنقعد على بساطهم و نشرب من مائهم و يخدمنا خادمهم و ربما طعمنا فيه الطعام من عند صاحبنا و فيه من طعامهم فما ترى في ذلك فقال إن كان في دخولكم عليه منفعة لهم فلا بأس و إن كان فيه ضرر فلا و قال بل الإنسان على نفسه بصيرة فأنتم لا يخفى عليكم و قد قال اللَّه تعالى: (وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ).

وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ لحملكم على العنت و هي المشقة و لم يجوز لكم مداخلتهم إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غالب قادر على ما يشاء حَكِيمٌ يفعل ما يقتضيه الحكمة و يتّسع له الطاقة.

وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ لا تزوجوا الكافرات حَتَّى يُؤْمِنَّ وَ لَأَمَةٌ مملوكة مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ حرة وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ المشركة بجمالها أو مالها و تحبونها وَ لا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ لا تزوجوا منهم المؤمنات حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مملوك مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ حرّ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ جماله أو ماله أو حاله أُولئِكَ إشارة إلى المشركين و المشركات يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ الى الكفر المؤدي الى النار فحقهم أن لا يوالوا و لا يصاهروا وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ إلى فعل ما يوجب الجنّة و المغفرة من الايمان و الطاعة بِإِذْنِهِ بأمره و توفيقه وَ يُبَيِّنُ آياتِهِ أوامره و نواهيه لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ و يتعظمون.

القمي هي منسوخة بقوله تعالى في سورة المائدة الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ إلى قوله الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ قال فنسخت هذه الآية له وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ و نزلت قوله: (وَ لا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا) على حاله لم ينسخ لأنه لا يحل للمسلم أن ينكح المشرك و يحل له أن يتزوج المشركة من اليهود و النصارى وكذلك قاله النعماني في كتابه وكلاهما عدّا قوله تعالى: (وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ) في منسوخ النصف من الآيات و يأتي تمام الكلام فيه في سورة المائدة إن شاء اللّه تعالى.

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ هو مصدر حاضت قُلْ هُوَ أَذىً مستقذر يؤذي من يقربه نفرةً منه له فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ فاجتنبوا مجامعتهن في وقت الحيض وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ بالجماع حَتَّى يَطْهُرْنَ ينقطع الدم عنهن و من قرأ يطّهّرن فإنما هو من يتطهرن أي يغتسلن في الكافي سئل عن الصادق عليه السلام ما يحل لصاحب المرأة الحائض منها فقال كل شيء ما عدا القبل بعينه.

و في رواية فليأتها حيث شاء ما اتّقى موضع الدم. و الأخبار في هذا المعنى عنهم عليهم السلام كثيرة.

فَإِذا تَطَهَّرْنَ اغتسلن فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ يعني فاطلبوا الولد من حيث أمركم اللّه كذا عن الصادق عليه السلام كما يأتي، و أريد بحيث أمركم اللّه المأتي الذي أمركم به و حلّله لكم و إنما استفيد طلب الولد من لفظة من. و في الكافي عن الصادق عليه السلام في المرأة ينقطع عنها دم الحيض في آخر أيامها قال إذا أصاب زوجها شبق فليأمرها فلتغسل فرجها ثم يمسها إن شاء قبل أن تغتسل. و في رواية أخرى و الغسل أحب إلي، و سئل عنه عليه السلام إذا تيممت من المحيض تحل لزوجها قال نعم يعني بعد ما طهرت إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ من الذنوب وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ بالماء و المتنزهين عن الأقذار. و في الكافي عن الصادق عليه السلام أن اللّه يحب العبد المفتن التواب و من لا يكون ذلك منه كان أفضل. و عنه عليه السلام كان الناس يستنجون بالكرسف الأحجار ثم أحدث الوضوء و هو خلق كريم فأمر به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و صنعه فأنزل اللّه في كتابه إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ.

أقول: أراد بالوضوء الاستنجاء بالماء.

و في العلل و العياشي عنه عليه السلام قال كان الناس يستنجون بثلاثة أحجار لأنهم كانوا يأكلون البُسر فكانوا يبعرون بعراً فأكل رجل من الأنصار الدّبا فلان بطنه و استنجى بالماء فبعث النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم اليه قال فجاء الرجل و هو خائف أن يكون قد نزل فيه أمر يسوءه في استنجائه بالماء فقال له هل عملت في يومك هذا شيئاً فقال يا رسول اللّه إني و اللّه ما حملني على الاستنجاء بالماء إلا إني أكلت طعاماً فلان بطني فلم تغن عني الحجارة شيئاً فاستنجيت بالماء فقال رسول اللّه هنيئاً لك فان اللّه عز و جل قد انزل فيك آية فابشر إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ فكنت انت أول من صنع هذا أوّل التوابين و أوّل المتطهرين.

و في رواية كان الرجل البراء بن معرور الانصاري و أوردهما في الفقيه مرسلًا.

نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيهاً لما يلقى في أرحامهن من النّطف بالبذور فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ قيل أي من أي جهة شئتم. و العياشي و القمي عن الصادق عليه السلام أي متى شئتم في الفرج. و في رواية أخرى في أي ساعة شئتم. و في اخرى من قدّامها و من خلفها في القبل.

و في التهذيب عن الرضا عليه السلام أن اليهود كانت تقول إذا أتى الرجل المرأة من خلفها خرج ولده أحول فأنزل اللّه عز و جل: (نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) من خلف أو قدام خلافاً لقول اليهود و لم يعن في أدبارهن.

و عن الصادق عليه السلام عن الرجل يأتي المرأة في دبرها قال لا بأس إذا رضيت قيل فأين قول اللّه عز و جل (فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) قال هذا في طلب الولد فاطلبوا الولد من حيث أمركم اللّه ان اللّه تعالى يقول (نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ).

أقول: لا منافاة بين الروايتين لأن المراد بالأول نفي دلالة هذه الآية على حل الأدبار و المراد بالثانية نفي دلالة قوله تعالى مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ على حرمتها و اما تلاوته هذه الآية عقيب ذلك فاستشهاد منه بها على أن اللّه سبحانه إنما أراد طلب الولد إذ سمّاهن الحرث و يجوز أن يكون قوله تعالى مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إشارة إلى الأمر بالمباشرة و طلب الولد في قوله سبحانه فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا ماكَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ.

و في الرواية الثانية إشارة إلى أن المتوقف حلّه على التطهر هو موضع الحرث خاصة دون سائر المواضع.

و في الكافي سئل الصادق عليه السلام عن إتيان النساء في أعجازهن فقال هي لعبتك لا تؤذها.

و في رواية و المرأة لعبة لا تؤذى و هي حرث كما قال اللّه. و في اخرى لا بأس به و ما أحب أن تفعله.

وَ قَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ قيل أي ما يدّخر لكم من الأعمال الصالحة و قيل هو طلب الولد و قيل التسمية على الوطي وَ اتَّقُوا اللَّهَ و لا تجترُوا على المناهي وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ فتزوّدوا ما لا تفتضحون به وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ لعل المراد و بشّر من صدقك و امتثل أمرك بالملاقاة و الكرامة و النعيم الدائم عندها.

وَ لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ العرضة تطلق لما يعترض دون الشيء فيحجز عنه و للمعرض للأمر و المعنى على الأول لا تَجْعَلُوا اللَّهَ حاجزاً لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الأمور المحلوف عليها، و عليه ورد قول الصادق في تفسيرها إذا دعيت لصلح بين اثنين فلا تقل علي يمين ان لا أفعل و على الثاني لا تَجْعَلُوا اللَّهَ معرضاً لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف و عليه ورد قوله عليه السلام لا تحلفوا باللّه صادقين و لا كاذبين فان اللّه يقول وَ لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمانِكُمْ.

و في رواية: من حلف باللّه كاذباً كفر و من حلف باللّه صادقاً اثم ان اللّه يقول و تلا الآية و الثلاثة مروية في الكافي و ذكر العياشي الأولين في رواية واحدة، و عنه عليه السلام يعني الرجل يحلف أن لا يتكلم أخاه و لا يكلم أمّه و ما يشبه ذلك أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ بيان للايمان أي الأمور المحلوف عليها على المعنى الأولّ و علّة للنهي على المعنى الثاني أي أنهاكم عنه إرادة برّكم و تقواكم و إصلاحكم بين الناس فان الحلّاف مجترئ على اللّه و المجتري على اللّه تعالى لا يكون برّاً متّقياً و لا موثوقاً به في إصلاح ذات البين و لذلك ذمّ اللّه تعالى الحلّاف فقال وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ لايمانكم عَلِيمٌ بنيّاتكم.

لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بالعقوبة و الكفارة بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ الساقط الذي لا عقد معه بل يجري على عادة اللسان كقول العرب لا و اللّه و بلى و اللّه لمجرّد التأكيد وكذا في المجمع عنهما عليهما السلام وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بماكَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ بما عن الباقر و الصادق واطأت فيها قلوبكم ألسنتكم و عزمتموه كقوله سبحانه بما عَقَّدْتُمُ الْأَيْمانَ فان كسب القلب هو العقد و النيّة و القصد وَ اللَّهُ غَفُورٌ حيث لا يؤاخذكم بلغو الايمان حَلِيمٌ حيث لا يجعل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصاً للتوبة.

لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ يحلفون على أن لا يجامعوهن مضارّة لهن و الإيلاء الحلف و تعديته بعلى و لكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدّي بمن تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ بانتظارها و التوقف فيها فلا يطالبوا بشيء فَإِنْ فاؤُ أي رجعوا إليهن بالحث وكفّارة اليمين و جامعوا مع القدرة و وعدوها مع العجز فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لا يتبعهم بعقوبة.

وَ إِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لطلاقهم عَلِيمٌ بضمائرهم.

القمّي عن الصادق عليه السلام الإيلاء أن يحلف الرجل على امرأته أن لا يجامعها فان صبرت عليه فلها أن تصبر و إن رفعته إلى الامام انظره اربعة أشهر ثم يقول له بعد ذلك اما ان ترجع إلى المناكحة و اما أن تطلّق فان ابى حبسه ابداً.

و في الكافي عنه و عن أبيه عليهما السلام انهما قالا إذا آلى الرجل أن لا يقرب امرأته فليس لها قول و لا حق في الأربعة أشهر و لا إثم عليه في كفه عنها في الأربعة أشهر فان مضت الأربعة أشهر قبل أن يمسها فسكتت و رضيت فهو في حل وسعة فان رفعت أمرها قيل له إمّا أن تفيء فتمسّها و اما أن تطلّق و عزم الطلاق

أن يخلى عنها فإذا حاضت و طهرت طلّقها و هو أحق برجعتها ما لم تمض ثلاثة قروء فهذا الإيلاء أنزله اللَّه تبارك و تعالى في كتابه و سنّة رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم.
وَ الْمُطَلَّقاتُ يعني المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلّت الآيات و الأخبار ان حكم غيرهن خلاف ذلك يَتَرَبَّصْنَ ينتظرن خبر في معنى الأمر للتأكيد و الاشعار بأنه مما يجب أن يمتثلن فكأنهن امتثلن فيخبر عنه بِأَنْفُسِهِنَّ تهييج و تعب لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح إلى الرجال فامرن بأن يقمعنها و يحملنها على التربص ثَلاثَةَ قُرُوءٍ لا يزوجن فيها. في الكافي عن الباقر عليه السلام قال الاقراء هي الاطهار.
و عن زرارة قال قلت لأبي جعفر عليه السلام إني سمعت ربيعة الرأي يقول إذا رأت الدم من الحيضة الثالثة بانت منه و إنما القرء ما بين الحيضتين و زعم أنه أخذ ذلك برأيه فقال ابو جعفر عليه السلام كذب لعمري ما قال ذلك برأيه و لكنه أخذ عن علي عليه السلام قال قلت له و ما قال فيها علي عليه السلام قال كان يقول إذا رأت الدم من الحيضة الثالثة فقد انقضت عدّتها و لا سبيل له عليها و إنما القرء ما بين الحيضتين و ليس لها أن تتزوج حتّى تغتسل من الحيضة الثالثة.
و في رواية اخرى قال سمعت ربيعة الرأي يقول من رأى أن الاقراء التي سمى اللَّه عز و جل في القرآن إنما هو الطهر فيما بين الحيضتين فقال عليه السلام كذب لم يقله برأيه و لكنه إنما بلغه عن علي عليه السلام فقلت له أصلحك اللَّه أ كان علي عليه السلام يقول ذلك قال نعم إنما القرء الطهر يقرى فيه الدم فتجمعه فإذا جاء المحيض دفعه. و عن الصادق عليه السلام عدة التي لم تحض و المستحاضة التي لم تحض و المستحاضة التي لم تطهر ثلاثة أشهر و عدة التي تحيض و تستقيم حيضها ثلاثة قروء و القرء جمع الدم بين الحيضتين.
وَ لا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحامِهِنَّ من الولد و دم الحيض استعجالًا للعدة و إبطالًا لحق الرجعة. في المجمع عن الصادق عليه السلام الحبل و الحيض.
و القمّي: لا يحل للمرأة أن تكتم حملها أو حيضها أو طهرها و قد فوّض اللَّه إلى النساء ثلاثة أشياء الطهر و الحيض و الحبل. و العياشي عن الصادق عليه السلام يعني لا يحل لها أن تكتم الحمل إذا طلقت و هي حبلى و الزوج لا يعلم بالحمل و هو أحق بها في ذلك الحمل ما لم تضع.
إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يعني ذلك ينافي الايمان عظّم فعلهن ذلك وَ بُعُولَتُهُنَّ أزواجهن أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ إلى النكاح و الرجعة إليهن فِي ذلِكَ في زمان التربص إِنْ أَرادُوا بالرجعة إِصْلاحاً لما بينهن و لم يريدوا مضارتهن وَ لَهُنَّ حقوق عليهم مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ لهم في الوجوب و الاستحقاق لا في الجنس بِالْمَعْرُوفِ بالوجه الذي لا ينكر في الشرع و لا في عادات النساء فلا يكلّفنهم ما ليس لهن و لا يكلفونهن ما ليس لهم وَ لِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ زيادة في الحق و فضيلة بقيامهم عليهن.
في الفقيه سئل الصادق عليه السلام عن حق المرأة على زوجها قال يشبع بطنها و يكسو جثتها و إن جهلت غفر لها. و فيه و في الكافي عن الباقر عليه السلام قال جاءت امرأة إلى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فقالت يا رسول اللَّه ما حق الزوج على المرأة فقال لها أن تطيعه و لا تعصيه و لا تتصدق من بيته بشيء إلا باذنه و لا تصوم تطوعاً الا باذنه و لا تمنعه نفسها و إن كانت على ظهر قتب و لا تخرج من بيتها الا باذنه فان خرجت بغير اذنه لعنتها ملائكة السماء و ملائكة الأرض و ملائكة الغضب و ملائكة الرّحمة حتى ترجع الى بيتها فقالت يا رسول اللَّه من أعظم الناس حقاً على الرجل قال والده قالت فمن أعظم الناس حقاً على المرأة قال زوجها قالت فما لي من الحق عليه مثل ما له علي قال لا و لا من كل مائة واحد فقالت و الذي بعثك بالحق نبياً لا يملك رقبتي رجل ابداً. وَ اللَّهُ عَزِيزٌ يقدر على الانتقام ممن خالف الأحكام حَكِيمٌ يشرعها لحكم و مصالح. الطَّلاقُ مَرَّتانِ أي التطليق الرجعي اثنتان فان الثالثة باين و في المجمع عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أنه سئل أين الثالثة فقال أو تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ.

فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوف أي بالمراجعة و حسن المعاشرة أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ بأن يطلقها التطليقة الثالثة بعد الرجعة كما في الخبر النبوي المذكور أو بأن لا يراجعها حتى تبين منه و تخرج من العدة فالإمساك هو الأخذ و التسريح هو الإطلاق وَ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ من المهر شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخافا التفات من الخطاب إلى الغيبة ثم منها اليه او الخطاب راجع إلى الحكام لأن الأخذ و الإعطاء إنما يقعان بأمرهم و قرئ بضمّ الياء أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فيما يلزمهما اللّه من وظائف الزوجية فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ لا جناح على الرجل في أخذ ما افتدت به نفسها و اختلعت و لا على المرأة في إعطائه تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ إشارة إلى ما حد من الأحكام فَلا تَعْتَدُوها بالمخالفة وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد.

العياشي عن الصادق عليه السلام في المختلعة فقال لا يحل خلعها حتى تقول و اللّه لا أبر لك قسماً و لا أطيع لك امراً و لأوطئن فراشك و لأدخلن عليك بغير إذنك فإذا هي قالت ذلك حلّ خلعها و حل له ما أخذ منها من مهرها و ما زاد و هو قول اللّه تعالى فَلا جُناحَ عَلَيْهِما فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ و إذا فعل ذلك فقد بانت منه بتطليقة و هي املك بنفسها ان شاءت نكحته و إن شاءت فلا فان نكحته فهي عنده على اثنتين. و في الكافي اخبار تقرب منه. و عن الباقر عليه السلام إذا قالت المرأة لزوجها جملة لا أُطيع لك أمراً مفسراً أو غير مفسر حل له ما أخذ منها و ليس له عليها رجعة. فَإِنْ طَلَّقَها بعد الثّنتين ثالثة.

في المجمع عن الباقر عليه السلام يعني التطليقة الثالثة.

فَلا تَحِلُّ لَهُ تزويجها مِنْ بَعْدُ ذلك هذا الطلاق حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَها الزوج الثاني فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يَتَراجَعا يرجع كل واحد منهما إلى الآخر بالزواج إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ إن كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده اللّه و شرعه من حقوق الزوجية وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ أي الأحكام المذكورة يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ يفهمون و يعملون بمقتضى العلم.

في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن رجل طلق امرأته طلاقاً لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره و تزوجها رجل متعة أ يحل له أن ينكحها قال لا حتى تدخل في مثل ما خرجت منه، و زاد العياشي قال اللّه تعالى فَإِنْ طَلَّقَها فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يَتَراجَعا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيما حُدُودَ اللَّهِ و المتعة ليس فيها طلاق.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام في الرجل يطلّق امرأته الطلاق الذي لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ثم تزوج رجلًا و لم يدخل بها قال لا حتى يذوق عسيلتها.

وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ قاربن آخر عدّتهن فان البلوغ قد يطلق على الدنو كما يطلق على الوصول و الأجل يطلق على منتهى المدة كما يطلق على المدة فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ راجعوهن بما يجب لها من القيام بموجبها من غير طلب ضرار بالمراجعة أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ خلّوهن حتى تنقضي عدتهن فيكن أملك بأنفسهن وَ لا تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً و لا تراجعوهنّ إرادة الإضرار بهن من غير رغبة فيهن لِتَعْتَدُوا لتظلموهن بتطويل المدة عليهن في حبالكم أو الجائهن إلى الافتداء. في الفقيه سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية فقال الرجل يطلق حتى إذا كادت أن يخلو أجلها راجعها ثم طلقها يفعل ذلك ثلاث مرات فنهى اللّه عن ذلك.

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بتعريضها للعقاب وَ لا تَتَّخِذُوا آياتِ اللَّهِ هُزُواً لا تستخفوا بأوامره و نواهيه وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بما أباحه لكم من الأزواج و الأموال وَ ما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ وَ الْحِكْمَةِ من القرآن و العلوم المبيّنة لكم يَعِظُكُمْ بِهِ لتتّعظوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ تأكيد و تهديد.

وَ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ انقضت عدّتهن فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ لا تمنعوهن ظلماً عن التزوج قيل هذا إما أن يكون خطاباً للأزواج الذين يعضلون نسائهم بعد انقضاء العدة ظلماً لا يتركونهن يتزوجن مَن شئن من الأزواج و اما أن يكون خطاباً للأولياء في عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن أو لهما

جميعاً أو للناس كلهم و العضل الحبس و التضييق إذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ إذ تراضى الخطاب و النساء بِالْمَعْرُوف بما يحسن في الدين و المروّة من الشرائط ذلِكَ الذي سبق من الأمر و النهي يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ لأنه المتعظ به و المنتفع ذلِكُمْ العمل بما ذكره أَزْكى لَكُمْ أنفع وَ أَطْهَرُ من دنس الآثام وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما فيه النفع و الصلاح لكم وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ لقصور علمكم.

وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ خبر في معنى الأمر المؤكد و الوالدات تعم المطلقات و غيرهن. و قيل بل يختص بهن إذ الكلام فيهن.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام لا تجبر الحرة على إرضاع الولد و تجبر ام الولد.

أقول: فيحتمل أن يكون معنى الآية أن الإرضاع حقهن لا يمنعن منه إن أردنه فعن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم ليس للصبي لبن خير من لبن امه.

و في الكافي و الفقيه عن امير المؤمنين عليه السلام ما من لبن رضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن امّه قيل و قد يجب عليهن كما إذا لم يرتضع الا من امه او لا يعيش الا بلبنها او لا يوجد غيرها حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ تامّين أكده به لأنه مما يتسامح فيه لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع أو متعلق بيرضعن أي لأجل أزواجهن فان نفقة الولد على والده و فيه تحديد لأقصى مدة الرضاع و تجويز للنقص عنه وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ الذي ولد له و هو الوالد فيه إشارة الى أن الولد للأب و لهذا ينسب اليه و إنما لم يقل على الزوج لأنه قد يكون غير الزوج كالمطلق و للتنبيه على المعنى المقتضي لوجوب الإرضاع و مؤن المرضعة على الأب رِزْقُهُنَّ مأكولهن وَ كِسْوَتُهُنَّ إذا أرضعن ولده بِالْمَعْرُوفِ بما يعرفه أهل العرف لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَها تعليل لإيجاب المؤن و التقييد بالمعروف و ما بعده تفصيل له و تقرير أي لا يكلف كل منها الآخر ما ليس في وسعه و لا يضاره بسبب الولد لا تُضَارَّ والِدَةٌ زوجها بِوَلَدِها بسبب ولدها بأن تترك ارضاعه تعنّتاً أو غيظاً على أبيه و سيما بعد ما ألفها الولد أو تطلب منه ما ليس بمعروف أو تشغل قلبه في شأن الولد أو تمنع نفسها منه خوف الحمل لئلا يضر بالمرتضع وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ أي لا يضار المولود له ايضاً امرأته بِوَلَدِهِ بسبب ولده بأن ينزعه منها و يمنعها عن ارضاعه ان ارادته و سيّما بعد ما ألفها الولد أو يكرهها عليه أو يمنعها شيئاً مما وجب عليه أو يترك جماعها خوف الحمل اشفاقاً على المرتضع.

في الكافي ان الصادق عليه السلام سئل عن هذه الآية فقال كانت المراضع مما تدفع إحداهن الرجل إذا أراد الجماع تقول لا أدعك إني أخاف أن أحبل فاقتل ولدي هذا الذي أرضعه وكان الرجل تدعوه المرأة فيقول أخاف أن أجامعك فاقتل ولدي فيدعها و لا يجامعها فنهى اللَّه عز و جل عن ذلك بأن يضار الرجل المرأة و المرأة الرجل.و عنه عليه السلام إذا طلّق الرجل امرأته و هي حبلى أنفق عليها حتى تضع حملها فإذا وضعته أعطاها أجرها و لا يضارها الا أن يجد من هو أرخص أجراً منها فان هي رضيت بذلك الأجر فهي أحق بابنها حتى تفطمه.

أقول: و يجوز أن يكون لا تُضَارَّ على البناء للمفعول أي لا تُضَارَّ والِدَةٌ من جهة زوجها وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ من جهة زوجته و لا يتفاوت المعنى غير انه يتعاكس على اللفظتين و قرئ لا تُضَارَّ بالرفع بدلًا من قوله لا تُكَلَّفُ.

وَ عَلَى الْوارِثِ و على وارث المولود له بعد موته مِثْلُ ذلِكَ مثل ما كان يجب على المولود له.

العياشي عن الباقر عليه السلام انه سئل عنه فقال النفقة على الوارث مثل ما على الوالد.

و عن الصادق عليه السلام أنه سئل عنه فقال لا ينبغي للوارث أن يضار المرأة فيقول لا أدع ولدها يأتيها و يضار ولدها ان كان لهم عنده شيء فلا ينبغي أن يقتّر عليه.

و في الكافي عنه في قوله وَ عَلَى الْوارِثِ مِثْلُ ذلِكَ انه نهى أن يضار بالصبي أو يضار امه في رضاعه و ليس لها أن تأخذ في رضاعه فوق حولين كاملين.

و في الفقيه عن امير المؤمنين عليه السلام انه قضى في رجل توفي و ترك صبياً و استرضع له ان أجر رضاع الصبي مما يرث من أبيه و امه.
فَإِنْ أَرادا فِصالًا فطاماً عن الرضاع قبل الحولين كذا في المجمع عن الصادق عليه السلام عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَ تَشاوُرٍ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما في ذلك و هذه توسعة بعد التحديد و إنما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل و حذراً أن يقدم أحدهما على ما يضربه لغرض وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا المراضع أَوْلادَكُمْ لأولادكم يقال أرضعت المرأة الطفل و استرضعها إياه حذف المفعول الأول للاستغناء عنه فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فيه إِذا سَلَّمْتُمْ إلى المراضع ما آتَيْتُمْ ما أردتم إيتائه إياهن و شرطتم لهن و قرئ ما أتيتم بالقصر مَنْ أتى اليه احساناً إذا فعله بِالْمَعْرُوفِ صلة سلّمتم أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعاً.
و في الكافي عن النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم لا تسترضع الحمقاء و لا العمشاء فان اللبن يعدي.
و عن أمير المؤمنين عليه السلام انظروا من ترضع أولادكم فان الولد يشب عليه.
أقول: يعني يصير شاباً على الرضاع وَ اتَّقُوا اللّٰهَ مبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الأطفال و المراضع وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ بما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ حثّ و تهديد.
وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ بعدهم أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً تأنيث العشر باعتبار الليالي لأنها غرر الشهور و الأيام و الأيام لا يستعمل التذكير في مثله و إن كانت الأيام مرادة يقال صمت عشراً قيل لعل المقتضي لهذا التقدير أن الجنين في غالب الأمر يتحرك لثلاثة أشهر إن كان ذكراً و لأربعة إن كانت أنثى فاعتبر أقصى الأجلين و زيد عليه العشر استظهاراً إذ ربما يضعف حركته في المبادي فلا يحس بها.
و في العلل: عن الرضا عليه السلام أوجب عليها إذا أصيبت بزوجها و توفي عنها بمثل ما أوجب عليها في حياته إذا آلى منها و علم أن غاية صبر المرأة اربعة أشهر في ترك الجماع فمن ثم أوجب عليها و لها.
و عن الصادق عليه السلام لأن حرقة المطلقة تسكن في ثلاثة أشهر و حرقة المتوفى عنها زوجها لا تسكن الا في اربعة أشهر و عشراً.
و العياشي عنه عليه السلام لما نزلت هذه الآية جئن النساء يخاصمن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم و قلن لا نصبر فقال لهن رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم كانت إحداكن إذا مات زوجها أخذت بعرة فألقتها خلفها في دويرتها في خدرها ثم قعدت فإذا كان مثل ذلك اليوم من الحول أخذتها ففتتها ثم اكتحلت بها ثم تزوجت فوضع اللّٰه عنكن ثمانية أشهر.
و في التهذيب عن الباقر عليه السلام كل النكاح إذا مات الزوج فعلى المرأة حرة كانت أو أمةً و على أي وجه كان النكاح منه متعة أو تزويجاً أو ملك يمين فالعدة أربعة أشهر و عشراً فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ انقضت عدتهن فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أيها الأولياء فِيما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ من التعرض للخطاب و سائر ما حرم عليهن للعدة بِالْمَعْرُوفِ بالوجه الذي لا ينكره الشرع وَ اللّٰهُ بما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فيجازيكم عليه.
وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساءِ المعتدات و التعريض هو أن يقول إنّك لجميلة أو صالحة أو إني أحب امرأة صفتها كذا و يذكر بعض صفاتها و نحو ذلك من الكلام الذي يوهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه و لا يصرح بالنكاح أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ أو سترتم و أضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم معرضين و لا مصرحين عَلِمَ اللّٰهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ لا محالة لرغبتكم فيهن مع خوفكم أن يسبقكم غيركم إليهن فاذكروهن وَ لكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا أي خلوة كما يأتي إِلَّا أَنْ تَقُولُوا في الخلوة قَوْلًا مَعْرُوفاً بأن تعرضوا بالخطبة و لا تصرحوا بها وَ لا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتابُ ما كتب و فرض من العدة أَجَلَهُ منتهاه.

في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية وَ لكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفاً، فقال هو الرجل يقول للمرأة قبل أن تنقضي عدّتها او أعدك بيت آل فلان ليعرّض لها بالخطبة و يعني بقوله إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفاً التعريض بالخطبة.

و في رواية: هو أن يقول الرجل موعدك بيت آل فلان ثم يطلب اليها أن لا تسبقه بنفسها إذا انقضت عدتها و القول المعروف هو طلب الحلال في غير أن يعزم عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله و في أخرى هو أن يلقيها فيقول إني فيك لراغب و إني للنساء لمكرم فلا تسبقيني بنفسك و السرّ أن لا يخلو معها حيث وعدها.

أقول: هذه الروايات تفسير للمواعدة المتضمنة للقول المعروف المرخص فيها و آخر الأخيرة تفسير للسر المنهي عن مواعدته أعني الخلوة و إنما قال لا يخلو تنبيهاً على أن النهي راجع الى الخلوة لا للتعريض بالخطبة كأنهم كانوا يتكلمون فيها بما يستهجن فنهوا عن ذلك كما يستفاد من الروايات الآتية و يحتمل أن يكون المراد بالمواعدة سراً التعريض بالخطبة بمواعدة الرفث و نحوه و سمي ذلك سراً لأنه مما يسر و يكون المراد ببيت آل فلان توقيت المكان لذلك.

و عن الكاظم عليه السلام هو أن يقول الرجل أواعدك بيت آل فلان يعرّض لها بالرفث و يوقت يقول اللّه عز و جل: (إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفاً) و القول المعروف التعريض بالخطبة على وجهها و حلها.

و العياشي عن الصادق عليه السلام انه قال في هذه الآية المرأة في عدتها تقول لها قولًا جميلًا ترغّبها في نفسك و لا تقول إني أصنع كذا و اصنع كذا القبيح من الأمر في البضع وكل أمر قبيح و في أخرى تقول لها و هي في عدتها يا هذه لا أحب الا ما أسرَّك و لو قد مضى عدتك لا تفوتيني ان شاء اللّه و لا تستبقي بنفسك و هذا كله من غير أن يعزموا عقدة النكاح.

وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي أَنْفُسِكُمْ من العزم على ما لا يجوز فَاحْذَرُوهُ و لا تعزموا وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لمن عزم و لم يفعل حَلِيمٌ لا يعاجلكم بالعقوبة.

لا جُناحَ عَلَيْكُمْ لا تبعة عليكم من مهر أو وزر إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ ما لم تجامعوهن و قرئ تماسوهن بضم التاء و الألف في الموضعين أَوْ تَفْرِضُوا الا أن تفرضوه لَهُنَّ فَرِيضَةً فرض الفريضة تسمية المهر و ذلك أن المطلقة. الغير المدخول بها إن سمي لها مهر فلها نصف المسمّى كما في الآية الآتية و إن لم يسمّ لها مهر فليس لها الا المتعة كما في هذه الآية و الحكمان مرويان ايضاً رواهما العياشي و في الكافي عن الصادق عليه السلام. وَ مَتِّعُوهُنَّ أي اعطوهنَّ من مالكم ما يتمتعن به عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ أي على الغني الذي هو في سعة لغناه على قدر حاله و على الفقير الذي هو في ضيق على قدر حاله و معنى قدره مقداره الذي يطيقه و قرئ بسكون الدال مَتاعاً تمتيعاً بِالْمَعْرُوفِ بالوجه الذي يستحسنه الشرع و المروة حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ.

في الكافي و العياشي سئل الصادق عن الرجل يطلق امرأته يمتعها قال نعم اما يحب أن يكون من المحسنين و اما يحب أن يكون من المتقين. و في التهذيب عنه عليه السلام ان متعة المطلقة فريضة.

و عن الباقر عليه السلام انه سئل عن الرجل يريد أن يطلقها قبل أن يدخل بها قال يمتعها قبل أن يطلقها فان اللّه قال وَ مَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ.

و العياشي عن الكاظم عليه السلام انه سئل عن المطلقة ما لها من المتعة قال على قدر مال زوجها. و في الكافي عن الصادق عليه السلام قال فليمتعها على نحو ما يمتع مثلها من النساء.

أقول: و لعل المراد المراعي حالهما جميعاً.

و في الفقيه روي أن الغني يمتع بدار او خادم و الوسط يمتع بثوب و الفقير بدرهم أو خاتم. و روي ان أدناه الخمار و شبهه. و فيه و في التهذيب عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى وَ مَتِّعُوهُنَّ في سورة الأحزاب في هذا الحكم بعينه قال أي اجملوهن على ما قدرتم عليه من معروف فإنهن يرجعن بكآبة و وحشة و همّ عظيم و

شماتة من أعدائهن فان اللّه كريم يستحي و يحب اهل الحياء ان أكرمكم أشدكم اكراماً لحلائلهم و يأتي بقية الكلام فيه عن قريب. وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ فلهن نصف ما فرضتم إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ يعني المطلقات أي يتركن ما يجب لهن من نصف المهر فلا يطلبن الأزواج بذلك أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ و هو الولي الذي يلي عقد نكاحهن.

و في الفقيه و في التهذيب عن الصادق عليه السلام يعني الأب و الذي توكله المرأة و توليه أمرها من أخ أو قرابة أو غيرهما.

و في الكافي عنه عليه السلام في عدة اخبار هو الأب و الأخ و الرجل يوصى إليه و الرجل يجوز أمره في مال المرأة فيبيع لها و يشتري و إذا عفا فقد جاز.

و في رواية العياشي فأي هؤلاء عفا فقد جاز قيل أ رأيت ان قالت لا أجيز ما يصنع قال ليس لها ذلك أ تجيز بيعه فيما لها و لا تجيز هذا.

و في رواية أبوها إذا عفا جاز و أخوها إذا كان يقيم بها و هو القائم عليها فهو بمنزلة الأب يجوز له فإذا كان الأخ لا يقيم بها و لا يقوم عليها لم يجز له عليها أمر.

و عن الصادق عليه السلام الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ و هو الولي الذي انكح يأخذ بعضاً و يدع بعضاً و ليس له أن يدع كله. و في المجمع عنهما عليهما السلام الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ هو الولي و عن أمير المؤمنين عليه السلام هو الزوج قال و الولي عندنا هو الأب و الجد مع وجود الأب الأدنى على البكر غير البالغ فاما من عداهما فلا ولاية له الا بتوليتهما إياه غير أن الأول اظهر و عليه المذهب و معنى عفو الزوج عدم استرداده فإنهم كانوا يسوغون المهر قبل الدخول.

وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى في الكافي عن الباقر عليه السلام انه حلف رجل على ضرب غلامه فلم يف به فلما سئل عنه عليه السلام فقال أ ليس اللّه يقول وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ و لا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض و لا تستقصوا. و في المجمع عن علي عليه السلام و لا تناسوا الفضل إِنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. العياشي عن الباقر عليه السلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يأتى على الناس زمان عضوض يعضّ كل امرئ على ما في يديه و ينسون الفضل بينهم قال اللّه وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ.

و في العيون عن امير المؤمنين عليه السلام قال سيأتي على الناس زمان عضوض يعضّ المؤمن على ما في يده و لم يؤمن بذلك قال اللّه تعالى: (وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) الآية.

و في نهج البلاغة الموسر مكان المؤمن و زاد تنهد فيه الأشرار و تستذل الأخيار و يبايع المضطرون و قد نهى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم عن بيع المضطرين. و في الكافي عن الصادق عليه السلام ما يقرب منه. حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ داوموا عليها في مواقيتها بأداء أركانها وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى بينها خصوصاً أو الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط وَ قُومُوا لِلَّهِ في الصلاة قانِتِينَ قيل أي داعين في القيام و القنوت أيضاً هو الطاعة و الخشوع. و في الكافي و التهذيب عن الباقر عليه السلام في الصَّلاةِ الْوُسْطى قال هي صلاة الظهر و هي أول صلاة صلّاها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و هي وسط النهار و وسط الصلاتين بالنهار صلاة الغداة و صلاة العصر قال عليه السلام و في بعض القراءات حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى و صلاة العصر وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ قال و أنزلت هذه الآية يوم الجمعة و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم في سفر فقنت فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و تركها على حالها في السفر و الحضر و أضاف للمقيم ركعتين و إنما وضعت الركعتان اللتان أضافهما النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم يوم الجمعة للمقيم لمكان الخطبتين مع الامام فمن صلّى يوم الجمعة في غير جماعة فليصلها أربع ركعات كصلاة الظهر في سائر الأيام.

و العياشي عنه عليه السلام أنه قرئ حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى و صلاة العصر وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ و الوسطى هي الظهر قال وكذلك كان يقرؤها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

و عن الصادق عليه السلام قال الصَّلاةِ الْوُسْطى هي الوسطى من صلاة النهار و هي الظهر و إنما يحافظ أصحابنا على الزوال من أجلها.
و في المجمع عن علي عليه السلام انها الجمعة يوم الجمعة و الظهر سائر الأيام.
و القميّ عن الصادق عليه السلام انه قرأ حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى و صلاة العصر وَ قُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ قال اقبال الرجل على صلاته و محافظته حتى لا يلهيه و لا يشغله عنها شيء.
و في رواية العياشي هو الدعاء.
و في اخرى له قانِتِينَ مطيعين راغبين.
و في الكافي عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال لا يزال الشيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس فإذا ضيّعهن تجرأ عليه و أدخله في العظام.
و عن الباقر عليه السلام أن الصلاة إذا ارتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها و هي بيضاء مشرقة تقول حفظتني حفظك اللّه و إذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها و هي سوداء مظلمة تقول ضيّعتني ضيّعك اللّه.
و عن الصادق عليه السلام الصلوات الخمس المفروضات من اقام حدودهن و حافظ على مواقيتهن لقي اللّه يوم القيامة و له عنده عهد يدخله به الجنة و من لم يقم حدودهن و لم يحافظ على مواقيتهن لقي اللّه و لا عهد له إن شاء عذّبه و إن شاء غفر له.
فَإِنْ خِفْتُمْ من لص أو سبع أو غير ذلك فَرِجالًا أَوْ رُكْباناً فصلوا راجلين أو راكبين.
في الكافي عن الصادق عليه السلام سئل عن هذه الآية فقال ان خاف من سبع أو لص يكبّر و يؤمي إيماءً.
و في الفقيه عنه عليه السلام في صلاة الزحف قال تكبير و تهليل ثم تلا الآيات.
و عنه عليه السلام إن كنت في أرض مخوفة فخشيت لصاً أو سبعاً فصل الفريضة و انت على دابتك.
و عن الباقر عليه السلام الذي يخاف اللصوص يصلي إيماء على دابته.
فَإِذا أَمِنْتُمْ و زال خوفكم فَاذْكُرُوا اللَّهَ قيل صلّوا صلاة الأمن او اشكروه على الأمن كَما عَلَّمَكُمْ مثل ما علمكم أو شكراً يوازي تعليمكم ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ من الشرائع وكيفية الصلاة.
وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِيَّةً يوصون وصية قبل أن يحتضروا و قرئ بالرفع لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولاً كاملًا أي ينفق عليهن من تركته غَيْرَ إِخْراجٍ و لا يخرجن من مساكنهنّ كان ذلك في أول الإسلام ثم نسخت كان الرجل إذا مات أنفق على امرأته من صلب المال حولًا ثم أخرجت بلا ميراث ثم نسختها آية الرّبع و الثّمن فالمرأة ينفق عليها من نصيبها رواه العياشي.
و في المجمع عن الصادق عليه السلام و في عدة روايات عنه و عن الباقر عليهما السلام هي منسوخة نسختها يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً نسختها آيات الميراث.
أقول: يعني نسخت المدة بآية التربص و النفقة بآيات الميراث و آية التربص و إن كانت متقدمة في التلاوة فهي متأخرة في النزول و قد مرّ في المقدمة السادسة كلام في هاتين الآيتين.
فَإِنْ خَرَجْنَ من منزل الأزواج فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِي ما فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ كالتزين و التعرض للأزواج مِنْ مَعْرُوفٍ مما لم ينكره الشرع وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ينتقم ممن خالفه حَكِيمٌ يراعي مصالحهم.
وَ لِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ أثبت المتعة للمطلقات جميعاً بعد ما أوجبها لواحدة منهن و قد مرّ من الأخبار أيضا ما يدل على التعميم.
و في الفقيه عن الباقر عليه السلام قال متعة النساء واجبة دخل بها أو لم يدخل بها و يمتع قبل أن يطلق و قال في التهذيب إنما تجب المتعة للتي لم يدخل بها و اما التي دخل بها فيستحب تمتيعها إذا لم يكن لها في ذمته مهر و الأول قبل الطلاق و الثاني بعد انقضاء العدة.

و فيه عن الكاظم عليه السلام انه سئل عن المطلّقة التي يجب لها على زوجها المتعة فكتب البائنة و في رواية لا تمتع المختلعة. و في المجمع اختلف في ذلك فقيل انما يجب المتعة للتي لم يسم لها صداق خاصة و هو المروي عن الباقر و الصادق عليهما السلام و قيل لكل مطلقة الا المختلعة و المباراة و الملاعنة و قيل لكل مطلقة سوى المفروض لها إذا طلقت قبل الدخول فإنما لها نصف الصداق و لا متعة لها و قد رواه أصحابنا أيضاً و ذلك محمول على الاستحباب و قال في هذه الآية انها مخصوصة بتلك الآية إن نزلتا معاً و إن كانت تلك متأخرة فمنسوخة لأن عندنا لا تجب المتعة الا للمطلقة التي لم يدخل بها و لم يفرض لها مهر فاما المدخول بها فلها مهر مثلها إن لم يسم لها مهر و إن سمي لها مهر فما سمي لها و غير المدخول بها المفروض مهرها لها نصف المهر و لا متعة في هذه الأحوال فلا بد من تخصيص هذه الآية.

و في الكافي في عدة روايات عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال متاعها بعد ما تنقضي عدّتها على الموسع قدره و على المقتر قدره قال وكيف يمتعها و هي في عدّتها ترجوه و يرجوها و يحدث اللّه عز و جل بينهما ما يشاء و قال إذاكان الرجل موسّعاً عليه يمتع امرأته بالعبد و الأمة و المقترّ يمتّع بالحنطة و الزبيب و الثوب و الدراهم و إن الحسن بن علي متّع امرأة له بأمة و لم يطلق امرأة الا متّعها.

كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ تفهمونها و تستعملون العقل فيها.

أَ لَمْ تَرَ تعجيب و تقرير لقصتهم إِلَى الَّذينَ خَرَجُوا مِنْ ديارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ أي آلاف كثيرة حَذَرَ الْمَوْت فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا أي أماتهم اللّه و هذا مثل قوله سبحانه إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ثُمَّ أَحْياهُمْ.

في الكافي عن الباقر و الصادق عليهما السلام أن هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام وكانوا إذا وقع الطّاعون و احسّوا به خرج من المدينة الأغنياء لقوّتهم و بقي فيها الفقراء لضعفهم فكان الموت يكثر في الذين أقاموا و يقل في الذين خرجوا فيقول الذين خرجوا لوكنا أقمنا لكثير فينا الموت و يقول الذين أقاموا لوكنا خرجنا فينا الموت قال فاجتمع رأيهم جميعاً انه إذا وقع الطاعون و احسّوا به خرج كلهم من المدينة فلما أحسوا بالطاعون خرجوا جميعاً و تنحّوا عن الطاعون حذر الموت فسافروا في البلاد ما شاء اللّه ثم أنهم مرّوا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها و أفناهم الطاعون فنزلوا بها فلما حطّوا رحالهم و اطمأنوا قال لهم اللّه تعالى عز و جل موتوا جميعا فماتوا من ساعتهم و صاروا رميماً يلوح وكانوا على طريق المارة فكنّسهم المارة فنحّوهم و جمعوهم في موضع فمرّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له حزقيل فلما رأى تلك العظام بكى و استعبر و قال رب لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتّهم فعمروا بلادك و ولّدوا عبادك و عَبَدوك مع من يعبدك من خلقك فأوحى اللّه اليه أ فتحب ذلك قال نعم يا رب فأحياهم اللّه قال فأوحى اللّه عز و جل ان قل كذا وكذا فقال الذي أمره اللّه عز و جل أن يقوله قال قال ابو عبد اللّه و هو الاسم الأعظم فلما قال حزقيل ذلك نظر إلى العظام يطير بعضها إلى بعض فعادوا أحياء ينظر بعضهم إلى بعض يسبّحون اللّه عز و جل و يكبّرونه و يهلّلونه فقال حزقيل عند ذلك أشهد أن اللّه على كل شيء قدير. قال الراوي فقال أبو عبد اللّه عليه السلام فيهم نزلت هذه الآية.

و في الغوالي عن الصادق عليه السلام في حديث يذكر فيه نيروز الفرس قال ثم ان نبياً من أنبياء بني إسرائيل سأل ربه أن يحيي القوم الَّذينَ خَرَجُوا مِنْ ديارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْت فأماتهم اللّه فأوحى اللّه اليه أن صب الماء في مضاجعهم فصب عليهم الماء في هذا اليوم فعاشوا و هم ثلاثون الفاً فصار صب الماء في يوم النيروز سنّة ماضية لا يعرف سببها الا الراسخون في العلم.

و في المجمع سئل الباقر عليه السلام عن هؤلاء القوم الذين فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ فقال أحياهم حتى نظر الناس إليهم ثم أماتهم أم ردهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور و أكلوا الطعام قال لا بل ردهم اللّه حتى سكنوا الدور و أكلوا الطعام و نكحوا النساء و مكثوا بذلك ما شاء اللّه ثم ماتوا بآجالهم.

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ حيث يبصرهم ما يعتبرون به وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَلا يعتبرون.

وَ قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فان الفرار من الموت غير مخلص عنه وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لما يقوله المخلفون و السابقون عَلِيمٌ بما يضمرونه.
مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً مقروناً بالإخلاص و طيب النفس من حلال طيب فَيُضاعِفَهُ و قرئ بنصب الفاء لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً لا يقدرها الا اللّه وَ اللَّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ يمنع و يوسّع فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فيجازيكم على حسب ما قدمتم.
في الفقيه عن الصادق عليه السلام إنها نزلت في صلة الامام.
و في الكافي عنه عليه السلام قال ما من شيء أحب إلى اللّه من إخراج الدرهم إلى الامام و إنَّ اللّه ليجعل له الدرهم في الجنة مثل جبل احد ثم قال ان اللّه يقول في كتابه مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً قال هو و اللّه من صلة الامام خاصة.
و في المعالي و المجمع عنه عليه السلام لما نزلت هذه الآية على النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم اللهم زدني فأنزل اللّه سبحانه مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله اللهم زدني فأنزل اللّه عز و جل مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً فعلم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ان الكثير من اللّه لا يحصى و ليس له منتهى.
أَ لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى ألم ينته علمك يا محمد إلى جماعة الأشراف من بني إسرائيل من بعد وفاة موسى إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ.
في المجمع عن الباقر عليه السلام هو اشموئيل و هو بالعربية إسماعيل ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أقم لنا أميراً ننهض للقتال معه ندبّر أمره و نصدر فيه عن رأيه.
في المجمع و العياشي عن الصادق عليه السلام قال كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود و النبي يقيم له أمره و ينبئه بالخبر من عند ربه قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ أَلَّا تُقاتِلُوا أن لا تجيبوا و لا تفوا و هذا كأخذ العهد عليهم قالُوا وَ ما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَ أَبْنائِنا بالسبي و القهر على نواحينا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ تهديد لمن تولّوا.
وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً قالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا من أين يكون له ذلك و يستأهل وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وراثة و مكنة وَ لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فضيلة و سعةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ واسع الفضل يوسّع على الفقير و يغنيه عَلِيمٌ بمن يليق بالملك لما استبعدوا تملكه لفقره رد عليهم بأن العمدة فيه اصطفاء اللّه و قد اختاره عليكم و هو أعلم بالمصالح و بأن الشرط فيه و نور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية و جسامة البدن ليكون أعظم خطراً في القلوب و أقوى على مقاومة العدو و مكابدة الحروب لا ما ذكرتم و قد زاده اللّه فيهما قيل وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه و بأنّه تعالى مالك الملك على الإطلاق فله أن يؤتيه من يشاء و بأنه واسع الفضل يغنيه عليم به إذ يصطفيه.
القمي عن الباقر عليه السلام ان بني إسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي و غيّروا دين اللّه و عتوا عن امر ربهم وكان فيهم نبي يأمرهم و ينهاهم فلم يطيعوه، و روي انه ارميا النبي فسلّط اللّه عليهم جالوت و هو من القبط فأذاهم و قتل رجالهم و أخرجهم من ديارهم و أخذ أموالهم و استعبد نساءهم ففزعوا إلى نبيهم و قالوا سل اللّه أن يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل اللّه وكانت النبوة في بني إسرائيل في بيت و الملك و السلطان في بيت آخر و لم يجمع اللّه لهم النبوة و الملك في بيت واحد فمن ذلك قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ أَلَّا تُقاتِلُوا قالُوا وَ ما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَ أَبْنائِنا وكان كما قال اللّه تعالى فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ

قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طالُوتَ مَلِكاً فغضبوا من ذلك قالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ وكانت النبوة في ولد لاوي و الملك في ولد يوسف وكان طالوت من ولد ابن يامين اخي يوسف لأمه و لم يكن من بيت النبوة و لا من بيت المملكة قال لهم نبيهم إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ وكان أعظمهم جسماً وكان شجاعاً قوياً وكان أعلمهم الا أنه كان فقيراً فعابوه بالفقر فقالوا لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ.

وَ قالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ قال عليه السلام وكان التابوت الذي أنزله اللّه على موسى فوضعته فيه امه فألقته في اليم و كان في بني إسرائيل يتبرّكون به فلما حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح و درعه و ما كان عنده من آيات النبوة و أودعه يوشع وصيّه فلم يزل التّابوت بينهم فلمّا عملوا بالمعاصي و استخفوا بالتابوت رفعه اللّه عنهم فلما سألوا النبي و بعث اللّه طالوت إليهم ملكاً يقاتل معهم رد اللّه عليهم التابوت كما قال اللّه تعالى (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ) قال البقية ذريّة الأنبياء. و العياشي عن الصادق عليه السلام انه سئل عن قوله تعالى وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ قال ذريّة الأنبياء.

و في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال و رضراض الألواح فيها العلم و الحكمة.

و زاد العياشي العلم جاء من السماء فكتب في الألواح و جعل في التابوت. و العياشي عن الرضا عليه السلام انه قال كان فيه الواح موسى التي تكسرت و الطست التي يغسل فيها قلوب الأنبياء.

و القميّ عنه قال السكينة ريح من الجنة لها وجه كوجه الإنسان وكان إذا وضع التابوت بين يدي المسلمين و الكفار فان تقدم التابوت رجل لا يرجع حتى يقتل أو يغلب و من رجع عن التابوت كفر و قتله الامام.

و في المعاني سئل الكاظم عليه السلام ما كان تابوت موسى وكم كان سعته قال ثلاثة أذرع في ذراعين قيل و ما كان فيه قال عصا موسى و السكينة قيل و ما السكينة قال روح اللّه يتكلم كانوا إذا اختلفوا في شيء كلّمهم و أخبرهم ببيان ما يريدون.

و في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام ان السكينة التي كانت فيه ريح هفّافة من الجنّة له وجه كوجه الإنسان.

و عن الباقر عليه السلام ان البقية عصا موسى و رضراض الألواح.

و في الكافي عنه عليه السلام فجاءت به الملائكة تحمله.

و في رواية تحمله في صورة البقرة.

و عن الصادق عليه السلام قال إنما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل كانت بنو إسرائيل أي أهل بيت وجد التابوت على بابهم أوتوا النبوة فمن صار اليه السلاح منّا أوتي الامامة. و في رواية حيث ما دار التابوت في بني إسرائيل دار الملك و أينما دار السلاح فينا دار الملك و العلم.

و في أخرى سئل الكاظم عليه السلام ما السكينة فقال ريح تخرج من الجنة لها صورة كصورة الإنسان و رائحة طيبة و هي التي نزلت على ابراهيم فأقبلت تدور حول اركان البيت و هو يصنع الأساطين فقيل له هي التي قال اللّه تعالى فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ قال و تلك السكينة في التابوت وكان فيه طست يغسل فيه قلوب الأنبياء وكان التابوت يدور في بني إسرائيل مع الأنبياء ثم أقبل علينا فقال ما تابوتكم قلنا السلاح قال صدقتم هو تابوتكم.

و العياشي عن الصادق عليه السلام ما يقرب منه و زاد بعد ذكر الآية قال هي من هذا.

و في المجمع عن الصادق عليه السلام كان التابوت في ايدي اعداء بني إسرائيل من العمالقة غلبوهم عليه لما برح امر بني إسرائيل و حدث فيهم الأحداث ثم انتزعه اللّه من أيديهم و رده على بني إسرائيل تحمله

الملائكة قال و قيل. و في رواية أن السكينة لها جناحان و رأس كرأس الهرة من الزبرجد و الزمرد و روي ذلك في أخبارنـا قـال و الظـاهر أن السـكينة امنـة و طمأنينـة جعلهـا اللّـه سـبحانه فيـه ليسـكن اليـه بنـو إسرائيل و البقية جائز ان يكون بقية من العلم أو شيئاً من علامات الأنبياء و جائز أن يتضمنها جميعاً.

إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اما من تمام كلام النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم أو خطاب من اللّه.

فَلَمَّا فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة و أصله فصل نفسه عنه و لكن لما كثر حذف مفعوله صاركاللازم قالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ مختبركم بِنَهَر فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي فليس من جملتي و اشياعي وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ لم يذقه فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ استثناء من قوله فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ و معناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد و قرئ غرفة بالفتح فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ الا ثلاث مائة و ثلاثة عشر رجلًا منهم من اغترف و منهم من لم يشرب كذا في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام.

و روي أن من اقتصر على الغرفة كفته لشربه و أدواته و من لم يقتصر غلب عطشه و اسودّت شفته و لم يقدر أن يمضي و هكذا الدنيا لقاصد الآخرة.

فَلَمَّا جاوَزَهُ هُوَ تخطّى النهر طالوت وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ يعني القليل من أصحابه و رأوا كثرة عدد جنود جالوت قالُوا قال الذين اغترفوا لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ الذين كانوا يتيقّنون أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ و هم الذين لم يغترفوا كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ.

وَ لَمَّا بَرَزُوا لِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ قالُوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ.

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ القمّي عن الرضا عليه السلام أوحى اللّه إلى نبيهم أن جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى عليه السلام و هو رجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه داود بن اشي وكان اشي راعياً وكان له عشر بنين أصغرهم داود فلما بعث طالوت إلى بني إسرائيل و جمعهم لحرب جالوت بعث إلى أشي ان احضر و احضر ولدك فلما حضروا دعا واحداً بعد واحد من ولده فالبسه الدرع درع موسى فمنهم من طالت عليه و منهم من قصرت عنه فقال لا شي هل خلّفت من ولدك احداً قال نعم أصغرهم تركته في الغنم راعياً فبعث اليه فجاء به فلما دعا أقبل و معه مقلاع قال فناداه ثلاث صخرات في طريقه فقالت يا داود خذنا فأخذها في مخلاته وكان شديد البطش قوياً في بدنه شجاعاً فلما جاء إلى طالوت البسه درع موسى فاستوت عليه فَلَمَّا فَصَلَ طالُوتُ بِالْجُنُود قالَ لهم نبيهم يا بني إسرائيل إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَر في هذه المفازة فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ من حزب اللّه و من لم يشرب فهو من حزب اللَّه إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فلما وردوا النهر اطلق اللّه لهم أن يغترف كل واحد منهم غرفة فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فالذين شربوا منه كانوا ستين الفاً و هذا امتحان امتحنوا به كما قال اللّه عز و جل.

و عن الصادق عليه السلام انه قال القليل الذين لم يشربوا و لم يغترفوا ثلاث مائة و ثلاثة عشر رجلًا فلما جاوزوا النهر و نظروا الى جنود جالوت قال الذين شربوا منه لا طاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجالُوتَ وَ جُنُودِهِ و قال الذين لم يشربوا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ فجاء داود فوقف بحذاء جالوت وكان جالوت على الفيل و على رأسه التاج و في جبهته ياقوتة يلمع نورها و جنوده بين يديه فأخذ داود من تلك الأحجار حجراً فرمى به ميمنة جالوت فمر في الهواء و وقع عليهم فانهزموا و أخذ حجراً آخر فرمى به ميسرة جالوت فانهزموا و رمى جالوت بحجر فصكّ الياقوتة في جبهته و وصلت إلى دماغه و وقع على الأرض ميتاً و هو قوله تعالى فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ.

و في رواية العياشي ان داود لما دخل العسكر سمعهم يتعظّمون امر جالوت فقال لهم ما تعظمون من أمره فو اللّه لئن عاينته لأقتلنه فتحدّثوا بخبره حتى ادخل على طالوت فقال يا فتى و ما عندك من القوة و ما جرّبت من نفسك قال كان الأسد يعدو على شاة من غنمي فأدركه فآخذ برأسه فأفكّ لحييه منها فآخذها من فيه قال فقال ادع لي بدرع سابغة، قال فأتي بدرع فقذفها في عنقه فتملأ منها قال فقال طالوت و اللّه لعسى اللّه أن

يقتله به قال فلما أن أصبحوا و رجعوا إلى طالوت و التقي الناس قال داود أروني جالوت فلما رآه أخذ الحجر فجعله في مقذافه فرماه فصكّ به بين عينيه فدمغه فنكّس على دابته و قال الناس قتل داود جالوت و ملك الناس حتى لم يكن يسمع لطالوت ذكر و اجتمعت بنو إسرائيل على داود و انزل اللّٰه عليه الزّبور و علمه صنعة الحديد و ليّنه له.

وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّٰهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ و قرئ دفاع اللّٰه قيل اي بنصر المؤمنين على الكفار و قيل أي بدفع الهلاك بالبر عن الفاجر.

و في المجمع روى الثاني عن أمير المؤمنين عليه السلام.

لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ لعمّ الكفر و الهلاك وَ لكِنَّ اللّٰهَ عزّ و جل ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ.

و في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام قال إن اللّٰه ليدفع بمن يصلي من شيعتنا عمّن لا يصلي من شيعتنا و لو اجتمعوا على ترك الصلاة لهلكوا و ان اللّٰه ليدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي و لو اجتمعوا على ترك الزكاة لهلكوا و ان اللّٰه ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج و لو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا و هو قول اللّٰه عز و جل وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّٰهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لكِنَّ اللّٰهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ فو اللّٰه ما نزلت الا فيكم و لا عنى بها غيركم.

و في المجمع عن النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم لو لا عباد ركع و صبيان رضع و بهائم رتع لصب عليكم العذاب صباً، و عنه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم إن اللّٰه يصلح بصلاح الرجل المسلم و ولده و ولد ولده و اهل دويرته و دويرات حوله لا يزالون في حفظ اللّٰه ما دام فيهم.

تِلْكَ آياتُ اللّٰهِ اشارة إلى ما قص من حديث الألوف و تمليك طالوت و إتيان التابوت و انهزام الجبابرة و قتل جالوت على يد صبي نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ حيث تخبر بها من غير تعرّف و استماع.

تِلْكَ الرُّسُلُ إشارة إلى الجماعة المذكورة قصصها في السورة فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّٰهُ من غير سفركموسى عليه السلام ليلة الحيرة في الطور و محمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم ليلة المعراج حين فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى و بينهما بون بعيد وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ بأن فضّله على غيره من وجوه متعددة و بمراتب متباعدة فمحمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم حيث أوتي ما لم يؤت أحد من المعجزات المرتقية إلى الألف و أكثر و بعث إلى الجن و الإنس و خصّ بالمعجزة القائمة إلى يوم القيامة. و في العيون عن النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم ما خلق اللّٰه خلقاً أفضل مني و لا أكرم عليه مني قال علي صلوات اللّٰه عليه فقلت يا رسول اللّٰه أ فأنت أفضل أم جبرائيل فقال إن اللّٰه تعالى فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقرّبين و فضّلني على جميع النبيين و المرسلين و الفضل بعدي لك يا علي و الأئمة من بعدك و إن الملائكة لخدامنا و خدّام محبينا.

وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ كإحياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ جبرائيل كما مر في تفسير الامام عليه السلام وَ لَوْ شاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ من بعد الرسل مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ المعجزات الواضحات لاختلافهم في الدين و تفضيل بعضهم بعضاً وَ لكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بالتزام دين الأنبياء وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ لإعراضه عنه وَ لَوْ شاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلُوا كرره للتأكيد وَ لكِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ من الخذلان و العصمة عدلًا و فضلًا.

في الكافي عن الباقر عليه السلام و في هذا ما يستدل به على أن أصحاب محمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم قد اختلفوا من بعده فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ.

و العياشي سئل عن أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل كبر القوم وكبّرنا و هلل القوم و هللنا و صلّى القوم و صلّينا فعلى ما نقاتلهم فتلا هذه الاية ثم قال نحن الذين من بعدهم و قال فنحن الذين آمنّا و هم الذين كفروا.

و في رواية قال فلما وقع الاختلاف كنا نحن أولى باللَّه عز و جل و بالنبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و بالكتاب و بالحق فنحن الذين آمنوا و هم الذين كفروا و شاء اللَّه قتالهم بمشيئته و إرادته.
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خُلَّةٌ وَ لا شَفاعَةٌ و قرئ بالفتح فيها اجمع أي من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم و الخلاص من عذابه إذ لا بيع فيه فتحصّلون ما تنفقونه و تفتدون به من العذاب و لا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحونكم به لأن الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ و لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ و لا شفاعة الا لمن أذن له الرحمن و رضي له قولًا حتى تتكلموا على شفعاء تشفع لكم في حظ ما في ذممكم و يحتمل أن يكون المراد به يوم الموت كما مرّ في قوله عز و جل وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً و هو اظهر وَ الْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ حيث بلغ ظلمهم بأنفسهم الغاية و بلغ حرمانهم هذه الأمور النهاية و هذا كما يقال فلان هو الفقيه في البلد يراد تقدّمه على غيره.
اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ هو المستحق للعبادة لا غير الْحَيُّ العليم القدير الْقَيُّومُ الدائم القائم القيام بتدبير الخلق و حفظه من قام به إذا حفظه لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ نعاس و هو الفتور الذي يتقدّم النوم وَ لا نَوْمٌ بالطريق الأولى و هو تأكيد للنوم المنفي ضمناً و الجملة نفي للتشبيه و تأكيد لكونه حياً قيوماً.
العياشي عن الصادق عليه السلام انه رأى جالساً متوركاً برجله على فخذه فقيل له هذه جلسة مكروهة فقال لا إن اليهود قالت ان الرب لما فرغ من خلق السموات و الأرض جلس على الكرسي هذه الجلسة ليستريح فأنزل اللَّه: اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ يملكهما و يملك تدبيرهما تأكيد لقيموميّته و احتجاج على تفرده بالألوهية و المراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلًا في حقيقتهما أو خارجاً عنهما متمكناً فيهما.
في الكافي و القمّي عن الرضا عليه السلام انه قرأ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ و ما بينهما و ما تحت الثرى عالم الغيب و الشهادة الرحمن الرحيم مَنْ ذَا الَّذِي الآية. مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ بيان لكبرياء شأنه و انه لا احد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة و استكانة فضلًا من أن يعيقه عناداً أو مناصبة يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ما كان وَ ما خَلْفَهُمْ و ما لم يكن بعد كذا، روى القمّي عن الرضا عليه السلام وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ من معلوماته إِلَّا بِما شاءَ. القمّي أي الا بما يوحي اليهم.
أقول: الاحاطة بالشيء علماً ان يعلم كما هو على الحقيقة و مجموع الجملتين يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته.
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ علمه كذا في التوحيد.
و عن الصادق في الكافي و العياشي عنه عليه السلام انه: سئل السماوات و الأرض و سعى الكرسي ام الكرسي وسع السماوات و الأرض فقال إن كل شيء في الكرسي.
و القميّ أن عليّاً صلوات اللَّه عليه سئل عن هذه الآية فقال عليه السلام السموات و الأرض و ما بينهما من مخلوق في جوف الكرسي و له اربعة أملاك يحملونه بإذن اللَّه الحديث.
أقول: و قد يراد بالكرسي الجسم الذي تحت العرش الذي دونه السموات و الأرض لاحتوائه على العالم الجسماني كأنه مستقرّه و العرش فوقه كأنّه سقفه.
و في الحديث النبوي ما السماوات السبع و الأرضون السبع مع الكرسي الا كحلقة ملقاة في فلاة و فضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة رواه العياشي عن الصادق عليه السلام و قد يراد به وعاء العرش. و في التوحيد عن الصادق عليه السلام انه سئل عن العرش و الكرسي ما هما فقال العرش في وجه هو جملة الخلق و الكرسي وعاؤه و في وجه آخر العرش هو العلم الذي اطّلع اللَّه عليه الأنبياء و رسله و حججه و الكرسي هو العلم الذي لم يطّلع عليه احد من أنبيائه و رسله و حججه.

أقول: وكان جملة الخلق عبارة عن مجموع العالم الجسماني و وعاؤه عن عالمي الملكوت و الجبروت لاستقراره عليهما و قيامه بهما و ربما يقال أن كون الكرسي في العرش لا ينافي كون العرش في الكرسي لأن احد الكونين ينحو و الآخر بنحو آخر لأن أحدهما كون عقلي إجمالي و الآخر كون نفساني تفصيلي و قد يجعل الكرسي كناية عن الملك لأنه مستقر الملك و قد يقال انه تصوير لعظمته تعالى و تخييل بتمثيل حسّي و لا كرسي و لا قعود و لا قاعدكقوله سبحانه وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ السَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ و هذا مسلك الظاهريين و ما قلناه اولًا مسلك الراسخين في العلم.

وَ لا يَؤُدُهُ و لا يثقله حِفْظُهُما حفظه إياهما وَ هُوَ الْعَلِيُّ عن الأنداد و الأشباه و لا يدركه و هم الْعَظِيمُ المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه و لا يحيط به فهم.

في الخصال عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم ان أعظم آية في القرآن آية الكرسي.

و في المجمع و الجوامع عن أمير المؤمنين عليه السلام سمعت نبيكم على أعواد المنبر و هو يقول من قرأ آية الكرسي في دبركل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت و لا يواظب عليها الا صديق أو عابد و من قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه اللَّه على نفسه و جاره و جار جاره و الأبيات حوله.

لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ القمي أي لا يكره أحد على دينه الا بعد أن تبين الرشد من الغي و قيل يعني ان الإكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيراً فيحمله عليه و لكن قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة و دلت الدلائل على أن الايمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية و الكفر غي يؤدي إلى الشقاوة السرمدية و العاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الايمان طلباً للفوز بالسعادة و النجاة و لم يحتج إلى الإكراه و الإلحاح و قيل اخبار في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين و هو اما عام منسوخ بقوله جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ و امّا خاص بأهل الكتاب إذا أدّوا الجزية.

أقول: ان أريد بالدين التشيّع كما يستفاد من حديث ابن أبي يعفور الآتي و أوّل تمام الآية بولايتهم عليهم السلام فهو اخبار في معني النهي من غير حاجة إلى القول بالنسخ و التخصيص فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ الشيطان كذا في المجمع عن الصادق عليه السلام.

أقول: و يعم كل ما عبد من دون اللَّه من صنم أو صاد عن سبيل اللّه كما يستفاد من أخبار اخر فالطاغوت فعلوت من الطغيان.

القمّي هم الذين غصبوا آل محمد حقهم عليهم السلام.

وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ بالتوحيد و تصديق الرسل فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى طلب الإمساك من نفسه بالحبل الوثيق و هي مستعارة للمتمسك المحق من النظر الصحيح و الدين القويم.

في الكافي عن الصادق عليه السلام هي الايمان باللَّه وحده لا شريك له.

و عن الباقر عليه السلام هي مودتنا أهل البيت.

لَا انْفِصامَ لَها لا انقطاع لها.

في المعاني عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم من أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليستمسك بولاية اخي و وصيي عليّ بن أبي طالب صلوات اللَّه عليه فانه لا يهلك من أحبه و تولاه و لا ينجو من أبغضه و عاداه. وَ اللَّهُ سَمِيعٌ بالأقوال عَلِيمٌ بالنيات.

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا متولي أمورهم يُخْرِجُهُمْ بهدايته و توفيقه مِنَ الظُّلُماتِ ظلمات الجهل و الذنوب إِلَى النُّورِ نور الهدى و المغفرة.

في الخصال عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن امير المؤمنين عليهم السلام قال المؤمن ينقلب في خمسة من النور مدخله نور و مخرجه نور و علمه نور وكلامه نور و منظره يوم القيامة إلى النور.

وَ الَّذينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ في الكافي عن الباقر عليه السلام أولياؤهم الطواغيت. القمّي و هم الظالمون آل محمد عليهم السلام أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ و هم الذين تبعوا من غصبهم يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ قيل من نور الفطرة إلى فساد الاستعداد.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام النُّور آل محمد عليهم السلام و الظُّلُمات عدوهم و عن ابن أبي يعفور قال قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام اني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم و يتولون فلاناً و فلاناً لهم امانة و صدق و وفاء و أقوام يتولونكم ليست لهم تلك الأمانة و لا الوفاء و لا الصدق قال فاستوى ابو عبد اللّه عليه السلام جالساً فأقبل علي كالغضبان ثم قال لا دين لمن دان اللّه بولاية امام جائر و ليس من اللّه و لا عتب على من دان اللّه بولاية امام عادل من اللّه قلت لا دين لأولئك و لا عتب على هؤلاء قال نعم لا دين لأولئك و لا عتب على هؤلاء ثم قال الا تسمع لقول اللّه عز و جل اللَّهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ يعني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة و المغفرة لولايتهم كل امام عادل من اللّه عز و جل و قال وَ الَّذينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ إنما عنى بهذا انهم كانوا على نور الإسلام فلما ان تولوا كل امام جائر ليس من اللّه خرجوا بولايتهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب اللّه لهم النار مع الكفار. و زاد العياشي بعد قوله إِلَى الظُّلُماتِ قال قلت أ ليس اللّه عنى بهذا الكفار حين قال وَ الَّذينَ كَفَرُوا قال فقال و أي نور للكافر و هوكافر فاخرج منه إلى الظلمات انما عنى بهذا إلى آخر الحديث أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ العياشي عن الصادق عليه السلام في آخر الحديث السابق برواية أخرى فأعداء عليّ أمير المؤمنين عليه السلام هم الخالدون في النار و ان كانوا في أديانهم على غاية الورع و الزهد و العبادة، القمي هُمْ فِيها خالِدُونَ و الحمد للّه رب العالمين.

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذي حَاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ تعجّبت من محاجة نمرود و حماقته أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ لأن أتاه قيل أي أبطره ايتاؤه الملك و حمله على المحاجة أو وضع المحاجة موضع الشكر على إيتائه الملك.

في الخصال عن البرقي مرفوعاً قال ملك الأرض كلها اربعة مؤمنان وكافران اما المؤمنان فسليمان بن داود و ذو القرنين و اما الكافران فنمرود و بخت نصر.

إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّيَ الَّذي يُحْيي وَ يُميتُ في المجمع عن الصادق عليه السلام انه كان بعد القائه في النار قالَ أَنَا أُحْيي وَ أُميتُ بالعفو عن القتل و القتل و عنه عليه السلام ان ابراهيم قال له احيي من قتلته ان كنت صادقاً قالَ إِبْراهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ الْمَغْرِبِ اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة إلى الاحتجاج بما لا يقدر فيه نحو هذا التمويه رفعاً للمشاغبة و هو في الحقيقة عدول عن مثال خفي إلى مثال جليّ من مقدوراته التي يعجز عن الإتيان بها غيره لا عن حجة إلى أخرى فَبُهِتَ الَّذي كَفَرَ فصار مبهوتاً و على قراءة المعلوم فغلبه القمّي أي انقطع و ذلك انه علم ان الشمس اقدم منه وَ اللَّهُ لا يَهْدي بمحجّة المحاجة و سبيل النجاة و طريق الجنة الْقَوْمَ الظَّالِمينَ الذين ظلموا أنفسهم بالامتناع عن قبول الهداية.

في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام خالف ابراهيم قومه و عاب آلهتهم حتى ادخل على نمرود فخاصمهم.

أَوْ كَالَّذي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ هو أرميا النبي و قيل عزير النبي و يأتي الأخبار في ذلك وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها ساقطة حيطانها على سقوفها قالَ أَنَّى يُحْيي كيف يحيي أو متى يحيي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها اعترافاً بالعجز عن معرفة طريق الأحياء و استعظاماً لقدرة المحيي أراد أن يعاين أحياء الموتى ليزداد بصيرة فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ أحياه قالَ كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَ شَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ لم يتغير بمرور السنين و قرئ بحذف الهاء في الوصل وَ انْظُرْ إِلى حِمارِكَ كيف تفرقت عظامه و نخرت و تفتتت وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ أي و فعلنا ذلك لنجعلك آية وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ يعني عظامك كَيْفَ نُنْشِزُها كيف

نرفع بعضها على بعض للتركيب و قرئ ننشرها بالراء من انشر اللّه الموتى إذا أحياهم و ننشرها بالفتح و الراء من نشر بمعنى انشر ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً من هاهنا و هاهنا كما يأتي فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ ما تبين قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و قرئ اعلم على الأمر. القمّي عن الصادق عليه السلام قال لما عملت بنو إسرائيل بالمعاصي و عتوا عن أمر ربهم أراد اللّه أن يسلط عليهم من يذلهم و يقتلهم فأوحى اللّه إلى ارميا يا ارميا ما بلد انتخبته من بين البلدان و غرست فيه من كريم الشجر فاخلف فأنبت خروباً فأخبر ارميا اخبار بني إسرائيل فقالوا له راجع ربك ليخبرنا ما معنى هذا المثل فصام ارميا سبعاً فأوحى اللّه اليه يا ارميا امّا البلد فبيت المقدس و اما ما أنبت فيها فبنو إسرائيل الذين أسكنتهم فيها فعملوا بالمعاصي و غيّروا ديني و بدّلوا نعمتي كفراً فبي حلفت لامتحنهم بفتنة يظل الحكيم فيها حيراناً و لأسلّطنّ عليهم شر عبادي ولادة شرهم طعاماً فليسلطنّ عليهم بالجبرية فيقتل مقاتليهم و يسبي حريمهم و يخرب بيوتهم التي يعيرون بها و يلقي حجرهم الذي يفتخرون به على الناس في المزابل مائة سنة فأخبر ارميا اخبار بني إسرائيل فقالوا له راجع ربك فقل له ما ذنب الفقراء و المساكين و الضعفاء فصام ارميا ثم أكل أكلة فلم يوح اليه شيء ثم صام سبعاً فلم يوح اليه شيء ثم صام سبعاً فأوحى اللّه اليه يا ارميا لتكفّن عن هذا او لأردن وجهك إلى قفاك قال ثم أوحى اللّه اليه قل لهم لأنكم رأيتم المنكر فلم تنكروه فقال ارميا رب أعلمني من هو حتى آتيه و آخذ لنفسي و أهل بيتي منه أماناً قال ائت إلى موضع كذا وكذا فانزل الى غلام أشدهم زماناً و أخبثهم ولادة و أضعفهم جسماً و أشرّهم غذاء فهو ذاك فأتى ارميا ذلك البلد فإذا هو بغلام في خان زمن ملقىً على مزبلة وسط الخان و إذا له ام تربّى بالكسر و تفتّت الكسرة في القصعة و تحلب عليه خنزيرة لها ثم تدنيه من ذلك الغلام فيأكل فقال ارميا ان كان في الدنيا الذي وصفه اللّه فهو هذا فدنا منه فقال له ما اسمك فقال بخت نصّر فعرف انه هو فعالجه حتى بريء ثم قال له تعرفني قال لا انت رجل صالح قال انا ارميا نبيّ بني إسرائيل أخبرني اللّه انه سيسلطك على بني إسرائيل فتقتل رجالهم و تفعل بهم ما تفعل قال فتاه الغلام في نفسه في ذلك الوقت ثم قال ارميا اكتب لي كتاباً بأمان منك فكتب له كتاباً وكان يخرج في الليل إلى الجبل و يحتطب و يدخله المدينة و يبيعه فدعا إلى حرب بني إسرائيل وكان مسكنهم في بيت المقدس و اقبل بخت نصر فيمن أجابه نحو بيت المقدس و قد اجتمع اليه بشر كثير فلما بلغ ارميا إقباله نحو بيت المقدس استقبله على حمار له و معه الأمان الذي كتب له بخت نصّر فلم يصل اليه ارميا من كثرة جنوده و أصحابه فصيّر الأمان على خشبة و رفعها فقال من انت فقال انا ارميا النبي الذي بشّرتك بأنك ستسلّط على بني إسرائيل و هذا أمانك لي قال امّا انت فقد أمنتك و اما أهل بيتك فاني ارمي من هاهنا إلى بيت المقدس فان وصلت رميتي إلى بيت المقدس فلا أمان لهم عندي و إن لم تصل فهم آمنون و نزع قوسه و رمى نحو بيت المقدس فحملت الريح النشابة حتى علّقتها في بيت المقدس فقال لا أمان لهم عندي فلما وافى نظر إلى جبل من تراب وسط المدينة و إذا دم يغلي وسطه كلما القى عليه التراب خرج و هو يغلي فقال ما هذا قالوا هذا نبي كان للّه فقتله ملوك بني إسرائيل و دمه يغلي وكلما ألقينا عليه التراب خرج يغلي فقال بخت نصّر لأقتلنّ بني إسرائيل ابداً حتى يسكن هذا الدم وكان ذلك الدم دم يحيى بن زكريا وكان في زمانه ملك جبّار يزني بنساء بني إسرائيل وكان يمرّ بيحيى بن زكريا فقال له يحيى اتّق اللّه ايها الملك لا يحل لك هذا فقالت له امرأة من اللواتي كان يزني الملك بهن حين سكر ايها الملك اقتل يحيى فأمر أن يؤتى برأسه فاتي برأس يحيى في الطست وكان الرأس يكلّمه و يقول يا هذا اتّق اللّه لا يحل لك هذا ثم غلا الدم في الطست حتى فاض إلى الأرض فخرج يغلي و لا يسكن وكان بين قتل يحيى و خروج بخت نصر مائة سنة و لم يزل بخت نصّر يقتلهم وكان يدخل قرية قرية فيقتل الرجال و النساء و الصبيان وكل حيوان و الدم يغلي حتى أفنى من بقي منهم ثم قال أبقي احد في هذا البلد قالوا عجوز في موضع كذا وكذا فبعث اليها فضرب عنقها على ذلك الدم فسكن وكان آخر من بقي ثم أتى بابل فبنى بها مدينة و اقام و حفر بئراً فألقى فيها دانيال و القى معه اللبوة تأكل طين البئر و يشرب دانيال لبنها و لبث بذلك زماناً فأوحى اللّه إلى

النبي الذي كان ببيت المقدس ان اذهب بهذا الطعام و الشراب إلى دانيال و اقرأه مني السلام قال و اين هو يا رب فقال في بئر بابل في موضع كذا وكذا قال فأتاه فاطّلع في البئر فقال يا دانيال قال لبيك صوت غريب قال ان ربك يقرؤك السلام قد بعث اليك بالطعام و الشراب فدلّاه اليه قال فقال دانيال الحمد للّه الذي لا ينسى من ذكره الحمد للّه الذي لا يخيّب من دعاه الحمد للّه الذي من توكل عليه كفاه الحمد للّه الذي من وثق به لم يكله إلى غيره الحمد للّه الذي يجزي بالإحسان احساناً الحمد للّه الذي يجزي بالصبر نجاة و الحمد للّه الذي يكشف ضرّنا عندكربتنا و الحمد للّه الذي هو ثقتنا حين ينقطع الحبل منا الحمد للّه الذي هو رجاؤنا حين ساء ظننا بأعمالنا قال فأرى بخت نصّر في نومه كأنّ رأسه من حديد و رجليه من نحاس و صدره من ذهب قال فدعا المنجّمين فقال لهم ما رأيت

فقالوا ما ندري و لكن قصّ علينا ما رأيته في المنام فقال و أنا أجري عليكم الأرزاق منذكذا وكذا و لا تدرون ما رأيت في المنام فأمر بهم فقتلوا قال فقال له بعض من كان عنده إن كان عند احد شيء فعند صاحب الجبّ فانّ اللّبوة لم تعرض له و هي تأكل الطين و ترضعه فبعث إلى دانيال فقال ما رأيت في المنام فقال رأيت كأن رأسك من كذا و رجليك من كذا و صدرك من كذا قال هكذا رأيت فما ذاك قال قد ذهب ملكك و انت مقتول إلى ثلاثة ايام يقتلك رجل من ولد فارس قال فقال له ان عليّ لسبع مدائن على باب كل مدينة حرس و ما رضيت بذلك حتى وضعت بطة من نحاس على باب كل مدينة لا يدخل غريب الا صاحت عليه حتى يؤخذ قال فقال له ان الأمركما قلت لك قال فبثّ الخيل و قال لا تلقون أحداً من الخلق إلا قتلتموه كائناً من كان وكان دانيال جالساً عنده و قال لا تفارقني هذه الثلاثة الأيام فان مضت قتلتك فلما كان في اليوم الثالث ممسياً أخذه الغم فخرج فتلقّاه غلام كان اتخذه ابناً له من اهل فارس و هو لا يعلم انه من اهل فارس فدفع اليه سيفه و قال له يا غلام لا تلقى احداً من الخلق الا قتلته و ان لقيتني انا فاقتلني فأخذ الغلام سيفه فضرب به بخت نصّر ضربة فقتله فخرج أرميا على حماره و معه تين قد تزوّده و شيء من عصير فنظر إلى سباع البر و سباع البحر و سباع الجو تأكل تلك الجيف ففكّر في نفسه ساعة ثم قال انى يحيي اللّه هؤلاء و قد أكلتهم السباع فأماته اللّه مكانه و هو قول اللّه تعالى: (أَوْ كَالَّذي مَرَّ عَلى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها قالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ) اي أحياه فلما رحم اللّه بني إسرائيل و أهلك بخت نصّر ردّ بني إسرائيل إلى الدنيا وكان عزير لمّا سلّط اللّه بخت نصّر على بني إسرائيل هرب و دخل في عين و غاب فيها و بقي ارميا ميتاً مائة سنة ثم أحياه اللّه فأوّل ما احيى اللّه منه عينيه في مثل غرقي البيض فنظر فأوحى اللّه اليه كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً ثم نظر إلى الشمس قد ارتفعت فقال أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فقال اللّه تعالى: (بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَ شَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ أي لم يتغير وَ انْظُرْ إِلى حِمارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً فجعل ينظر إلى العظام البالية المنفطرة تجتمع اليه و إلى اللحم الذي قد أكلته السباع يتألف إلى العظام من هاهنا و هاهنا و يلتزق بها حتى قام و قام حماره فقال أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ.

و العياشي عنه عليه السلام ما يقرب من صدر هذا الحديث و ذيله من قصة ارميا و لم يذكر دم يحيى و لا جبّ دانيال بل أجمل قصة بخت نصّر قال فسلط اللّه عليهم بخت نصّر فصنع بهم ما قد بلغك ثم بعث إلى النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقال إنّك قد نبئت عن ربك و حدّثتهم بما اصنع بهم فان شئت فأقم عندي فيمن شئت و إن شئت فاخرج فقال لا بل اخرج فتزوّد عصيراً و تيناً و خرج فلما ان غاب مدّ البصر التفت اليها ف قالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ أماته غدوة و بعثه عشية قبل أن تغيب الشمس وكان أول شيء خلق منه عيناه في مثل غرقي البيض ثم قيل له كَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ يَوْماً فلمّا ان نظر إلى الشمس لم تغب قال أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَ شَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَ انْظُرْ إِلى حِمارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ كَيْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَكْسُوها لَحْماً قال فجعل ينظر إلى

عظامه كيف يصل بعضها إلى بعض و يرى العروق كيف تجري فلما استوى قائماً قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. و في الاحتجاج عنه عليه السلام قال و أمات اللَّه ارميا النبي عليه السلام الذي نظر إلى خراب بيت المقدس و ما حوله حين غزاهم بخت نصر ف قالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثم أحياه و نظر إلى أعضائه كيف تلتئم وكيف تلبس اللحم و إلى مفاصله و عروقه كيف توصل قال فلما استوى قاعداً قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

و في الإكمال عنه عليه السلام قال و تصديق ذلك من كتاب اللَّه ان الآيات هم الحجج قول اللَّه عز و جل وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً يعني حجّة، و قوله عز و جل لأرميا حين أحياه اللَّه من بعد أن أماته وَ انْظُرْ إِلى حِمارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ يعني حجّة.

و عن النبيّ صلّى اللَّه عليه و آله و سلم في حديث قد ذكر فيه بخت نصّر و قتله من قتل من اليهود على دم يحيى بن زكريا في سبعة و أربعين سنة من ملكه قال فبعث اللَّه تعالى العزير نبيّاً إلى أهل القرى التي أمات اللَّه عز و جل أهلها ثم بعثهم له وكانوا من قرى شتّى فهربوا فرقاً من الموت فقتلوا في جوار عزير وكانوا مؤمنين و كان يختلف اليهم و يسمع كلامهم و إيمانهم و أحبهم على ذلك و آخاهم عليه فغاب عنهم يوماً واحداً ثم أتاهم فوجدهم صرعى موتى فحزن عليهم و قالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها تعجبياً منه حيث أصابهم و قد ماتوا أجمعين في يوم واحد فأماته اللَّه عز و جل عند ذلك مائة عام فلبث فيهم مائة سنة ثم بعثهم وكانوا مائة الف مقاتل ثم قتلهم اللَّه أجمعين لم يفلت منهم أحد على يدي بخت نصر.

و عنه عليه السلام في حديث ذكر فيه تسلّط بخت نصّر على بني إسرائيل و قتله إياهم و سبيه ذراريهم و اصطفائه من السبي دانيال و عزيراً و هما صغيران وكان دانيال أسيراً في يده تسعين سنة ثم ذكر إلقاءه إياه في الجبّ ثم إخراجه منها بعد حين على نحو آخر غير ما في رواية القمي ثم قال و فوّض النظر اليه في أمور ممالكه و القضاء بين الناس و لم يلبث الا قليلًا حتى مات و افضى الأمر بعده إلى عزير فكانوا يجتمعون اليه و يأنسون به و يأخذون عنه معالم دينهم فغيّب اللَّه عنهم شخصه مائة عام ثم بعثه.

و في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام ان عزيراً خرج من أهله و امرأته حامل و له خمسون سنة فأماته اللَّه مائة سنة ثم بعثه فرجع إلى أهله ابن خمسين و له ابن له مائة سنة فكان ابنه اكبر منه فذلك من آيات اللَّه.

و العياشي ان ابن الكوّا قال لعلي عليه السلام يا أمير المؤمنين ما ولد اكبر من أبيه من أهل الدنيا قال نعم أولئك ولد عزير حيث مرّ على قرية خربة و قد جاء من ضيعة له تحته حمار و معه سلّة فيها تين وكوز فيه عصير فمرّ على قرية خربة ف قالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ فتوالد ولده و تناسلوا ثم بعثه اللَّه اليه فأحياه في الموقع الذي أماته فيه فأولئك ولده أكبر من أبيهم.

و روي أنه اتى قومه على حماره و قال انا عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ و لم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك فقالوا هو ابن اللَّه و قيل لما رجع إلى منزله كان شاباً و أولاده شيوخاً فإذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة.

أقول: و يمكن التوفيق بين هذه الأخبار بالقول بالوقوع هذه القضية مرتين مرة لأرميا في تعجّبه في احياء قتلى بخت نصّر و اخرى لعزير في تعجبه في إحياء من مات من أصحابه في يوم واحد الا انه عبّرت لأرميا بالموت و لعزير تارة بالغيبة و اخرى بالموت و إنما التنافي بين رواية القمّي في قصة دانيال و رواية الإكمال فيها و بين روايتي الإكمال حيث قيل في إحداهما ان قتل بخت نصّر كان على دم يحيى بن زكريا موافقاً للقمي و العياشي و قال في الاخرى ان ولادة يحيى كانت بعد تلك القضايا بسنين و العلم عند اللَّه لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي أي بلى آمنت و لكن سألت لأزيدن بصيرة و سكون قلبي بمضامة العيان إلى الوحي و البيان، في المحاسن و العياشي سئل الرضا عليه السلام كان في قلبه شك قال لا كان على يقين و لكنه أراد من اللَّه الزيادة في يقينه قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ فاملهن و قرئ بكسر الصاد و اضممهنّ إِلَيْكَ لتتأمّلها و تعرف شأنها لئلا

تلتبس عليك بعد الأحياء ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً قطعهن و اخلطهنّ و فرّق الأجزاء على الجبال و قرئ جزءاً مثقّلا مهموزاً و مشدداً ثُمَّ ادْعُهُنَّ قل لهنَّ تعالين بإذن اللَّه يَأْتِينَكَ سَعْياً ساعيات مسرعات وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لا يعجز عما يريده حَكِيمٌ ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله و يدبّره.

في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام لما رأى ابراهيم عليه السلام ملكوت السماوات و الأرض التفت فرأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء و نصفها في البر تجيء سباع البحر فتأكل ما في الماء ثم ترجع فيشدّ بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً و تجيء سباع البر فتأكل منها فيشدّ بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً فعند ذلك تعجّب إبراهيم مما رأى و قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال كيف تخرج ما تناسل التي أكل بعضها بعضاً قال (أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ) قالَ بَلى وَ لكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي يعني حتى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلها قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً فقطعهن و اخلطهن كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع التي أكل بعضها بعضاً فخلّط ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً فلما دعاهن أجبنه وكان الجبال عشرة.

و في العيون عن الرضا عليه السلام ان اللَّه تعالى اوحى إلى إبراهيم انّى متّخذ من عبادي خليلًا ان سألني احياء الموتى أجبته فوقع في نفس إبراهيم انه ذلك الخليل فقال رب أرني كيف تحي الموتى قال أ و لم تؤمن قال بلى و لكن ليطمئن قلبي على الخلّة قالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فأخذ ابراهيم نسراً و بطّاً و طاووساً و ديكاً فقطّعهن و خلطهن ثم جعل على كل جبل من الجبال التي حوله وكانت عشرة منهن جزء و جعل مناقيرهن بين أصابعه ثم دعاهن بأسمائهن و وضع عنده حباً و ماء فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان و جاء كل بدن حتى انضمّ إلى رقبته و رأسه فخلّى إبراهيم عن مناقيرهن فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء و التقطن من ذلك الحب و قلن يا نبيّ اللَّه أحييتنا أحياك اللَّه فقال ابراهيم بل اللَّه يحيي و يميت و هو على كل شيء قدير.

و العياشي عن الصادق عليه السلام في حديث و ان ابراهيم دعا بمهراس فدق فيه الطير جميعاً و حبس الرؤوس عنده ثم انه دعا بالذي امر به فجعل ينظر إلى الريش كيف يخرج و إلى العروق عرقاً عرقاً حتى خرج جناحه مستوياً فأهوى نحو ابراهيم فمال إبراهيم ببعض الرؤوس فاستقبله به فلم يكن الرأس الذي استقبله لذلك البدن حتى انتقل اليه عيره فكان موافقاً للرأس فتمت العدّة و تمت الأبدان.

و في الخصال و العياشي عنه عليه السلام انه أخذ الهدهد و الصرد و الطاووس و الغراب فذبحهنّ و عزل رؤوسهن ثم نخر أبدانهن في المنخار بريشهن و لحومهن و عظامهن حتى اختلطت ثم جزّاهن عشرة أجزاء على عشرة جبال ثم وضع عنده حباً و ماء ثم جعل مناقرهن بين أصابعه ثم قال ايتين سعياً بإذن اللَّه فتطاير بعضهنّ إلى بعض اللحوم و الريش و العظام حتى استوت الأبدان كما كانت و جاء كل بدن حتى التزق برقبته التي فيها رأسه و المنقار فخلّى ابراهيم عن مناقيرهن فوقعن و شربن من ذلك الماء مسرعات متى دعين بداعية العقل و الشرع و إنما خصّ الطير لأنه أقرب إلى الإنسان و اجمع لخواص الحيوان.

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ باذر حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ بانشعاب ساقه سبع شعب في كل منها سنبلة فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ بفضله على حسب حال المنفق من إخلاصه و تعبه و حال المصرف و غير ذلك.

القمي عن الصادق عليه السلام لمن أنفق ماله ابتغاء مرضات اللَّه.

و في ثواب الأعمال و العياشي عنه عليه السلام إذا أحسن العبد المؤمن عمله ضاعف اللَّه له عمله بكل حسنة سبعمائة ضعف و ذلك قول اللَّه تعالى وَ اللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ و زاد في رواية أخرى للعياشي في آخرها فأحسنوا أعمالكم التي تعملونها لثواب اللَّه قيل و ما الإحسان قال إذا صليت فأحسن ركوعك و سجودك و إذا

صمت فتوقّ ما فيه فساد صومك و إذا حججت فتوقّ كلّ ما يحرم عليك في حجتك و عمرتك قال وكل عمل تعمله فليكن نقياً من الدنس وَ اللَّهُ واسِعٌ لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عَلِيمٌ بنيّة المنفق و قدر إنفاقه.
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ المنّ أن يعتدَّ بإحسانه على من أحسن اليه و الأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه و ثم للتفاوت بين الإنفاق و ترك المن و الأذى عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم في عدة أخبار ان اللَّه كره عدّة خصال و عدّ منها المنّ بعد الصدقة.
و في المجمع و القمي عن الصادق عليه السلام عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم من أسدى إلى مؤمن معروفاً ثم أذاه بالكلام أو منّ عليه فقد أبطل اللَّه صدقته.
قَوْلٌ مَعْرُوفٌ جميل وَ مَغْفِرَةٌ و تجاوز عن السائل الحاجة أو نيل مغفرة من اللَّه بسبب الردّ الجميل خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُها أَذىً وَ اللَّهُ غَنِيٌّ لا حاجة له إلى المنفق يمنّ و يؤذي حَلِيمٌ عن المعاجَلَة بالعقوبة.
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذى العياشي عنهما عليهما السلام نزلت في عثمان و جرت في معاوية و أتباعهما.
و عن الباقر عليه السلام بالْمَنِّ وَ الْأَذى لمحمد و آل محمد قال هذا تأويله. كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاسِ وَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ لا يريد به رضاء اللَّه و لا ثواب الآخرة فَمَثَلُهُ في إنفاقه كَمَثَلِ صَفْوانٍ حجر أملس عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ مطر عظيم القطر فَتَرَكَهُ صَلْداً أملس نقياً من التراب لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا لا ينتفعون بما فعلوه و لا يجدون ثوابه وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ إلى الخير و الرشاد و فيه تعريض بأنّ الرياء و المنّ و الأذى على الإنفاق من صفة الكفّار و لا بدّ للمؤمن أن يتجنّب عنها.
وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَ تَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ القمّي عن المنّ و الأذى.
أقول: يعني يوطّنون أنفسهم على حفظ هذه الطاعة و ترك اتباعها مما يفسدها من المنّ و الأذى و السمعة و الرياء و العجب و نحوها بعد إتيانهم بها ابتغاء مرضات اللَّه.
العياشي عن الباقر عليه السلام انها نزلت في عليّ عليه السلام.
كَمَثَلِ جَنَّةٍ أي مثل نفقتهم في الزكاة كمثل بستان بِرَبْوَةٍ أي في موضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظراً و أزكى ثمراً و أمنع من أن يفسده السيل بالوابل و نحوه أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ثمرتها و قرئ بالتخفيف ثمرتها ضِعْفَيْنِ مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل.
و في المجمع عن الصادق عليه السلام معناه يتضاعف ثمرتها كما يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضات اللَّه فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها و الطل يقال لما يقع بالليل على الشجر و النبات، قيل إن المعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند اللَّه تعالى لا تضيع بحال و إن كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من الأحوال و يجوز أن يكون التمثيل لحالهم عند اللَّه تعالى بالجنة على الربوة و نفقاتهم الكثيرة و القليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل و الطل وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ تحذير عن رياء و ترغيب في الإخلاص.
أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ الهمزة فيه للإنكار أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ لَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ جعل الجنة منها مع ما فيها من سائر الأشجار تغليباً لها لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر أن فيها من كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الأشجار و يجوز أن يكون المراد بالثمرات المنافع وَ أَصابَهُ الْكِبَرُ أي كبر السن فان الفاقة و العالة في الشيخوخة أصعب وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفاءُ صغار لا قدرة لهم على الكسب فَأَصابَها إِعْصارٌ فِيهِ نارٌ فَاحْتَرَقَتْ الأعصار ريح عاصف ينعكس من الأرض إلى السماء مستديرة كعمود.
القمي عن الصادق عليه السلام من أنفق ماله ابتغاء مرضات اللَّه ثم امتن على من تصدّق عليه كمن كان له جنّة كثيرة الثمار و هو شيخ ضعيف له أولاد صغار ضعفاء فتجيء ريح أو نار فتحرق ماله كله كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فيها فتعتبرون بها.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ من حلاله و جياده وَ مِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ و من طيبات ما أخرجنا من الحبوب و الثمار و المعادن.

في الكافي عن الصادق عليه السلام كان القوم قد كسبوا مكاسب سوء في الجاهلية فلما أسلموا أرادوا أن يخرجوها من أموالهم ليتصدقوا بها فأبى اللَّه تبارك و تعالى الا أن يخرجوا من طيِّب ما كسبوا.

وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ تقصدوا الرديء مِنْهُ من المال أو من الخبيث تُنْفِقُونَ تخصّونه بالإنفاق وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ و حالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ الا أن تتسامحوا فيه فجاز من أغمض بصره عن بعض حقّه إذا اغضّه.

في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام قال كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله إذا أمر بالنّخل أن يزكّى يجيء قوم بألوان من التمر هو من أردى التمر يؤدّونه من زكاتهم تمره يقال له الجعرود و المعافارة قليلة اللحا بكسر اللام عظيمة النوى وكان بعضهم يجيء بها عن التمر الجيّد فقال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم لا تخرصوا هاتين التمرتين و لا تجيئوا منها بشيء و في ذلك نزل وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ الآية، قال و الإغماض أن تأخذ هاتين التمرتين.

و العياشي عن الباقر عليه السلام كان أهل المدينة يأتون بصدقة الفطر إلى مسجد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و فيه عذق يسمى الجعرود و عذق يسمى المعافارة كانا عظيم نواهما رقيق لحاهما في طعمهما مرارة فقال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم للخارص لا تخرص عليهم هذين اللونين لعلهم يستحيون لا يأتون بهما فأنزل اللَّه (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا) إلى قوله (تُنْفِقُونَ).

و في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقة.

أقول: الحشف رديّ التمر و عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم انه قال ان اللَّه يقبل الصدقات و لا يقبل منها الا الطيّب. وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عن إنفاقكم و إنما يأمركم به لانتفاعكم حَمِيدٌ لقبوله و إثباته.

الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ في الإنفاق في وجوه البر و في انفاق الجيّد من المال و الوعد يستعمل في الخير و الشر وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ و يغريكم على البخل و منع الزكاة إغراء الأمر للمأمور و العرب تسمي البخيل فاحشاً وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ في الإنفاق مَغْفِرَةً مِنْهُ لذنوبكم وكفّارة لها وَ فَضْلًا و خلَفاً أفضل مما أنفقتم في الدنيا أو في الآخرة أو كلتيهما وَ اللَّهُ واسِعٌ واسع الفضل لمن أنفق عَلِيمٌ بإنفاقه.

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ تحقيق العلم و إتقان العمل مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم و الهوى.

في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال طاعة اللَّه و معرفة الامام.

و عنه عليه السلام معرفة الامام و اجتناب الكبائر التي أوجب اللَّه عليها النار.

و العياشي عنه عليه السلام الْحِكْمَةَ المعرفة و الفقه في الدين فمن فقّه منكم فهو حكيم و ما أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلى إبليس من فقيه.

و القمي قال الخير الكثير معرفة امير المؤمنين و الأئمة.

و في مصباح الشريعة عنه عليه السلام الْحِكْمَةَ ضياء المعرفة و ميراث التقوى و ثمرة الصدق و لو قلت ما أنعم اللَّه على عباده بنعمة أنعم و أعظم و أرفع و أجزل و أبهى من الحكمة لقلت قال اللَّه عز و جل (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ) أي لا يعلم ما أودعت و هيّأت في الحكمة الا من استخلصته لنفسي و خصصته بهاو الْحِكْمَةَ هي الكتاب و صفة الحكيم هي الثبات عند أوائل الأمور و الوقوف عند عواقبها و هو هادي خلق اللَّه إلى اللَّه.

و في المجمع عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله ان اللَّه تعالى آتاني القرآن و آتاني من الحكمة مثل القرآن و ما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة الا كان خراباً ألا فتفقهوا و تعلموا و لا تموتوا جهلاء، و في الخصال عنه

عليه السلام رأس الحكمة مخافة اللّه و فيه و في الكافي عنه عليه السلام انه كان ذات يوم في بعض أسفاره إذ لقيه ركب فقالوا السلام عليك يا رسول اللّه فالتفت اليهم و قال ما أنتم فقالوا مؤمنون قال فما حقيقة إيمانكم قالوا الرضا بقضاء اللّه و التسليم لأمر اللّه و التفويض إلى اللّه فقال رسول اللّه علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء فان كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون و لا تجمعوا ما لا تأكلون و اتّقوا اللّه الذي اليه ترجعون. وَ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ قليلة أو كثيرة سرّاً و علانية في حق أو باطل أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ في طاعة أو معصية فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ فيجازيكم عليه وَ ما لِلظَّالِمِينَ الذين ينفقون في المعاصي و ينذرون فيها أو يمنعون الصدقات و لا يوفون بالنذر مِنْ أَنْصارٍ من ينصرهم من اللّه و يمنع عنهم العقاب.

إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ فنعم شيئاً ابداؤها وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا تعطوها مع الإخفاء الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ في الكافي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى وَ إِنْ تُخْفُوها قال هي سوى الزكاة ان الزكاة علانية غير سرّ. و عنه عليه السلام قال كل ما فرض اللّه عليك فإعلانه أفضل من إسراره و ما كان تطوعاً فإسراره أفضل من إعلانه و لو أن رجلًا حمل زكاة ماله على عاتقه فقسّمها علانية كان ذلك حسناً جميلًا.

و عن الباقر عليه السلام في قوله عز و جل إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ قال هي يعني الزكاة المفروضة قال قلت وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ قال يعني النافلة انهم كانوا يستحبّون إظهار الفرائض وكتمان النوافل.

وَ يُكَفِّرُ اي اللّه يكفر او الإخفاء و قرئ بالنون مرفوعاً أو مجزوماً عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئاتِكُمْ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ترغيب في الاسرار و مجانبة الرياء.

لَيْسَ عَلَيْكَ هُداهُمْ لا يجب عليك أن تجعلهم مهتدين إلى الإنهاء عمّا نهوا عنه من المنّ و الأذى و الإنفاق من الخبيث و غير ذلك و ما عليك الا البلاغ وَ لكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهى عنه وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ من مال فَلِأَنْفُسِكُمْ فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنّوا به على من تنفقونه عليه و لا تؤذوه وَ ما تُنْفِقُونَ و ليست نفقتكم إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ اللَّهِ الا لطلب ما عنده فما بالكم تمنّون بها و تنفقون الخبيث الذي لا يتوجه بمثله إلى اللّه وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ثوابه أضعافاً مضاعفة و لا عذر لكم في أن ترغبوا عن الإنفاق على أحسن الوجوه و أجملها وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ لا تنقصون ثواب نفقتكم. لِلْفُقَراءِ اعمدوا للفقراء أو صدقاتكم للفقراء الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أحصرهم الجهاد لا يَسْتَطِيعُونَ لاشتغالهم به ضَرْباً فِي الْأَرْضِ ذهاباً بها للكسب.

في المجمع عن الباقر عليه السلام انها نزلت في أصحاب الصفة قيل كانوا نحواً من أربعمائة من الفقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون أوقاتهم بالتعلّم و العبادة وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ بحالهم و قرئ بفتح السين حيث وقع من تصاريف المستقبل أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ من أجل تعفّفهم عن السؤال تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ من صفرة الوجه و رثاثة الحال لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً إلحاحاً و هو أن يلازم المسئول حتى يعطيه وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ترغيب في الإنفاق و لا سيما على هؤلاء.الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ سِرًّا وَ عَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ في المجمع و الجوامع عن ابن عباس نزلت في عليّ عليه السلام كان معه اربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلًا و بدرهم نهاراً و بدرهم سراً و بدرهم علانية قال و روى ذلك عن الباقر و الصادق صلوات اللّه عليهما.

و العياشي عن أبي إسحاق قال كان لعلي بن أبي طالب اربعة دراهم لم يملك غيرها فتصدّق بدرهم ليلًا و بدرهم نهاراً و بدرهم سراً و بدرهم علانية فبلغ ذلك النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقال يا علي ما حملك على ما صنعت قال انجاز موعد اللّه فأنزل اللّه الآية.

و في الفقيه عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم انها نزلت في النفقة على الخيل قال و روي انها نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات اللّه عليه وكان سبب نزولها انها كان معه أربعة دراهم فتصدّق بدرهم

بالليل و بدرهم بالنهار و بدرهم في السر و بدرهم في العلانية فنزلت فيه هذه الآية قال و الآية إذا نزلت في شيء فهي منزلة في كل ما يجري فيه و الاعتقاد في تفسيرها انها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام و جرت في النفقة على الخيل و أشباه ذلك.

و في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام انها ليست من الزكاة.

الَّذينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إذا بعثوا من قبورهم إِلَّا كَما يَقُومُ الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ الا كقيام المصروع مِنَ الْمَسِّ أي الجنون. في المجمع و القمي عن الصادق عليه السلام قال قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم لما أُسرى بي إلى السماء رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه فقلت من هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء الَّذينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَما يَقُومُ الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ و إذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدوّاً و عشياً يقولون ربنا متى تقوم الساعة.

و العياشي عنه عليه السلام قال آكل الربا لا يخرج من الدنيا حتى يتخبّطه الشيطان ذلِكَ العقاب بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا قاسوا أحدهما بالآخر وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا إنكار لتسويتهم و إبطال للقياس.

في الكافي عن الصادق عليه السلام إنما حرّم اللَّه الربوا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف.

أقول: يعني بالمعروف القرض الحسن كما يأتي عند تفسير (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ) فَمَنْ جاءَهُ بلغه مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ زجر بالنهي فَانْتَهى فاتّعظ و امتنع منه فَلَهُ ما سَلَفَ لا يؤاخذ بما مضى منه و لا يسترد منه.

في الكافي عن أحدهما عليهما السلام و في التهذيب عن الباقر عليه السلام و العياشي عنهما عليهما السلام قال الموعظة التوبة.

و في الكافي و الفقيه عن الصادق عليه السلام قال كل ربا أكله الناس بجهالة ثم تابوا فانه يقبل منهم إذا عرف منهم التوبة و قال لو أن رجلًا ورث من أبيه مالًا و قد عرف ان في ذلك المال رباً و لكن قد اختلط في التجارة بغير حلال كان حلالًا طيّباً فليأكله و إن عرف منه شيئاً معزولًا انّه رباً فليأخذ رأس ماله و ليرد الرّبوا و أيّما رجل أفاد مالًا كثيراً قد أكثر فيه من الرّبوا فجعل ذلك ثم عرفه بعد ذلك فأراد أن ينزعه فما مضى فله و يدعه فيما يستأنف و في معناه أخبار كثيرة.

وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ يحكم في شأنه وَ مَنْ عادَ إلى تحليل الرّبوا و الاستخفاف به بعد أن تبين له تحريمه فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ.

في الكافي عن الصادق عليه السلام انه سئل عن الرجل يأكل الربوا و هو يرى أنه حلال قال لا يضره حتى يصيبه متعمّداً فإذا أصابه متعمّداً فهو بالمنزلة التي قال اللَّه عز و جل.

و في الفقيه و العيون عن الرضا عليه السلام و هي كبيرة بعد البيان قال و الاستخفاف بذلك دخول في الكفر، قال بعض العارفين أكل الرّبوا أسوأ حالًا من جميع مرتكبي الكبائر فان كل مكتسب له توكل فيما كسبه قليلًا كان أو كثيراً كالتاجر و الزارع و المحترف لم يعيّنوا أرزاقهم بعقولهم و لم يتعين لهم قبل الاكتساب فهم على غير معلوم في الحقيقة كما قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أبى اللَّه أن يرزق المؤمن الا من حيث لا يعلم و أمّا أكل الربوا فقد عين مكسبه و رزقه و هو محجوب عن ربّه بنفسه و عن رزقه بتعيينه لا توكّل له اصلًا فوكّله اللَّه إلى نفسه و عقله و أخرجه من حفظه وكلائته فاختطفته الجن و خبّلته فيقوم يوم القيامة و لا رابطة بينه و بين اللَّه عز و جل كسائر الناس من المرتبطين به بالتوكل فيكون كالمصروع الذي مسّه الشيطان فيتخبّطه لا يهتدي إلى مقصده.

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا يذهب بركته و يهلك المال الذي يدخل فيه.

في الفقيه و الكافي سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية قيل و قد أرى من يأكل الربوا يربو ماله قال فأي محق أمحق من درهم ربوا يمحق الدين و إن تاب منه ذهب ماله و افتقر وَ يُرْبِي الصَّدَقاتِ يضاعف ثوابها و يبارك فيما أخرجت منه.

العياشي عن الصادق عليه السلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم إنه ليس شيء الا و قد وكل به ملك غير الصدقة فان اللّه يأخذه بيده و يربّيه كما يربي أحدكم ولده حتى تلقاه يوم القيامة و هي مثل أحد و في معناه أخبار كثيرة. و في الحديث النبوي ما نقص مال من صدقة وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ مصرّ على تحليل المحرمات أَثِيمٍ منهمك في ارتكابه. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا و اتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بقلوبكم فان دليله امتثال ما أمرتم به.

في المجمع عن الباقر عليه السلام أن الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية و قد بقي له بقايا على ثقيف فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم فنزلت. و القمّي لما نزلت الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا قام خالد بن الوليد فقال يا رسول اللّه ربا أبي في ثقيف و قد أوصاني عند موته بأخذه فأنزل اللّه.

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به و قرئ بمدّ الألف وكسر الذّال من الإيذان بمعنى الاعلام فإنهم إذا علموا أعلموا بدون العكس فهو آكد و التنكير للتعظيم.

في الكافي عن الصادق عليه السلام درهم رباً أشد عند اللّه من سبعين زنية كلها بذات محرم و زاد القمي في بيت اللّه الحرام و قال الرّبوا سبعون جزءاً أيسره مثل أن ينكح الرجل أمّه في بيت اللّه الحرام.

و في الفقيه و التهذيب عن أمير المؤمنين عليه السلام لعن رسول اللّه الرّبوا و آكله و بايعه و مشتريه وكاتبه و شاهديه. وَ إِنْ تُبْتُمْ من الارتباء و اعتقاد حلّه فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ المديونين بأخذ الزيادة وَ لا تُظْلَمُونَ بالمطل و النقصان منها.

وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ ان وقع في غرمائكم ذو إعسار فَنَظِرَةٌ فانظار أي فانظروه إِلى مَيْسَرَةٍ و قرئ بضم السين إلى وقت يسار وَ أَنْ تَصَدَّقُوا و قرئ بتخفيف الصّاد تتصدّقوا بالإبراء خَيْرٌ لَكُمْ أكثر ثواباً من الانظار إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ في الكافي عن الصادق عليه السلام قال صعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم المنبر ذات يوم فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّ على أنبيائه ثم قال أيها الناس ليبلغ الشاهد منكم الغائب الا و من أنظر منكم معسراً كان له على اللّه في كل يوم صدقة بمثل ماله حتى يستوفيه ثم قال أبو عبد اللّه عليه السلام وَ إِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ انّه معسر فتصدّقوا عليه بما لكم عليه، و عنه عليه السلام قال من أراد أن يظلّه اللّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه قالها ثلاثاً فهابه الناس أن يسألوه فقال فلينظر معسراً أو ليدع له معه من حقه، و عنه عليه السلام قال خلّوا سبيل المعسر كما خلاه اللّه.

و عنه عليه السلام انه جاء اليه رجل فقال له يا أبا عبد اللّه قرض إلى ميسرة فقال له أبو عبد اللّه عليه السلام إلى غلّة تدرك فقال الرجل لا و اللّه قال فالى تجارة تؤوب قال لا و اللّه قال فالى عقدة تباع فقال لا و اللّه فقال ابو عبد اللّه عليه السلام فأنت ممّن جعل اللّه له من أموالنا حقاً ثم دعا بكيس فيه دراهم فأدخل يده فيه فناوله منه قبضة.

و فيه و العياشي عن الرضا عليه السلام انه سئل عن هذه النظرة التي ذكرها اللّه عز و جل في كتابه لها حدّ يعرف إذا صار هذا المعسر لا بدّ له من أن ينظر و قد أخذ مال هذا الرجل و أنفقه على عياله و ليس له غلّة ينتظر إدراكها و لا دين ينتظر محلّه و لا مال غائب ينتظر قدومه قال نعم ينتظر بقدر ما ينتهي خبره إلى الامام فيقضي عنه ما عليه من سهم الغارمين إذا كان أنفقه في طاعة اللّه فان كان أنفقه في معصية اللّه فلا شيء له على الامام قيل فما لهذا الرجل الذي ائتمنه و هو لا يعلم فيما أنفقه في طاعة اللّه أم في معصية اللّه قال يسعى له فيما له فيرده و هو صاغر.

القمّي عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال ما من غريم ذهب بغريمه إلى والٍ من ولاة المسلمين و استان للوالي عسرته الا بريء هذا المعسر من دينه و صار دينه على والي المسلمين فيما في يديه من أموال المسلمين.

وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ تأهبوا لمصيركم اليه و قرئ بفتح التاء وكسر الجيم ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ من خير أو شرّ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ بنقص ثواب أو تضعيف عقاب.
في المجمع عن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبرائيل. يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إذا تعاملتم نسيئة إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى معلوم فَاكْتُبُوهُ لأنه أوثق و ادفع للنزاع.
في العلل عن الباقر عليه السلام ان اللَّه عز و جل عرض على آدم اسماء الأنبياء و أعمارهم قال فمرّ بآدم اسم داود النبي فإذا عمره في العالم أربعون سنة فقال آدم يا رب ما أقل عمر داود و ما أكثر عمري يا رب ان انا ازددت داود ثلاثين سنة أتثبت ذلك له قال نعم يا آدم قال فانّي قد زدته من عمري ثلاثين سنة فأنفذ ذلك و أثبتها له عندك و اطرحها من عمري قال أبو جعفر عليه السلام فأثبت اللَّه عز و جل لداود في عمره ثلاثين سنة وكانت له عند اللَّه مثبتة فذلك قوله عز و جل يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ، قال فمحا اللَّه ما كان عنده مثبتاً لآدم و أثبت لداود ما لم يكن عنده مثبتاً قال فمضى عمر آدم فهبط ملك الموت لقبض روحه فقال له آدم يا ملك الموت انه قد بقي من عمري ثلاثون سنة فقال له ملك الموت يا آدم أ لم تجعلها لابنك داود النبي و طرحتها من عمرك حين عرض عليك أسماء الأنبياء من ذرّيتك و عرضت عليك أعمارهم و أنت يومئذ بوادي الدّخياء فقال له آدم ما اذكر هذا قال فقال له ملك الموت يا آدم لا تجحد ألم تسأل اللَّه عز و جل أن يثبته لداود و يمحوها من عمرك فأثبتها لداود في الزّبور و محاها من عمرك في الذكر قال آدم حتى أعلم ذلك، قال أبو جعفر عليه السلام: وكان آدم صادقاً قال لم يذكر و لم يجحد فمن ذلك اليوم أمر اللَّه تبارك و تعالى العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا و تعاملوا إلى أجل لأجل نسيان آدم و جحوده ما على نفسه. و في الكافي ما يقرب منه في روايتين على اختلاف في عدد ما يزيد على عمر داود و زاد شهادة جبرائيل و ميكائيل على آدم.
وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ لا يزيد على ما يجب و لا ينقص وَ لا يَأْبَ كاتِبٌ لا يمتنع احد من الكتّاب أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ مثل ما علّمه اللَّه من كتبه الوثائق و لا يأب أن ينفع الناس بكتابته كما نفعه اللَّه بتعليمها كقوله و احسن كما أحسن اللَّه اليك فَلْيَكْتُبْ تأكيداً و متعلق بكما علّمه اللَّه وَ لْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ لأنه المقرّ المشهود عليه و الإملال و الأملاء واحد وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ أي المملي أو الكاتب وَ لا يَبْخَسْ و لا ينقص مِنْهُ من الحق أو مما أملى عليه شَيْئاً فَإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً ناقص العقل أو مبذّراً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ في تفسير الامام يعني ضَعِيفاً في بدنه لا يقدر أن يملّ أو ضعيفاً في فهمه و علمه لا يقدر أن يمل و يميز الألفاظ التي هي عدل عليه و له من الألفاظ التي هي جور عليه أو على حميمه أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ بمعنى أن يكون مشغولاً في مرّمة لمعاش أو تزوّد لمعاد أو لذة في غير محرّم فان تلك الأشغال التي لا ينبغي للعاقل أن يشرع في غيرها. و في التهذيب عن الصادق عليه السلام السفيه الذي يشتري الدرهم بأضعافه و الضعيف الأبله.
و العياشي عنه السفيه الشارب الخمر و الضعيف الذي يأخذ واحداً باثنين فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ النائب عنه و القيّم بأمره بِالْعَدْلِ بأن لا يحيف على المكتوب له و لا المكتوب عليه وَ اسْتَشْهِدُوا على الدَّين شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ أحراركم دون عبيدكم فان اللَّه قد شغل العبيد بخدمة مواليهم عن تحمل الشهادات و عن أدائها و ليكونوا من المسلمين منكم فان اللَّه شرف المسلمين العُدول بقبول شهاداتهم و جعل ذلك من الشرف العاجل لهم و من ثواب دنياهم قبل أن يصلوا إلى الآخرة كذا في تفسير الامام عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم.
أقول: لا ينافيه تقييد الاستشهاد بالأحرار لاشتغال العبيد بالخدمة قبول شهادة العبيد إذا استشهدوا وكانوا عدولاً كما يثبت عن أهل البيت عليهم السلام فَإِنْ لَمْ يَكُونا يعني الشهيدين رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ قال عليه السلام يعني ممن ترضون دينه و أمانته و صلاحه و عفّته و تيقّظه فيما يشهد به و تحصيله و تميّزه فما كل صالح مميّز و لا محصّل و لا كل محصّل مميّز صالح و إنّ من عباد اللَّه لمن هو أهل

لصلاحه و عفّته لو شهد لم يقبل شهادته لقلّة تميّزه فإذاكان صالحاً عفيفاً مميّزاً محصّلًا مجانباً للمعصية و الهوى و الميل و التحامل فذلك الرجل الفاضل فيه فتمسّكوا و بهداه فاقتدوا و ان انقطع عنكم المطر فاستمطروا به و ان امتنع نبات فاستخرجوا به النبات و ان تعذّر عليكم الرزق فاستدروا به الرزق فان ذلك ممن لا يخيّب طلبه و لا ترد مسألته أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما و قرئ بكسر الهمزة فَتُذَكِّرَ و قرئ مرفوعاً و بالتخفيف و النصب من الاذكار إِحْداهُمَا الْأُخْرى في تفسير الامام عن امير المؤمنين عليه السلام إذا ضلت إحداهما عن الشهادة و نسيتها ذكرتها الأخرى فاستقامتا في أداء الشهادة.

أقول: و هو من قولهم ضلّ الطريق إذا لم يهتد و هذه علّة لاعتبار العدد قال عليه السلام عدل اللّه شهادة امرأتين بشهادة رجل لنقصان عقولهن و دينهن.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام في عدة أخبار اربعة لا يستجاب لهم دعوة أحدهم رجل كان له مال فأدانه بغير بينة يقول اللّه عز و جل ألم آمرك بالشهادة، و عنه عليه السلام من ذهب حقه على غير بيّنة لم يؤجر.وَ لا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام في عدة أخبار في هذه الآية قال لا ينبغي لأحد إذا ما دعي إلى الشهادة ليشهد عليها أن يقول لا أشهد لكم و في بعضها قال في آخره فذلك قبل الكتاب و في بعضها هي قبل الشهادة و من يكتمها بعد الشهادة.

و عن الكاظم عليه السلام فيها إذا ما دعاك الرجل تشهد له على دين أو حق لم ينبغ لك أن تقاعس عنه.

و في تفسير الامام عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية من كان في عنقه شهادة فلا يأب إذا دعي لإقامتها و ليقمها و لينصح فيها و لا تأخذه فيها لومة لائم و ليأمر بالمعروف و لينه عن المنكر، قال في خبر آخر وَ لا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا أنزلت فيمن إذا دعى لاقامة إسماع الشهادة فأبى و نزلت فيمن امتنع عن أداء الشهادة إذاكانت عنده وَ لا تَسْئَمُوا و لا تملوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراًكان الحق أَوْكَبِيراً إِلى أَجَلِهِ إلى وقت حلوله الذي أقرّ به المديون ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ أعدل وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ و أثبت لها و أعون على إقامتها وَ أَدْنى أَلَّا تَرْتابُوا و أقرب في أن لا تشكّوا في جنس الدين و قدره و أجله و الشهود و نحو ذلك إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ إلا أن تتبايعوا يداً بيد فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلَّا تَكْتُبُوها لبعده عن التنازع و النسيان وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ لأنه أحوط وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ وَ لا شَهِيدٌ يحتمل البنائين و هو نهى لهما عن ترك الاجابة و التحريف و التغيير في الكتب و الشهادة أو نهي عن الضرار بهما مثل أن يعجّلا عن مهمّ و يكلّفا الخروج عما حدّ لهما أو لا يعطي الكاتب جعله و الشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وَ إِنْ تَفْعَلُوا الضّرار و ما نهيتم عنه فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ خروج عن الطاعة لا حق بكم وَ اتَّقُوا اللَّهَ في مخالفة أمره و نهيه وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ أحكامه المتضمنّة لمصالحكم وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ قيل كرر لفظة اللّه في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الأولى حثّ على التقوى و الثانية وعد بانعامه و الثالثة تعظيم لشأنه و لأنه ادخل في التعظيم من الكناية.

القمي في البقرة خمسمائة حكم و في هذه الآية خاصة خمسة عشر حكماً.

وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلى سَفَرٍ أي مسافرين وَ لَمْ تَجِدُوا كاتِباً فَرِهانٌ فالذي يستوثق به رهان و قرئ فرهن بضمتين و كلاهما جمع رهن هو بمعنى مرهون مَقْبُوضَةٌ في الكافي عن الصادق عليه السلام لا رهن الا مقبوضاً.

أقول: و ليس الغرض تخصيص الارتهان بحال السفر و لكن السفر لماكان مظنّة لإعواز الكتب و الاشهاد امر المسافر بأن يقيم الارتهان مقام الكتابة و الإشهاد على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بعض الدّائنين بعض المديونين بحسن ظنه به فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ و هو الذي عليه الحق أَمانَتَهُ سمّى الدين أمانة لايتمانه عليه بترك الارتهان منه وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ في الخيانة و إنكار الحق و فيه من المبالغات ما لا يخفى وَ لا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ خطاب للشهود وَ مَنْ يَكْتُمْها مع علمه بالمشهود به و تمكنّه من أدائها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ يعني أن كتمان الشهادة من آثام القلوب و من معاظم الذّنوب.

في الفقيه عن الباقر عليه السلام قال كافر قلبه و في حديث مناهي النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم و نهى عن كتمان الشهادة و قال من كتمها أطعمه اللّٰه لحمه على رؤوس الخلائق و هو قول اللّٰه عز و جل وَ لا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَ اللّٰهُ بما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ تهديد.

لِلّٰهِ ما فِي السَّماوات وَ ما فِي الْأَرْضِ خلقاً و ملكاً وَ إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ من خير أو شر أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ في نهج البلاغة و بما في الصدور يجازي العباد.

أقول: لا يدخل فيما يخفيه الإنسان الوساوس و حديث النفس لأن ذلك مما ليس في وسعه الخلوّ منه و لكن ما اعتقده و عزم عليه.

في الكافي عن الصادق عليه السلام قال قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم وضع عن أمتي تسع خصال الخطأ و النسيان و ما لا يعلمون و ما لا يطيقون و ما اضطروا اليه و ما استكرهوا عليه و الطّيرة و الوسوسة في التفكر في الخلق و الحسد ما لم يظهر بلسان أو يد.

و العياشي عنه عليه السلام في هذه الآية قال حقيق على اللّٰه أن لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من حبّهما.

فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ مغفرته وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ تعذيبه وَ اللّٰهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على المحاسبة.

آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنْزِلَ إِلَيْهِ شهادة و تنصيص من اللّٰه على الاعتداد بإيمانه وَ الْمُؤْمِنُونَ قيل اما عطف على الرَّسُولُ و ما بعده استئناف و اما استئناف بافراد الرسول و افراد إيمانه تعظيماً لشأنه و شأن إيمان.

أقول: و للافراد وجه آخر يأتي في الحديث.

كُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ و قرئ وكتابه في الغيبة عن النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم انه قال ليلة اسري بي إلى السماء قال العزيز جل ثناؤه آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ قلت وَ الْمُؤْمِنُونَ قال صدقت يا محمد لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ يقولون ذلك و المراد نفي الفرق في التصديق و قرئ لا يفرق بالياء واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي و لذا دخل عليه بين وَ قالُوا سَمِعْنا أجبنا وَ أَطَعْنا أمرك غُفْرانَكَ اغفر غفرانك أو نطلب غفرانك رَبَّنا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ المرجع بعد الموت و هو اقرار منهم بالبعث لا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً فيما افترض اللّٰه عليها رواه العياشي عن أحدهما عليهما السلام إِلَّا وُسْعَها الا ما يسعه قدرتها فضلًا و رحمة.

و في التوحيد عن الصادق صلوات اللّٰه عليه ما أمر العباد الا دون سعتهم وكل شيء امر الناس بأخذه فهم متسعون له ما لا يتسعون له فهو موضوع عنهم و لكن الناس لا خير فيهم لَها ما كَسَبَتْ من خير وَ عَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ من شر لا ينتفع بطاعتها و لا يتضرّر بمعاصيها غيرها رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا أي لا تؤاخذنا بما أدى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط أو من قلّة مبالاة رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً حملًا ثقيلًا يأصر صاحبه أي يحبسه في مكانه يعني به التكاليف الشاقة كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا يعني به ما كلّف به بنو إسرائيل من قتل الأنفس و قطع موضع النجاسة و غير ذلك رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ من العقوبات النّازلة بمن قبلنا وَ اعْفُ عَنَّا و امح ذنوبنا وَ اغْفِرْ لَنا و استر عيوبنا و لا تفضحنا بالمؤاخذة وَ ارْحَمْنا تعطّف بنا و تفضّل علينا أَنْتَ مَوْلانا سيّدنا و نحن عبيدك فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ بالقهر لهم و الغلبة بالحجة عليهم فان من حق المولى أن ينصر مواليه على الأعداء.

العياشي عن أحدهما عليهما السلام في آخر البقرة قال لما دعوا أُجيبوا.

و القمّي عن الصادق عليه السلام ان هذه الآية مشافهة اللّٰه لنبيّه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم لما أسري به إلى السماء قال النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم لما انتهيت إلى سدرة المنتهى و إذا الورقة منها تظل أمّة من الأمم وكنت من ربي كقاب قوسين أو أدنى كما حكى اللّٰه عز و جل فناداني ربي تبارك و تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) فقلت أنا مجيبه عني و عن أمتي وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ فقلت سَمِعْنا وَ أَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ فقال اللّٰه لا يُكَلِّفُ اللّٰهُ

نَفْساً إِلَّا وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ فقلت رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا فقال اللّه لا أؤاخذك فقلت رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا فقال اللّه لا أحملك فقلت رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَ اعْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا أَنْتَ مَوْلانا فَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ فقال اللّه تبارك و تعالى قد أعطيت ذلك لك و لأمتك فقال الصادق عليه السلام ما وفد إلى اللّه تعالى احد أكرم من رسول اللّه حين سأل لأمّته هذه الخصال.

و العياشي ما في معناه في حديث بدون قوله فقال الصادق عليه السلام إلى آخر الحديث.

و في الاحتجاج عن الكاظم عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام في حديث يذكر فيه مناقب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال انه لما أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر و عرج به في ملكوت السموات مسيرة خمسين الف عام في أقل من ثُلث ليلة حتى انتهى إلى ساق العرش فدنا بالعلم فتدلّى و قد دلى له من الجنة رفرف أخضر و غشّى النور بصره فرأى عظمة ربه عز و جل بفؤاده و لم يرها بعينه فكان كقاب قوسين بينهما و بينه أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى فكان فيما أوحى اليه الآية التي في سورة البقرة قوله تعالى (لِلَّهِ ما فِي السَّماوات وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وكانت الآية قد عرضت على الأنبياء من لدن آدم على نبينا و عليه السلام إلى أن بعث اللّه تبارك اسمه محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم و عرضت على الأمم فأبوا أن يقبلوها من ثقلها و قبلها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و عرضها على أمّته فقبلوها فلما رأى اللّه عز و جل منهم القبول على انهم لا يطيقونها فلما أن سار إلى ساق العرش كرر عليه الكلام ليفهمه فقال آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ فأجاب مجيباً عنه و عن أمته فقال وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَد مِنْ رُسُلِهِ فقال جل ذكره لهم الجنة و المغفرة على أن فعلوا ذلك فقال النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم أمّا إذاً فعلت ذلك بنا ف غُفْرانَكَ رَبَّنا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ يعني المرجع في الآخرة، قال فأجابه اللّه عز و جل ثناؤه و قد فعلت ذلك بك و بأمتك، ثم قال عز و جل اما إذا قبلت الآية بتشديدها و عظم ما فيها و قد عرضتها على الأمم فأبوا أن يقبلوها و قبلتها أمّتك فحق عليّ أن أرفعها عن أمتك و قال لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ من خير وَ عَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ من شر، فقال النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم لما سمع ذلك اما إذا فعلت ذلك بي و بأمتي فزدني قال سل قال رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا قال اللّه تعالى لست أو أخذ امّتك بالنسيان أو الخطأ لكرامتك عليّ وكانت الأمم السالفة إذا نسوا ما ذكروا به فتحت عليهم أبواب العذاب و قد رفعت ذلك عن أمتك وكانت الأمم السالفة إذا أخطأ و أُخذوا بالخطإ و عوقبوا عليه و قد رفعت ذلك عن أمتك لكرامتك علي فقال النبي (ص) اللّهم إذا أعطيتني ذلك فزدني فقال اللّه تعالى له سل قال: (رَبَّنا وَ لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنا) يعني بالإصر الشدائد التي كانت على من كان قبلنا فأجابه اللّه إلى ذلك فقال تبارك و تعالى اسمه قد رفعت عن امّتك الآصار التي كانت على الأمم السالفة كنت لا أقبل صلواتهم الا في بقاع من الأرض معلومة اخترتها لهم و إن بعدت و قد جعلت الأرض كلّها لأمّتك مسجداً و طهوراً فهذه من الآصار التي كانت على الأمم قبلك فرفعتها عن أمتك وكانت الأمم السالفة إذ أصابهم اذىً من نجاسة قرضوها من أجسادهم و قد جعلت الماء طهوراً لأمتك فهذه من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمتك وكانت الأمم السالفة تحمل قرابينها إلى بيت المقدس فمن قبلت ذلك منه أرسلت اليه ناراً فأكلته فرجع مسروراً و من لم أقبل ذلك منه رجع مثبوراً و قد جعلت قربان أمتك في بطون فقرائها و مساكينها فمن قبلت ذلك منه أضعفت ذلك له أضعافاً مضاعفة و من لم أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدنيا و قد رفعت ذلك عن أمّتك و هي من الآصار التي كانت على الأمم قبلك وكانت الأمم السالفة صلاتها مفروضة عليها في ظلم الليل و انصاف النهار و هي من الشدائد التي كانت عليهم فرفعت عن أمّتك و فرضت عليهم صلواتهم في أطراف الليل و النهار و في أوقات

نشاطهم وكانت الأمم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة في خمسين وقتاً و هي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمّتك و جعلتها خمساً في خمسة أوقات و هي إحدى و خمسون ركعة و جعلت لهم أجر خمسين صلاة وكانت الأمم السالفة حسنتهم بحسنة و سيّئتهم بسيّئة و هي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمّتك و جعلت الحسنة بعشر و السيئة بواحدة وكانت الأمم السالفة إذا نوى أحدهم حسنة ثم لم يعملها لم تكتب له و إن عملها كتبت له حسنة و إن أمّتك إذا همّ أحدهم بحسنة و لم يعملها كتبت له حسنة و إن عملها كتبت له عشراً و هي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمّتك وكانت الأمم السالفة إذا هم أحدهمّ بسيّئة ثم لم يعملها لم تكتب عليه و إن عملها كتبت عليه سيئة و إنّ أمّتك إذا همّ أحدهم بسيئة ثم لم يعملها كتبت له حسنة و هذه من الآصار التي كانت عليهم فرفعت ذلك عن أمّتك وكانت الأمم السالفة إذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم و جعلت توبتهم من الذنوب ان حرّمت عليهم بعد التوبة أحبّ الطعام اليهم و قد رفعت ذلك عن أمّتك و جعلت ذنوبهم فيما بيني و بينهم و جعلت عليهم ستوراً كثيفة أو قبلت توبتهم بلا عقوبة و لا أُعاقبهم بأن أُحرّم عليهم أحبّ الطعام اليهم وكانت الأمم السالفة يتوب أحدهم من الذنب الواحد مائة سنة أو ثمانين سنة أو خمسين سنة ثم لا أقبل توبته دون أن أعاقبه في الدنيا بعقوبة و هي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمّتك و ان الرجل من أمتك ليذنب عشرين سنة أو ثلاثين سنة أو أربعين سنة أو مائة سنة ثم يتوب و يندم طرفة عين فاغفر له ذلك كله فقال النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم اللهم إذا أعطيتني ذلك كله فزدني قال سل قال رَبَّنا من قرأ أربع آيات من أوّل البقرة و آية الكرسي و آيتين بعدها و ثلاث آيات من آخرها لم ير في نفسه و ماله شيئاً يكرهه و لا يقربه الشيطان و لا ينسى القرآن.

و عن جابر عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلم في حديث قال قال اللّه تبارك و تعالى و أعطيت لك و لأمّتك كنزاً من كنوز عرشي فاتحة الكتاب و خاتمة سورة البقرة.

و روي عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلم انزل اللّه آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل.

و في رواية من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه.

و في ثواب الأعمال عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة البقرة و آل عمران جاءتا يوم القيامة تظلّانه على رأسه مثل الغمامتين أو مثل الغيابتين يعني المظلتين.

سورة آل عمران

(مدنيّة كلها و هي مائتا آية) بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الم قد مضى الكلام في تأويله في أوّل سورة البقرة.

و في المعاني عن الصادق عليه السلام في حديث و امّا الم في آل عمران فمعناه انا اللّه المجيد.

اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ القرآن نجوماً بِالْحَقِّ بالعدل و الصدق و الحجج المحققة انه من عند اللّه مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ من الكتب وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ جملة على موسى و عيسى.

مِنْ قَبْلُ من قبل تنزيل القرآن هُدىً لِلنَّاسِ عامة و قومهما خاصة وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ ما يفرّق به بين الحق و الباطل.

في الكافي عن الصادق عليه السلام القرآن جملة الكتاب و الْفُرْقانَ المحكم الواجب العمل به.

و في الجوامع عنه عليه السلام الْفُرْقانَ كل آية محكمة في الكتاب.

و القمّي و العياشي عنه عليه السلام الْفُرْقانَ هو كل أمر محكم و الكتاب هو جملة القرآن الذي يصدق فيه من كان قبله من الأنبياء.

و في العلل عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم سمي القرآن فرقاناً لأنه متفرّق الآيات و السّور أُنزلت في غير الألواح و غير الصحف و التوراة و الإنجيل و الزبور أُنزلت كلها جملة في الألواح و الورق إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ من كتبه المنزلة و غيرها لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بسبب كفرهم وَ اللَّهُ عَزِيزٌ غالب لا يمنع من التعذيب ذُو انْتِقامٍ شديد لا يقدر على مثله منتقم.

إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ عبر عن العالم بهما لأن الحسّ لا يتجاوزهما.

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ من الصُّور المختلفة من صبيح أو قبيح ذكر أو أنثى فكيف يخفى عليه شيء. في الفقيه عن الصادق عليه السلام ان اللّه تبارك و تعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كل صورة بينه و بين آدم ثم خلقه على صورة إحداهن فلا يقولن احد لولده هذا لا يشبهني و لا يشبه شيئاً من آبائي.

و في الكافي عن الباقر عليه السلام قال ان اللّه تبارك و تعالى إذا أراد أن يخلق النطفة التي هي مما أخذ عليه الميثاق من صلب آدم أو ما يبدو له فيه و يجعلها في الرحم حرّك الرّجل للجماع و أوحى إلى الرحم ان افتحي بابك حتى يلج فيك خلقي و قضائي النافذ و قدري فتفتح الرحم بابها فتصل النّطفة إلى الرّحم فتردّد فيه أربعين يوماً ثم تصير فيه علقة أربعين يوماً ثم تصير مضغة أربعين يوماً ثم تصير لحماً تجري فيه عروق مشتبكة ثم يبعث اللّه ملكين خلّاقين يخلقان في الأرحام ما يشاء يقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة فيصلان إلى الرحم و فيها الروح القديمة المنقولة من أصلاب الرجال و أرحام النساء فينفخان فيها روح الحياة و البقاء و يشقّان له السمع و البصر و جميع الجوارح و جميع ما في البطن بإذن اللّه تعالى ثم يوحي اللّه إلى الملكين اكتبا عليه قضائي و قدري و نافذ أمري و اشترطا لي البداء فيما تكتبان فيقولان يا رب ما نكتب قال فيوحي اللّه عز و جل إليهما ان ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمّه فيرفعان رؤوسهما فإذا اللوح يقرع جبهة أمّه فينظران فيه فيجدان في اللوح صورته و زينته و أجله و ميثاقه شقيّاً أو سعيداً و جميع شأنه، قال عليه السلام فيملي أحدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح و يشترطان البداء فيما يكتبان ثم يختمان الكتاب و يجعلانه بين عينيه ثم يقيمانه قائماً في بطن أمه قال فربما عتا فانقلب و لا يكون ذلك الا في كل عات أو مارد و إذا بلغ أو ان خروج الولد تاماً أو غير تام أوحى اللّه تعالى إلى الرحم ان افتحي بابك حتى يخرج خلقي إلى أرضي و ينفذ فيه أمري فقد بلغ أو ان خروجه قال فتفتح الرّحم باب الولد فيبعث اللّه عز و جل اليه ملكاً يقال له زاجر فيزجره زجرة فيفزع منها الولد فينقلب فيصير رجلاه فوق رأسه و رأسه في أسفل البطن ليسهّل اللّه على المرأة و على الولد الخروج قال فإذا احتبس زجره الملك زجرة اخرى فيفزع منها فيسقط الولد إلى الأرض باكياً فزعاً من الزجرة.

أقول: قوله ان يخلق النطفة اي يخلقها بشراً تاماً و قوله و ما يبدو له فيه اي ما يبدو له في خلقه فلا يتمّ خلقه بأن يجعله سقطاً و قوله حرّك الرجل يعني بإلقاء الشهوة عليه و إيحاؤه سبحانه إلى الرّحم كناية عن فطره إيّاها على الاطاعة طبعاً فتردد بحذف احدى التّائين أي تتحوّل من حال إلى حال يقتحمان يدخلان بعنف و الروح القديمة كناية عن النفس النباتية و في عطف البقاء على الحياة دلالة على أن النفس الحيوانية مجرّدة عن المادة باقية في تلك النشأة و ان النفس النباتية بمجرّدها لا تبقى و قد حققنا معنى البداء في كتابنا الموسوم «بالوافي» و قرع اللوح جبهة امه كأنه كناية عن ظهور أحوال امه و صفاتها و أخلاقها من ناصيتها و صورتها التي خلقت عليها كأنها جميعاً مكتوبة عليها و إنما يستنبط الأحوال التي ينبغي أن يكون الولد عليها من ناصية امه و يكتب ذلك على وفق ما ثمّة للمناسبة التي تكون بينه و بينها و ذلك لأن جوهر الروح إنما يفيض على البدن بحسب استعداده و قبوله إياه و استعداد البدن تابع لأحوال نفسي الأبوين و صفاتهما و أخلاقهما لا سيما الأم المربية له على وفق ما جاء به من ظهر أبيه فناصيتها مشتملة على أحواله الأبوية و الأمية أعني ما يناسبهما جميعاً بحسب مقتضى ذاته و جعل الكتاب المختوم بين عينيه كناية عن ظهور صفاته و أخلاقه من ناصيته و صورته التي خلق عليها و انه عالم بها وقتئذ بعلم بارئها بها لفنائه بعد و فناء صفاته في ربه لعدم

دخوله بعد في عالم الأسباب و الصفات المستعارة و الاختيار المجازي و لكنه لا يشعر بعلمه فان الشعور بالشيء أمر و الشعور بالشعور أمر آخر و العتوّ الاستكبار و مجاوزة الحد و يقرب منه المرود لا إِلهَ إِلَّا هُوَ إذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه و لا يقدر على مثل ما يفعله الْعَزِيزُ في جلاله الْحَكِيمُ في أفعاله.

هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ أحكمت عباراتها بأن حفظت من الإجمال هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ أصله يرد اليها غيرها وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ محتملات لا يتضح مقصودها الا بالفحص و النظر ليظهر فيها فضل العلماء الربّانيّين في استنباط معانيها و ردّها إلى المحكمات و ليتوصلوا بها إلى معرفة اللَّه تعالى و توحيده.

العياشي عن الصادق عليه السلام انه سئل عن المحكم و المتشابه فقال المحكم ما يعمل به و المتشابه ما اشتبه على جاهله و قد سبقت اخبار اخر في تفسيرهما في المقدمة الرابعة.

و في الكافي و العياشي عنه عليه السلام في تأويله أن المحكمات امير المؤمنين و الأئمة عليهم السلام و المتشابهات فلان و فلان.

فَأَمَّا الَّذينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ميل عن الحق كالمبتدعة فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ فيتعلّقون بظاهره أو بتأويل باطل ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك و التلبيس و مناقضة المحكم بالمتشابه.

و في المجمع عن الصادق عليه السلام ان الْفِتْنَةِ هنا الكفر وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ و طلب أن يأوّلوه على ما يشتهونه وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ الذي يجب أن يحمل عليه إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ الذين تثبّتوا و تمكنوا فيه.

و العياشي عن الباقر عليه السلام يعني تأويل القرآن كله.

و في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام نحن الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ و نحن نعلم تأويله و في رواية فرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أفضل الراسخين في العلم قد علمه اللَّه عز و جل جميع ما أنزل عليه من التنزيل و التأويل و ما كان اللَّه لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله و أوصياؤه من بعده يعلمونه كله.

و في الاحتجاج عن امير المؤمنين عليه السلام في حديث قال ثم ان اللَّه جل ذكره بسعة رحمته و رأفته بخلقه و علمه بما يحدثه المبدّلون من تغييركلامه قسّم كلامه ثلاثة أقسام فجعل قسماً منه يعرفه العالم و الجاهل و قسماً لا يعرفه الا من صفا ذهنه و لطف حسّه و صحّ تميّزه ممن شرح اللَّه صدره للإسلام و قسماً لا يعرفه الا اللَّه و أنبياؤه و الراسخون في العلم و إنما فعل ذلك لئلا يدّعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم من علم الكتاب ما لم يجعله لهم و ليقودهم الاضطرار إلى الايتمار بمن ولّاه أمرهم فاستكبروا عن طاعته تعزّزاً و افتراءً على اللَّه عز و جل و اغتراراً بكثرة من ظاهرهم و عاونهم و عاند اللَّه جل اسمه و رسوله.

يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ هؤلاء الراسخون العالمون بالتأويل يقولون آمنّا بالمتشابه كُلٌّ مِنْ المحكم و المتشابه عِنْدِ رَبِّنا من عند اللَّه الحكيم الذي لا يتناقض كلامه وَ ما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ مدح للراسخين بجودة الذهن و حسن التدبر و إشارة إلى ما استعدوا به للاهتداء إلى تأويله و هو تجرّد العقل عن غواشي الحس.

في التوحيد و العياشي عن امير المؤمنين عليه السلام قال اعلم ان الراسخين في العلم هم الذين أغناهم اللَّه عن الاقتحام في السدد المضروبة دون الغيوب فلزموا الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فقالوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا فمدح اللَّه عز و جل اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً و سمي تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عنه منهم رسوخاً فاقتصر على ذلك و لا تقدّر عظمة اللّه على قدر عقلك فتكون من الهالكين.

و في العيون عن الرضا عليه السلام قال من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم ثم قال عليه السلام ان في اخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن و محكماً كمحكم القرآن فردّوا متشابهها إلى محكمها و لا تتّبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا.

رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا عن نهج الحق إلى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه و إنما أضيف الزيغ إلى اللّه لأنه مسبّب عن امتحانه و خذلانه بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا إلى الحق وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً بالتوفيق و المعونة إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ لكل سؤال، في الكافي عن الكاظم عليه السلام في حديث هشام يا هشام ان اللّه قد حكى عن قوم صالحين انهم قالوا رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ حين علموا ان القلوب تزيغ و تعود إلى عماها و رداها انه لم يخف اللّه من لم يعقل عن اللّه و من لم يعقل عن اللّه لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها و يجد حقيقتها في قلبه و لا يكون احدكذلك الا من كان قوله لفعله مصدّقاً و سرّه لعلانيته موافقاً لأن اللّه تعالى لم يدل على الباطل الخفي من العقل الا بظاهر منه و ناطق عنه.

و العياشي عن الصادق عليه السلام أكثروا من أن تقولوا رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا و لا تأمنوا الزيغ.

رَبَّنا إِنَّكَ جامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لحساب يوم و جزائه لا رَيْبَ فِيهِ في وقوعه إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ الموعد لأن الالهية تنافيه. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ أُولئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ.

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ كشأنهم و أصل الدّأب الكدح وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ تهويل للمؤاخذة و زيادة تخويف للكَفَرَة. قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهادُ و قرئ بالياء فيهما.

في المجمع نسب إلى رواية أصحابنا أنه لما أصاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قريشاً ببدر و قدم المدينة جمع اليهود في سوق قَيْنُقاع فقال: يا معشر اليهود احذروا من اللّه مثل ما نزل بقريش يوم بدر و أسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرّنّك انك لقيت قوماً اغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة اما و اللّه لو قاتلتنا لعرفت انّا نحن الناس فانزل اللّه هذه الآية و قد فعل اللّه ذلك و صدق وعده بقتل بني قريظة و اجلاء بني النضير و فتح خيبر و وضع الجزية على من بقي منهم و غُلِب المشركون و هو من دلائل النبوة.

قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ دلالة معجزة على صدق محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتا يوم بدر فِئَةٌ تُقاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ في دينه و طاعته و هم الرسول و أصحابه وَ فِرْقَة أُخْرى كافِرَةٌ و هم مشركوا مكّة يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين وكانوا قريب الف أو مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة و بضع عشر وكان ذلك بعد ما قلّلهم في أعينهم حتى غلبوا مدداً من اللّه للمؤمنين لو يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم ليثبتوا لهم بالنصر الذي وعدهم اللّه به في قوله فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ و يؤيّده قراءة التاء كذا قيل و إنما يصح التأييد إذا كان الخطاب للمؤمنين دون المشركين رَأْيَ الْعَيْنِ رؤية ظاهرة معاينة وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ كما أيّد أهل بدر إِنَّ فِي ذلِكَ في التقليل و التكثير و غلبة القليل على الكثير لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ لعظة لذوي البصائر.

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ أي المشتهيات سمّاها شهوات مبالغة و إيماء إلى أنهم انهمكوا في محبّتها حتى أحبوا شهواتها كقوله تعالى حكاية من سليمان إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ القنطار ملأ مسك ثور ذهباً كذا في المجمع عنهما، و المقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم الف مؤلف وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ المعلّمة أو المرعية وَ الْأَنْعامِ الإبل و البقر و الغنم وَ الْحَرْثِ ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ المرجع و هو تحريض على استبدال ما عنده من اللذّات الحقيقية الأبدية بالشهوات المخدجة الفانية.

قُلْ أَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذلِكُمْ يريد به تقرير ان ثواب اللّه خير من مستلذات الدنيا لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ ممّا يستقذر من النساء وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ بأعمالهم فيثيب المحسن و يعاقب المسيءَ على قدر استحقاقهم.

في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام ما تلذّذ الناس في الدنيا و الآخرة بلذة أكبر لهم من لذة النساء و هو قول اللَّه تعالى زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ إلى آخر الآية، ثم قال و ان اهل الجنة ما يتلذّذون بشيء من الجنة أشهى عندهم من النكاح لا طعام و لا شراب قيل قد نبّه بهذه الآية على مراتب نعمه فأدناها متاع الدنيا و أعلاها رضوان اللَّه لقوله وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ و أوسطهما الجنة و نعيمها. الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ قِنا عَذابَ النَّارِ. الصَّابِرِينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقانِتِينَ وَ الْمُنْفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ المصلين في وقت السحركذا في المجمع عن الصادق عليه السلام قال من استغفر سبعين مرة في وقت السّحَر فهو من أهل هذه الآية.

و في الفقيه و الخصال عنه عليه السلام من قال في وتره إذا أوتر استغفر اللَّه و أتوب اليه سبعين مرة و هو قائم فواظب على ذلك حتى تمضي له سنة كتبه اللَّه عنده من الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ و وجبت له المغفرة من اللَّه تعالى، قيل تخصيص الأسحار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الاجابة لأن العبادة حينئذ أشق و النفس أصفى و الروع أجمع سيّما للمتهجدين.

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ بين وحدانيته لقوم بظهوره في كل شيء و تعرّفه ذاته في كل نور و فيء و لقوم بنصب الدلائل الدالة عليها و لقوم بانزال الآيات الناطقة بها وَ الْمَلائِكَةُ بالإقرار ذاتاً لقوم و فعلًا لقوم و قولًا لقوم وَ أُولُوا الْعِلْمِ بالايمان و العيان و البيان شبه الظهور و الاظهار في الانكشاف و الكشف بشهادة الشاهد قائِماً بِالْقِسْطِ مقيماً للعدل.

العياشي عن الباقر عليه السلام ان أولي العلم الأنبياء و الأوصياء و هم قيام بالقسط و القسط هو العدل لا إِلهَ إِلَّا هُوَ تأكيد و تمهيد لقوله الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ لا دين مرضي عند اللَّه سوى دين الإسلام و هو التوحيد و التدرع بالشرع الذي جاء به محمد.في الكافي عن الصادق عليه السلام ان الإسلام قبل الايمان و عليه يتوارثون و يتناكحون و الايمان عليه يثابون. وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ في الإسلام إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ حسداً و طلباً للرئاسة لا لشبهة فيه وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ وعيد لمن كفر منهم.

فَإِنْ حَاجُّوكَ في الدين و جادلوك فيه بعد ما أقمت لهم الحجج فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ أخلصت نفسي و جملتي له لا أشرك فيها غيره، قيل عبّر عن النفس بالوجه لأنه أشرف الأعضاء الظاهرة و مظهر القوى و الحواس وَ مَنِ اتَّبَعَنِ و اسلم من اتّبعني وَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْأُمِّيِّينَ الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب أَسْلَمْتُمْ كما أسلمت لما أوضحت لكم الحجة ام أنتم بعد على كفركم و نظيره قوله فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا فقد نفعوا أنفسهم بأن أخرجوها من الضلال وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ فلم يضروك إذ ما عليك الاّ أن تبلّغ و قد بلّغت وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ وعد و وعيد.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ قيل هم أهل الكتاب الذين في عصره صلّى اللَّه عليه و آله قتل أوائلهم الأنبياء و متابعيهم من عباد بني إسرائيل و هم رضوا به و قصدوا قتل النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و المؤمنين و لكن اللَّه عصمهم و قد سبق مثله في سورة البقرة و قرئ يقاتلون الذين.

في المجمع عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم انه سئل أي الناس اشدّ عذاباً يوم القيامة قال رجل قتل نبياً أو رجلًا أمر بمعروف أو نهى عن منكر ثم قرأ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ثم قال قتلت بنوا إسرائيل ثلاثة و أربعين نبياً من أوّل النهار في ساعة واحدة فقام مائة رجل و اثنا عشر رجلًا من عباد بني إسرائيل فأمروا مَن قتلهم بالمعروف و نهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم و هو الذي ذكره اللَّه تعالى.

أُولئِكَ الَّذينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ إذ لم ينالوا بها المدح و الثناء و لم تحقن دماؤهم و أموالهم و لم يستحقوا بها الأجر و الثواب وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ يدفعون عنهم العذاب.
أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ قيل يريد به أحبار اليهود اعطوا حظّاً وافراً من التوراة أو من جنس الكتب المنزلة يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ اللَّهِ و هو التوراة لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ قيل يعني في نبوة نبيّنا و قيل ان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم دخل مدرسهم فدعاهم فقال له بعضهم على أي دين انت قال على ملّة إبراهيم عليه السلام فقالوا ان ابراهيم كان يهودياً فقال ان بيننا و بينكم التوراة فأبوا و قيل نزلت في الرّجم و قد اختلفوا فيه و له قصة يأتي ذكرها عند تفسير قوله سبحانه يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ من سورة المائدة ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ استبعاد لتولّيهم مع علمهم بأن الرجوع إلى كتاب اللَّه واجب وَ هُمْ مُعْرِضُونَ عن اتباع الحق.
ذلِكَ التولّي و الاعراض بِأَنَّهُمْ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُوداتٍ بسبب تسهيلهم العقاب على أنفسهم وَ غَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ من أن النار لن تمسّهم الا أياماً قلائل او ان آباءهم الأنبياء يشفعون لهم أو انه تعالى وعد يعقوب ان لا يعذّب أولاده الا تحلّة القسم يعني قوله عز و جل لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ و ما أشير اليه بقوله سبحانه وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها.
فَكَيْفَ إِذا جَمَعْناهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ استعظام لما يحيق بهم في الآخرة و تكذيب لقولهم لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً روي ان أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم اللَّه على رؤوس الأشهاد ثم يأمرهم إلى النار وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ جزاء ما كسبت وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ.
قُلِ اللَّهُمَّ الميم فيه عوض من ياء و لذلك لا يجتمعان مالِكَ الْمُلْكِ أي يملك جنس الملك يتصرّف فيه تصرّف الملاك فيما يملكونه تُؤْتِي الْمُلْكَ تعطي ما تشاء من الملك مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ تسترد ما تشاء منه مِمَّنْ تَشاءُ فالملك الأول عام و الآخران خاصان بعضان من الكل وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ في الدنيا و الدين وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.
تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ تُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ أن تنقص من الليل و تجعل ذلك النقصان زيادة في النهار و تنقص من النهار و تجعل ذلك النقصان زيادة في الليل وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ المؤمن من الكافر وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ الكافر من المؤمن كذا في المجمع عن الباقر و الصادق عليهما السلام.
و في المعاني: عن الصادق عليه السلام ان المؤمن إذا مات لم يكن ميتاً و ان الميت هو الكافر ثم فسر الآية بما ذكر وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ بلا تقتير و لا مخافة نقصان.
لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ نهوا عن موالاتهم لقرابة أو صداقة جاهلية أو نحوهما حتى لا يكون حبّهم و بغضهم الا في اللَّه و قدكرّر ذلك في القرآن لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ الآية و الحب في اللَّه و البغض في اللَّه اصل كبير من اصول الايمان مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ المعنى أن لهم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا يؤثروهم عليهم وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ أي ليس من ولاية اللَّه في شيء يعني أنه منسلخ عن ولاية اللَّه رأساً و هذا امر معقول لأن مصادقة الصديق و مصادقة عدوّه منافيان كما قيل:

تودّ عدوّي ثمّ تزعم أنني ... صديقك ان الرأي منك لعازب

إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً الا أن تخافوا من جهتهم خوفاً أو أمراً يجب أن يخاف منه و قرئ تقيّة منع من موالاتهم ظاهراً و باطناً في الأوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز بالمخالفة كما قيل كن وسطاً و امش جانباً. في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث و أمرك أن تستعمل التقيّة في دينك فان اللَّه يقول لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الآية قال و إياك ثم إياك أن تتعرض للهلاك و ان تترك التقيّة التي أمرتك بها

فإنك شائط بدمك و دماء إخوانك معرض لزوال نعمك و نعمهم مذلّهم في أيدي اعداء دين اللّه و قد أمرك اللّه تعالى بإعزازهم.
و العياشي عن الصادق عليه السلام قال كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يقول لا إيمان لمن لا تقيّة له و يقول قال اللّه إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً.و في الكافي عنه عليه السلام قال التقيّة ترس اللّه بينه و بين خلقه.
و عن الباقر عليه السلام قال التقيّة في كل شيء يضطر اليه ابن آدم و قد أحل اللّه له و الأخبار في ذلك مما لا تحصى.
وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه و موالاة أعدائه و هذا تهديد عظيم و وعيد شديد.
قُلْ إِنْ تُخْفُوا ما فِي صُدُورِكُمْ من ولاية الكفار و غيرها أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ لم يخلف عليه وَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ فيعلم سرّكم و علنكم وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه، قيل الآية بيان لقوله تعالى (وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) فكأنه قال و يحذّركم نفسه لأنها متّصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها و قدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها فلا تجسروا على عصيانه إذ ما من معصية الا و هو مطّلع عليها قادر على العقاب بها.
يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً.
يَوْمَ ظرف ل تَوَدُّ اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها أو جزاء أعمالها من الخير و الشر حاضرة لَوْ أَنَّ بَيْنَها و بين ذلك اليوم و هو له أَمَداً بَعِيداً او المضمر نحو اذكر و تودّ حال من الضمير في عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ أو خبر ل ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ و تَجِدُ مقصورة على ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ كرّر للتأكيد و التذكير وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ اشارة إلى أنه تعالى انما نهاهم و حذّرهم رأفة بهم و مراعاة لصلاحهم و انه لذو مغفرة و ذو عقاب يرجى رحمته و يخشى عذابه. قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ.
في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام هل الدين الا الحب ثم تلا هذه الآية.
أقول: المحبة من العبد ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقرّبها اليه و من اللّه رضاه على العبد و كشف الحجاب عن قلبه و العبد إذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا للّه و ان كل ما يراه كمالًا من نفسه أو غيره فهو من اللّه و باللّه و إلى اللّه لم يكن حبه الا للّه و في اللّه و ذلك يقتضي إرادة طاعته و الرغبة فيما يقرّبه اليه فعلامة المحبّة ارادة الطاعة و العبادة و الاجتهاد البليغ في اتباع من كان وسيلة له إلى معرفة اللّه تعالى و محبّته ممن كان عارفاً باللّه محبّاً إيّاه محبوباً له فان من هذه صفاته إنما نال هذه الصفات بالطاعة على الوجه المخصوص و هو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و من يحذو حذوه فمن أحب اللّه لا بد له من اتباع الرسول في عبادته و سيرته و أخلاقه و أحواله حتى يحبّه اللّه فان بذلك يحصل التقرّب إلى اللّه و بالتقرّب يحصل محبّة اللّه تعالى إياه كما قال تعالى و إنّ العبد ليتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه و ايضاً لما كان الرسول حبيب اللّه فكل من يدعي محبّة اللّه لزمه محبة الرسول لأن محبوب المحبوب محبوب و محبّة الرسول إنما تكون بمتابعته و سلوك سبيله قولًا و عملًا و خلقاً و حالًا و سيرة و عقيدة و لا يتمشى دعوى محبّة اللّه الا بهذا فانه قطب المحبة و مظهرها فمن لم يكن له من متابعته نصيب لم يكن له من المحبة نصيب و من تابعه حق المتابعة ناسب باطنه و سرّه و قلبه و نفسه و باطن الرسول و سرّه و قلبه و نفسه و هو مظهر محبّة اللّه فلزم بهذه المناسبة أن يكون لهذا التابع قسط من محبّة اللّه بقدر نصيبه من المتابعة فيلقي اللّه محبّته عليه و يسري من باطن الرسول نور تلك المحبة اليه فيكون محبوباً للّه محبّاً له و من لم يتابعه خالف باطنه باطن الرسول فبعد عن وصف المحبوبية و زوال المحبّة عن قلبه أسرع ما يكون إذ لو لم يحبّه اللّه لم يكن محباً له و في حكم الرسول من أمر اللّه و الرسول بحبّه و اتباعه و هم الأئمة الأوصياء عليهم السلام.

في الكافي عن الصادق عليه السلام في حديث من سرّه أن يعلم أن اللّه يحبّه فليعمل بطاعة اللّه و ليتّبعنا ألم تسمع قول اللّه عز و جل لنبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلم: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) و اللّه لا يطيع اللّه عبدٌ ابداً الا ادخل اللّه عليه في طاعته اتباعنا و لا و اللّه يتّبعنا عبد ابداً الا أحبّه اللّه و لا و اللّه لا يدع احد اتباعنا ابداً الا أبغضنا و لا و اللّه لا يبغضنا احد ابداً الا عصى اللّه و من مات عاصياً للّه أخزاه اللّه و أكبه على وجهه في النار.

وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ بالتجاوز عمّا فرط منكم وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لمن تحبّب اليه بطاعته و اتباع من أمر اللّه و نبيه باتباعه، و روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء اللّه و احباؤه و قيل نزلت في وفد نجران لمّا قالوا انما نعبد المسيح حبّاً للّه و قيل في أقوام زعموا على عهده صلّى اللّه عليه و آله و سلم انهم يحبّون اللّه فأمروا أن يجعلوا لقولهم تصديقاً من العمل.

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا يحتمل المضيّ و المضارعة بمعنى فان تتولّوا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ لا يرضى عنهم و لا يثني عليهم قيل إنما لم يقل و لا يحبّهم لقصد العموم و الدلالة على أن التولي كفر و انّه بهذه الحيثيّة ينفي محبّة اللّه تعالى و ان محبته مخصوصة بالمؤمنين.

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ بالرسالة و الخصائص الروحانية و الفضائل الجسمانية و لذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما أوجب طاعة الرسل و بيّن انها الجالبة لمحبّة اللّه، عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضاً عليها و به استدل على فضلهم على الملائكة و آل إبراهيم إسماعيل و إسحاق و أولادهما و آل عمران: موسى و هارون ابنا عمران بن يصهر ابن فاهث ابن لاوي بن يعقوب و عيسى و امّه مريم عليها السلام بنت عمران بن ماثان و ماثان ينتهي بسبعة و عشرين اباً إلى يهود بن يعقوب و بين العمرانين ألف و ثمانمائة سنة كذا قيل.

أقول: و قد دخل في آل إبراهيم نبيّنا و اهل بيته عليهم السلام.

العياشي عن الباقر عليه السلام انه تلا هذه الآية فقال نحن منهم و نحن بقيّة تلك العترة.

و في المجالس عن الصادق عليه السلام قال قال محمد بن اشعث بن قيس الكندي لعنة اللّه عليه: للحسين عليه السلام يا حسين بن فاطمة صلوات اللّه عليهما ايّة حرمة لك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ليست لغيرك فتلا الحسين عليه السلام هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ) الآية ثم قال و اللّه إنّ محمّداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم لمن آل ابراهيم و ان العترة الهادية لمن آل محمد صلوات اللّه عليهم.

و في العيون: في حديث الفرق بين العترة و الأمّة فقال المأمون هل فضّل اللّه العترة على سائر الناس فقال ابو الحسن عليه السلام ان اللّه تعالى ابان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه فقال له المأمون أين ذلك من كتاب اللّه فقال له الرضا عليه السلام في قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ.

و القمّي قال العالم عليه السلام نزل وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ و آل محمد صلوات اللّه عليهم عَلَى الْعالَمِينَ فاسقطوا آل محمد عليهم السلام من الكتاب.

و العياشي عن الصادق عليه السلام قال و آل محمد كانت فمحوها.

و في المجمع و في قراءة اهل البيت و آل محمد صلوات اللّه عليهم عَلَى الْعالَمِينَ و قالوا ايضاً ان آل ابراهيم عليهم السلام هم آل محمد صلوات اللّه عليهم الذين هم أهله و يجب أن يكون الذين اصطفاهم اللّه تعالى مطهّرين معصومين منزّهين عن القبائح لأنه سبحانه لا يختار و لا يصطفي الا من كان كذلك انتهى كلامه.

أقول: و على هذه القراءة يكون من قبيل عطف الخاص على العام كعطف آل عمران بكلا معنييه على ابراهيم عليهم السلام.

و في المعاني عن الصادق عليه السلام انه سئل عن معنى آل محمد عليهم السلام فقال آل محمد صلوات اللّه عليهم من حرم اللّه عز و جل على محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم نكاحه.
و عنه عليه السلام ان آل محمد صلوات اللّه عليهم ذريته و أهل بيته الأئمة الأوصياء و عترته أصحاب العباء و امّته المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند اللّه المتمسّكون بالثقلين الذين أمروا بالتمسّك بهما كتاب اللّه و عترته أهل بيته الذين اذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً و هم الخليفتان على الأمة بعده.
ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ الذرية يقع على الواحد و الجمع يعني انهم ذريّة واحدة متسلسلة بعضها متشعّبة من بعض.
و في المجمع عن الصادق عليه السلام في بيانه ان الذين اصطفاهم اللّه بعضهم من نسل بعض.
و العياشي عنه عليه السلام انّه قيل له ما الحجة في كتاب اللّه ان آل محمد هم أهل بيته صلوات اللّه عليهم؟ قال قول اللّه عز و جل (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ و آل محمد هكذا نزلت عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) قال و لا يكون الذرية من القوم الا نسلهم من أصلابهم.
وَ اللَّهُ سَمِيعٌ بأقوال الناس عَلِيمٌ بأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول و العمل.
إِذْ قالَتِ اذكر إِذْ قالَتِ السَّمِيعُ بقول امرأة عمران الْعَلِيمُ بنيّتها إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ هي امرأة عمران بن ماثان امّ مريم البتول جدّة عيسى بنت قافوذا و المشهور ان اسمها حنّة كما يأتي عن الصادق عليه السلام.
و في الكافي عن الكاظم عليه السلام انه قال لنصراني امّا امّ مريم فاسمها مرثار و هي وهيبة بالعربية.
رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً معتقاً لخدمة بيت المقدّس لا أشغله بشيء فَتَقَبَّلْ مِنِّي ما نذرته إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ لقولي الْعَلِيمُ بنيّتي.
فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بما وَضَعَتْ اعتراض و هو قول اللّه وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى من تتمّه كلام امرأة عمران، و قرئ بما وَضَعْت على انّه من كلامها تسلية لنفسها أي و لعل للّه فيه سراً او الأنثى كان خيراً.
و رواها في المجمع عن علي عليه السلام في الكافي و القمي عن الصادق عليه السلام قال ان اللّه أوحى إلى عمران انّي واهب لك ذكراً سويّاً مباركاً يبرئ الأكمه و الأبرص و يحيي الموتى بإذن اللّه و جاعله رسولًا إلى بني إسرائيل فحدّث عمران امرأته حنّة بذلك و هي امّ مريم فلمّا حملت بها كان حملها عند نفسها غلاماً فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى لا تكون البنت رسولًا يقول اللّه تعالى: (وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بما وَضَعَتْ) فلما وهب اللّه لمريم عيسى عليه السلام كان هو الذي بشّر به عمران و وعده إيّاه فإذا قلنا في الرجل منّا شيئاً و كان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك.
و العياشي عن الباقر عليه السلام ما يقرب منه.
و عن الصادق صلوات اللّه عليه ان المحرّر يكون في الكنيسة لا يخرج منها فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى ان الأنثى تحيض فتخرج من المسجد و المحرّر لا يخرج من المسجد، و عن أحدهما عليهما السلام نذرت ما في بطنها للكنيسة ان يخدم العباد و ليس الذكر كالأنثى في الخدمة قال نشبت وكانت تخدمهم و تناوئهم حتى بلغت فأمر زكريا ان يتخذ لها حجاباً دون العباد.
وَ إِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ انه قلت ذلك تقرّباً إلى اللّه و طلباً لأن يعصمها و يصلحها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وَ إِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَ ذُرِّيَّتَها أجيرها بحفظك مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ المطرود و اصل الرّجم الرّمي بالحجارة.
في المجمع عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم ما من مولود يولد الا و الشيطان يمسّه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مسه الّا مريم و ابنها، قيل معناه ان الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث يتأثر من طمعه فيه الّا مريم و ابنها فان اللّه عصمها ببركة هذه الاستعاذة.

فَتَقَبَّلَها رَبُّها فرضي بها في النذر مكان الذكر بِقَبُولٍ حَسَنٍ بوجه حسن يقبل به النّذائر و هو إقامتها مقام الذكر و تسلّمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر و تصلح للسّدانة، روي ان حنّة لمّا ولدتها لفّتها في خرقة و حملتها إلى المسجد و وضعت عند الأحبار و قالت دونكم هذه النذرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت امامهم و صاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤوس بني إسرائيل و ملوكهم فقال زكريا انا أحقّ بها عندي خالتها فأبوا الا القرعة وكانوا سبعة و عشرين فانطلقوا إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فطفا قلم زكريا و رسبت أقلامهم فتكفّلها.

أقول: و في رواية أصحابنا أن زوجة زكريا كانت أختها لا خالتها.

رواه القمي و العياشي عن الباقر عليه السلام و يأتي من تفسير الامام ايضاً ما يدل عليه.

وَ أَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها وَكَفَّلَها و قرئ بالتشديد اي اللّه زَكَرِيَّا و قرئ بالقصر حيث وقع كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ أي الغرفة التي بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه و مقدّمها سمي به لأنه محلّ محاربة الشيطان كأنها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً جواب كلما روي انه كان لا يدخل عليها غيره و إذا خرج اغلق عليها سبعة أبواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف و بالعكس.

أقول: و يأتي مثله في رواية أصحابنا قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا من أين لك هذا الرزق الآتي في غير أو انه و لأبواب مغلّقة عليك قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فلا تستبعد إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ العياشي عن الباقر عليه السلام قال ان فاطمة ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت و العجن و الخبز و قمّ البيت و ضمن لها علي عليه الصلاة و السلام ما كان خلف الباب من نقل الحطب و ان يجيء بالطعام فقال لها يوماً يا فاطمة هل عندك شيء قالت لا و الذي عظّم حقّك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شيء نقريك به قال أفلا أخبرتني قالت كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم نهاني ان اسألك شيئاً فقال لا تسألي ابن عمّك شيئاً ان جاءك بشيء عفو و الا فلا تسأليه قال فخرج علي عليه السلام فلقي رجلًا فاستقرض منه ديناراً ثم أقبل به و قد أمسى فلقي مقداد بن الأسود فقال للمقداد ما أخرجك في هذه الساعة قال الجوع و الذي عظّم حقّك يا امير المؤمنين قال فهو أخرجني و قد استقرضت ديناراً و سأوثرك به فدفعه اليه فأقبل فوجد رسول اللّه جالساً و فاطمة تصلي و بينهما شيء مغطى فلما فرغت اختبرت ذلك فإذا جفنة من خبز و لحم قال يا فاطمة أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أ لا أحدثك بمثلك و مثلها قال بلى قال: مثل زكريا إذ دخل على مريم المحراب ف وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ فأكلوا منها شهراً و هي الجفنة التي يأكل منها القائم و هي عندنا.

و في الكافي أورد هذا الخبر بنحو آخر من طريق العامة بنحو ثالث أوردها الزمخشري و البيضاوي و غيرهما في تفاسيرهم.

هُنالِكَ في ذلك المكان أو الوقت دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ لمّا رأى كرامة مريم و منزلتها من اللّه. العياشي عن الباقر عليه السلام انها كانت أجمل النساء و كانت تصلي فيضيء المحراب لنورها فدخل عليها زكريا فإذا عندها فاكهة الشتاء في الصيف و فاكهة الصيف في الشتاء فقال أَنَّى لَكِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ.

و في تفسير الامام في سورة البقرة ان زكريا عليه السلام قال في نفسه ان الذي يقدر ان يأتي مريم بفاكهة الشتاء في الصيف و فاكهة الصيف في الشتاء لقادر ان يهب لي ولداً و إن كنت شيخاً و كانت امرأتي عاقراً ف هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ.

قالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ولداً مباركاً كما وهبتها لحنة قيل كانت عنده ايشاع بنت عمران بن ماثان اخت حنة فرغب أن يكون له ولد منها مثل ولد أختها حنة في الكرامة على اللّه إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ.

فَنادَتْهُ و قرئ فناداه بالتذكير الْمَلائِكَةُ وَ هُوَ قائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرابِ أَنَّ اللَّهَ و قرئ بكسر الهمزة يُبَشِّرُكَ و قرئ بفتح الياء و ضم الشين وكذا فيما يأتي بِيَحْيى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّه يعني بعيسى كما يأتي عن قريب وَ سَيِّداً يسود قومهم و يفوقهم وكان فائقاً للناس كلهم في أنه ما همّ بمعصية.

و في تفسير الامام عليه السلام يعني رئيساً في طاعة اللَّه على اهل طاعته.

وَ حَصُوراً مبالغاً في حصر النفس عن الشهوات و الملاهي، روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال ما للعب خلقت.

و عن الصادق عليه السلام هو الذي لا يأتي النساء و يأتي ذكر الروايتين في سورة مريم إن شاء اللَّه وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ كائناً من عدادهم او ناشئاً منهم.

في تفسير الامام عند قوله وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ ما الحق اللَّه صبياناً برجال كاملي العقول الا هؤلاء الأربعة عيسى بن مريم و يحيى بن زكريا و الحسن و الحسين عليهم الصلاة و السلام ثم ذكر قصتهم ثم قال وكان أول تصديق يحيى بعيسى ان زكريا كان لا يصعد إلى مريم في تلك الصومعة غيره يصعد اليها بسلم فإذا نزل اقفل عليها ثم فتح لها من فوق الباب كوة صغيرة يدخل عليها منها الريح فلما وجد مريم و قد حبلت ساءه ذلك و قال في نفسه ما كان يصعد إلى هذه أحد غيري و قد حبلت و الآن افتضح في بني إسرائيل لا يشكون انّي أحبلتها فجاء إلى امرأته و قال لها ذلك فقالت يا زكريا لا تخف فان اللَّه لن يصنع بك الا خيراً فأتني بمريم انظر اليها و اسألها عن حالها فجاء بها زكريا إلى امرأته فكفى اللَّه مريم مؤنة الجواب عن السؤال و لما دخلت إلى أختها و هي الكبرى و مريم الصغرى لم تقم اليها امرأة زكريا فاذن اللَّه تعالى ليحيى و هو في بطن امه فنحس بيده في بطنها و ازعجها و ناداها يا امّة تدخل اليك سيدة نساء العالمين مشتملة على سيدة رجال العالمين فلا تقومين لها فانزعجت و قامت اليها و سجد يحيى و هو في بطن امه لعيسى بن مريم فذلك كان أول تصديقه له فذلك قول رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم في الحسن و الحسين عليهما السلام انهما سيدا شباب أهل الجنة الا ما كان من ابني الخالة عيسى و يحيى.

قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ استبعاد عادي و استفهام وَ قَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ اثر في السن و اضعفني وَ امْرَأَتِي عاقِرٌ لا تلد من العقر بمعنى القطع قالَ كَذلِكَ مثل خلق الولد من الشيخ الفاني و العجوز العاقر اللَّهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ من العجائب الخارقة للعادة.

قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً علامة اعرف بها الحمل لاستقبله بالشكر قالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثاً قيل و إنما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر اللَّه و شكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيَتُكَ أن تحبس لسانك الا عن الشكر.

العياشي عن الصادق عليه السلام قال ان زكريا لما دعا ربه ان يهب له ولداً فنادته الملائكة بما نادته به أحب أن يعلم ان ذلك الصوت من اللَّه فأوحى اليه ان آية ذلك ان يمسك لسانه عن الكلام ثلاثة ايام فلما امسك لسانه و لم يتكلم علم انه لا يقدر على ذلك الا اللَّه و ذلك قول اللَّه رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً.

إِلَّا رَمْزاً اشارة، العياشي عن أحدهما عليهما السلام فكان يؤمي برأسه وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً قيل يعني في أيام العجز عن تكلم الناس و هو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ من الزوال او العصر إلى الغروب وَ الْإِبْكارِ من طلوع الفجر إلى الضحى. وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ كلّمُوها شفاهاً لأنها كانت محدّثة تحدّثهم و يحدّثونها قبل الاصطفاء الأول تقبّلها من أمها و لم تقبل قبلها أنثى و تفريغها للعبادة و اغناؤها برزق الجنة عن الكسب و تطهيرها عما يستقذر من النساء و الثاني هدايتها و إرسال الملائكة اليها و تخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب و تبرأتها عما قذفته اليهود بإنطاق الطفل و جعلها و ابنها آية للعالمين.و في المجمع عن الباقر عليه السلام معنى الآية اصْطَفاكِ من ذرية الأنبياء وَ طَهَّرَكِ من السفاح وَ اصْطَفاكِ لولادة عيسى من غير فحل.

يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّك وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ في جماعتهم اوكوني في عدادهم أمرت بالصلاة بذكر أركانها. القمّي إنما هو اركعي و اسجدي وعده مما وقع فيه التقديم و التأخير من القرآن.
و في العلل عن الصادق عليه السلام قال سميت فاطمة محدّثة لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول يا فاطمة إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاك وَ طَهَّرَك وَ اصْطَفاك عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ يا فاطمة اقْنُتِي لِرَبِّك وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ فتحدّثهم و يحدثونها فقالت لهم ذات ليلة أ ليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران فقالوا ان مريم كانت سيدة نساء عالمها و ان اللّه عز جلاله جعلك سيدة نساء عالمك و عالمها و سيدة نساء الأولين و الآخرين.
ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ العياشي عن الباقر عليه السلام يقرعون بها حين أيتمت من أبيها وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ تنافساً في كفالتها.
إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُك بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ قيل أصله بالعبرية مشيحا و معناه المبارك عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قيل هو معرب ايشوع وَجِيهاً القمّي ذو وجه و جاه فِي الدُّنْيا بالنبوة و الرسالة وَ الْآخِرَةِ بالشفاعة و علو الرتبة وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ من اللّه برفعه إلى السماء و صحبة الملائكة و علو درجته في الجنة.
وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ كلام الأنبياء فِي الْمَهْدِ حال كونه طفلًا وَ كَهْلًا من غير تفاوت قيل فيه دليل على نزوله لأنه رفع قبل أن يكتهل وَ مِنَ الصَّالِحِينَ قيل ذكر أحواله المختلفة المتنافية ارشاد إلى أنه بمعزل عن الألوهية.
قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذلِك اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.
كما يقدر ان يخلق الأشياء مدرجاً بأسباب و مواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك.
وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ و قرئ بالنون الكتبة أو جنس الكتب المنزلة وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ خصّ الكتابان لفضلهما. وَ رَسُولًا و يرسله رسولًا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ في الإكمال عن الباقر عليه السلام انه أرسل إلى بني إسرائيل خاصة وكانت نبوته ببيت المقدس أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ حجّة شاهدة على صحة نبوتي أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ اقدر و أصور شيئاً و قرئ إنّي بالكسر مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ مثل صورته فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً حياً طياراً بِإِذْنِ اللَّهِ بأمره نبّه على أنّ إحياءه من اللّه لا منه، و قرئ طائراً وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ الأعمى وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ الْمَوْتى بِإِذْنِ اللَّهِ كرر بِإِذْنِ اللَّهِ دفعاً لوهم الألوهية فان الأحياء ليس من جنس الأفعال البشرية وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ مصدّقين غير معاندين.
القمي عن الباقر عليه السلام ان عيسى عليه السلام كان يقول لبني إسرائيل انّي رسول اللّه إليكم و أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ و الأكمه هو الأعمى قالوا ما نرى الذي تصنع الا سحراً فأرنا آية نعلم انّك صادق قال أ رأيتكم ان أخبرتكم بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ قبل أن تخرجوا و ما ادخرتم بالليل تعلمون اني صادق قالوا نعم وكان يقول انت أكلت كذا وكذا و شربت كذا وكذا و رفعت كذا وكذا فمنهم من يقبل منه فيؤمن و منهم من يكفر وكان لهم في ذلك آية ان كانوا مؤمنين.
و العياشي مقطوعاً قال فمكث عيسى حتى بلغ سبع سنين أو ثمان سنين فجعل يخبرهم بما يأكلون و ما يدّخرون في بيوتهم فأقام بين أظهرهم يحيي الموتى و يبرئ الأكمه و الأبرص و يعلمهم التوراة و انزل اللّه عليه الإنجيل لما أراد اللّه عليهم حجّة و مرفوعاً قال ان اصحاب عيسى سألوه أن يحيي لهم ميتاً فأتى بهم إلى قبر سام بن نوح فقال له قم بإذن اللّه يا سام بن نوح قال فانشق القبر ثم أعاد الكلام فتحرك ثم أعاد الكلام فخرج سام بن نوح فقال له عيسى أيهما أحب اليك تبقى أو تعود قال فقال يا روح اللّه بل أعود اني لأجد حرقة الموت او قال لذعة الموت في جوفي إلى يومي هذا.

و في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام انه سئل هل كان عيسى بن مريم احيى احداً بعد موته حتى كان له أكل و رزق و مدة و ولد فقال نعم انه كان له صديق مواخ له في اللّه تعالى وكان عيسى عليه السلام يمر به و ينزل عليه و ان عيسى غاب عنه حيناً ثم مر به ليسلم عليه فخرجت اليه امه فسألها عنه فقالت مات يا رسول اللّه قال أ فتحبين ان تريه قالت نعم فقال لها فإذا كان غداً فآتيك حتى أُحييه لك بإذن اللّه تعالى فلما كان من الغد أتاها فقال لها انطلقي معي إلى قبره فانطلقا حتى أتيا قبره فوقف عيسى ثم دعا اللّه تعالى فانفرج القبر و خرج ابنها حياً فلما رأته امه و رآها بكيا فرحمهما عيسى فقال أ تحب ان تبقى مع أمك في الدنيا فقال يا نبي اللّه بأكل و رزق و مدّة ام بغير أكل و لا رزق و لا مدة فقال له عيسى بأكل و رزق و مدّة تعمر عشرين سنة و تزوج و يولد لك قال نعم إذاً فدفعه عيسى إلى امه فعاش عشرين سنة و ولد له.

أقول: و قد صدر عن نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلم أمثال ما صدر عن عيسى و أكثر منها و اعجب كما رواه في الاحتجاج عن الحسين بن علي عليهما السلام.

و في التوحيد عن الرضا عليه السلام في حديث له طويل لقد اجتمعت قريش إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فسألوه أن يحيي لهم موتاهم فوجه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له اذهب إلى الجبانة فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك يا فلان و يا فلان و يا فلان يقول لكم محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم قوموا بإذن اللّه تعالى فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم و أقبلت قريش تسألهم عن أمورهم ثم أخبروهم ان محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم قد بعث نبياً و قالوا وددنا انا كنا أدركناه فنؤمن به قال عليه السلام و لقد أبرأ الأكمه و الأبرص و المجانين وكلّمه البهائم و الطير و الجن و الشياطين.

وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ في شريعة موسى عليه السلام كالشحوم و الثروب و السمك و لحوم الإبل و العمل بالسبت كذا قيل.

و العياشي عن الصادق عليه السلام قال كان بين داود و عيسى بن مريم عليهم السلام أربعمائة سنة وكانت شريعة عيسى عليه السلام انه بعث بالتوحيد و الإخلاص و بما أوصى به نوح و ابراهيم و موسى عليهم السلام و انزل عليه الإنجيل و أخذ عليه الميثاق الذي أخذ على النبيين و شرع له في الكتاب اقام الصلاة مع الدين و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و تحريم الحرام و تحليل الحلال و انزل عليه في الإنجيل مواعظ و أمثال و ليس فيها قصاص و لا أحكام حدود و لا فرض مواريث و انزل عليه تخفيف ما كان على موسى عليه السلام في التوراة و هو قول اللّه عز و جل في الذي قال عيسى بن مريم لبني إسرائيل وَ لِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، و امر عيسى عليه السلام من معه ممن اتبعه من المؤمنين أن يؤمنوا بشريعة التوراة و الإنجيل.

أقول: نسخ بعض احكام التوراة لا ينافي تصديقه كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض و ذلك لأن النسخ في الحقيقة بيان لانتهاء مدة الحكم و تخصيص في الأزمان.

وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ لعله كرر هذا القول لأن الأول كان تمهيداً للحجة و الثاني تقريباً للحكم و لهذا رتب عليه ما بعده بالفاء. و قيل بل المراد قد جئتكم بحجة أخرى شاهدة على صحة نبوتي و هي قوله إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فانه دعوة الحق المجمع عليها بين الرسل الفارق بين النبي و الساحر و ما بينهما اعتراض فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ فَاتَّقُوا اللَّهَ في المخالفة وَ أَطِيعُونِ فيما أدعوكم اليه. إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ اشارة إلى استكمال العلم بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد فَاعْبُدُوهُ اشارة الى استكمال العمل بملازمة الطاعة التي هي الإتيان بالأوامر و الانتهاء عن النواهي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ إشارة إلى أن الجمع بين الأمرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة.

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ لما سمع و رأى انهم يكفرون كذا رواه القمي عن الصادق عليه السلام قالَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ من أعواني إلى سبيله قالَ الْحَوارِيُّونَ حواري الرجل خالصته من الحور و هو البياض الخالص. في العيون عن الرضا عليه السلام انه سئل لم سمي الحواريون الحواريين قال اما عند الناس فإنهم سمّوا حواريين لأنهم كانوا قصّارين يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل و هو اسم مشتق من الخبز الحوار و اما عندنا فسمي الحواريون الحواريين لأنهم كانوا مخلصين في أنفسهم و مخلصين غيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ و التذكير. و في التوحيد عنه عليه السلام انهم كانوا اثني عشر رجلًا وكان أفضلهم و أعلمهم ألوقا.

نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ أنصار دينه آمَنَّا باللَّهِ وَ اشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ كن شهيداً لنا عند اللَّه يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم و عليهم. رَبَّنا آمَنَّا بما أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ بوحدانيتك او مع الشاهدين مع الناس و لهم. وَ مَكَرُوا اي الذين أحس عيسى منهم الكفر من اليهود بأن وكّلوا عليه من يقتله غيلة وَ مَكَرَ اللَّهُ حين رفع عيسى و القى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل بدلًا منه كما روته العامة.

و مضى عن تفسير الامام عليه السلام ايضاً في سورة البقرة او على احد من خواصه ليكون معه في درجته كما ذكره القمي و يأتي عن قريب و المكر من حيث انه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرّة لا يسند إلى اللَّه تعالى الا على سبيل المقابلة و الازدواج أو بمعنى المجازاة كما مر عن الرضا عليه السلام وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ أقواهم مكراً و انفذهم كيداً و أقدرهم على العقاب من حيث لا يحتسب المعاقب.

إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ متوفي أجلك و مؤخرك إلى أجلك المسمى عاصماً إياك من قتلهم او قابضك من الأرض من توفيت مالي أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت وَ رافِعُكَ إِلَيَّ إلى محل كرامتي و مقر ملائكتي وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا من سوء جوارهم وَ جاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ من المسلمين و النصارى فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا من اليهود و المكذبين إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ يغلبونهم بالمحجة و السيف ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ من امر الدين.

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ.

وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ تفسير للحكم و تفصيل له و قرئ فتوفّاهم بالتاء وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ في الإكمال عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم في حديث بعث اللَّه عيسى بن مريم و استودعه النور و العلم و الحكم و جميع علوم الأنبياء قبله و زاده الإنجيل و بعثه إلى بيت المقدّس إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى كتابه و حكمته و إلى الايمان باللَّه و رسوله فأبى أكثرهم الا طغياناً وكفراً فلما لم يؤمنوا دعا ربّه و عزم عليه فمسخ منهم شياطين ليريهم آية فيعتبروا فلم يزدهم ذلك الا طغياناً وكفراً فأتى بيت المقدس فكان يدعوهم و يرغّبهم فيما عند اللَّه ثلاثة و ثلاثين سنة حتى طلبته اليهود و ادّعت انها عذبته و دفنته في الأرض حياً و ادعى بعضهم انهم قتلوه و صلبوه و ما كان اللَّه ليجعل لهم سلطاناً عليه و إنما شبّه لهم و ما قدروا على عذابه و دفنه و لا على قتله و صلبه لأنهم لو قدروا على ذلك لكان تكذيباً لقوله و لكن رفعه اللَّه بعد ان توفاه.

و القمّي عن الباقر عليه السلام قال ان عيسى عليه السلام وعد أصحابه ليلة رفعه اللَّه اليه فاجتمعوا اليه عند المساء و هم اثنا عشر رجلًا فأدخلهم بيتاً ثم خرج من عين في زاوية البيت و هو ينفض رأسه من الماء فقال ان اللَّه اوحى إلي أنه رافعي اليه الساعة و مطهّري من اليهود فأيّكم يلقى عليه شبحي فيقتل و يصلب فيكون فيها معي في درجتي فقال شاب منهم انا يا روح اللَّه قال فأنت هو ذا فقال لهم عيسى عليه السلام اما ان منكم من يكفر بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة فقال له رجل منهم انا هو يا نبي اللَّه فقال عيسى أ تحس بذلك في نفسك فلتكن هو ثم قال لهم عيسى اما انكم ستفرقون بعدي على ثلاث فرق فرقتين مفتريتين على اللَّه في النار و فرقة تتبع شمعون صادقة على اللَّه في الجنة ثم رفع اللَّه عيسى عليه السلام اليه من زاوية البيت و هم ينظرون اليه ثم قال ان اليهود جاءت في طلب عيسى من ليلتهم فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى ان منكم لمن يكفر

بي قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة و أخذوا الشاب الذي أُلقي عليه شبح عيسى عليه السلام فقتل و صلب و كفر الذي قال له عيسى عليه السلام يكفر قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة.

ذلِكَ اشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى و غيره نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآياتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرّق الخلل اليه يريد به القرآن او اللوح المحفوظ.

إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ أي شأنه الغريب كشأن آدم خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ جملة مفسّرة للتمثيل مبيّنة لما له الشبه و هو انّه خلق بلا أب كما خلق آدم من التراب بلا أب و ام شبّه حاله بما هو أقرب افحاماً للخصم و قطعاً لمواد الشبه و المعنى خلق قالبه من التراب ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ أي أنشأ بشراً كقوله ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ و قدّر تكوينه من التراب ثم كوّنه فَيَكُونُ أي فكان في الحال.

الْحَقُّ هو الحق مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ.

فَمَنْ حَاجَّكَ من النصارى فِيهِ في عيسى عليه السلام مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ من البيّنات الموجبة للعلم فَقُلْ تَعالَوْا هلمّوا بالرأي و العزم نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَكُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَكُمْ أي يدع كلّ منّا و منكم نفسه و اعزّة اهله و الصقهم بقلبه إلى المباهلة و يحمل عليها و إنما قدّمهم على النفس لأن الرّجل يخاطر بنفسه لهم و يحارب دونهم ثُمَّ نَبْتَهِلْ أي نتباهل بأن نلعن الكاذب منا و البهلة بالضم و الفتح اللعنة و أصله الترك من قولهم بهلت الناقة إذا تركتها بلا صرار و الصرار خيط يشدّ فوق الخلف لئلا يرضعها ولدها فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ عطف فيه بيان، روي انهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم و ما ترى فقال و اللّه لقد عرفتم نبوّته و لقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم و اللّه ما باهل قوم نبياً الا هلكوا فان أبيتم الا ألف دينكم فوادعوا الرجل و انصرفوا فآتوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و قد غدا محتضناً الحسين عليه الصلاة و السلام آخذاً بيد الحسن و فاطمة عليهم السلام تمشي خلفه و علي خلفها و هو يقول إذا انا دعوت فأمنوا فقال استفهم: يا معشر النصارى اني لأرى وجوهاً لو سألوا اللّه ان يزيل جبلًا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و بذلوا له الجزية ألفي حلّة حمراء و ثلاثين درعاً من حديد فقال و الذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة و خنازير و لاضطرم عليهم الوادي ناراً و لاستأصل اللّه نجران و اهله حتى الطير على الشجر كذا روته العامة و هو دليل على نبوّته و فضل من اتى بهم من اهل بيته و شرفهم شرفاً لا يسبقهم اليه خلق إذ جعل نفس علي عليه السلام كنفسه.و في العيون عن الكاظم عليه الصلاة و السلام لم يدع احداً انه ادخله النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم تحت الكساء عند المباهلة للنصارى الا عليّ بن أبي طالب عليه السلام و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام فكان تأويل قوله عز و جل أَبْناءَنا الحسن و الحسين وَ نِساءَنا فاطمة وَ أَنْفُسَنا علي بن أبي طالب عليهم صلوات اللّه.

و القمّي عن الصادق عليه السلام ان نصارى نجران لما وفدوا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و كان سيدهم الأهتم و العاقب و السيد و حضرت صلاتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس و صلوا فقال اصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يا رسول اللّه هذا في مسجدك فقال دعوهم فلما فرغوا دنوا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقالوا له إلى ما تدعو؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه و أني رسول اللّه و ان عيسى عبد مخلوق يأكل و يشرب و يحدث قالوا فمن أبوه فنزل الوحي على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقال: قل لهم ما تقولون في آدم أكان عبداً مخلوقاً يأكل و يشرب و يحدث و ينكح فسألهم النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقالوا نعم قال فمن أبوه فبهتوا فأنزل اللّه إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ الآية و قوله فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إلى قوله فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فباهلوني فان كنت صادقاً أنزلت اللعنة عليكم و ان كنت كاذباً أنزلت علي فقالوا أنصفت فتواعدوا للمباهلة فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم السيد و العاقب و الأهتم

ان باهلنا بقومه باهلناه فانه ليس نبياً و ان باهلنا بأهل بيته خاصة فلا نباهله فانه لا يقدم إلى اهل بيته الا و هو صادق فلما أصبحوا جاؤوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و معه امير المؤمنين و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات اللّه عليهم فقال النصارى من هؤلاء فقيل لهم ان هذا ابن عمه و وصيه و ختنه علي بن أبي طالب و هذه بنته فاطمة و هذان ابناه الحسن و الحسين صلوات اللّه عليهم ففرقوا و قالوا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نعطيك الرضا فاعفنا من المباهلة فصالحهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم على الجزية و انصرفوا. و في العلل عن الجواد عليه السلام و لو قال تعالوا نبتهل فنجعل لعنة اللّه عليكم لم يكونوا يجيبون للمباهلة و قد عرف اللّه ان نبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلم مؤدي عنه رسالته و ما هو من الكاذبين وكذلك عرف النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم انه صادق فيما يقول و لكن أحب ان ينصف من نفسه.

إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَ ما مِنْ إِلهٍ إِلَّا اللَّهُ.

أتى بمن الزائدة للاستغراق تأكيداً للرد على النصارى في تثليثهم وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لا احد سواه يساويه في القدرة التامة و الحكمة البالغة ليشاركه في الألوهية.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ وعيد لهم وضع المظهر موضع المضمر ليدل على أن التولي عن الحجج و الاعراض عن التوحيد افساد للدين و يؤدي إلى افساد النفس بل و إلى افساد العالم.

قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ان نوحده بالعبادة و نخلص فيها وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً و لا نجعل غيره شريكاً له في العبادة وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ و لا نقول عزير ابن اللّه و لا المسيح ابن اللّه و لا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم و التحليل لأن كلا منهم بشر مثلنا.

في المجمع روي انهم لما نزلت اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ قال عدي بن حاتم ما كنّا نعبدهم يا رسول اللّه قال أ ليس كانوا يحلون لكم و يحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فَإِنْ تَوَلَّوْا عن التوحيد فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ اي لزمتكم الحجّة فاعترفوا بأنّا مُسْلِمُونَ دونكم قيل انظر إلى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الإرشاد و حسن التدرج في الحجاج بيّن اولًا احوال عيسى و ما تعاور عليه من الأطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم و يزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم و لجاجهم دعاهم إلى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها و انقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالإرشاد و سلك طريقاً أسهل و ألزم بأن دعاهم إلى ما وافق عليه عيسى و الإنجيل و سائر الأنبياء و الكتب ثم لما لم يجْد ذلك ايضاً عليهم و علم ان الآيات و النذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك و قال اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْراهِيمَ وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ قيل تنازعت اليهود و النصارى في ابراهيم و زعم كل فريق انه منهم فترافعوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فنزلت و المعنى أن اليهودية و النصرانية حدثت بنزول التوراة و الإنجيل على موسى و عيسى وكان ابراهيم قبل موسى بألف سنة و عيسى بألفين سنة فكيف يكون عليهما أَ فَلا تَعْقِلُونَ فتدّعون المحال.

ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ نبّهوا بحرف التنبيه على حالهم التي غفلوا عنها اي أنتم هؤلاء الحمقى و بيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم بما وجدتموه في التوراة و الإنجيل عناداً او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به و لا ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم و قيل هؤلاء بمعنى الذين و قيل عطف بيان لأنتم وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما حاججتم فيه من شأن ابراهيم و دينه وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ فلا تتكلموا فيه.

ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْرانِيًّا تصريح بمقتضى ما قرره وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مائلًا عن العقائد الزائفة مُسْلِماً منقاداً للّه تعالى و ليس المراد انه كان على ملّة الإسلام و الا لاشترك الإلزام.

في الكافي عن الصادق عليه السلام خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان.

و العياشي عنه عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام لا يهودياً يصلي إلى المغرب و لا نصرانياً يصلي إلى المشرق وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً على دين محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم.
أقول: يعني كان يصلي إلى الكعبة ما بين المشرق و المغرب وكان دينه موافقاً لدين محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم. وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ تعريض بأنهم مشركون لاشراكهم به عزيراً و المسيح ورد لا دعاء المشركين انهم على ملّة ابراهيم. إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ انَّ أخصهم به و أقربهم منه من الولي و هو القرب لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ من أمته وَ هٰذَا النَّبِيُّ خصوصاً وَ الَّذِينَ آمَنُوا من أمته لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم على الاصالة.
في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام هم الأئمة و من اتّبعهم.
و القمّي و العياشي عن عمر بن يزيد عنه عليه السلام قال أنتم و اللّه من آل محمد فقلت من أنفسهم جعلت فداك قال نعم و اللّه من أنفسهم ثلاثاً ثم نظر إلي و نظرت اليه فقال يا عمر ان اللّه تعالى يقول في كتابه: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ) الآية.
و في المجمع قال قال امير المؤمنين عليه السلام ان اولى الناس بالأنبياء أعملهم بما جاؤوا به ثم تلا هذه الآية قال ان ولي محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم من أطاع اللّه و ان بعدت لحمته و ان عدو محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم من عصى اللّه و ان قربت قرابته وَ اللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ يتولى نصرتهم.
وَدَّتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ قيل نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة و عماراً و معاذاً إلى اليهودية وَ ما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ و ما يتخطئهم الا ضلال و لا يعود و باله الا عليهم إذ يضاعف به عذابهم أو ما يضلّون الا أمثالهم وَ ما يَشْعُرُونَ وزره و اختصاص ضرره بهم.
يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّهِ بما نطقت من التوراة و الإنجيل و دلت على نبوة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ انها آيات اللّه او بما يتلى عليكم من القرآن و أنتم تشهدون نعته في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات انه حق او بالمعجزات و أنتم تشهدون ان ظهور المعجزات يدل على صدق الرسالة.
يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ بالتحريف و إبراز الباطل في صورته او بالتقصير في المميز بينهما وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ نبوة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و نعته وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ عالمون بما يكتمونه.
وَ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ أي أظهروا الايمان بالقرآن أول النهار وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ يشكون في دينهم ظناً بأنكم قد رجعتم لخلل ظهر لكم.
و القمي عن الباقر عليه السلام ان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لما قدم المدينة و هو يصلي نحو بيت المقدس أعجب ذلك القوم فلما صرفه اللّه عن بيت المقدس إلى بيت اللّه الحرام وجدت اليهود من ذلك و كان صرف القبلة صلاة الظهر، فقالوا صلّى محمد الغداة و استقبل قبلتنا ف آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم وَجْهَ النَّهارِ وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ يعنون القبلة حين استقبل رسول اللّه المسجد الحرام لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ إلى قبلتنا.
وَ لا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قيل هذا من تتمة كلام اليهود أي لا تصدقوا و لا تقرّوا بأن يؤتى احد مثل ما أوتيتم الا لأهل دينكم قُلْ إِنَّ الْهُدى هُدَى اللّهِ اعتراض بين المفعول و فعله من كلام اللّه تعالى و معناه ان الدين دين اللّه أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ مِثْلَ ما أُوتِيتُمْ يعني من العلم و الحكمة و الكتاب و الحجة و المنّ و السلوى و الفضائل و الكرامات و قرئ ان يؤتى بالمد على الاستفهام أَوْ يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ عطف على قوله أَنْ يُؤْتى أَحَدٌ و الواو ضمير احد لأنه في معنى الجمع و المعنى و لا تؤمنوا بأن يُحاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ لأنكم انصح ديناً منهم فلا تكون لهم الحجة عليكم و في الآية وجوه أُخر و هي من المتشابهات التي لم يصل إلينا عن اهل البيت شيء قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ اي الهداية و التوفيق منه يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ.
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بدينار لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً إلّا مدة دوامك على رأسه تطالبه بالعنف ذلِكَ يعني ترك الأداء بِأَنَّهُمْ قالُوا بسبب قولهم لَيْسَ عَلَيْنا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ أي ليس علينا في شأن من ليسوا من أهل الكتاب و لم يكونوا على ديننا عقاب و ذم وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بادعائهم ذلك وَ هُمْ يَعْلَمُونَ أنهم كاذبون و ذلك لأنهم استحلوا ظلم من خالفهم و قالوا لم يجعل لهم في التوراة حرمة.

و في المجمع عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم لما قرأ هذه الآية قال كذب اعداء اللّه ما من شيء كان في الجاهلية الا و هو تحت قدمي الا الأمانة فإنها مؤدات إلى البر و الفاجر.

بَلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم سبيل مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ وَ اتَّقى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ استئناف اي كل من أوفى بما عاهد عليه اي عهدكان و اتقى اللّه في ترك الخيانة و الغدر فان اللّه يحبّه في وضع الظاهر موضع المضمر اشعار بأن التقوى ملاك الأمر.

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ يستبدلون بِعَهْدِ اللَّهِ بما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول و الوفاء بالأمانات وَ أَيْمانِهِمْ و بما حلفوا به ثَمَناً قَلِيلًا متاع الدنيا من الرئاسة و أخذ الرشوة و الذهاب بمال أخيهم المسلم و نحو ذلك أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ لا نصيب لهم فِي الْآخِرَةِ وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ كناية عن سخطه عليهم و استهانته بهم.

و في التوحيد عن امير المؤمنين صلوات اللّه عليه يعني لا يصيبهم بخير قال و قد تقول العرب و اللّه ما ينظر إلينا فلان و إنما يعنون بذلك انه لا يصيبنا منه بخير وَ لا يُزَكِّيهِمْ قيل و لا يثني عليهم.

و في تفسير الامام وَ لا يُزَكِّيهِمْ من ذنوبهم كما مر. وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ في الأمالي قال النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم من حلف على يمين يقطع بها مال أخيه لقي اللّه عز و جل و هو عليه غضبان فأنزل اللّه تصديقه في كتابه إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ الآية.

وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل إلى المحرف لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتابِ وَ ما هُوَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تأكيد و زيادة تشنيع عليهم وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ تأكيد و تسجيل عليهم بالكذب على اللّه و التعمد فيه.

القمّي مقطوعاً قال كان اليهود يفترون شيئاً ليس في التوراة و يقولون هو في التوراة فكذبهم اللّه.

ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ في المجمع قيل أن أبا رافع القرظي و السيد النجراني قالا يا محمد أ تريد أن نعبدك و نتّخذك رباً فقال معاذ اللّه ان يعبد غير اللّه و ان نأمر بغير عبادة اللّه فما بذلك بعثني و لا بذلك أمرني فنزلت وَ لكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ وَ لكِنْ يقول كُونُوا رَبَّانِيِّينَ و الربّاني منسوب إلى الرب بزيادة الألف و النون و هو الكامل في العلم و العمل.

و القمي اي ان عيسى لم يقل للناس إني خلقتكم وكُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ قال لهم كُونُوا رَبَّانِيِّينَ اي علماء. بِما كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتابَ وَ بِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ بسبب كونكم معلمين الكتاب و دارسين له فان فائدة التعليم و التعلّم معرفة الحق و الخير للاعتقاد و العمل، و قرئ بالتخفيف اي بسبب كونكم عالمين في العيون عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال لا ترفعوني فوق حقي فان اللّه تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً ثم تلا هذه الآية.

و عن أمير المؤمنين يهلك فيّ اثنان و لا ذنب لي محب مفرط و مبغض مفرط و انا لبراء إلى اللّه تعالى ممن يغلو فينا فيرفعنا فوق حدّنا كبراءة عيسى بن مريم من النصارى.

وَ لا يَأْمُرَكُمْ و قرئ بنصب الراء أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْباباً أَ يَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ القمّي كان قوم يعبدون الملائكة و قوم من النصارى زعموا ان عيسى رب و اليهود قالوا عزير ابن اللّه فقال اللّه وَ لا يَأْمُرَكُمْ الآية. وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ و قرئ بكسر اللام و آتيناكم مِنْ كِتابٍ

وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ في الجوامع و المجمع عن الصادق عليه السلام و إذا أخذ اللّه ميثاق امم النبيين كل أمة بتصديق نبيها و العمل بما جاءهم به فما وفوا به و تركوا كثيراً من شرائعهم و حرّفوا كثيراً منها.

و العياشي عن الباقر عليه السلام ما في معناه مبسوطاً و قال هكذا أنزلها اللّه يعني طرح منها.

و في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام ان اللّه تعالى أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبيّنا ان يخبروا أممهم بمبعثه و نعته و يبشّروهم به و يأمروهم بتصديقه.

و عنه عليه السلام انه قال لم يبعث اللّه نبيّاً آدم و من بعده الا أخذ عليه العهد لئن بعث محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم و هو حيّ ليؤمنن به و لينصرنه و أمره ان يأخذ العهد بذلك على قومه.

و القمّي و العياشي عن الصادق عليه السلام ما بعث اللّه نبياً من لدن آدم فهلم جرّاً الا و يرجع إلى الدنيا و ينصر امير المؤمنين و هو قوله لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ يعني رسول اللّه وَ لَتَنْصُرُنَّهُ يعني امير المؤمنين عليهما السلام.

و في كتاب الواحدة عن الباقر عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام ان اللّه تعالى احد واحد تفرد في وحدانيته تعالى ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً ثم خلق من ذلك النور محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم و خلقني و ذريتي ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً فأسكنه اللّه في ذلك النور و اسكنه في أبداننا فنحن روح اللّه و كلماته فبنا احتجب على خلقه فما زلنا في ظلّة خضراء لا شمس و لا قمر و لا ليل و لا نهار و لا عين تطرف نعبده و نقدّسه و نسبحه و ذلك قبل أن يخلق خلقه و أخذ ميثاق الأنبياء بالايمان و النصرة لنا و ذلك قوله عز و جل (وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ) يعني لَتُؤْمِنُنَّ بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم وَ لَتَنْصُرُنَّهُ وصيه و ستنصرونه جميعاً و ان اللّه أخذ ميثاقي مع ميثاق محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم بنصرة بعضنا لبعض فقد نصرت محمداً و جاهدت بين يديه و قتلت عدوّه و وفيت للّه بما أخذ عليّ من الميثاق و العهد و النصرة لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و لم ينصرني احد من أنبياء اللّه و رسله و ذلك لما قبضهم اللّه اليه و سوف ينصرونني و يكون لي ما بين مشرقها إلى مغربها و ليبعثهم اللّه أحياء من آدم إلى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم كل نبي مرسل يضربون بين يدي بالسيف هام الأموات و الأحياء و الثقلين جميعاً فيا عجبا وكيف لا أعجب من أموات يبعثهم اللّه أحياء يلبّون زمرة زمرة بالتلبية لبيك لبيك يا داعي اللّه قد اظلوا بسكك الكوفة قد شهروا سيوفهم على عواتقهم يضربون بها هام الكفرة و جبابرتهم و اتباعهم من جبابرة الأولين و الآخرين حتى ينجز اللّه ما وعدهم في قوله عز و جل (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً) اي يعبدونني آمنين لا يخافون احداً في عبادتي ليس عندهم تقيّة و إن لي الكرة بعد الكرة و الرجعة بعد الرجعة و انا صاحب الرجعات و الكرات و صاحب الصولات و النقمات و الدولات العجيبات و انا قرن من حديد. الحديث بطوله. قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي اي عهدي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ القمّي عن الصادق عليه السلام قال لهم في الذرّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِي اي عهدي قالُوا أَقْرَرْنا قالَ اللّه للملائكة فَاشْهَدُوا.

و في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ و أختم العهد بذلك على أممكم قالُوا اي قال الأنبياء و أممهم أَقْرَرْنا بما أمرتنا بالإقرار به قال اللّه فَاشْهَدُوا بذلك على أممكم وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ عليكم و على أممكم.

فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذلِكَ الميثاق و التوكيد فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ المتمردون من الكفّار.

أَ فَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ و قرئ بالتاء وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً.

في التوحيد و العياشي عن الصادق عليه السلام و هو توحيدهم للّه عز و جل.

و في المجمع عنه عليه السلام ان معناه اكره أقوام على الإسلام و جاء أقوام طائعين قال كرهاً اي فرقاً من السيف.
أقول: لعل المراد ان ذلك في زمان القائم عليه السلام كما رواه العياشي عنه عليه السلام انها نزلت في القائم عليه السلام.
و في رواية تلاها فقال إذا قام القائم عليه الصلاة و السلام لا يبقى ارض الَّا نودي فيها شهادة ان لا إله الا اللَّه و ان محمداً رسول اللَّه. و إليه ترجعون و قرئ بالياء. قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسى وَ عِيسى وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ امر الرسول بأن يخبر عن نفسه و متابعيه بالايمان لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ بالتصديق و التكذيب وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ منقادون مخلصون في عبادته. وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ ديناً اي غير التوحيد و الانقياد لحكم اللَّه تعالى فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ بابطاله الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها. كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ استبعاد لأن يهديهم اللَّه فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وَ شَهِدُوا عطف على ما في إِيمانِهِمْ من معنى الفعل أو حال بإضمار قد وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.
أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ.
خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ.
إِلَّا الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يقبل توبتهم رَحِيمٌ يتفضّل عليهم.
في المجمع عن الصادق عليه السلام نزلت الآيات في رجل من الأنصار يقال له الحارث ابن سويد بن الصامت وكان قتل المحذّر بن زياد البلوي غدراً و هرب و ارتدّ عن الإسلام و لحق بمكة فندم فأرسل إلى قومه ان اسألوا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم هل لي من توبة فسألوا فنزلت فحملها رجل من قومه اليه فقال اني لأعلم انك لصدوق و ان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أصدق منك و ان اللّه تعالى اصدق الثلاثة و رجع إلى المدينة و تاب و حسن إسلامه.
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً كاليهود كفروا بعيسى و الإنجيل بعد الايمان بموسى و التوراة ثم ازدادوا كفراً بمحمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و القرآن اوكفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بالإصرار و العناد و الطعن فيه و الصد عن الايمان و نقض الميثاق وكقوم ارتدوا و لحقوا بمكة ثم ازدادوا كفراً بقولهم نتربص بمحمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم ريب المنون او نرجع اليه و ننافقه بإظهار التوبة لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ لأنها لا تكون عن الإخلاص أو لأنها لا تكون الا عند اليأس و معاينة الموت وَ أُولئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ الثابتون على الضلال.
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ماتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً ما يملأ الأرض من الذهب وَ لَوِ افْتَدى بِهِ نفسه من العذاب قيل تقديره فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ فدية و لو افتدى بملء الأرض ذهباً و يحتمل أن يكون المراد فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ إنفاقه في سبيل اللَّه بِ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَباً في الدنيا و لوكان على وجه الافتداء من عذاب الآخرة من دون توقع ثواب آخر أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ وَ ما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ.
لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ لن تبلغوا حقيقته و لا تكونوا ابراراً حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ من المال و الجاه و المهجة و غيرها في طاعة اللَّه.
في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ قال هكذا فاقرأها.
و في المجمع اشترى عليٌّ صلوات اللَّه و سلامه عليه ثوباً فأعجبه فتصدق به و قال سمعت رسول اللّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم يقول من آثر على نفسه آثره اللَّه يوم القيامة بالجنة و من أحب شيئاً فجعله للّه قال اللّه يوم القيامة قدكان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف و انا أكافيك اليوم بالجنة.

و عن الحسين بن علي و الصادق صلوات اللّه عليهم انهما كانا يتصدقان بالسكر و يقولان انه أحب الأشياء إلينا و قد قال اللّه تعالى لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ محبوب او غيره فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ فيجازيكم بحسبه.

كُلُّ الطَّعامِ اي الطعومات كانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرائِيلَ كان أكلها حلالًا لهم و الحل مصدر نعت به إِلَّا ما حَرَّمَ إِسْرائِيلُ يعقوب عَلى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ.

في الكافي و العياشي: عن الصادق عليه السلام ان إسرائيل كان إذا أكل من لحم الإبل هيّج عليه وجع الخاصرة فحرّم على نفسه لحم الإبل و ذلك قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ فلما نزلت التوراة لم يحرمه و لم يأكله.

أقول: يعني لم يحرّمه موسى و لم يأكله او لم تحرّمه التوراة و لم يؤكّله اي أهمل و لم يندب إلى أكله من التأكيل.

و القمي ان يعقوب كان يصيبه عرق النساء فحرّم على نفسه لحم الجمل فقالت اليهود الجمل محرّم في التوراة فقال اللّه عز و جل لهم قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ إنما حرّم هذا إسرائيل على نفسه و لم يحرّمه على الناس. و محصّل المعنى أنّ المطاعم كلّها لم تزل حلالًا لبني إسرائيل من قبل انزال التوراة و تحريم ما حرّم عليهم منها لظلمهم و بغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الذي حرّمه إسرائيل على نفسه و هذا ردّ على اليهود حيث أرادوا براءة ساحتهم ممّا نطق به القرآن من تحريم الطيّبات عليهم لبغيهم و ظلمهم في قوله ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ. و قوله فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ فقالوا لسنا بأوّل من حرّمت عليه و قد كانت محرمة على نوح و ابراهيم و من بعده من بني إسرائيل إلى أن انتهى التحريم إلينا فكذّبهم اللّه قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ أمر بمحاجّتهم بكتابهم و تبكيتهم بما فيه حتّى يتبيّن أنّه تحريم حادث بسبب ظلمهم و بغيهم لا تحريم قديم كما زعموا فلم يجبروا على إخراج التوراة فبهتوا. فَمَنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بزعمه أنّ ذلك كان محرماً على الأنبياء و على بني إسرائيل قبل انزال التوراة مِنْ بَعْدِ ذلِكَ من بعد ما لزمهم الحجّة فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ لأنفسهم لمكابرتهم الحقّ من بعد وضوحه. قُلْ صَدَقَ اللَّهُ تعريض بكذبهم أي ثبت أنّ اللّه صادق فيما أنزله و أنتم الكاذبون فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً و هي ملّة الإسلام التي عليها محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و من آمن معه ثمّ برّأ سبحانه ابراهيم ممّا كان ينسبه اليهود و المشركون اليه من كونه على دينهم فقال وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ليكون متعبداً لهم لَلَّذِي بِبَكَّةَ البيت الذي ببكة و هو الكعبة.

في الكافي عنهما عليهما السلام. و في الفقيه و العياشي عن الباقر عليه السلام قال لمّا أراد اللّه تعالى أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن متن الماء حتى صار موجاً ثم أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت ثمّ جعله جبلًا من زبد ثم دحى الأرض من تحته و هو قول اللّه تعالى إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً و زاد في الفقيه فأوّل بقعة خلقت من الأرض الكعبة ثم مدّت الأرض منها.

و فيه أنَّ اللّه اختار من كل شيء شيئاً اختار من الأرض موضع الكعبة.

و في العلل عن الصادق عليه السلام انّما سمّيت مكّة بكّة لأنّ الناس يبكّون فيها يعني يزدحمون.

و في رواية أخرى لبكاءِ الناس حولها و فيها و قيل لأنّها تبك أعناق الجبابرة يعني تدقّها.

و عنه عليه السلام موضع البيت بكّة و القرية مكّة.

و عن الباقر عليه السلام انّما سمّيت مكّة بَكَّةَ لأنّه يبكّ بها الرجال و النّساء و المرأة تصلي بين يديك و عن يمينك و عن شمالك و عن يسارك و معك و لا بأس بذلك لأنّه انّما يكره في ساير البلدان.

و في الخصال عن الصادق عليه السلام اسماء مكة خمسة أم القرى و مكّة و بكّة و البسّاسة إذا ظلموا بها بستّهم أي أخرجتهم و أهلكتهم و امّ رُحم كانوا إذا لزموها رحموا، و مثله في الفقيه مرسلًا.

و فيه عن الصّادق عليه السلام قال انّ اللَّه عز و جلّ أنزله لآدم من الجنة وكانت درّة بيضاء فرفعه اللَّه إلى السماء و بقي اسّه و هو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه أبداً فأمر اللَّه عز و جلّ ابراهيم و إسماعيل لبنيان البيت على القواعد.

و في الكافي عنه عليه السلام قال كان موضع الكعبة ربوة من الأرض بيضاء تضيء كضوء الشمس و القمر حتى قتل ابنا آدم أحدهما صاحبه فاسودت فلما نزل آدم رفع اللَّه تعالى له الأرض كلها حتى رآها ثم قال هذه لك كلها قال يا رب ما هذه الأرض البيضاء المنيرة قال هي حرمي في أرضي و قد جعلت عليك أن تطوف بها في كل يوم سبعمائة طواف.

و في الفقيه عنه عليه السلام قال وجد في حَجَر اني انا اللَّه ذو بكة صنعتها يوم خلقت السموات و الأرض و يوم خلقت الشّمس و القمر و حففتها بسبعة أملاك حفّاً مباركاً لأهلها في الماء و اللّبن يأتيها رزقها من ثلاثة سبل من أعلاها و أسفلها و الثّنية بعده مُبارَكاً كثير الخير و النفع لمن حجّه و اعتمره و اعتكف عنده و طاف حوله و قصد نحوه من مضاعفة الثواب و تكفير الذنوب و نفي الفقر وكثرة الرزق وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ لأنه قبلتهم و متعبّدهم.

فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ كقهره لمن تعرّض له من الجبابرة بسوءٍ كأصحاب الفيل و غير ذلك مَقامُ إِبْراهِيمَ أي منها مقام ابراهيم.

في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل ما هذه الآيات البيّنات قال مَقامُ إِبْراهِيمَ حيث قام على الحجَر فأثّرت فيه قَدَمَاه و الحجر الأسود و منزل إسماعيل.

أقول: أمّا كون المقام آية فلما ذكر و لارتفاعه بإبراهيم عليه السلام حتّى كان أطول من الجبال كما يأتي ذكره في سورة الحجّ إن شاء اللَّه. و أمّا كون الحجر الأسود آية فلما ظهر منه للأنبياء و الأوصياء من العجائب إذا كان جوهرة جعله اللَّه مع آدم في الجنّة و إذ كان ملكاً من عظماء الملائكة ألقمه اللَّه الميثاق و أودعه عنده و يأتي يوم القيامة و له لسان ناطق و عينان يعرفه الخلق يشهد لمن وافاه بالموافاة و لمن أدّى اليه الميثاق بالأداء و على من جحده بالإنكار إلى غير ذلك كما ورد في الأخبار عن الأئمة الأطهار و لما ظهر لطائفة من تنطّقه لبعض المعصومين كالسّجاد حيث نازعه عمّه محمد بن الحنفيّة في أمر الإمامة كما ورد في الرّوايات و من عدم طاعته لغير المعصوم في نصبه في موضعه كما جرّب غير مرّة، و أمّا كون منزل إسماعيل آية فلانّه أنزل به من غير ماءٍ فنبع له الماء و انّما خصّ المقام بالذكر في القرآن و طوى ذكر غيره لأنّه أظهر آياته اليوم للنّاس، قيل سبب هذا الأثر أنه لمّا ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكّن من رفع الحجارة فغاضت فيه قدماه، و قيل أنه لمّا جاء زائراً من الشّام إلى مكّة فقالت له امرأة إسماعيل انزل حتّى نغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقّه الأيمن فوضع قدمه عليه حتّى غَسَلت شقّ رأسه ثم حوّلته إلى شقّه الأيسر حتّى غسلت الشقّ الآخر فبقي أثر قدميه عليه.

و في الكافي عن الباقر عليه السلام وكان موضع المقام الذي وضعه ابراهيم عليه السلام عند جدار البيت فلم يزل هناك حتى حوّله أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم فلما فتح النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم مكة ردّه إلى الموضع الذي وضعه ابراهيم عليه السلام فلم يزَل هناك إلى أن وليَّ عمر بن الخطاب فسأل الناس من منكم يعرف المكان الذي كان فيه المقام فقال رجل أنا قد أخذت مقداره بنسع فهو عندي فقال تأتيني به فأتاه به فقاسه ثم ردّه إلى ذلك المكان وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً.

في العلل عن الصادق عليه السلام أنّه قال لأبي حَنيفة أخبرني عن قول اللَّه عزّ و جل وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً أين ذلك من الأرض قال الكعبة قال أ فتعلم انّ الحجّاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير في الكعبة فقتله كان آمناً فيها قال فسكت فسئله عن الجواب فقال من بايع قائمنا و دخل معه و مسح على يده و دخل في عقدة أصحابه كانَ آمِناً.

و العياشي عنه عليه السلام مَنْ دَخَلَهُ و هو عارف بحقنا كما هو عارف به خرج من ذنوبه وكُفِيَ همّ الدنيا و الآخرة.و في الكافي و العياشي عنه عليه السلام قال من أمّ هذا البيت و هو يعلم أنّه البيت الذي أمره اللَّه عز و جل به و عرفنا أهل البيت حقّ معرفتنا كانَ آمِناً في الدنيا و الآخرة. و في المجمع عن الباقر عليه السلام أن مَنْ دَخَلَهُ عارفاً بجميع ما أوجبه اللَّه عليه كانَ آمِناً في الآخرة من العذاب الدَّائم. و في الكافي عن الصادق عليه السلام في أدعية دخول البيت اللّهم انك قلت وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً فامّني من عذاب النار.

و فيه و العياشي عنه عليه السلام قال من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهو آمن به من سخط اللَّه وَ مَنْ دَخَلَهُ من الوحش و الطير كانَ آمِناً أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم.

و عنه عليه السلام قال إذا أحدث العبد في غير الحرم جناية ثم فرّ إلى الحرم لم يسع لأحد أن يأخذه في الحرم و لكن يمنع من السوق و لا يباع و لا يطعم و لا يسقى و لا يكلّم فانّه إذا فعل ذلك يوشك أن يخرج فيؤخذ و إذا جنى في الحرم جناية أُقيم عليه الحدّ في الحرم.

و زاد في الكافي لأنه لم يرع للحَرَم حرمةً. و في رواية إن سرق سارق بغير مكّة أو جنى جناية على نفسه ففر إلى الحرم لم يؤخذ ما دام في الحرم حتى يخرج منه و لكن يمنع من السوق فلا يباع و لا يجالس حتى يخرج منه فيؤخذ و ان أحدث في الحرم ذلك الحدث أُخذ فيه. و في الكافي عنه عليه السلام و قد سأله سماعة عن رجل لي عليه مال فغاب عني بزمان فرأيته يطوف حول الكعبة أ فأتقاضاه مالي قال لا لا تسلّم عليه و لا تروعه حتى يخرج من الحرم.

و عنه من دفن في الحرم أَمِنَ مِنَ الفزع الأكبر من برّ الناس و فاجرهم.

و في الفقيه من مات في أحد الحرمين بعثه اللَّه من الآمنين و من مات بين الحرمين لم ينشر له ديوان و من دفن في الحرم أَمِنَ من الفزع الأكبر وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ و قرئ بكسر الحاء يعني قصده للمناسك المخصوصة. في الكافي عن الصادق عليه السلام يعني به الحج و العمرة جميعاً لأنهما مفروضان مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال الصحة في بدنه و القدرة في ماله.

و في الكافي و العياشي عنه عليه السلام أنه سئل ما السبيل قال ان يكون له ما يحج قال قلت من عرض عليه ما يحج به فاستحيا من ذلك أهو ممن يستطيع اليه سبيلًا قال نعم ما شأنه يستحيي و لو يحجّ على حمار أجدع ابتر فان كان يطيق أن يمشي بعضاً و يركب بعضاً فليحج. و في رواية يخرج و يمشي ان لم يكن عنده، قيل لا يقدر على المشي قال يمشي و يركب قيل لا يقدر على ذلك قال يخدم القوم و يخرج معهم. و في رواية أنّه سئل عن هذه الآية فقال من كان صحيحاً في بدنه مخلى سربه و له زاد و راحلة فهو ممن يستطيع الحج أو قال ممن كان له مال. و في رواية أنه عليه السلام سئل عن هذه الآية فقال ما يقول الناس، فقيل الزاد و الراحلة فقال قد سئل أبو جعفر عليه السلام عن هذا فقال هلك الناس إذاً لئن كان من كان له زاد و راحلة قدر ما يقوت به عياله و يستغني به عن الناس ينطلق اليهم فيسألهم إياه لقد هلكوا فقيل له و ما السبيل قال فقال السّعة في المال إذا كان يحج ببعض و يبقي بعضاً يقوت به عياله أليس قد فرض اللَّه الزكاة فلم يجعلها إلّا على من يملك مائتي درهم.

أقول: معنى الحديث لئن كان من كان له قدر ما يقوت به عياله فحسب وجب عليه أن ينفق ذلك في الزاد و الراحلة ثم ينطلق إلى الناس يسألهم قوت عياله لهلك الناس إذاً و ينبغي أن يحمل اختلاف الروايات على اختلاف الناس في جهات الاستطاعة و درجات التوكل و مراتب القوّة و الضعف ان الإنسان على نفسه بصيرة وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ قيل وضع كفر موضع لم يحج تأكيداً لوجوبه و تغليظاً على تاركه.

و في الفقيه و في وصية النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم لعليّ عليه السلام يا علي تارك الحج و هو مستطيع كافر قال اللَّه تعالى (وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ) يا عليّ من سوّف الحج حتى يموت بعثه اللَّه يوم القيامة يهودياً أو نصرانياً.

و في الكافي و التهذيب عن الصادق عليه السلام من مات و من لم يحج حجة الإسلام و لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحج أو سلطان يمنعه فليمت يهودياً أو نصرانياً.
و في التهذيب عنه عليه السلام في قوله تعالى وَ مَنْ كَفَرَ قال يعني من ترك. و عن الكاظم عليه السلام و قد سأله أخوه عليٌّ من لم يحج منا فقدكفر قال لا و لكن من قال ليس هذا هكذا فقدكفر.
أقول: و ذلك لأن الكفر يرجع إلى الإعتقاد دون العمل فقوله تعالى وَ مَنْ كَفَرَ أي و من لم يعتقد فرضه أو لم يبال بتركه فان عدم المبالاة يرجع إلى عدم الإعتقاد.
و العياشي عنه عليه السلام قال هوكفر النعم و قال يعني من ترك.
و روي انه لما نزل صدر الآية جمع رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أرباب الملل فخطبهم و قال ان اللَّه كتب عليكم الحج فحجّوا فآمنت به ملّة واحدة وكفرت خمس ملل فنزلت وَ مَنْ كَفَرَ قيل و قد أكّد أمر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر و إبرازه في صورة الاسمية و إيراده على وجه يفيد أنّه حق واجب للَّه تعالى في رقاب الناس و تعميم الحكم أولًا و تخصيصه فانّه كإيضاح بعد إبهام و تثنيته تكرير للمراد و تسمية ترك الحج كفراً من حيث أنه فعل الكفرة و ذلك الاستغناء في هذا الموضع مما يدل على المقت و الخذلان و قوله عَنِ الْعالَمِينَ بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم و الدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان و الإشعار بعظم السّخط لأنه تكليف شاقّ جامع بين كسر النفس و اتعاب البدن و صرف المال و التجرد عن الشهوات و الإقبال على اللَّه تعالى.
قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيات اللَّهِ أي بآياته السمعية و العقلية الدالة على صدق محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فيما يدعيه من وجوب الحج و غيره و تخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح و انهم و إن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة و الإنجيل فهم كافرون بهما وَ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما تَعْمَلُونَ و الحال أنه شهيد مطّلع على أعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف و الاستستار .
قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ كرّر الخطاب و الاستفهام مبالغة في التقريع و نفي العذر لهم و اشعاراً بأن كل واحد من الأمرين مستقبح في نفسه مستقلّ باستجلاب العقاب و سبيل اللَّه دينه الحق المأمور بسلوكه و هو الإسلام، قيل كانوا يفتنون المؤمنين و يحرّشون بينهم حتى أتوا الأوس و الخزرج فذكّروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي و التحارب ليعودوا لمثله و يحتالون لصدّهم عنه تَبْغُونَها عِوَجاً طالبين لها اعوجاجاً بأن تلبّسوا على الناس و توهّمُوا أن فيه عوجاً من الحق بمنع النسخ و تغيير صفة رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و نحوهما أو بأن يحرّشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم و يختل أمر دينهم وَ أَنْتُمْ شُهَداءُ أنها سبيل اللَّه تعالى و الصدّ عنها ضلال و إضلال أو أنتم عدول عند أهل ملّتكم يثقون بأقوالكم و يستشهدونكم في القضايا وَ مَا اللَّهُ بغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وعيد لهم و لما كان المنكر في الآية الأولى كفرهم و هم يجهرون به ختمها بقوله وَ اللَّهُ شَهِيدٌ و لما كان في هذه الآية صدّهم المؤمنين عن الإسلام وكانوا يخفونه و يحتالون فيه قال وَ مَا اللَّهُ بغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ كافِرِينَ قيل نزلت في نفر من الأوس و الخزرج كانوا جلوساً يتحدثون فمر بهم ساش بن قيس اليهودي فغاظه تألّفهم و اجتماعهم فأمر شاباً من اليهود أن يجلس اليهم و يذكّرهم يوم بغاث و ينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للأوس ففعل فتنازع القوم و تفاخروا و تغاضبوا و قالوا السلاح السلاح و اجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجّه اليهم رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و أصحابه فقال أ تدّعون الجاهلية و أنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم اللَّه بالإسلام و قطع به عنكم أمر الجاهلية و ألّف بينكم فعلوا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح و استغفروا و عانق بعضهم بعضاً و انصرفوا مع الرسول و انما خاطبهم اللَّه بنفسه بعد ما أمر الرسول بأن يخاطب أهل الكتاب اظهاراً لجلالة قدرهم و اشعاراً بأنهم هم الأحقاء بأن يخاطبهم اللَّه و يكلّمهم.

وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلى عَلَيْكُمْ آياتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ انكار و تعجب لكفرهم في حال اجتمع لهم الأسباب الدّاعية إلى الايمان الصارفة عن الكفر وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ و من يستمسك بدينه أو يلتجئ اليه في مجامع أموره فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ فقد اهتدى لا محالة.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ حقّ تقواه و ما يجب منها و هو استفراغ الوسع في القيام بالواجب و الاجتناب عن المحارم. في المعاني و العياشي سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية قال يطاع و لا يعصى و يذكر فلا ينسى و يشكر و لا يكفر.

و العياشي عنه عليه السلام أنه سئل عنها قال منسوخة قيل و ما نسخها قال قول اللَّه فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ و لا تكوننّ على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت.

و في المجمع عن الصادق عليه السلام وَ أَنْتُمْ مسلّمونَ بالتشديد و معناه مستسلمون لما أتى النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم به منقادون له.

و العياشي عن الكاظم عليه السلام أنه قال لبعض أصحابه كيف تقرأ هذه الآية يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ ما ذا قال مُسْلِمُونَ فقال سبحان اللَّه يوقع عليهم الايمان فيسمّيهم مؤمنين ثم يسألهم الإسلام و الإيمان فوق الإسلام قال هكذا يقرأ في قراءة زيد قال انّما هي في قراءة عليّ صلوات اللَّه عليه و هو التنزيل الذي نزل به جبرئيل على محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم إِلَّا وَ أَنْتُمْ مسلّمون لرسول اللَّه ثم الإمام من بعده. وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ قيل بدينه الإسلام أو لكتابه لقوله القرآن حبل اللَّه المتين استعار له الحبل و الموثوق به الاعتصام من حيث أنّ التمسّك به سبب النجاة عن الردى كما أن التمسك بالحبل الموثوق به سبب السلامة عن التردّي.

و القمّي: الحبل التوحيد و الولاية.

و العياشي عن الباقر عليه السلام آل محمد صلوات اللَّه عليهم هو بِحَبْلِ اللَّهِ المتين الذي أُمر بالاعتصام به فقال وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا.

و عن الكاظم عليه السلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بِحَبْلِ اللَّهِ المتين.

و في المعاني عن السجاد قال الإمام منّا لا يكون إلا معصوماً و ليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها و لذلك لا يكون إلا منصوصاً فقيل له يا بن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فما معنى المعصوم فقال هو المعتصم بحبل اللَّه و حبل اللَّه هو القرآن و القرآن يهدي إلى الإمام و ذلك قول اللَّه عز و جل إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ.

أقول: و مآل الكل واحد يفسره قول النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم حبلين ممدودين طرف منهما بيد اللَّه و طرف بأيديكم و انهما لن يفترقا جَمِيعاً مجتمعين عليه وَ لا تَفَرَّقُوا و لا تتفرّقوا عن الحق بإيقاع الإختلاف بينكم. و القمّي عن الباقر عليه السلام ان اللَّه تبارك و تعالى علم أنهم سيفترقون بعد نبيّهم فيختلفون فنهاهم عن التفرّق كما نهى من كان قبلهم فأمرهم أن يجتمعوا على ولاية آل محمد صلوات اللَّه عليهم و لا يتفرّقوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً في الجاهلية متقاتلين فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ بالإسلام فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً متحابين مجتمعين على الاخوة في اللَّه تعالى قيل كان الأوس و الخزرج أخوين لأبوين فوقع بين أولادهما العداوة و تطاولت الحروب مائة و عشرين سنة حتى أطفأها اللَّه تعالى بالإسلام و ألّف بينهم برسوله وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو أدرككم الموت في تلك الحالة لوقعتم في النار فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها.

في الكافي عن الصادق عليه السلام قال فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها بمحمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم هكذا و اللَّه أنزل بها جبرئيل على محمد كَذلِكَ مثل ذلك التبيين يُبَيِّنُ اللَّهُ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ارادة ثباتكم على الهدى و ازديادكم فيه.

وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ بعضكم أُمَّةٌ في المجمع قرأ الصادق عليه السلام أئمة يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر أ واجب هو على الأمة جميعاً فقال لا فقيل و لِمَ قال انما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر لا على الضَّعَفَة الذين لا يهتدون سبيلًا إلى أي من أي يقول إلى الحق من الباطل و الدليل على ذلك كتاب اللّه تعالى قوله وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فهذا خاص غير عام كما قال اللّه تعالى وَ مِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ و لم يقل على أمّة موسى و لا على كل قوم و هم يومئذ أُمم مختلفة و الأمة واحد فصاعداً كما قال اللّه سبحانه إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ يقول مطيعاً للّه و ليس على من يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج إذا كان لا قوة له و لا عدد و لا طاعة، و سئل عن الحديث الذي جاء عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم ان أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر ما معناه قال هذا على أن يأمره بعد معرفته و هو مع ذلك يقبل منه و إلّا فلا.

و عنه عليه السلام انما يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر مؤمن فيتّعظ أو جاهل فيتعلّم فاما صاحب سيف أو سوط فلا. و القمّي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال فهذه لآل محمد صلوات اللّه عليهم و من تابعهم يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

و في نهج البلاغة قال و انهوا عن المنكر و تناهوا عنه فإنما أُمرتم بالنهى بعد التناهي و قال لعن اللّه الآمرين بالمعروف التاركين له و النّاهين عن المنكر العاملين به وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ المخصُوصُون بكمال الفلاح الأحقاء به. في الكافي عن الصادق عليه السلام الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر خلقان من خلق اللّه تعالى فمن نصرهما أعزه اللّه و من خذلهما خذله اللّه.

و في التهذيب عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم أنه قال لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و تعاونوا على البر فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات و سلّط بعضهم على بعض و لم يكن لهم ناصر في الأرض و لا في السماء. و فيهما عن الباقر عليه السلام قال يكون في آخر الزمان قوم يتّبع فيهم قوم مراؤون يتقرءون و يتنسكون حدثاء سفهاء لا يوجبون أمراً بمعروف و لا نهياً عن منكر إلّا إذا أمنوا الضرر و يطلبون لأنفسهم الرّخص و المعاذير يتّبعون زلّات العلماء و فساد علمهم يقبلون على الصلاة و الصيام و ما لا يكلمهم في نفس و لا مال و لو أضرّت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم و أبدانهم لرفضوها كما رفضوا اسمى الفرائض و أشرفها ان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض هنا لك يتم غضب اللّه عليهم فيعمّهم بعقابه فيهلك الأبرار في دار الفجّار و الصغار في دار الكبار ان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر سبيل الأنبياء و منهاج الصالحين فريضة عظيمة بها تقام الفرائض و تأمن المذاهب و تحل المكاسب و ترد المظالم و تعمر الأرض و ينتصف من الأعداء و يستقيم الأمر فأنكروا بقلوبكم و الفظوا بألسنتكم و صكّوا بها جباههم و لا تخافوا في اللّه لومة لائم فإن اتّعظوا أو إلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ هنا لك فجاهدوهم بأبدانكم و أبغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً و لا باغين مالًا و لا مريدين بالظلم ظفراً حتى يفيئوا إلى أمر اللّه و يمضوا على طاعته، قال أبو جعفر عليه السلام و أوصى اللّه إلى شعيب النبي عليه السلام انّي معذب من قومك مائة الف و أربعين الفاً من شرارهم و ستين الفاً من خيارهم فقال يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار فأوحى اللّه عز و جل اليه أنهم داهنوا اهل المعاصي و لم يغضبوا لغَضَبي. وَ لا تَكُونُوا كَالَّذينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا كاليهود و النصارى اختلفوا في التوحيد و التنزيه و أحوال الآخرة مِنْ بَعْد ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ الآيات و الحجج المبيّنة للحق الموجبة للاتفاق عليه وَ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ وعيد للذين تفرقوا و تهديد على التشبّه بهم. يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ كنايتان عن ظهور بهجة السرور و كآبة الخوف فيه و قيل يوسم

أهل الحق ببياض الوجه و الصحيفة و اشراق البشرة و سعي النور بين يديه و بيمينه و أهل الباطل بأضداد ذلك فَأَمَّا الَّذينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ على ارادة القول أي فيقال لهم
أَكَفَرْتُمْ و الهمزة للتوبيخ و التعجب من حالهم.
في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام هُم أهل البدع و الأهواء و الآراء الباطلة من هذه الأمة.
و عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال و الذي نفسي بيده ليرده علي الحوض ممن صحبني حتى إذا رأيتهم اختلجوا دوني فلأقولن أصحابي أصحابي فيقال لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أعقابهم القهقهرى ذكره الثعلبي في تفسيره فَذُوقُوا الْعَذابَ أمر اهانة بما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ بسبب كفركم.
وَ أَمَّا الَّذينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ يعني الجنة أو الثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيهاً على أن المؤمن و ان استغرق عمره في طاعة اللّه لا يدخل الجنة إلا برحمته و فضله قيل كان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم و لكن قصد أن يكون مطلع الكلام و مقطعه حلية المؤمنين و ثوابهم هُمْ فِيها خالِدُونَ أخرجه مخرج الاستيناف للتأكيدكأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هُمْ فِيها خالِدُونَ.
و القمّي عن أبي ذر قال لمّا نزلت هذه الآية يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يرد عليّ أُمتي يوم القيامة على خمس رايات فراية من عجل هذه الأمة فاسألهم ما فَعَلتم بالثقلين من بعدي فيقولون أما الأكبر فحرفناه و نبذناه وراء ظهورنا و أما الأصغر فعاديناه و أبغضناه و ظلمناه فأقول ردُوا النار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم ثم يرد عليَّ راية مع فرعون هذه الأمة فأقول لهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي فيقولون أما الأكبر فحرّفناه و مزّقناه و خالفناه، و أما الأصغر فعاديناه و قاتلناه فأقول ردُوا النار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم، ثم يرد عليّ راية مع سامري هذه الأمة فأقول ما فعلتم بالثقلين من بعدي فيقولون أما الأكبر فعصيناه و تركناه و أما الأصغر فخذلناه و ضيّعناه فأقول ردُوا النار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم ثم يرد عليّ راية ذي الثدية مع أول الخوارج و آخرهم فاسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي فيقولون أمّا الأكبر فمزّقناه و برئنا منه و أما الأصغر فقاتلنا و قتلنا فأقول ردوا النار ظماء مظمئين مسودة وجوهكم، ثم يرد عليَّ راية إمام المتّقين و سيّد الوصيين و قائد الغر المحجلين و وصيّ رسول ربّ العالمين فأقول لهم ما ذا فعلتم بالثقلين من بعدي فيقولون امّا الأكبر فاتبعناه و أطعناه و أما الأصغر فأحببناه و واليناه و نصرناه حتى أهرقت فيه دماؤنا فأقول ردوا الجنة رواء مرويّين مبيضة وجوهكم ثم تلا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ الى قوله خالِدُونَ.
تِلْكَ آياتُ اللَّهِ الواردة في وعده و وعيده نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ متلبّسة بالحق لا شبهة فيها وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ إذ يستحيل الظّلم منه إذ فاعل الظلم اما جاهل بقبحه أو محتاج إلى فعله و تعالى اللّه عن الجهل و الحاجة. وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماوات وَ ما فِي الْأَرْضِ مَلِكاً و مُلكاً و خلقاً وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ فيجازي كلّا بما وعده و أوعده. كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ الكون فيها يعمّ الأزمنة غير متخصص بالماضي كقوله تعالى وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً أُخْرِجَتْ أظهرت لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَر استيناف بين به كونهم خير أمة أو خبر ثان لكنتم وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ يتضمن الإيمان بكل ما يجب أن يؤمن به لأن الإيمان به انما يحق و يعتد به إذا حصل الإيمان بكل ما أمر أن يؤمن به و انما أخره و حقه أن يقدم لأنه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر ايماناً باللّه و تصديقاً به و اظهاراً لدينه.
القمّي عن الصادق عليه السلام أنه قرأ عليه كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ فقال خير أمة يقتلون أمير المؤمنين و الحسن و الحسين ابني علي صلوات اللّه و سلامه عليهم فقال القارئ جعلت فداك كيف نزلت فقال نزلت كنتم خير أئمة أُخرجت للناس ألا ترى مدح اللّه لهم تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَر وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.
و العياشي عنه عليه السلام قال في قراءة عليّ كُنْتُمْ خَيْرَ أَئمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ قال هم آل محمد.

و عنه عليه السلام انما نزلت هذه الآية على محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فيه و في الأوصياء خاصة فقال أنتم خير أئمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ هكذا و اللَّه نزل بها جبرئيل و ما عنى بها إلا محمداً صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و أوصيائه عليهم السلام.

و عنه عليه السلام في هذه الآية قال يعني الأمة التي وجبت لها دعوة ابراهيم فهم الأمة التي بعث اللَّه فيها و منها و إليها و هم الأمة الوسطى و هم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

و في المناقب عن الباقر عليه السلام أنتم خير أمة بالألف نزل بها جبرائيل و ما عنى بها إلا محمداً صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و عليّاً و الأوصياء من ولده عليهم السلام وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ كعبد اللَّه بن سلام و أصحابه وَ أَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ المتمردون في الكفر.

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً ضرراً يسيراً كطعن و تهديد وَ إِنْ يُقاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبارَ و ينهزموا و لا يضروكم بقتل و أسر ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ ثم لا يكون أحد ينصرهم عليكم أو يدفع بأسكم عنهم وكان الأمركذلك.

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على أهله و الذلة هدر النفس و المال و الأهل أو ذلة التمسك بالباطل و الجزية أَيْنَ ما ثُقِفُوا وجدوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ.

العياشي عن الصادق عليه السلام قال الحبل من اللَّه كتاب اللَّه و الحبل من الناس علي بن أبي طالب صلوات اللَّه عليه وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ رجعوا به مستوجبين له.

وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ.

في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام و اللَّه ما قتلوهم بأيديهم و لا ضربوهم بأسيافهم و لكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها و قتلوا فصار قتلًا و اعتداءً و معصية قيل التقييد بغير حق مع أنه كذلك في نفس الأمر للدلالة على أنه لم يكن حقاً بحسب اعتقادهم أيضاً.

لَيْسُوا يعني أهل الكتاب سَواءً في دينهم مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ على الحق و هم الذين أسلموا منهم يَتْلُونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ يعني يتلونها في تهجدهم.

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وصفهم بصفات ليس في اليهود فإنهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون باللَّه ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات وَ أُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ.

وَ ما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ فلن يضيع و لا ينقص ثوابه و قرئ بالياء فيهما سمّي ذلك كفراناً كما سمي توفية الثواب شكراً.

في العلل عن الصادق عليه السلام إن المؤمن مكفّر و ذلك أن معروفه يصعد إلى اللَّه فلا ينتشر في الناس و الكافر مشكور و ذلك أن معروفه للناس ينتشر في الناس و لا يصعد إلى السماء وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ بشارة لهم و اشعار بأن التقوى مبدأ الخير و حسن العمل.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ.

مثل ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ برد شديدصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم بالكفر و المعصيةأَهْلَكَتْهُ عقوبة لهم شبه ما أنفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته برد شديد من سخط اللَّه فاستأصلته و لم يبق لهم فيه منفعة في الدنيا و لا في الآخرة ما ظَلَمَهُمُ اللَّهُ أي المنفقين بضياع نفقاتهم لكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ لما لم ينفقوها بحيث يعتدّ بها.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بطانَةً وليجة و هو الذي يعرفه الرجل أسراره ثقةً به شبه ببطانة الثوب كما يشبه بالشعار مِنْ دُونِكُمْ من دون المسلمين لا يَأْلُونَكُمْ خَبالًا لا يقصرون لكم في الفساد وَدُّوا ما عَنِتُّمْ تمنوا عنتكم

و هو شدة الضرر قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ أي من كلامهم لأنهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم وَ ما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ممّا بدا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ.

ها أَنْتُمْ أُولاءِ الخاطئون في موالاة الكفار تُحِبُّونَهُمْ وَ لا يُحِبُّونَكُمْ وَ تُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ بجنس الكتاب كُلِّهِ كتابكم وكتابهم و غيرهما و المعنى أنهم لا يحبونكم و الحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضاً فما بالكم تحبونهم و هم لا يؤمنون بكتابكم و فيه توبيخ بأنهم في باطنهم أصلب منكم في حقكم وَ إِذا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا نفاقاً و تغريراً وَ إِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ تأسّفاً و تحسّراً حيث رأوا ائتلافكم و اجتماع كلمتكم و لم يجدوا إلى التشفي سبيلًا قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ دعا عليهم بدوام الغيظ إلى أن يموتوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ من خير أو شر فيعلم غيظهم و حنقهم و أخفى ما يخفونه و هو اما من جملة القول أو مستأنف.

إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ نعمة من الفة أو ظفر على الأعداء تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ محنة من فرقة أو اصابة عدو منكم يَفْرَحُوا بِها بيان لتناهي عداوتهم وَ إِنْ تَصْبِرُوا على عداوتهم وَ تَتَّقُوا موالاتهم و مخالطتهم لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً لما وعد اللَّه الصابرين و المتقين بالحفظ و قرئ بكسر الضاد و جزم الراء إِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ.

وَ إِذْ غَدَوْتَ و اذكر إذ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ تهيئ لهم مَقاعِدَ لِلْقِتالِ مواقف و أماكن له وَ اللَّهُ سَمِيعٌ لأقوالكم عَلِيمٌ بنياتكم.

القمّي عن الصادق عليه السلام قال سبب نزول هذه الآية أن قريشاً خرجت من مكة تريد حرب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فخرج رسول اللَّه يبتغي موضعاً للقتال.

و في المجمع عن القمي عنه عليه السلام قال سبب غزوة أُحد أن قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة قد أصابهم ما أصابهم من القتل و الأسر لأنهم قتل منهم سبعون و أسر منهم سبعون قال أبو سفيان يا معشر قريش لا تدعوا نسائكم يبكين على قتلاكم فان الدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن و العداوة لمحمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فلما غزا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم يوم أُحد أذنوا لنسائهم بالبكاء و النوح و خرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس و ألفي راجل و أخرجوا معهم النساء فلما بلغ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم ذلك جمع أصحابه و حثهم على الجهاد فقال عبد اللَّه بن أُبي يا رسول اللَّه لا تخرج من المدينة حتّى نقاتل في أزقتها فيقاتل الرجل الضعيف و المرأة و العبد و الأمة على أفواه السكك و على السطوح فما أرادنا قوم قط نظروا بنا و نحن في حصوننا و دورنا و ما خرجنا على عدو لنا قط إلا كان لهم الظفر علينا فقام سعد بن معاذ و غيره من الأوس فقال يا رسول اللَّه ما طمع فينا أحد من العرب و نحن مشركون نعبد الأصنام فكيف يظفرون بنا و أنت فينا، لا حتى نخرج اليهم و نقاتلهم فمن قتل منا كان شهيداً و من نجا منا كان مجاهداً في سبيل اللَّه فقبل رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم رأيه و خرج مع نفر من أصحابه يتبوءون موضع القتال كما قال سبحانه وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ الآية.

و قعد عنه عبد اللَّه بن أُبي و جماعة من الخزرج اتّبعوا رأيه و وافت قريش إلى أُحد وكان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم عبّأ أصحابه وكانوا سبعمائة رجل فوضع عبد اللَّه بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب و أشفق أن يأتيهم كمينهم من ذلك المكان فقال صلّى اللَّه عليه و آله و سلم لعبد اللَّه بن جبير و أصحابه ان رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان و ان رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا و الزموا مراكزكم و وضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً و قال له إذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا وراءهم، و عبّأ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أصحابه و دفع الراية إلى أمير المؤمنين عليه السلام فحمل الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة و وقع أصحاب رسول اللَّه في سوادهم و انحط خالد بن الوليد في مائتي فارس على عبد اللَّه بن جبير فاستقبلوهم بالسهام فرجع و نظر أصحاب عبد اللَّه بن جبير إلى أصحاب رسول اللَّه صلّى

اللَّه عليه و آله و سلم ينهبون سواد القوم فقالوا لعبد اللَّه بن جبير قد غنم أصحابنا و نبقى نحن بلا غنيمة فقال لهم عبد اللَّه اتقوا اللَّه فان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم قد تقدم إلينا أن لا نبرح فلم يقبلوا منه و اقبلوا ينسل رجل فرجل حتى أخلوا مراكزهم و بقي عبد اللَّه بن جبير في اثني عشر رجلًا وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني عبد الدار فقتله عليّ عليه السلام فأخذ الراية ابو سعيد بن أبي طلحة فقتله عليّ و سقطت الراية فأخذها مسافح بن طلحة فقتله حتى قتل تسعة من بني عبد الدار حتى صار لواؤهم إلى عبد لهم أسود يقال له صواب فانتهى اليه عليّ فقطع يده فأخذ الراية باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعتنقها بالجذماوين إلى صدره ثم التفت إلى أبي سفيان فقال هل أعذرت في بني عبد الدار فضربه عليّ عليه السلام على رأسه فقتله فسقط اللواء فأخذتها عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعتها و انحط خالد بن الوليد على عبد اللَّه بن جبير و قد فر أصحابه و بقي في نفر قليل فقتلهم على باب الشعب ثم أتى المسلمين من أدبارهم و نظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت فلاذوا بها و انهزم أصحاب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم هزيمة عظيمة و أقبلوا يصعدون في الجبال و في كل وجه فلما رأى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم الهزيمة كشف البيضة عن رأسه و قال إليّ أنا رسول اللَّه إليّ أين تفرّون عن اللَّه و عن رسوله قال وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر وكلما انهزم رجل من قريش دفعت اليه ميلًا و مكحلة و قالت انما أنت امرأة فاكتحل بهذا وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا و لم يثبت له أحد وكانت هند قد أعطت وحشياً عهداً لئن قتلت محمداً صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أو عليّاً أو حمزة صلوات اللَّه عليهم لأعطينك كذا وكذا وكان وحشي عبداً لجبير بن مطعم حبشياً فقال وحشي أما محمد فلا أقدر عليه و أما علي فرأيته حذراً كثير الالتفات فلا مطمع فيه فكمن لحمزة قال فرأيته يهذ الناس هذّاً فمرّ بي فوطى على جرف نهر فسقط فأخذت حربتي فهززتها و رميته فوقعت في خاصرته و خرجت من الثنية فسقط فأتيته فشققت بطنه فأخذت كبده و جئت به إلى هند فقلت هذه كبد حمزة فأخذتها في فمها فلاكتها فجعلها اللَّه في فمها مثل الداعضة و هي عظم رأس الركبة فلفظتها و رمت بها، قال رسول اللَّه فبعث اللَّه ملكاً فحمله و رده إلى موضعه قال فجاءت اليه فقطعت مذاكيره و قطعت أُذنيه و قطعت يده و رجله و لم يبق مع رسول اللَّه إلا أبو دجانة سماك بن خرشة و عليّ فكلما حملت طائفة على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم استقبلهم عليّ فدفعهم عنه حتّى انقطع سيفه فدفع اليه رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم سيفه ذا الفقار و انحاز رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم إلى ناحية أُحد فوقف وكان القتال من وجه واحد فلم يزل عليّ يقاتلهم حتى أصابه في وجهه و رأسه و يديه و بطنه و رجليه سبعون جراحة: قال فقال جبرائيل إن هذا لهي المواساة يا محمد فقال له انه مني و أنا منه، قال الصادق عليه السلام نظر رسول اللَّه إلى جبرائيل بين السماء و الأرض على كرسي من ذهب و هو يقول لا سيف الا ذو الفقار و لا فتى إلا علي.

و روي أن سبب انهزامه نداء إبليس فيهم أن محمداً صلّى اللَّه عليه و آله و سلم قد قتل وكان النبي، في زحام الناس وكانوا لا يرونه.

و انما نزل و أنتم ضعفاء.

و العياشي عنه و قرئ عنده أبو بصير الآية فقال مه ليس هكذا أنزلها اللَّه انما أنزلت و أنتم قليل و في رواية ما أذل اللَّه رسوله قط و انما أُنزلت و أنتم قليل.

و في غير واحد من الأخبار المعصومية أن عدتهم كانت ثلاث مائة و ثلاثة عشر فَاتَّقُوا اللَّهَ في الثبات لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ما أنعم به عليكم.

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ و قرئ مشدّدة الزاي.

بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ أي المشركون مِنْ فَوْرِهِمْ هذا من ساعتهم هـذه يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ في حال إتيانهم بلا تراخ مُسَوِّمِينَ معلّمين من التسويم بمعنى اظهار سيماء الشيء و قرئ بكسر الواو.

و العياشي عن الباقر عليه السلام كانت على الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر.

و عنه عليه السلام أن الملائكة الذين نصروا محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم يوم بدر ما صعدوا بعد و لا يصعدون حتى ينصروا صاحب هذا الأمر و هم خمسة آلاف.

وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ و ما جعل إمدادكم من الملائكة إِلَّا بُشْرى لَكُمْ إلا بشارة لكم بالنصر وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ و لتسكن اليه من الخوف وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لا من العُدة و العِدة و فيه تنبيه على أنه لا حاجة إلى مدد و انما أمدهم و وعد لهم بشارة لهم و ربطاً على قلوبهم من حيث أن نظر العامة إلى الأسباب أكثر و حثاً على أن لا يبالوا بمن تأخر عنهم الْعَزِيزِ الذي لا يغالب في أقضيته الْحَكِيمِ الذي ينصر و يخذل على مقتضى الحكمة و المصلحة.

لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا نصركم لينتقض منهم بقتل بعض و أسر بعض و هو ما كان يوم بدر من قتل سبعين و أسر سبعين من صناديدهم كما مرت الإشارة اليه و يأتي تمام القصة في سورة الأنفال إن شاء اللّه أَوْ يَكْبِتَهُمْ أو يخزيهم و الكبت شدة غيض أو وهن يقع في القلب أو للتنويع فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ فينهزموا منقطعي الآمال.

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ اعتراض أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إن اسلموا أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ان أصروا فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ قد استحقوا العذاب بظلمهم.

العياشي عن الباقر عليه السلام أنه قرأ أن تتوب عليهم أو تعذبهم بالتاء فيهما.

و عنه عليه السلام أنه و قرئ عنده لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ قال بلى و اللّه ان له من الأمر شيئاً و شيئاً و شيئاً و ليس حيث ذهبت و لكني أخبرك ان اللّه تعالى لما أخبر نبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أن يظهر ولاية علي ففكر في عداوة قومه له فيما فضله اللّه به عليهم في جميع خصاله و حسدهم له عليها ضاق عن ذلك فأخبر اللّه أنه ليس له من هذا الأمر شيء انما الأمر فيه إلى اللّه أن يصيّر علياً عليه السلام وصيه و ولي الأمر بعده و هذا عنى اللّه وكيف لا يكون له من الأمر شيء و قد فوض اللّه اليه ان جعل ما أحل فهو حلال و ما حرم فهو حرام قوله ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.

و عنه عليه السلام أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم كان حريصاً على أن يكون عليّ عليه السلام من بعده على الناس وكان عند اللّه خلاف ما أراد فقال له لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ يا محمد في علي الأمر إليّ في علي و في غيره ألم أنزل عليك يا محمد فيما أنزل من كتابي اليك الم أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ الآيات قال ففوض رسول اللّه الأمر اليه.

أقول: معنى قوله أن يكون علي من بعده على الناس أن يكون خليفة له عليهم في الظاهر أيضاً من غير دافع له. و عنه عليه السلام أنه قرأ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ و روى العامة أن عتبة بن أبي وقاص شجه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه و هو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وَ أَعْلَمَهُ أن كثيراً منهم سيؤمنون.

وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ خلقاً و ملكاً فله الأمركله يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. في المجمع قيل انما أبهم اللّه الأمر في التعذيب و المغفرة ليقف المكلف بين الخوف و الرجاء و يلتفت إلى هذا قول الصادق عليه السلام لو وزن رجاء المؤمن و خوفه لاعتدلا.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً قيل كان الرجل منهم يربي إلى أجل ثم يزيد فيه إلى آخر حتى يستغرق بقليله مال المديون و قرأ مضعفة بتشديد العين وَ اتَّقُوا اللَّهَ فيما نهيتم عنه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ رجاء فلا حكم. وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ بالتجنب عن مثال أفعالهم.

وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ بطاعتهما لعل و عسى في أمثال ذلك دليل عزة التوصل إليها.
وَ سارِعُوا و قرأ سارعوا بلا واو و بادروا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ إلى أسباب المغفرة.
في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام إلى أداء الفرائض وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ.
العياشي عن الصادق عليه السلام إذا وضعوهما كذا و بسط يديه إحداهما مع الأخرى.
و في المجمع عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أنه سئل إذا كانت الجنة عرضها السموات و الأرض فأين تكون النار فقال سبحان اللَّه إذا جاء النهار فأين الليل قال صاحب المجمع هذه معارضة فيها إسقاط المسألة لأن القادر على أن يذهب بالليل حيث يشاء قادر على أن يخلق النار حيث يشاء.
أقول: و السر فيه أن أحد الدارين لكل انسان انما يكون مكان الاخرى بدلًا عنها كما في الليل و النهار أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. في الخصال عن أمير المؤمنين صلوات اللَّه عليه فإنكم لن تنالوها الا بالتقوى.
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ في حالتي الرخاء و الشدّة يعني ينفقون في أحوالهم كلها ما تيسر لهم من قليل أو كثير وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ الممسكين عليه الكافين عن إمضائه.
في الكافي عن الصادق عليه السلام من كظم غيظاً و لو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ اللَّه قلبه يوم القيامة رضاً وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ فيه.
عنه عليه السلام قال قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم عليكم بالعفو فان العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فتعافوا يعزكم اللَّه وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. في المجمع روي أن جارية لعلي بن الحسين جعلت تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلاة فسقط الإبريق من يدها فشجه فرفع رأسه اليها فقالت له الجارية ان اللَّه تعالى يقول وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ فقال لها كظمت غيظي قالت وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ قال عفا اللَّه عنك قالت وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ قال اذهبي فأنت حرة لوجه اللَّه.
وَ الَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً سيئة بالغة في القبح كالزنا أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بأن أذنبوا ذنباً أعظم من الزنا ذَكَرُوا اللَّهَ تذكروا وعيده أو حقه العظيم فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ بالندم و التوبة وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين و المراد به وصفه بسعة الرحمة و عموم المغفرة و الحث على الاستغفار و الوعد بقبول التوبة وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا أو لم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين.
في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال الإصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر اللَّه و لا يحدث نفسه بتوبة فذلك الإصرار.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام قال و اللَّه ما خرج عبد من ذنب إلا بإصرار و ما خرج عبد من ذنب إلا بالإقرار. و عنه عليه السلام لا صغيرة مع الإصرار و لا كبيرة مع الاستغفار، و روي عن النبي ما أصر من استغفر و ان عاد في اليوم سبعين مرة وَ هُمْ يَعْلَمُونَ يعني و لم يصروا على قبيح فِعلهم عالمين به.
أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ المغفرة و الجنات. في المجالس عن الصادق عليه السلام قال لما نزلت هذه الآية صعد إبليس جبلًا فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا اليه فقالوا يا سيدنا لما دعوتنا قال نزلت هذه الآية فمن لها فقام عفريت من الشياطين فقال أنا لها بكذا وكذا قال لست لها فقام آخر فقال مثل ذلك فقال لست لها فقال الوسواس الخناس أنا لها قال بما ذا قال أعدهم و أمنيهم حتى يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار فقال أنت لها فوكله بها إلى يوم القيامة.
و عن عبد الرحمن بن غنم الدوسي قال دخل معاذ فقال يا رسول اللَّه ان بالباب شاباً طريّ الجسد نقي اللون حسن الصورة يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدخول عليك فقال النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم ادخل عليّ الشاب يا معاذ فأدخله عليه فسلم فرده ثم قال ما يبكيك يا شاب قال كيف لا أبكي و قد ركبت ذنوباً أن أخذني اللَّه عز و جل ببعضها أدخلني نار جهنم و لا أراني إلّا سيأخذني بها و لا يغفر لي أبداً

فقال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم هل أشركت باللّٰه شيئاً قال أعوذ باللّٰه أن أشرك بربي شيئاً قال أقتلت النفس التي حرم اللّٰه قال لا فقال النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم يغفر اللّٰه لك ذنوبك و ان كانت مثل الجبال الرواسي قال الشاب فإنها أعظم من الجبال الرواسي فقال النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم يغفر اللّٰه لك ذنوبك و إن كانت مثل الأراضي السبع و بحارها و رمالها و أشجارها و ما فيها من الخلق قال الشاب فإنها أعظم من الأرضين السبع و بحارها و رمالها و أشجارها و ما فيها من الخلق فقال النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم يغفر اللّٰه لك ذنوبك و إن كانت ذنوبك مثل السموات و نجومها و مثل العرش و الكرسي قال فإنها أعظم من ذلك قال فنظر النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم كهيئة الغضبان ثم قال ويحك يا شاب ذنوبك أعظم أو ربك فخرج الشاب لوجه و هو يقول سبحان ربي ما من شيء أعظم من ربي ربي أعظم يا نبي اللّٰه من كل عظيم فقال النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فهل يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم قال الشاب لا و اللّٰه يا رسول اللّٰه ثم سكت الشاب فقال له النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم ويحك يا شاب ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك قال بلى أخبرك اني كنت أنبش القبور سبع سنين أخرج الأموات و انزع الأكفان فماتت جارية من بعض بنات الأنصار فلما حملت إلى قبرها و دفنت و انصرف عنها أهلها و جن عليهم الليل أتيت قبرها فنبشتها ثم استخرجتها و نزعت ما كان عليها من أكفانها و تركتها مجردة على شفير قبرها و مضيت منصرفاً فأتاني الشيطان فأقبل يزينها لي و يقول أما ترى بطنها و بياضها أما ترى وركيها فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعت إليها و لم أملك نفسي حتى جامعتها و تركتها مكانها فإذا أنا بصوت من ورائي يقول يا شاب ويل لك من ديان يوم الدين يوم يقفني و إياك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى و نزعتني من حفيرتي و سلبتني أكفاني و تركتني أقوم جنبة إلى حسابي لشبابك من النار فما أظن أني أشم ريح الجنة أبداً يا رسول اللّٰه فما ترى لي فقال النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم تنح عني يا فاسق اني أخاف أن أحترق بنارك فما أقربك من النار ثم لم يزل صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم يقول و يشير اليه حتى أمعن من بين يديه فذهب فأتى المدينة فتزود منها ثم أتى بعض جبالها فتعبد فيها و لبس مسحاً و غل يديه جميعاً إلى عنقه و نادى يا رب هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول يا رب أنت الذي تعرفني و زل مني ما تعلم سيدي يا رب إني أصبحت من النادمين و أتيت نبيك تائباً فطردني و زادني خوفاً فأَسألك باسمك و جلالك و عظم سلطانك أن لا تخيب رجائي سيدي و لا تبطل دعائي و لا تقنّطني من رحمتك فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً و ليلة تبكي له السباع و الوحوش فلما تمت له أربعون يوماً و ليلة رفع يديه إلى السماء و قال أللهم ما فعلتَ في حاجتي ان كنت استجبت دعائي و غفرت لي خطيئتي فأوح إلى نبيك و ان لم تستجب دعائي و لم تغفر لي خطيئتي و أردت عقوبتي فعجل بنار تحرقني أو عقوبة في الدنيا تهلكني و خلصني من فضيحة يوم القيامة فأنزل اللّٰه تعالى على نبيه وَ الَّذينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً يعني الزنا أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ يعني بارتكاب ذنب أعظم من الزنا و هو نبش القبور و أخذ الأكفان ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ يقول خافوا اللّٰه فعجلوا التوبة وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ يقول اللّٰه تعالى أتاك عبدي يا محمد تائباً فطردته فأين يذهب و إلى من يقصد و من يسأل أن يغفر له ذنبه غيري، ثم قال تعالى وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ يقول لم يقيموا على الزنا و نبش القبور و أخذ الأكفان أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فِيها وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ فلما نزلت هذه الآية على رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم خرج و هو يتلوها و يبتسم فقال لأصحابه من يدلني على هذا الشاب التائب فقال معاذ يا رسول اللّٰه بلغنا أنه في موضع كذا وكذا فمضى رسول اللّٰه بأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا اليه يطلبون الشاب فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين مغلولة يداه إلى عنقه قد اسود وجهه و تساقطت أشفار عينيه من البكاء و هو يقول سيدي قد أحسنت خلقي و أحسنت صورتي فليت شعري ما ذا تريد بي أفي النار تحرقني أو في جوارك تسكنني أللهم انك قد أكثرت الإحسان إلي فأنعمت عليّ فليت شعري ما ذا يكون آخر أمري إلى الجنة تزفني أم إلى النار تسوقني أللهم ان خطيئتي أعظم من السموات و

الأرض و من كرسيك الواسع و عرشك العظيم فليت شعري تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة فلم يزل يقول نحو هذا و هو يبكي و يحثو التراب على رأسه و قد أحاطت به السباع و صفّت فوقه الطير و هم يبكون لبكائه فدنا منه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فأطلق يديه من عنقه و نفض التراب عن رأسه و قال يا بهلول ابشر يا بهلول فإنك عتيق اللّه من النار ثم قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم لأصحابه هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول ثم تلا عليه ما أنزل اللّه عز و جل فيه و بشره بالجنة.

ألمها و قرأ بهما حيث وقع فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ يعني ان أصابوا منكم فقد أصبتم منهم وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ أوقات النصر و الغلبة نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة و لهؤلاء أخرى كما قيل فيوماً علينا و يوماً لنا و يوماً نُساء و يوماً نُسر وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا نداولها ليكون كيت وكيت و من المصالح و ليتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف و يعلم اللّه ذلك حين يشاهده الناس كما يعلمه من قبل و من بعد وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ و يكرم أناساً منكم بالشهادة وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ اعتراض فيه تنبيه على أنه لا ينصرهم على الحقيقة و انما يديل لهم أحياناً استدراجاً لهم و ابتلاء للمؤمنين. وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ليطهرهم و يصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم وَ يَمْحَقَ الْكافِرِينَ و يهلكهم ان كانت عليهم و المحق نقص الشيء قليلًا قليلًا. أَمْ حَسِبْتُمْ بل أ حسبتم يعني لا تحسبوا أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ و لما يجاهد من يجاهد و يصبر من يصبر منكم.

العياشي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال ان اللّه هو أعلم بما هو مكونه قبل أن يكونه و هم ذر و علم من يجاهد ممن لا يجاهد كما أنه يميت خلقه قبل أن يميتهم و لم يرهم موتهم و هم أحياء.

وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ بالشهادة مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ من قبل أن تشاهدوه و تعرفوا شدته فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ معاينين له حين قتل دونكم من قتل من إخوانكم. القمي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية أن المؤمنين لما أخبرهم اللّه تعالى بالذي فعل بشهدائهم يوم بدر في منازلهم في الجنة رغبوا في ذلك فقالوا اللهم أرنا قتالًا نستشهد فيه فأراهم اللّه يوم أُحد إياه فلم يثبتوا إلا من شاء اللّه منهم فذلك قوله وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ الآية. وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ فيخلو كما خلوا بالموت أو القتل أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ انكار لارتدادهم و انقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله و بقاء دينهم متمسكاً به.

العياشي عن الباقر عليه الصلاة و السلام أنه سئل عمن قتل أمات قال لا الموت موت و القتل قتل قيل ما أحد يقتل إلا و قد مات قال قول اللّه أصدق من قولك و فرق بينهما في القرآن قال أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ و قال لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ و ليس كما قلت الموت موت و القتل قتل قيل فان اللّه يقول كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ قال من قتل لم يذق الموت ثم قال لا بد من أن يرجع حتى يذوق الموت و يأتي حديث آخر في هذا المعنى في أواخر هذه السورة ان شاء اللّه.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام قال لما انهزم الناس يوم أُحد عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم انصرف اليهم بوجهه و هو يقول أنا محمد انا رسول اللّه لم أقتل و لم امت فالتفت اليه فلان و فلان و قالا الآن يسخر بنا أيضاً و قد هزمنا و بقي معه علي عليه السلام و سماك بن خرشة أبو دجانة «ره» فدعاه النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقال يا أبا دجانة انصرف و أنت في حل من بيعتك فأما عليّ عليه السلام فهو أنا و أنا هو فتحول و جلس بين يدي النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم و بكى و قال لا و اللّه و رفع رأسه إلى السماء و قال لا و اللّه لا جعلت نفسي في حل من بيعتي إني بايعتك فالى من انصرف يا رسول اللّه إلى زوجة تموت أو ولد يموت أو دار تخرب أو مال يفنى و أجل قد اقترب فرق له النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم فلم يزل يقاتل حتى أثخنته الجراحة و هو في وجه و عليّ عليه السلام في وجه فلما اسقط احتمله علي عليه السلام فجاء به الى النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم فوضعه عنده فقال يا رسول اللّه أوفيت بيعتي قال نعم و

قال له النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم خيراً و كان الناس يحملون على النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم الميمنة فيكشفهم عليّ فإذا كشفهم أقبلت الميسرة إلى النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم فلم يزل كذلك حتى تقطع سيفه بثلاث قطع فجاء إلى النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم فطرحه بين يديه و قال هذا سيفي قد تقطع فيومئذ أعطاه النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم ذا الفقار و لما رأى النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم اختلاج ساقيه من كثرة القتال رفع رأسه الى السماء و هو يبكي و قال يا رب وعدتني أن تظهر دينك و ان شئت لم يعيك فاقبل علي عليه السلام إلى النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقال يا رسول اللّه أسمع دوياً شديداً و اسمع أقدم حيزوم و ما أهم اضرب أحداً الا سقط ميتاً قبل أن اضربه فقال هذا جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل في الملائكة ثم جاء جبرئيل عليه السلام فوقف إلى جنب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقال يا محمد ان هذه لهي المواساة فقال النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم ان علياً مني و أنا منه فقال جبرئيل عليه السلام و أنا منكما ثم انهزم الناس فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لعلي يا علي امض بسيفك حتى تعارضهم فإن رأيتهم ركبوا القلاص و جنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة و ان رأيتهم قد ركبوا الخيل و هم يجنبون القلاص فإنهم يريدون المدينة فأتاهم علي عليه السلام فكانوا على القلاص فقال أبو سفيان لعليّ عليه السلام ما تريد هو ذا نحن ذاهبون إلى مكة فانصرف إلى صاحبك فاتبعهم جبرئيل فكلما سمعوا وقع حافر فرسه جدوا في السير و كان يتلوهم فإذا ارتحلوا قالوا هوذا عسكر محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم قد أقبل فدخل أبو سفيان مكة فأخبرهم الخبر و جاء الرعاة و الحطابون فدخلوا مكة فقالوا رأينا عسكر محمد كلما رحل أبو سفيان نزلوا يقدمهم فارس على فرس أشقر يطلب آثارهم فأقبل أهل مكة على أبي سفيان يوبخونه ثم رحل النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الراية مع علي عليه السلام و هو بين يديه فلما أن أشرف بالراية من العقبة وراء الناس نادى علي عليه السلام أيها الناس هذا محمد لم يمت و لم يقتل فقال صاحب الكلام الذي قال الآن يسخر بنا و قد هزمنا هذا علي و الراية بيده حتى هجم عليهم النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم و نساء الأنصار في أفنيتهم و على أبواب دورهم و خرج الرجال اليه يلوذون به و يتوبون اليه و النساء نساء الأنصار قد خدشن الوجوه و نشرن الشعور و جززن النواصي و خرقن الجيوب و خرمن البطون على النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم فلما رأينه قال لهن خيراً و أمرهن أن يتسترن و يدخلن منازلهن و قال ان اللّه وعدني أن يظهر دينه على الأديان كلها و أنزل اللّه على محمد (وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ) الآية وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً بارتداده بل يضر نفسه وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ كأمير المؤمنين عليه السلام و من يحذو حذوه.

في الاحتجاج في خطبة الغدير: معاشر الناس أنذركم إني رسول اللّه إليكم قد خلت من قبلي الرسل أ فإن مت أو قتلت انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ، الا و ان علياً هو الموصوف بالصبر و الشكر ثم من بعدي ولدي من صلبه.

و في الكافي في خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين عليه السلام حتى إذا دعا اللّه نبيه و رفعه اليه لم يك ذلك بعده الا كلمحة من خفقه أو وميض من برقة إلى أن رجعوا على الأعقاب و انتكصوا على الأدبار و طلبوا بالأوتار و أظهروا الكتائب و ردموا الباب و فلوا الديار و غيروا آثار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و رغبوا عن أحكامه و بعدوا من أنواره و استبدلوا بمستخلفه بديلًا اتخذوه و كانوا ظالمين و زعموا أن من اختاروا من آل أبي قحافة اولى بمقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ممن اختاره الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم لمقامه و ان مهاجر آل أبي قحافة خير من مهاجري الأنصار.

و العياشي عن الباقر عليه الصلاة و السلام قال كان الناس أهل ردة بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم إلا ثلاثة قيل و من الثلاثة قال المقداد و أبو ذر و سلمان الفارسي رحمهم اللّه ثم عرف أناس بعد يسير فقال هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا و أبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين عليه السلام مكرهاً فبايع و ذلك

قول اللَّه وَ ما مُحَمَّدٌ الآية. و عن الصادق عليه السلام أ تدرون مات النبي أو قتل ان اللَّه يقول أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ ثم قال انهما سقتاه قبل الموت يعني الامرأتين.
وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ إلّا بمشيته أو باذنه لملك الموت في قبض روحها لا تستأخر ساعة بالاحجام عن القتال و لا تستقدم بالإقدام عليه و فيه تحريض و تشجيع على القتال كتاباً كتب الموت كِتاباً مُؤَجَّلًا مؤقتاً لا يتأخر و لا يتقدم وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها تعريض بمن شغلته الغنائم يوم أُحد وَ مَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها من ثوابها وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ الذين شكروا نعمة اللَّه فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.
في المجمع عن الباقر عليه السلام أنه أصاب علياً عليه السلام يوم أُحد ستون جراحة و أن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أمر أم سليم و أم عطية ان تداوياه فقالتا انا لا نعالج منه مكاناً إلا انفتق مكان و قد خفنا عليه و دخل رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و المسلمون يعودونه و هو قرحة واحدة فجعل يمسحه بيده و يقول ان رجلًا لقي هذا في اللَّه فقد ابلى و أعذر فكان القرح الذي يمسحه رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم يلتئم فقال علي عليه السلام الحمد للَّه إذ لم أفر و لم أُول الدبر فشكر اللَّه له ذلك في موضعين من القرآن و هو قوله وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ. وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ و كم من نبي و قرئ كائن ككاعن قاتَلَ مَعَهُ حارب و قرئ قتل بضم القاف رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ قيل أي علماء فقهاء صبّر و قيل المجموع.
و في المجمع عن الباقر عليه السلام الربيون عشرة آلاف.
و العياشي عن الصادق عليه السلام أنه قرأ وَ كَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ قال ألوف و ألوف ثم قال أي و اللَّه يقتلون فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فما فتروا و لم ينكسر جدهم من قتل من قتل منهم وَ ما ضَعُفُوا في الدين و عن العدو وَ مَا اسْتَكانُوا و ما خضعوا للعدو و هو تعريض بما أصابهم عند الإرجاف بقتله صلّى اللَّه عليه و آله و سلم.
في المجمع عن الباقر عليه السلام بين اللَّه سبحانه أنه لو كان قتل صلّى اللَّه عليه و آله و سلم كما أرجف بذلك يوم أُحد لما أوجب ذلك أن يضعفوا و يهنوا كما لم يهن من كان مع الأنبياء بقتلهم وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ فينصرهم في العاقبة و يعظم قدرهم.
وَ ما كانَ قَوْلَهُمْ مع ثباتهم و قوتهم في الدين وكونهم ربانيين إِلَّا أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ إِسْرافَنا فِي أَمْرِنا وَ ثَبِّتْ أَقْدامَنا وَ انْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ أضافوا الذنوب و الإسراف إلى أنفسهم هضماً لها و اضافة لما أصابهم إلى سوء أعمالهم و استغفروا عنها ثم طلبوا التثبيت في مواطن الحرب و النصر على العدو ليكون على خضوع و طهارة فيكون أقرب إلى الإجابة.
فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْيا وَ حُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَةِ فأتاهم اللَّه بسبب الاستغفار و اللجأ إلى اللَّه النصر و الغنيمة و حسن الذكر في الدنيا و الجنة و النعيم في الآخرة و خص ثواب الآخرة بالحسن اشعاراً بفضله و أنه لمعتد به عند اللَّه وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ في أقوالهم و أفعالهم.
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ.
في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام نزلت في المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أُحد عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم و ارجعوا إلى دينهم. بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ ناصركم و قرئ بالنصب بمعنى بل أطيعوا اللَّه وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ فاستغنوا به عن ولاية غيره و نصره. سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ و قرئ بضمتين قيل و هو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أُحد حتى تركوا القتال و رجعوا من غير سبب.
في المجمع عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم نصرت بالرعب مسيرة شهر بِما أَشْرَكُوا بِاللَّهِ بسبب اشراكهم به ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً أي آلهة ليس على اشراكها حجة نازلة من اللَّه عليهم و المراد نفي الحجة و نزولها جميعاً وَ مَأْواهُمُ النَّارُ وَ بِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ أي مثواهم وضع الظاهر موضع الضمير للتغليظ و التعليل.

وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ايّاكم بالنصر بشرط التقوى و الصبر و كان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم و الباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا و المسلمون على آثارهم إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ أي تقتلونهم بإذن اللّه بمعنى القتل على الاستيصال و أصله الاحساس من أحسه إذا أبطل حسه حَتَّى إذا فَشِلْتُمْ جبنتم و ضعف رأيكم بالميل إلى الغنيمة وَ تَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ يعني اختلاف الرماة حين انهزام المشركين فقال بعضهم فما موقفنا هاهنا و قال آخرون لا نخالف أمر الرسول فثبت مكانه أميرهم في نفر يسير و نفر الباقون للنهب وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْد ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ من الظفر و الغنيمة و انهزام العدو و جواب إذا محذوف و هو امتحنكم مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا و هم التاركون المركز لحيازة الغنيمة.

القمي يعني أصحاب عبد اللّه بن جبير الذين تركوا مراكزهم و مروا للغنيمة وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ و هم الثابتون محافظة على أمر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

القمّي يعني عبد اللّه بن جبير و أصحابه الذين بقوا حتى قتلوا ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ كفكم عنهم حين غلبوكم لِيَبْتَلِيَكُمْ على المصائب و يمتحن ثباتكم على الإيمان عندها وَ لَقَدْ عَفا عَنْكُمْ تفضلًا و لما علم من ندمكم على المخالفة وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ يتفضل عليهم بالعفو و غيره في الأحوال كلها سواء أديل لهم أو عليهم إذ الابتلاء أيضاً رحمة.

إِذْ تُصْعِدُونَ متعلق ب صَرَفَكُمْ و الإصعاد الذهاب و الإبعاد في الأرض وَ لا تَلْوُونَ عَلى أَحَد لا يقف أحد لأحد و لا ينتظره وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ كان يقول إلى عباد اللّه يا عباد اللّه ارجعوا أنا رسول اللّه الى أين تفرون عن اللّه و عن رسوله و في رواية من يكر فله الجنّة فِي أُخْراكُمْ في ساقتكم و جماعتكم الأخرى فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ فجازاكم اللّه عن قتلكم و عصيانكم غمّاً متصلًا بغمّ. القمّي عن الباقر عليه السلام فأما الغم الأول فالهزيمة و القتل و الغم الآخر فاشراف خالد بن الوليد عليهم لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ من الغنيمة وَ لا عَلَى ما أَصابَكُمْ من قتل إخوانكم وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بما تَعْمَلُونَ.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ يعني الهزيمة أَمَنَةً نُعاساً أمناً حتى أخذكم النعاس يَغْشى طائِفَةً مِنْكُمْ و قرئ بالتاء و هم المؤمنون حقاً روي أنهم غشيتهم النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط على يد أحدهم ثم يسقط فيأخذه وَ طائِفَةٌ هم المنافقون قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ أوقعتهم أنفسهم في الهموم إذ ما بهم الأهم أنفسهم و طلب خلاصها يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ يظنون أن أمر محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم مضمحل و أنه لا ينصر ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ ظن أهل الملة الجاهلية أي الكفار يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ من النصر و الظفر نصيب قط كما وعدنا أو في تدبير أنفسنا و تصريفها اختيار يقولون ذلك على سبيل الإنكار قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ الغلبة الحقيقية للّه تعالى و أوليائه فان حزب اللّه هم الغالبون أو النصر و الشهادة و القضاء كله للّه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و قرئ كله بالرفع يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ يظهرون انهم مسترشدون طالبون للنصر و يبطنون الإنكار و التكذيب يَقُولُونَ في أَنْفُسِهِمْ و إذا خلا بعضهم إلى بعض لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ لو كان النصر لنا و الإختيار إلينا ما قُتِلْنا هاهُنا لم نبرح من المدينة بل أقمنا فيها كما كان رأي ابن أُبَي و غيره فما غلبنا و ما قتل من قتل منّا في هذه المعركة قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ لخرج الّذين قدر اللّه عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ إِلى مَضاجِعِهِمْ إلى مصارعهم و لم ينفع الإقامة بالمدينة و لم ينج من القتل أحد لأن ما قدر اللّه من الأمور و دبرها في سابق قضائه لا دافع له إذ لا معقب لقضائه و لا مانع لحكمه وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ما فِي صُدُورِكُمْ و ليمتحن اللّه ما في صدوركم و يظهر سرائرها من الإخلاص و النفاق فعل ما فعل وَ لِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ و ليكشفه و يميزه وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ عليم بخفياتها قبل إظهارها و فيه وعد و وعيد و تنبيه على أنه غني عن الابتلاء و انما فعل ذلك لتمرين المؤمنين و اظهار حال المنافقين. إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ انهزموا يوم أُحد و الجمعان جمع المسلمين و

جمع المشركين إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ حملهم على الزلة بِبَعْضِ ما كَسَبُوا من معصيتهم النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم بترك المركز و الحرص على الغنيمة و غير ذلك فمنعوا التأييد و قوة القلب.
العياشي عن الصادق عليه السلام قال هم أصحاب العقبة وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ لتوبتهم و اعتذارهم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ للذنوب حَلِيمٌ لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب.
يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا يعني المنافقين وَ قالُوا لِإِخْوانِهِمْ لأجلهم و فيهم إِذا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ إذا سافروا فيها فماتوا أَوْ كانُوا غُزًّى أي غازين فقتلوا لَوْ كانُوا عِنْدَنا ما ماتُوا وَ ما قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ اللام للعاقبة مثلها في لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً وَ اللَّهُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ رد لقولهم أي هو المحيي و المميت لا الاقامة و السفر فانه تعالى قد يحيي المسافر و الغازي و يميت المقيم و القاعد وَ اللَّهُ بما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم و على قراءة الياء وعيد للذين كفروا.
وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ في سبيله و قرئ بكسر الميم لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ و قرئ بالتاء أُقيم جواب القسم مقام الجزاء و المعنى ان السفر و الغزاة ليسا مما يجلب الموت أو يقدم الأجل و ان وقع ذلك في سبيل اللّه فما تنالون من المغفرة و الرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا و ما فيها و منافعها لو لم تموتوا أو لم تقتلوا. وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ على أي وجه اتفق لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ في جميع الأحوال.
في المعاني و العياشي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية أن سبيل اللّه علي و ذريته من قتل في ولايته قتل في سبيل اللّه و من مات في ولايته مات في سبيل اللّه و قد سبق حديث في الفرق بين الموت و القتل عند تفسير قوله أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ من هذه السورة.
فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ما مزيدة للتأكيد بلغ لينه إلى أن اغتم لهم بعد أن خالفوه وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا سيّء الخلق جافياً غَلِيظَ الْقَلْبِ قاسيه لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ لتفرقوا عنك و لم يسكنوا اليك فَاعْفُ عَنْهُمْ فيما يختص بك وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ فيما للّه وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ في أمر الحرب و غيره مما يصح أن يشاور فيه استظهاراً برأيهم و تطييباً لنفوسهم و تمهيداً لسنة المشاورة للامة. عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم لا وحدة أوحش من العجب و لا مظاهرة أوثق من المشاورة. و في نهج البلاغة من استبد برأيه هلك و من شاور الرجال شاركها في عقولها، و فيه الاستشارة عين الهداية و قد خاطر من استغنى برأيه. و في الخصال عن الصادق عليه السلام وَ شاوِرْهُمْ في أمرك الذين يخشون اللّه.
و العياشي كتب الجواد إلى علي بن مهزيار ان سل فلاناً أن يشير علي و يتخير لنفسه فهو يعلم ما يجوز في بلده وكيف يعامل السلاطين فان المشاورة مباركة قال اللّه تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلم في محكم كتابه و تلا هذه الآية قال وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ يعني الاستخارة فَإِذا عَزَمْتَ فإذا وطّنت نفسك على شيء بعد الشورى فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ في إمضاء أمرك على ما هو أصلح لك فانه لا يعلمه سواه، و روت العامة عن الصادق عليه السلام فَإِذا عَزَمْتَ بضم التاء اي فإذا عزمت لك و وفقتك و أرشدتك إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ فينصرهم و يهديهم إلى الصلاح.إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ كما نصركم يوم بدر فَلا غالِبَ لَكُمْ فلا أحد يغلبكم وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ كما خذلكم يوم أُحد فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ لا ناصر لكم من بعد اللّه إذا جاوزتموه و من بعد خذلانه وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ فليخصوه بالتوكل لما آمنوا به و علموا أن لا ناصر سواه.
وَ ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ و ما صح لنبي أن يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة و الغلول أخذ الشيء من المغنم في خفية، و قرئ بضم الياء و فتح الغين أي ينسب إلى الخيانة.
القمّي نزلت في حرب بدر وكان سبب نزولها أنه كان في الغنيمة التي أصابوها يوم بدر قطيفة حمراء ففقدت فقال رجل من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ما لنا لا نرى القطيفة ما أظن إلا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أخذها فأنزل اللّه في ذلك هذه الآية فجاء رجل إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

و سلم فقال ان فلاناً غل قطيفة فاحفرها هنالك فأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أن يحفر ذلك الموضع فأخرج القطيفة.
في المجالس عن الصادق عليه السلام ان رضاء الناس لا يملك و ألسنتهم لا تضبط ألم ينسبوه يوم بدر إلى أنه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء حتى أظهره اللّه على القطيفة و برّأ نبيه من الخيانة و انزل في كتابه وَ ما كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ الآية وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يحمله على عنقه.
و القمّي عن الباقر عليه السلام و من غلّ شيئاً رآه يوم القيامة في النار ثم يكلف أن يدخل اليه فيخرجه من النار ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ تعطى جزاء ما كسبت وافياً عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ لا ينقص ثواب مطيعهم و لا يزاد في عقاب عاصيهم.
أَ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللَّهِ بالطاعة كَمَنْ باءَ رجع بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ بالمعصية وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ.
هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ قيل ذو درجات او شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت.
في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام الذين اتبعوا رضوان اللّه هم الأئمة و هم و اللّه درجات عند اللّه للمؤمنين و بولايتهم و معرفتهم إيانا يضاعف اللّه لهم أعمالهم و يرفع اللّه لهم الدرجات العلى.
و زاد العياشي و الذين باؤوا بسخط من اللّه هم الذين جحدوا حق علي و حق الأئمة منا أهل البيت صلوات اللّه عليهم فباؤوا لذلك بسخط من اللّه.
و عن الرضا عليه الصلاة و السلام الدرجة ما بين السماء و الأرض وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ فيجازيهم على حسبها. لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أنعم اللّه عليهم إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ عربياً مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ أي القرآن بعد ما كانوا جهالًا لم يسمعوا الوحي وَ يُزَكِّيهِمْ يطهرهم من سوء العقائد و الأخلاق و الأعمال وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ القرآن و السنة وَ إِنْ كانُوا و انه كانوا مِنْ قَبْلُ من قبل بعثه لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ظاهراً. أَ وَ لَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها الهمزة للتقريع و التقرير.
العياشي عن الصادق عليه السلام كان المسلمون قد أصابوا ببدر مائة و أربعين رجلًا قتلوا سبعين رجلًا و أسروا سبعين فلما كان يوم أُحد أصيب من المسلمين سبعون رجلًا فاغتموا لذلك فنزلت قُلْتُمْ أَنَّى هذا من أين هذا أصابنا و قد وعدنا اللّه النصر قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ باختياركم الفداء يوم بدر وكذا عن أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه رواه في المجمع.
القمّي وكان الحكم في الأسارى يوم بدر القتل فقامت الأنصار فقالوا يا رسول اللّه هبهم لنا و لا تقتلهم حتى نفاديهم فنزل جبرائيل فقال أن اللّه قد أباح لهم الفداء أن يأخذوا من هؤلاء القوم و يطلقوهم على أن يستشهد منهم في عام قابل بعدد من يأخذون منه فداء فأخبرهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم بهذا الشرط فقالوا قد رضينا به نأخذ العام الفداء من هؤلاء و نتقوى به و يقتل منا في عام قابل بعدد من نأخذ منه الفداء و ندخل الجنة فأخذوا منهم الفداء و أطلقوهم فلما كان يوم أُحد قتل من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم سبعون فقالوا يا رسول اللّه ما هذا الذي أصابنا و قدكنت تعدنا النصر فأنزل اللّه أَ وَ لَمَّا أَصابَتْكُمْ الآية هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ أي بما اشترطتم يوم بدر و يأتي تمام قصة بدر في سورة الانفال إن شاء اللّه تعالى إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على النصر و منعه و على أن يصيب بكم و يصيب منكم.
وَ ما أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ يعني يوم أُحد فَبِإِذْنِ اللَّهِ فهو كائن بقضائه تخلية الكفار وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ.
وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا و ليتميز الفريقان بظهور ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وَ قِيلَ لَهُمْ أي للمنافقين تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا عن الأنفس و الأموال أو بتكثير السواد قالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتالًا لَاتَّبَعْناكُمْ قالوه دغلا و استهزاء لزعمهم أن ما يفعلونه ليس بقتال بل إلقاء بالأنفس إلى التهلكة هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمانِ كما يظهر من كلامهم هذا يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ يظهرون خلاف ما يضمرون وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ من النفاق و ما يخلو به بعضهم إلى بعض فانه يعلمه مفصلًا بعلم واجب و أنتم انما تعلمونه مجملًا

بأمارات. في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام في كلامه و من ضعف يقينه تعلق بالأسباب رخص لنفسه بذلك و اتبع العادات و أقاويل الناس بغير حقيقته و السعي في أمور الدنيا و جمعها و إمساكها يقر باللسان أنه لا مانع و لا معطى إلا اللَّه و أن العبد لا يصيب إلا ما رزق و قسم به و الجهد لا يزيد في الرزق و ينكر ذلك بفعله و قلبه قال اللَّه تعالى يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بما يَكْتُمُونَ.
الَّذِينَ قالُوا وصف آخر لهم لِإِخْوانِهِمْ لأجلهم و فيهم يريد من قتل منهم يوم أُحد وَ قَعَدُوا حالكونهم قاعدين عن القتال لَوْ أَطاعُونا في القعود ما قُتِلُوا كما لم نقتل قُلْ فَادْرَؤُا فادفعوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ انكم تقدرون على دفع القتل و أسبابه عمّن كتب عليه فانه احرى بكم و المعنى انّ القعود غير مغن فانّ اسباب الموت كثيرة وكما انّ القتال يكون سبباً للهلاك و القعود سبباً للنجاة قد يكون الامر بالعكس
وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا و قرئ بالتشديد فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً نزلت في شهداء بدر واحد معاً كذا في المجمع عن الباقر عليه السلام و تشمل كل من قتل في سبيل من سبل اللَّه عز و جل سواء كان قتله بالجهاد الأصغر و بذل النفس طلباً لرضاء اللَّه او بالجهاد الأكبر وكسر النفس و قمع الهوى بالرياضة بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذوو قرب منه يُرْزَقُونَ من الجنّة.
فَرِحِينَ بما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ و هو شرف الشهادة و الفوز بالحياة الابدية و القرب من اللّه تعالى و التمتّع بنعيم الجنّة وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ من إخوانهم المؤمنين الذين تركوهم و لم ينالوا درجاتهم بعد أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ اى يستبشرون بانّهم آمنون لا خوف عليهم و لا هم يحزنون.
العياشي عن الباقر عليه السلام قال اتى رجل رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله فقال انّى راغب نشيط في الجهاد قال مُجاهد في سبيل اللَّه فإنك ان تقتل كنت حيّاً عند اللّه ترزق و ان متّ فقد وقع أجرك على اللّه و ان رجعت خرجت من الذنوب الى اللَّه هذا تفسير وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً الاية.
و في الكافي عنه عليه السلام قال هم و اللَّه شيعتنا حين صارت أرواحهم في الجنّة و استقبلوا الكرامة من اللّه عز و جل علموا و استيقنوا انهم كانوا على الحق و على دين اللَّه عز و جل فاستبشروا بمن لم يلحقوا بهم من إخوانهم من خلفهم من المؤمنين. و عن الصادق عليه السلام انه قيل له يروون انّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش فقال لا المؤمن أكرم على اللَّه من أن يجعل روحه في حواصل طير و لكن في أبدان كأبدانهم و قد مضى في حديث آخر في هذا المعنى في سورة البقرة عند قوله تعالى: وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ.
يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ و هي أمنهم ثواباً لأعمالهم وَ فَضْلٍ و هي الزيادة عليه كقوله تعالى لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ و تنكيرهما للتعظيم وَ أَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ من جملة المستبشر به بكسر و قرئ الهمزة على الاستيناف.
الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ.
القمّي إن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم لما دخل المدينة من وقعة أُحد نزل عليه جبرئيل فقال يا محمد ان اللَّه يأمرك أن تخرج في أثر القوم و لا يخرج معك إلا من به جراحة فأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم منادياً ينادي يا معشر المهاجرين و الأنصار من كانت به جراحة فليخرج به و من لم يكن به جراحة فليقم فأقبلوا يضمدون جراحاتهم و يداوونها فخرجوا على ما بهم من الألم و الجراح فلما بلغ رسول اللَّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم حمراء الأسد و قريش قد نزلت الروحاء قال عكرمة بن أبي جهل و الحارث بن هشام و عمرو بن العاص و خالد بن الوليد نرجع و نغير على المدينة قد قتلنا سراتهم وكبشهم يعنون حمزة فوافاهم رجل خرج من المدينة فسألوه الخبر فقال تركت محمداً و أصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم جد الطلب فقال أبو سفيان هذا النكد و البغي فقد ظفرنا بالقوم و بغينا و اللَّه ما أفلح قوم قط بغوا فوافاهم نعيم بن مسعود الأشجعي فقال أبو سفيان أين تريد قال المدينة لامتار لأهلي طعاماً قال هل لك أن تمر بحمراء الأسد و تلقى

أصحاب محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و تعلمهم أن حلفاءنا و موالينا قد وافونا أتونا من الأحابيش حتى يرجعوا عنا و لك عندي عشرة قلائص املأها تمراً و زبيباً قال نعم فوافى من غد ذلك اليوم حمراء الأسد فقال لأصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أين تريدون قالوا قريشاً قال ارجعوا ان قريشاً قد اجتمعت اليهم حلفاؤهم و من كان تخلف عنهم و ما أظن إلا و أوائل خيلهم يطلعون عليكم الساعة ف قالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ ما نبالي فنزل جبرئيل على رسول اللّه فقال ارجع يا محمد فان اللّه قد ارعب قريشاً و مروا لا يلوون على شيء فرجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم إلى المدينة و أنزل اللّه الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ الآيات.

الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ يعني نعيم بن مسعود الأشجعي كذا في المجمع عنهما عليهما السلام إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ يعني أبا سفيان أصحابه فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَ قالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ.

في المجمع عن الباقر عليه السلام أنها نزلت في غزوة بدر الصغرى و ذلك أن أبا سفيان قال يوم أُحد حين أراد أن ينصرف يا محمد موعدنا بيننا و بينك موسم بدر الصغرى القابل إن شئت فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ذلك بيننا و بينك فلما كان عام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم القى اللّه عليه الرعب فبدا له في الرجوع نلقي نعيم بن مسعود الأشجعي و قد قدم معتمراً فقال له أبو سفيان اني و أعدت محمداً أن نلتقي موسم بدر الصغرى و ان هذه عام جدب و لا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر و نشرب فيه اللبن و قد بدا لي أن لا أخرج اليها و أكره أن يخرج محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و لا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جرأةً فالحق بالمدينة فثبطهم و لك عندي عشرة من الإبل أضعها على يد سهيل بن عمرو فأتى نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبي سفيان فقال بئس الرأي رأيكم أتوكم في دياركم و قراركم فلم يفلت منكم إلا شريد فتريدون أن تخرجوا و قد جمعوا لكم عند الموسم فو اللّه لا يفلت منكم أحد فكره أصحاب رسول اللّه الخروج فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الذي نفسي بيده لأخرجن و لو وحدي فأما الجبان فانه رجع و أما الشجاع فانه تأهب للقتال و قال حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ فخرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم في أصحابه حتى وافى بدر الصغرى و هو ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية أيام فأقام ببدر ينتظر أبا سفيان و قد انصرف أبو سفيان من مجنة إلى مكة فسماهم أهل مكة جيش السويق و يقولون انما خرجتم تشربون السويق و لم يلق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أصحابه أحداً من المشركين ببدر و وافوا السوق وكانت لهم تجارات فباعوا و أصابت الدرهم درهمين و انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين.

فَانْقَلَبُوا فرجعوا من بدر بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ عافية و ثبات على الإيمان و زيادة فيه وَ فَضْلٍ و ربح في التجارة لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ من جراحة وكيد عدو وَ اتَّبَعُوا رِضْوانَ اللَّهِ بجرأتهم و خروجهم وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ قد تفضل عليهم بالتثبيت و زيادة الإيمان و التوفيق للمبادرة إلى الجهاد و التصلب في الدين و اظهار الجرأة على العدو و بالحفظ عن كل ما يسوؤهم و اصابة النفع مع ضمان الأجر حتى انقلبوا بنعمة منه و فضل و فيه تحسير و تخطئة للتخلف حيث حرم نفسه ما فازوا به.

إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يعني به المثبط و هو نعيم يُخَوِّفُ أَوْلِياءَهُ القاعدين عن الخروج مع الرسول فَلا تَخافُوهُمْ وَ خافُونِ في مخالفة أمري إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فان الإيمان يقتضي إيثار خوف اللّه على خوف الناس.

الْقِيامَةِ سيلزمون و باله الزام الطوق.

في الكافي عن الباقر و الصادق عليهما السلام ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل اللّه ذلك يوم القيامة ثعباناً من نّار مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب و هو قول اللّه تعالى سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ يعني ما بخلوا به من الزكاة.

و عن الصادق عليه السلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ما من ذي زكاة مال نخل أو زرع أو كرم يمنح زكاة ماله إلا قلده اللّه تربة أرضه يطوق بها من سبع أرضين إلى يوم القيامة وَ لِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و له ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله و لا ينفقونه في سبيل اللّه وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ من المنع و الإعطاء خَبِيرٌ فيجازيهم و قرئ بالياء على الالتفات و هو أبلغ في الوعيد.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ قاله اليهود لما سمعوا مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً كذا قيل. و القمّي قال و اللّه ما رأوا اللّه فيعلموا أنه فقير و لكنهم رأوا أولياء اللّه فقراء فقالوا لوكان غنياً لأغنى أولياءه ففخروا على اللّه بالغنى.

و في المناقب عن الباقر عليه السلام هم الذين يزعمون أن الإمام يحتاج إلى ما يحملونه اليه سَنَكْتُبُ ما قالُوا في صحائف الكتبة و نحفظه في علمنا لا نهمله لأنه كلمة عظيمة إذ هوكفر باللّه و استهزاء به وَ قَتْلَهُمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ. في الكافي عن الصادق عليه السلام أَمَا و اللّه ما قتلوهم بأسيافهم و لكن أذاعوا أمرهم و أفشوا عليهم فقتلوا و قرئ سيكتب بالياء و ضمها و قتلهم بالرفع وَ نَقُولُ و قرئ بالياء ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ و ننتقم منهم بهذا القول.

ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ بل إنما يعذب بمقتضى العدل ان عذب و لم يتفضل.

الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنا أمرنا في التوراة و أوصَانا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ حتى تأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لأنبياء بني إسرائيل و هو أن يقرب بقربان و هو ما يتقرب به إلى اللّه من ذبيحة أو غيرها فيقوم النبي عليه السلام فيدعو فتنزل نار من السماء فتحرق قربان من قبل منه و هذا من مفترياتهم و أباطيلهم لأن هذه انما توجب الإيمان لكونها معجزة فهي و سائر المعجزات سواء في ذلك قُلْ قَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّناتِ وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ تكذيب و الزام بأن رسلًا جاؤوهم قبله كزكريا و يحيى بمعجزات أُخر موجبة للتصديق و بما اقترحوه فقتلوهم فلوكان الموجب للتصديق هو الإتيان به وكان امتناعهم عن الإيمان لأجله فما لهم لا يؤمنون بمن جاء به في معجزات أُخر و اجترءوا على قتله. في الكافي عن الصادق عليه السلام قال كان بين القائلين و القاتلين خمسمائة عام فألزمهم اللّه القتل لرضاهم بما فعلوا و مثله العياشي في عدة روايات.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جاؤُ بِالْبَيِّناتِ المعجزات وَ الزُّبُرِ الحكم و المواعظ الزواجر وَ الْكِتابِ الْمُنِيرِ المشتمل على الشرائع و الأحكام و قرئ و بالزبر. كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وعد و وعيد للمصدق و المكذب. العياشي عن الباقر عليه السلام من قتل لم يذق الموت ثم قال لا بد من أن يرجع حتى يذوق الموت. و عنه عليه السلام من قتل ينشر حتى يموت و من مات ينشر حتى يقتل و قد مضى الحديث الأول بتمامه عند تفسير قوله تعالى أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ من هذه السورة.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه قال يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحد ثم يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت و حملة العرش و جبرئيل و ميكائيل قال فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي اللّه عز و جل فيقال له من بقي و هو أعلم فيقول يا رب لم يبق إلا ملك الموت و حملة العرش و جبرئيل و ميكائيل فيقال له قل لجبرئيل و ميكائيل فليموتا فيقول الملائكة عند ذلك يا رب رسولاك و اميناك فيقول إني قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي اللّه عز و جل فيقال له من بقي و هو أعلم فيقول يا رب لم يبق إلا ملك الموت و حملة العرش فيقول قل لحملة العرش فليموتوا ثم قال يجيء كئيباً حزيناً لا يرفع طرفه فيقال له من بقي و هو أعلم فيقول يا رب لم يبق إلا ملك الموت فيقال له مت يا ملك الموت فيموت ثم يأخذ الأرض بيمينه و يقول أين الذين كانوا يدعون معي شريكاً أين الذين كانوا يجعلون معي إلهاً آخر وَ إِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ تعطون جزاء أعمالكم خيراً كان أو شراً

تاماً وافياً يَوْمَ الْقِيامَةِ يوم قيامكم عن القبور و قد يكون قبلها بعض الأجوركما يدل عليه أخبار ثواب القبر و عذابه فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّار بوعد عنها وَ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ ظفر بالنجاة و نيل المراد.

في المجالس عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم حاكياً عن اللَّه عز و جل في حديث فبعزتي حلفت و بجلالي أقسمت أنه لا يتولي عليّاً عبد من عبادي إلا زحزحته عن النار و أدخلته الجنة و لا يبغضه أحد من عبادي إلا أبغضته و أدخلته النار و بئس المصير.

و في الكافي عن الصادق خياركم سمحاؤكم و شراركم بخلاؤكم و من خالص الإيمان البر بالإخوان و السعي في حوائجهم و ان البار بالإخوان ليحببه الرحمن و في ذلك مرغمة الشيطان و تزحزح عن النيران و دخول الجنان وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا أي زخارفها و فضولها إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ مصدر أو جمع غار.

و لَتُبْلَوُنَّ أي و اللَّه لتختبرن فِي أَمْوالِكُمْ بتكليف الإنفاق و ما يصيبه من الآفات وَ أَنْفُسِكُمْ بالجهاد و القتل و الأسر و الجراح و ما يرد عليها من المخاوف و الأمراض و المتاعب. في العلل عن الرضا عليه السلام فِي أَمْوالِكُمْ بإخراج الزكاة و في أنفسكم بالتوطين على الصبر وَ لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراًمن هجاء الرسول و الطعن في الدين و إغراء الكفرة على المسلمين و غير ذلك أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر و الاحتمال و يستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها بغتة وَ إِنْ تَصْبِرُوا على ذلك وَ تَتَّقُوا مخالفة أمر اللَّه فَإِنَّ ذلِكَ يعني الصبر و التقوى مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ مما يجب ثبات الرأي عليه نحو إمضائه. وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ اذكر وقت أخذه مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ.

القمّي عن الباقر عليه السلام يعني في محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لا تَكْتُمُونَهُ قال إذا خرج و قرئ بالياء فيهما فَنَبَذُوهُ أي الميثاق وَراءَ ظُهُورِهِمْ فلم يراعوه و لم يلتفتوا اليه و النبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد و عدم الالتفات و يقابله جعله نصب عينيه وَ اشْتَرَوْا بِهِ أخذوا بدله ثَمَناً قَلِيلًا من حطام الدنيا و اعراضها فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ. في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام ما أخذ اللَّه على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا. و في الاحتجاج عنه عليه السلام في حديث يذكر فيه أن أعداء رسول اللَّه الملحدين في آيات اللَّه تأويل لهذه الآية و قد سبق ذكره في المقدمة السادسة.

و القمّي عن الباقر عليه السلام ببعيد مِنَ الْعَذابِ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بكفرهم و تدليسهم.

وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فهو يملك أمرهم وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على عقابهم.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ لدلائل واضحة على التوحيد وكمال علمه سبحانه و حكمته و نفاذ قدرته و مشيته لذوي العقول الخالصة عن شوائب الحس و الوهم.

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ في جميع الأحوال و على جميع الهيئات قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ.

عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر اللَّه.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام قال قال رسول اللَّه من أكثر ذكر اللَّه تعالى أحبه اللَّه.

و فيه و العياشي عن الباقر عليه السلام في قوله الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً، قال الصحيح يصلي قائماً و المريض يصلي جالساً و على جنوبهم الذي يكون أضعف من المريض الذي يصلي جالساً.

و في الأمالي و العياشي عنه عليه السلام لا يزال المؤمن في صلاة ما كان في ذكر اللَّه قائماً أو جالساً أو مضطجعاً ان اللَّه يقول الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و يعتبرون بهما. في الكافي عن الصادق عليه السلام أفضل العبادات إدمان التفكر في اللَّه و في قدرته. و عنه قال كان أمير المؤمنين يقول نبه في التفكر قلبك و جاف عن الليل جنبك و اتق اللَّه ربك.

و عن الرضا عليه السلام ليس العبادة كثرة الصلاة و الصوم انما العبادة التفكر في أمر اللَّه.

و عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم تفكر ساعة خير من قيام ليلة، و في رواية من عبادة سنة، و في أخرى ستين سنة و انما اختلف لاختلاف مراتب التفكر و درجات المتفكرين و أنواع المتفكر فيه رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا

الخلق باطِلًا عبثاً ضائعاً من غير حكمة يعني يقولون ذلك سُبْحانَكَ تنزيهاً لك من العبث و خلق الباطل و هو اعتراض فَقِنا عَذابَ النَّار للاخلاف بالنظر فيه و القيام بما يقتضيه.
رَبَّنا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن ظلمهم صار سبباً لإدخالهم النار و انقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها.
العياشي عن الباقر عليه السلام ما لهم من أئمة يسمونهم بأسمائهم.
رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادياً هو الرسول و قيل القرآن يُنادي لِلْإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا كبائرنا فإنها ذات تبعات و أذناب وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا صغائرنا فإنها مستقبحة و لكنها مكفرة عن مجتنب الكبائر وَ تَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم.
رَبَّنا وَ آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ أي على ألسنتهم و انما سألوا ما وعدوا مع أنه لا يخلف اللَّه وعده تعبداً و استكانة و مخافة أن يكونوا مقصرين في الامتثال وَ لا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ بأن تعصمنا عما يقتضي الخزي إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ باثابة المؤمن و اجابة الداعي و تكرير رَبَّنا للمبالغة في الابتهال و الدلالة على استقلال المطالب و علو شأنها، روي من حزنه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه اللَّه مما يخاف.
في المجمع عن النبي لما أنزلت هذه الآية قال ويل لمن لاكها بين فكيه و لم يتأمل ما فيها.
فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ إلى طلبهم أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ لأنّ الذكر من الأنثى و الأنثى من الذكر أو لأنهما من أصل واحد أو لفرط الاتصال و الاتحاد و لاتفاقهم في الدين و الطاعة و هو اعتراض روي أن أم سلمة قالت يا رسول اللَّه ما بال الرجال يذكرون في الهجرة دون النساء فأنزل اللَّه فَالَّذِينَ هاجَرُوا الأوطان و العشائر للدين وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي بسبب إيمانهم باللَّهِ و من أجله وَ قاتَلُوا الكفار وَ قُتِلُوا في الجهاد و قرئ بتقديم و قتلوا و بتشديد تائها لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ.
في الأمالي أن أمير المؤمنين عليه السلام لما هاجر من مكة إلى المدينة ليلحق بالنبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و قد قارع الفرسان من قريش و معه فاطمة بنت أسد و فاطمة بنت رسول اللَّه و فاطمة بنت الزبير فسار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان فلزم بها يوماً و ليلة و لحق به نفر من ضعفاء المؤمنين و فيهم ام أيمن مولاة رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم وكان يصلي ليلة تلك هو و الفواطم و يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ فلن يزالوا كذلك حتى طلع الفجر فصلى بهم صلاة الفجر ثم سار لوجهه فجعل و هن يصنعون كذلك منزلاً بعد منزل يعبدون اللَّه عز و جل و يرغبون اليه كذلك حتى قدموا المدينة و قد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً الآيات. قوله مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى الذكر عليّ و الأنثى الفواطم بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ يعني علي من فاطمة أو قال الفواطم و هن من علي.
و القمّي فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ يعني أمير المؤمنين عليه السلام و سلمان و أبا ذر حين أُخرج و عمار الذين أوذوا في سبيل اللَّه.
أقول: و تشمل الآيات كل من اتصف بهذه الصفات.
لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ تبسّطهم في مكاسبهم و متاجرهم و مزارعهم و سعتهم في عيشهم و حظهم الخطاب لكل أحد أو للنبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و المراد أمته. روي أن بعض المسلمين كانوا يرون المشركين في رخاءٍ و لين عيش فيقولون ان أعداء اللَّه فيما نرى من الخير و قد هلكنا من الجوع فنزلت.
مَتاعٌ قَلِيلٌ ذلك التقلب متاع قصير مدته يسير في جنب ما أعد اللَّه تعالى للمؤمنين.
و في الحديث النبوي: ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمِهادُ ما مهدوا لأنفسهم.

لكِنِ الَّذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فِيها نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ النـزل ما يعد للنازل من طعام و شراب وصلة وَ ما عِنْدَ اللَّهِ لكثرته و دوامه خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ مما يتقلب فيه الفجار لقلته و سرعة زواله و امتزاجه بالآلام. وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ خاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا كما فعله المحترفون من أحبارهم أُولئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ و يؤتون أجرهم مرتين كما وعده في آية أُخرى إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ لعلمه بالأعمال و ما يستوجبه كل عامل من الجزاء فيسرع في الجزاء و يوصل الأجر الموعود سريعاً. يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اصْبِرُوا على الفرائض وَ صابِرُوا على المصائب وَ رابِطُوا على الأئمة. كذا في الكافي عن الصادق عليه السلام و القمي عنه عليه السلام اصْبِرُوا على المصائب وَ صابِرُوا على الفرائض وَ رابِطُوا على الأئمة. و العياشي عنه اصْبِرُوا على المعاصي وَ صابِرُوا على الفرائض، و في رواية اصْبِرُوا على دينكم وَ صابِرُوا عدوكم ممن يخالفكم وَ رابِطُوا إمامكم.

و عن الباقر عليه السلام وَ صابِرُوا على التقية.

و في المعاني عن الصادق عليه السلام اصْبِرُوا على المصائب وَ صابِرُوا هم على الفتنة وَ رابِطُوا على من تقتدون به وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. العياشي عن الصادق عليه السلام يعني فيما أمركم به و افترض عليكم.

و القمي عن السجاد عليه السلام نزلت الآية في العباس و فينا و لم يكن الرباط الذي أمرنا به و سيكون ذلك من نسلنا المرابط و من نسله المرابط. و في المجمع عن أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه رابِطُوا الصلوات قال أي انتظروها واحدة بعد واحدة لأن المرابطة لم تكن حينئذ.

و عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة و قد سبق ثواب قراءة هذه السورة في آخر البقرة.

سورة النساء

(مدنية كلها و عدد آيها مائة و سبع و سبعون آية) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ هي آدم على نبينا و عليه الصلاة و السلام وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها هي حواء.

القمي برأها من أسفل أضلاعه وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَ نِساءً بنين و بنات كثيرة و رتب الامر بالتقوى على ذلك لما فيه من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى و النعمة الظاهرة التي توجب طاعة مولاها. العياشي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال خلقت حواء من قصيري جنب آدم و القصير هو الضلع الأصغر فأبدل اللَّه مكانه لحماً و في رواية خلقت حواء من جنب آدم و هو راقد.

و عن الصادق عليه السلام أن اللَّه خلق آدم من الماء و الطين فهمة ابن آدم في الماء و الطين و ان اللّه خلق حواء من آدم فهمة النساء بالرجال فحصنوهن في البيوت.

و في الفقيه و العلل عنه عليه السلام أنه سئل عن خلق حواء و قيل له أن أناساً عندنا يقولون ان اللَّه عز و جل خلق حواء من ضلع آدم اليسرى الأقصى قال سبحان اللَّه تعالى عن ذلك علواً كبيراً، يقول من يقول هذا ان اللَّه تبارك و تعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه و يجعل للمتكلم من أهل التشنيع سبيلًا إلى الكلام يقول ان آدم كان ينكح بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعه ما لهؤلاء حكم اللَّه بيننا و بينهم ثم قال ان اللَّه تبارك و تعالى لما خلق آدم من طين و أمر الملائكة فسجدوا له القى عليه السبات ثم ابتدع له حواء فجعلها في موضع النقرة التي بين وركيه و ذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل فأقبلت تتحرك فانتبه لتحركها فلما انتبه نوديت أن تنحي عنه فلما نظر اليها نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير انها أنثى فكلمها فكلمته بلغته فقال لها من أنت فقالت خلق خلقني اللَّه كما ترى فقال آدم عليه السلام عند ذلك يا رب من هذا الخلق الحسن الذي قد آنسني قربه و النظر إليه فقال اللَّه يا آدم هذه أمتي حواء أ تحب أن تكون معك فتؤنسك و تحدثك و تأتمر لأمرك فقال نعم يا رب و لك عليّ بذلك الشكر و الحمد ما بقيت فقال اللّه تعالى

فاخطبها إليّ فإنها أمتي و قد تصلح لك أيضاً زوجة للشهوة و القى اللّه عليه الشهوة و قد علمه قبل ذلك المعرفة بكل شيء فقال يا رب فاني أخطبها اليك فما رضاك لذلك فقال رضائي ان تعلمها معالم ديني فقال ذلك لك يا رب علي ان شئت ذلك لي فقال قد شئت ذلك و قد زوجتكها فضمها اليك فقال لها آدم إليّ فاقبلي فقالت له لا بل أنت فاقبل إليّ فأمر اللّه تعالى آدم أن يقوم اليها فقام و لو لا ذلك لكن النساء يذهبن حتى يخطبن على أنفسهن فهذه قصة حواء. و العياشي عن الباقر عليه السلام أنه سئل من أي شيء خلق اللّه حواء فقال أي شيء يقولون هذا الخلق قلت يقولون ان اللّه خلقها من ضلع من أضلاع آدم فقال كذبوا كان يعجز أن يخلقها من غير ضلعه ثم قال اخبرني أبي عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ان اللّه تبارك و تعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه وكلتا يديه يمين فخلق منها آدم و فضل فضلة من الطين فخلق منها حواء. و في العلل عنه عليه السلام خلق اللّه عز و جل آدم من طين و من فضلته و بقيته خلقت حواء، و في رواية أخرى خلقت من باطنه و من شماله و من الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر.
قال في الفقيه و أما قول اللّه عز و جل يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها، و الخبر الذي روي أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر صحيح و معناه من الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر فلذلك صارت أضلاع الرجال أنقص من أضلاع النساء بضلع.
أَقُولُ: فما ورد أنها خلقت من ضلعه الأيسر اشارة الى أن الجهة الجسمانية الحيوانية في النساء أقوى منها في الرجال و الجهة الروحانية الملكية بالعكس من ذلك و ذلك لأن اليمين مما يكنى به عن عالم الملكوت الروحاني و الشمال مما يكنى به عن عالم الملك الجسماني فالطين عبارة عن مادة الجسم و اليمين عبارة عن مادة الروح و لا ملك إلا بملكوت و هذا هو المعني بقوله وكلتا يديه يمين فالضلع الأيسر المنقوص من آدم كناية عن بعض الشهوات التي تنشأ من غلبة الجسمية التي هي من عالم الخلق و هي فضلة طينه المستنبط من باطنه التي صارت من مادة لخلق حواء فنبه في الحديث على أنه جهة الملكوت و الأمر في الرجال أقوى من جهة الملك و الخلق و بالعكس منهما في النساء فان الظاهر عنوان الباطن و هذا هو السر في هذا النقص في أبدان الرجال بالاضافة الى النساء و أسرار اللّه لا ينالها إلا أهل السر فالتكذيب في كلام المعصومين انما يرجع الى ما فهمه العامة من حمله على الظاهر دون أصل الحديث.
و في العلل عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن بدو النسل من ذرية آدم و قيل له ان عندنا اناساً يقولون ان اللّه تعالى أوحى إلى آدم أن يزوج بناته من بنيه و أن هذا الخلق أصله كله من الاخوة و الأخوات فقال سبحان اللّه و تعالى عن ذلك علواً كبيراً يقول من يقول هذا ان اللّه عز و جل جعل أصل صفوة خلقه و أحبائه و أنبيائه و رسله و المؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات من حرام و لم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال و قد أخذ ميثاقهم على الحلال و الطهر الطاهر الطيب و اللّه لقد نبئت أن بعض البهائم تنكرت له أخته فلما نزل عليها و نزل كشف له عنها و علم أنها أخته أخرج عزموله ثم قبض عليه بأسنانه ثم قلعه ثم خر ميتاً، و في رواية اخرى عنه عليه السلام ما يقرب منه مع تأكيد بليغ في تحريم الأخوات على الاخوة و انه لم يزل كان كذلك في الكتب الأربعة المنزلة المشهورة و ان جيلًا من هذا الخلق رغبوا عن علم أهل بيوتات الأنبياء و أخذوا من حيث لم يؤمروا بأخذه فصاروا الى ما قد ترون من الضلال و الجهل و في آخرها ما أراد من يقول هذا و شبهه الا تقوية حجج المجوس فما لهم قاتلهم اللّه، ثم قال ان آدم ولد له سبعون بطناً في كل بطن غلام و جارية إلى أن قتل هابيل فلما قتل هابيل جزع آدم على هابيل جزعاً قطعه عن إتيان النساء فبقي لا يستطيع أن يغشى حواء خمسمائة عام ثم تجلى ما به من الجزع فغشي حواء فوهب اللّه له شيثاً وحده و ليس معه ثان و اسم شيث هبة اللّه و هو أول وصي أوصى اليه من الآدميين في الأرض ثم ولد له من بعد شيث يافث ليس معه ثان فلما أدركا و أراد اللّه عز و جل أن يبلغ بالنسل ما ترون و أن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرم اللّه عز و جل من الأخوات على الأخوة أنزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة

اسمها نزلة فأمر اللَّه عز و جل آدم أن يزوجها من شيث فزوجها منه ثم أنـزل بعـد العصـر مـن الغـد حـوراء مـن الجنة اسمها منزلة فأمر اللَّه عز و جل آدم أن يزوجها مـن يافـث فزوجهـا منـه فولـد لشيث غـلام و ولـد ليافـث جارية فأمر اللَّه تعالى آدم حين أدركا أن يـزوج ابنـة يافـث مـن ابـن شـيث ففعـل و ولـد الصـفوة مـن النبيـين و المرسلين من نسلهما و معاذ اللَّه أن يكون ذلك على ما قالوا من أمر الاخوة و الأخوات.

و في الفقيه عنه عليه السلام أن آدم ولد له شيث و ان اسمه هبة اللَّه و هو أول وصي أوصى اليه من الآدميين و ساق الحديث إلى آخر ما ذكره.

و في العلل و العياشي عنه عليه السلام قيل له ان الناس يزعمون أن آدم زوج ابنته من ابنه فقال قد قال النـاس ذلك و لكن أما علمت أن رسول اللَّه صلّى اللَّـه عليـه و آلـه و سـلم قـال لـو علمـت أن آدم زوج ابنتـه مـن ابنـه لزوجت زينب من القاسم و ما كنت لأرغب عن دين آدم.

و في الكافي عن الباقر عليه السلام أنه ذكر له المجوس و انهم يقولون نكاح كنكاح ولد آدم و انهم يحاجوننا بذلك فقال أما أنتم فلا يحاجونكم بـه لمـا أدرك هبـة اللَّـه قـال آدم يـا رب زوج هبـة اللَّـه فـاهبط اللَّـه حـوراء فولدت له أربعة غلمة ثم رفعها اللَّه فلما أدرك ولد هبة اللَّه قال يا رب زوج ولد هبة اللَّه فأوحى اللَّه عز و جـل اليه أن يخطب إلى رجل من الجن وكان مسلماً أربع بنات له على ولد هبة اللَّه فزوجهن فما كان له مـن جمـال و حلم فمن قبل الحوراء و النبوة للانتهاء إلى آدم عليه السلام و ما كان من سفه أو حدة فمن الجن.

و العياشي عنه عليه السلام قال ان آدم ولد له أربعة ذكور فاهبط اللَّه اليه أربعة من الحور فزوج كل واحد منهم واحدة فتوالدوا ثم ان اللَّه رفعهن و زوج هؤلاء الأربعة أربعة من الجن فصـار النسـل فـيهم فمـا كـان مـن حلـم فمن آدم و ما كان من جمال فمن قبل الحور العين و ما كان من قبح أو سوء خلق فمـن الجـن. و في روايـة لمـا ولد لآدم هبة اللَّه وكبر سأل اللَّه أن يزوجه فأنزل اللَّه له حوراء من الجنة فزوجها إياه فولدت لـه أربعـة بنـين ثـم ولد لآدم ابن آخر فلما كبر أمره أن تزوج الجان فولد له أربع بنات فتزوج بنو هذا بنات هذا فما كان من جمال فمن قبل الحوراء و ما كان من حلم فمن قبل آدم و ما كـان مـن خفـة فمـن قبـل الجـان فلمـا توالـدوا صـعدت الحوراء إلى السماء.

و في الفقيه عنه عليه السلام ان اللَّه عز و جل أنزل على آدم حوراء من الجنة فزوجها أحد ابنيه و تزوج الآخـر ابنة الجان فما كان في الناس من جمال كثير أو حسن خلق فهو من الحوراء و ما كان فيهم مـن سـوء خلـق فهـو من آدم ابنة الجان.

و في قرب الاسناد عن الرضا عليه السلام حملت حواء هابيل و اختاً له في بطن ثـم حملـت في الـبطن الثـاني قابيل و اختاً له في بطن فتزوج هابيل التي مع قابيل و تزوج قابيل التي مع هابيل ثم حدث التحريم بعد ذلك.

و في المجمع عن الباقر عليه السلام أن حواء امرأة آدم كانت تلد في كل بطن غلاماً و جاريـة فولـدت في أول بطن قابيل و قيل قابين و توأمته إقليما بنت آدم و البطن الثاني هابيل و توأمته لوزاء فلما أدركوا جميعاً أمر اللَّـه آدم أن ينكح قابيل أخت هابيل و هابيل اخت قابيل فرضي هابيل و أبى قابيل لأن أخته كانت أحسنهما و قال ما أمر اللَّه بهذا و لكن هذا من رأيك فأمرهما اللَّه أن يقربا قرباناً فرضـيا بـذلك «الحـديث» و يـأتي تمامـه في سورة المائدة عند تفسير وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ.

و في الاحتجاج عن السجاد عليه السلام يحدث رجلًا من قريش قال لما تاب اللَّه علـى آدم واقـع حـواء و لـم يكن غشيها منذ خلق و خلقت إلا في الأرض و ذلك بعد ما تاب اللَّه عليه قال وكان يعظـم البيـت و مـا حولـه من حرمة البيت فكان إذا أراد أن يغشى حواء خرج من الحرم و أخرجها معه فإذا جاء الحرم غشـيها في الحـل ثم يغتسلان اعظاماً منه للحرم ثم يرجع الى فناء البيت قال فولد لآدم من حـواء عشـرون ذكـراً و عشـرون أنثـى يولد له في كل بطن ذكر و أنثى فأول بطن ولدت حواء هابيل و معه جاريـة يقـال لهـا إقليمـا قـال و ولـدت في البطن الثاني قابيل و معه جارية يقال لها لوزاء وكانت لوزاء أجمل بنات آدم قال فلما أدركوا خاف عليهم آدم

الفتنة فدعاهم اليه و قال أريد أن أنكحك يا هابيل لوزاء و أنكحك يا قابيل إقليما قال قابيل ما أرضى بهذا أ تنكحني اخت هابيل القبيحة و تنكح هابيل اختي الجميلة قال فأنا أقرع بينكما فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزاء أو خرج سهمك يا هابيل على إقليما زوجت كل واحدة منكما التي خرج سهمه عليها قال فرضيا بذلك فاقرعا قال فخرج سهم قابيل على إقليما اخت هابيل و خرج سهم هابيل على لوزاء اخت قابيل قال فزوجهما على ما خرج لهما من عند اللّٰه قال ثم حرم اللّٰه تعالى نكاح الأخوات بعد ذلك قال فقال له القرشي فأولداهما قال نعم فقال له القرشي فهذا فعل المجوس اليوم قال فقال عليه السلام ان المجوس انما فعلوا ذلك بعد التحريم من اللّٰه ثم قال عليه السلام له لا تنكر هذا انما هي شرائع اللّٰه جرت أ ليس اللّٰه قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلها له فكان ذلك شريعة من شرائعهم ثم أنزل اللّٰه التحريم بعد ذلك، إن قيل كيف التوفيق بين هذه الاخبار و الاخبار الأولى قلنا الاخبار الأولى هي الصحيحة المعتمد عليها و انما الأخيرة فإنما وردت موافقة للعامة فلا اعتماد عليها مع جواز تأويلها بما توافق الأولة وَ اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذي تَسٰائَلُونَ بِهِ أي يسأل بعضكم بعضاً فيقول أسألك باللّٰه واصله تتساءلون فأدغمت التاء في السين و قرئ بالتخفيف و طرح التاء وَ الْأَرْحامَ و اتقوا الأرحام ان تقطعوها.

كذا في المجمع، عن الباقر عليه السلام و قيل هو من قولهم أسألك باللّٰه و الرحم أن تفعل كذا أو أنشدك اللّٰه و الرحم يعني كما انكم تعظمون اللّٰه بأقوالكم فعظموه بطاعتكم إياه و عليه بناء قراءته بالجر.

و القمي قال تساءلون يوم القيامة عن التقوى هل اتقيتم و عن الرحم هل وصلتموها.

و في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام هي أرحام الناس ان اللّٰه عز و جل أمر بصلتها و عظمها ألا ترى أنه جعلها معه.

أقول: يعني قرنها باسمه في الأمر بالتقوى.

و في الكافي عنه عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال صلوا أرحامكم و لو بالتسليم ثم تلا هذه الآية. و عن الرضا عليه السلام ان رحم آل محمد الأئمة صلوات اللّٰه و سلامه عليهم لمعلقة بالعرش تقول أللهم صل من وصلني و اقطع من قطعني ثم هي جارية بعدها في أرحام المؤمنين ثم تلا هذه الآية.

و في العيون عنه عليه السلام ان اللّٰه أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة إلى قوله و أمر باتقاء اللّٰه و صلة الرحم فمن لم يصل رحمه لم يتق اللّٰه. و عنه عن أبيه عن آبائه عن علي عليهم السلام قال قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم لما أسري بي إلى السماء رأيت رحماً معلقة بالعرش تشكو رحماً إلى ربها فقلت لها كم بينك و بينها من أب فقالت نلتقي في أربعين أباً إِنَّ اللّٰهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً حفيظاً. وَ آتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ يعني إذا بلغوا و آنستم منهم رشداً كما في الآية الاخرى وَ لا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ و لا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم بأن تتعجلوا الحرام من أموالهم قبل أن يأتيكم الرزق الحلال الذي قدر لكم و قيل كانوا يأخذون الرفيع من أموالهم و يجعلون مكانه الخسيس فنهوا عنه وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ مضمومة اليها مسوّين بينهما فان أحدهما حلال و الآخر حرام يعني فيما زاد على قدر أجره لقوله سبحانه فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً ذنباً عظيماً.

وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ قيل يعني ان خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب من غيرهن إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال و جمال فيتزوجها ضناً بها فربما يجتمع عنده منهن عدد و لا يقدر على القيام بحقوقهن.

و ذكر القمي و غيره في سبب نزوله وكيفية نظام محصوله و اتصال فصوله وجوهاً أُخر و لا يخلو شيء منها عن تعسف. و في الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام قال لبعض الزنادقة في حديث و أما ظهورك على تناكر قوله تعالى وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ فليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء و لا كل النساء اليتامى فهو مما قدمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن و بين القول

في اليتامى و بين نكاح النساء من الخطاب و القصص أكثر من ثلث القرآن و هذا و ما أشبهه مما ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر و التأمل و وجد المعطلون و أهل الملل المخالفة للإسلام مساغاً إلى القدح في القرآن و لو شرحت لك كل ما أُسقط و حرّف و بُدِّل لما يجري هذا المجرى لطال و ظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء و مثالب الأعداء مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ ثنتين ثنتين و ثلاث ثلاث و اربع اربع و تخيير في العدد لكل أحد إلى أربع.

في الكافي عن الصادق عليه السلام إذا جمع الرجل أربعاً فطلق إحداهن فلا يتزوج الخامسة حتى ينقضي عدة المرأة التي طلق و قال لا يجمع الرجل مَاءَهُ في خمس.

العياشي عنه عليه السلام لا يحل لماء الرجل أن يجري في أكثر من أربعة أرحام من الحرائر فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا بين هذه الأعداد فَواحِدَةً فانكحوا واحدة و ذروا الجمع أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ و ان تعددن لخفة مئونتهن و عدم وجوب القسم بينهن و في حكمهن المتعة.

ففي الكافي عن الصادق عليه السلام في غير واحدة من الروايات أنها ليست من الأربع و لا من السبعين و انهن بمنزلة الإماء لأنهنَّ مستأجرات لا تطلق و لا ترث و لا تورث و ان العبد ليس له أن يتزوج إلَّا حرتين أو أربع إماء و له أن يتسرى بإذن مولاه ما شاء.

و عنه عليه السلام ان الغيرة ليست إلا للرجال و أما النساء فإنما ذلك منهن حسد و ان اللَّه أكرم أن يبتليهن بالغيرة و يحل للرجل معها ثلاثاً.

و عنه عليه السلام فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا يعني في النفقة و أما قوله تعالى وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ يعني المودة.

و العياشي عنه عليه السلام في كل شيء إسراف إلا في النساء قال اللَّه تعالى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ ذلِكَ أَدْنى أَلَّا تَعُولُوا أقرب من أن لا تميلوا من عال الميزان إذا مال او الا تمونوا من عال الرجل عياله إذا مانهم، و يؤيده قرائة ألا تعيلوا في الشواذ من عال الرجل إذا كثر عياله، و القمي أي لا يتزوج ما لا يقدر أن يعول. وَ آتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ مهورهن نِحْلَةً. القمي أي هبة و قيل عطية من اللَّه و تفضلًا منه عليهن أو ديناً من اللَّه شرعه و فرضه و ظاهر الآية أن يكون الخطاب للأزواج.

في الفقيه عن الصادق عليه السلام من تزوج امرأة و لم ينو أن يوفيها صداقها فهو عند اللَّه زان و قال أمير المؤمنين صلوات اللَّه و سلامه عليه ان أحق الشروط أن يوفى بها ما استحللتم به الفروج. و في المجمع عن الباقر عليه السلام ان الخطاب فيه للأولياء لأن الرجل منهم كان إذا زوج ايمة أخذ صداقها دونها فنهاهم اللَّه عن ذلك فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ من الصداق نَفْساً وهبن لكم عن طيب نفس، و عدّى بعن لتضمنه معنى التجاوز و التجافي فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً سائغاً من غير غص و ربما يفرق بينهما بتخصيص الهنيء بما يلذه الإنسان و المريء بما يحمد عاقبته، روي أن اناساً كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً مما ساق اليها فنزلت. و في المجمع و العياشي جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال إني أجد بوجع في بطني فقال أ لك زوجة قال نعم قال استوهب منها شيئاً طيبة به نفسها من مالها ثم اشتر به عسلًا ثم اسكب عليه من ماء السماء ثم اشربه فاني سمعت اللَّه سبحانه يقول في كتابه و أنزلنا من السماء ماءً مباركاً و قال يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ، و قال فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً فإذا اجتمعت البركة و الشفاء و الهنيء و المريء شفيت ان شاء اللَّه تعالى ففعل ذلك فشفي.

وَ لا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِياماً تقومون بها و تنتعشون سمي ما به القيام قياماً للمبالغة و قرئ قيماً وَ ارْزُقُوهُمْ فِيها وَ اكْسُوهُمْ اجعلوها مكاناً لرزقهم وكسوتهم بأن تحصلوا منها ما تحتاجون اليه وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً عدة جميلة تطيب بها نفوسهم و المعروف ما عرّفه الشرع أو العقل بالحسن.

العياشي عن الصادق عليه السلام هم اليتامى لا تعطوهم حتى تعرفوا منهم الرشد قيل فكيف يكون أموالهم أموالنا فقال إذا كنت أنت الوارث لهم.
و عنه عليه السلام في هذه الآية قال من لا تثق به، و في رواية كل من يشرب الخمر فهو سفيه.
و في الفقيه عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال لا تؤتوها شرّاب الخمر و لا النساء ثم قال و أي سفيه أسفه من شارب الخمر.
و القمّي عنه عليه السلام في هذه الآية قال فالسفهاء النساء و الولد إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة و ولده سفيه مفسد لا ينبغي له أن يسلط واحداً منهما على ماله الذي جعله اللّه له قياماً يقول معاشاً قال وَ ارْزُقُوهُمْ فِيها وَ اكْسُوهُمْ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً المعروف العدة.
وَ ابْتَلُوا الْيَتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في الدين و حسن التصرف في المال حَتَّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ بلغوا حداً يتأتى منهم النكاح فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ.
في الفقيه عن الصادق عليه السلام إيناس الرشد حفظ ماله.
و عنه عليه السلام في تفسير هذه الآية إذا رأيتموهم يحبون آل محمد صلوات اللّه عليهم أجمعين فارفعوهم درجة. و في المجمع عن الباقر عليه السلام الرشد العقل و إصلاح المال.
و القمّي عنه عليه السلام في هذه الآية قال من كان في يده مال بعض اليتامى فلا يجوز له أن يعطيه حتى يبلغ النكاح و يحتلم فإذا احتلم وجب عليه الحدود و إقامة الفرائض و لا يكون مضيعاً و لا شارب خمر و لا زانياً فإذا أنس منه الرشد دفع اليه المال و أشهد عليه و ان كانوا لا يعلمون أنه قد بلغ فانه يمتحن بريح إبطه أو نبت عانته فإذا كان ذلك فقد بلغ فيدفع اليه ماله إذا كان رشيداً و لا يجوز له أن يحبس عنه ماله و يعتل عنه أنه لم يكبر بعد وَ لا تَأْكُلُوها إِسْرافاً وَ بِداراً أَنْ يَكْبَرُوا مسرفين و مبادرين وَ مَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ من أكلها وَ مَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ بقدر حاجته و أجرة سعيه.
في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية من كان يلي شيئاً لليتامى و هو محتاج ليس له ما يقيمه و هو يتقاضى أموالهم و يقوم في ضيعتهم فليأكل بقدر و لا يسرف فان كانت ضيعتهم لا تشغله عما يعالج لنفسه فلا يرز أنّ أموالهم شيئاً.
و في الكافي عنه عليه السلام المعروف هو القوت و انما عنى الوصي أو القيّم في أموالهم و ما يصلحهم.
و عنه عليه السلام ذلك رجل يحبس نفسه عن المعيشة فلا بأس أن يأكل بالمعروف إذا كان يصلح لهم أموالهم فإن كان المال قليلًا فلا يأكل منه شيئاً. و عنه عليه السلام أنه سئل عن القيم للأيتام في الإبل و ما يحل له منها فقال إذا لاط حوضها و طلب ضالتها و هنا جرباها فله أن يصيب من لبنها في غير نهك لضرع و لا فساد لنسل.و في المجمع و العياشي ما يقرب منه.
و العياشي عنه عليه السلام في هذه الآية هذا رجل يحبس نفسه لليتيم على حرث أو ماشية و يشغل فيها نفسه فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ و ليس له ذلك في الدراهم و الدنانير التي عنده موضوعة.
و في رواية اخرى عنه عليه السلام قال كان أبي يقول إنها منسوخة. و في المجمع عن الباقر عليه السلام من كان فقيراً فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة و الكفاية على جهة القرض ثم يرد عليه ما أخذ إذا وجد فَإِذا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ بأنهم قبضوها فانه نفي للتهمة و ابعد من الخصومة و وجوب الضمان وَ كَفى بِاللَّهِ حَسِيباً محاسباً.
لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ يعني بهم المتوارثين بالقرابة مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ من قليله وكثيره نَصِيباً مَفْرُوضاً واجباً قيل كانت العرب في الجاهلية يورثون الذكور دون الإناث فرد اللّه سبحانه عليهم و قال لكل من الفريقين سهم و حظ.

وَ إِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أي قسمة التركة أُولُوا الْقُرْبى ممن لا يرث وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ فأعطوهم شيئاً من المقسوم تطييباً لقلوبهم و تصدقاً عليهم وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفاً تلطفوا لهم في القول و اعتذروا اليهم و استقلوا ما تعطونهم و لا تمنوا بذلك عليهم.و القمّي هي منسوخة بقوله يُوصِيكُمُ اللَّهُ.

و العياشي عن الباقر و الصادق عليه السلام نسختها آية الفرائض.

و في رواية عن الباقر عليه السلام أنه سئل أ منسوخة هي قال لا إذا حضروك فأعطهم.

أقول: نسخ الوجوب لا ينافي بقاء الجواز و الاستحباب و قد مر نظيره في سورة البقرة.

وَ لْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ أمر بأن يخشوا اللّه و يتقوه في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم.

في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام من ظلم يتيماً سلط اللّه عليه من يظلمه أو على عقبه او على عقب عقبه ثم تلا هذه الآية فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ في أمر اليتامى وَ لْيَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا سَدِيداً مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة و حسن الأدب. إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ملء بطونهم ناراً ما يجر إلى النار وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً سيدخلون ناراً و أي نار و قرئ بضم الياء و صلي النار مقاساة حرها و صليته شويته و الإصلاء الإلقاء فيها و سعر النار إلهابها. في الفقيه عن الصادق عليه السلام أن أكل مال اليتيم سيلحقه و بال ذلك في الدنيا و الآخرة.

أما في الدنيا فان اللّه يقول وَ لْيَخْشَ الَّذِينَ الآية، و أما في الآخرة فان اللّه يقول إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الآية. و القمّي عنه عليه السلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لما أسري بي إلى السماء رأيت قوماً تقذف في أجوافهم النار و تخرج من أدبارهم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً.

و في الكافي عن الباقر عليه السلام أن آكل مال اليتيم يجيء يوم القيامة و النار تلتهب في بطنه حتى يخرج لهب النار من فيه يعرفه أهل الجمع إنه آكل مال اليتيم.

يُوصِيكُمُ اللَّهُ يأمركم و يعهد إليكم و يفرض عليكم فِي أَوْلادِكُمْ في شأن ميراثهم لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ إذا اجتمع الصنفان و العلة فيه ما في الكافي عن الرضا عليه السلام أنهن يرجعن عيالًا عليهم.

و في الفقيه عن الصادق عليه السلام لما جعل اللّه لها من الصداق.

و فيما عنه عليه السلام لأنه ليس عليها جهاد و لا نفقة و لا معقلة و عدّ غيرها في الكافي و الفقيه عن الصادق فَإِنْ كُنَّ نِساءً ليس معهن ذكر فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ المتوفى منكم وَ إِنْ كانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَ لِأَبَوَيْهِ و لأبوي المتوفى لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ ذكراً كان أو أنثى واحداً كان أو أكثر فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَرِثَهُ أَبَواهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ مِمّا تَرَكَ فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ و قرئ فلإمه بكسر الهمزة اتباعاً لما قبلها و الاخوة تقع على الإثنين فصاعداً و الأختان بمنزلة أخ واحد.

و لهذا ورد في الكافي و التهذيب و غيرهما في غير واحدة من الروايات عن الصادق عليه السلام أنه لا يحجب الام عن الثلث الا اخوان أو أخ و اختان أو أربع أخوات و ورد أن الاخوة من الام فقط لا يحجبون الام عن الثلث و ان الاخوة و الأخوات لا يرثون مع الأبوين و أن الوجه فيه أن الأب ينفق عليهم فوفر نصيبه مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِها أَوْ دَيْنٍ يعني أن هذه الأنصباء بعد الامرين إن كانا و قرئ على البناء للمفعول و لفظة أو لا توجب الترتيب.

و في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام انكم تقرءون في هذه الآية الوصية قبل الدين و أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قضي بالدين قبل الوصية قيل قدم الوصية على الدين و هي متأخرة في الحكم لأنها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً يعني لا تعلمون من أنفع لكم من أصولكم و فروعكم في عاجلكم و آجلكم ممن يورثكم و يرثكم أمن أوصى منهم فعرضكم

للثواب بإمضاء وصيته أم من لم يوص فوفر عليكم ماله أو من أوصيتم له فوفرتم عليه أم من لم توصوا له فحرمتموه فتحروا فيهم ما وصاكم اللّه به و لا تعدوا إلى تبديل الوصية أو تفضيل بعض و حرمان بعض فهو اعتراض مؤكد لأمر القسمة و تنفيذ الوصية فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ مصدر مؤكد إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً بالمصالح و الرتب حَكِيماً فيما قضى و قدر.

وَ لَكُمْ نِصْفُ ما تَرَكَ أَزْواجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ أي ولد وارث من بطنها أو من صلب بنيها أو بطن بناتها و ان سفل ذكراً كان أو أنثى منكم أو من غيركم مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِها أَوْ دَيْنٍ وَ لَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِها أَوْ دَيْنٍ فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب و العلة هاهنا هي العلة هناك و تستوي الواحدة و العدد منهن في الربع و الثمن وَ إِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً لهذا الكلام وجوه من الإعراب لا يتغير بها الحكم و الكلالة القرابة و يطلق على الوارث و المورث.

و فسرت في الكافي عن الصادق عليه السلام بمن ليس بولد و لا والد أي القريب من جهة العرض لا الطول و المراد بها هنا الاخوة و الأخوات من الام خاصة و في الآية الاخرى من الأب و الام أو الأب فقط كذا عن المعصومين عليهم السلام أَوِ امْرَأَةٌ كذلك وَ لَهُ و لكل واحد منهما و قيل أي و للرجل اكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه أَخٌ أَوْ أُخْتٌ أي من الام فَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذلِكَ فَهُمْ شُرَكاءُ فِي الثُّلُثِ سوّى بين الذكر و الأنثى هاهنا لأن الانتساب بمحض الانوثة مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصى بِها أَوْ دَيْنٍ و قرئ على البناء للمفعول غَيْرَ مُضَارٍّ لورثته بالزيادة على الثلث أو ان يقصد الإضرار بها دون القرابة أو يقر بدين لا يلزمه وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بالمضار و غيره حَلِيمٌ لا يعاجل بعقوبته.

تِلْكَ اشارة الى ما تقدم من الأحكام في أمر اليتامى و الوصايا و المواريث حُدُودُ اللَّهِ شرائعه المحدودة التي لا يجوز تجاوزها وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً و قرئ ندخله بالنون خَالِداً فِيهَا وَ لَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ توحيد الضمير في يُدْخِلْهُ و جمع خالِدِينَ للفظ و المعنى، ان قيل ان اللّه سبحانه و تعالى لم يبين حكم البنتين في الفرائض و لا حكم الفرائض إذا نقصت التركة عن السهام أو زادت عليها، قلنا لا ضير فقد بيّن أهل البيت ذلك كله على أحسن وجه و اجتمعت الطائفة المحقة على ما سمعوه منهم من غير اختلاف فيما بينهم لمطابقته مقتضى العقول السليمة و هذا كما في سائر الآيات القرآنية المجملة فإنها انما يؤولها الراسخون في العلم منهم و لا يتفرد أحد الثقلين عن الآخر أما حكم البنين فقد نبهت عليه هذه الآيات و ثبت عنهم بالروايات من غير اختلاف.

قال في الكافي و قد تكلم الناس في أمر البنتين من أين جعل لهما الثلثان و اللّه تعالى انما جعل الثلثين لما فوق اثنتين فقال قوم بإجماع و قال قوم قياساً كما ان كانت للواحدة النصف كان ذلك دليلًا على أن لما فوق الواحدة الثلثين و قال قوم بالتقليد و الرواية و لم يصب واحد منهم الوجه في ذلك فقلنا ان اللّه جعل حظ الأنثيين الثلثين بقوله لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ و ذلك أنّه إذا ترك الرجل بنتاً و ابناً فللذكر مثل حظ الأنثيين و هو الثلثان فحظ الأنثيين الثلثان و اكتفى بهذا البيان أن يكون ذكر الأنثيين بالثلثين و هذا بيان قد جهله كلهم و الحمد للّه كثيراً انتهى كلامه، و أما إذا نقصت التركة عن السهام فالنقص عندنا انما يقع على البنات و الأخوات لأن كل واحد من الأبوين و الزوجين له سهمان أعلى و أدنى و ليس للبنت و البنتين و الأختين لو لا ما قلنا إلا سهم واحد فإذا دخل النقص عليهما استوى ذوو السهام في ذلك و قد تبين ذلك في اخبارهم و المخالفون يقولون في ذلك بالعول فيوقعون النقص على الجميع بنسبة سهامهم قياساً على تركة لا تفي بالديون و استناداً إلى قضية عُمَرية و اخرى متشابهة عَلَوية و قياسهم مع بطلانه مع الفارق و عُمَرُهم كان عن

بدعة لا يفارق مع انكار ابن عباس عليه و ان لم يظهر الإنكار إلا بعده معتذراً بأنه كان رجلًا مهيباً و تأويل المتشابه عند من أتى به دون الذين في قلوبهم زيغ مع عدم ثبوت الرواية و تواتر خلافها عنه «ع» هذا مع ما في العول من التناقض و المحال كما بينه أئمتنا «ع» و فصّله أصحابنا و لفضل بن شاذان «ره» في هذا الباب كلمات أوردها في التهذيب على وجهها و أما إذا زادت التركة عن السهام فإنما يزاد الزائد على من كان يقع عليه النقص إذا نقصت كما بينوه عليهم السلام و أجمعت عليه أصحابنا و المخالفون يقولون بالتعصيب فيعطون الفاضل أولي عصبة الذكر و لا يعطون الأنثى شيئاً و ان كانت أقرب منه في النسب استناداً إلى قصة زكريا حيث لم يسأل الأنثى لعلمه بعدم إرثها مع العصبة كذلك كانوا يؤفكون و ليت شعري ما أدراهم أنه لم يسأل الأنثى و انما حمله على الطلب كفالة مريم و ما رأى من كرامتها، ثم ما المانع من ارادته الجنس الشامل للذكر و الأنثى و انما أراد الذكر لأنه أحب إلى طباع البشر و انما طلبه للإرث و القيام بأعباء النبوة معاً و لا شك أنه غير متصور في النساء أوكان شرعه في الإرث على خلاف شرعنا و استندوا أيضاً إلى رواية ضعيفة روتها رواتها الأعلى بعد ما سمعوها منقولها عن الأدنى وردها بعضهم بمحكمات الكتاب و قال آخر و اللّه ما رويت هذا و انما الشيطان القى على ألسنتهم على انهم رووا عن زيد بن ثابت انه قال من قضاء الجاهلية ان يورث الرجال دون النساء.

وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ اى يفعلنها قيل الفاحشة الزنا سمّى بها لزيادة قبحها و شناعتها فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من الرجال المؤمنين تشهد عليهن فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فاحبسوهن فيها حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا هذه الاية و التي بعدها منسوختان باية الزانية و الزاني.

ففي الكافي عن الباقر عليه السلام في حديث و سورة النور أنزلت بعد سورة النساء و تصديق ذلك انّ اللّه تعالى انزل عليه في سورة النساء وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ الاية و السبيل الذي قال اللّه سُورَةٌ أَنْزَلْناها وَ فَرَضْناها الى قوله طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. و العياشي عن الصادق عليه السلام هي منسوخة و السبيل هو الحدود.

و عنه عليه السلام انه سئل عن هذه الاية وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ قال هذه منسوخة قيل كيف كانت قال كانت المراة إذا فجرت فقام عليها اربعة شهود ادخلت بيتاً و لم تحدث و لم تكلم و لم تجالس و أوتيت بطعامها و شرابها حتى تموت أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا قال جعل السبيل الجلد و الرجم.

و في الغوالي عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم خذوا عنى قد جعل اللّه لهن سبيلًا البكر بالبكر جلد مائة و تغريب عامه و الثيب بالثيب جلد مائة و الرجم.

وَ الَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما فَإِنْ تابا وَ أَصْلَحا فَأَعْرِضُوا عَنْهُما إِنَّ اللَّهَ كانَ تَوَّاباً رَحِيماً.

القمي كان في الجاهلية إذا زنا الرجل يؤذى و المراة تحبس في بيت الى ان تموت ثم نسخ ذلك بقوله تعالى الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا الاية انتهى. و قيل الاية الاولى في السحاقات و هذه في اللواطين و الزانية و الزاني في الزناة و لم يثبت عن اهل البيت عليهم السلام.

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ أي قبول التوبة الذي أوجبه اللّه على نفسه بمقتضى وعده من تاب عليه إذا قبل توبته إلا أن على هذه ليست هي على في قولهم تاب عليه و قد مضى تحقيق معنى التوبة عند تفسير قول اللّه تعالى فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ متلبسين بها سفهاً فان ارتكاب الذنب و المعصية سفه و تجاهل.

في المجمع و العياشي عن الصادق عليه السلام كل ذنب عمله العبد و ان كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه فقد حكى اللّه سبحانه قول يوسف لإخوته هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية اللّه عز و جل.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قيل له فان عاد و تاب مراراً قال يغفر اللّٰه له قيل إلى متى قال حتى يكون الشيطان هو المحسور ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ قيل أي قبل أن يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها و يتعذر عليهم الرجوع أو قبل حضور الموت لقوله تعالى حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ سماه قريباً لأن أمد الحياة قريب كما قال سبحانه قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ.

أقول: التفسير الثاني بعيد عن ظاهر اللفظ بل و لا دلالة في الآية عليه لجواز السكوت عن القسم الثالث كما يقع كثيراً في نظائره من مجملات القرآن و أما الحصر المدلول عليه بلفظة انما فلا ينافي في الاخبار الآتية لأن وجوب القبول غير التفضل به.

في الفقيه قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم في آخر خطبة خطبها من تاب قبل موته بسنة تاب اللّٰه عليه ثم قال و ان السنة لكثيرة و من تاب قبل موته بشهر تاب اللّٰه عليه ثم قال و ان الشهر لكثير و من تاب قبل موته بيوم تاب اللّٰه عليه ثم قال و ان يوماً لكثير و من تاب قبل موته بساعة تاب اللّٰه عليه ثم قال و ان الساعة لكثيرة، من تاب و قد بلغت نفسه هذه و أهوى بيده إلى حلقه تاب اللّٰه عليه.

و في الكافي و العياشي ما يقرب منه و ذكر الجمعة أيضاً و قال في آخره من تاب قبل أن يعاين قبل اللّٰه تعالى توبته، و في رواية العامة من تاب قبل أن يغرغر بها تاب اللّٰه عليه.

و في رواية أن إبليس لما هبط قال و عزتك و عظمتك لا أُفارق ابن آدم حتى يفارق روحه جسده فقال اللّٰه عز و جل سبحانه و عزتي و عظمتي لا أحجب التوبة عن عبدي حتى يغرغر بها.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام إذا بلغت النفس هاهنا و أشار بيده إلى حلقه لم يكن للعالم توبة ثم قرأ هذه الآية. و فيه و العياشي عن الباقر عليه السلام مثله و زاد و كان للجاهل توبة.

أقول: لعل السبب في عدم التوبة من العالم في ذلك الوقت حصول يأسه من الحياة بأمارات الموت بخلاف الجاهل فانه لا ييأس إلا عند معاينة الغيب، قيل و من لطف اللّٰه تعالى بالعباد ان امر قابض الأرواح بالابتداء في نزعها من أصابع الرجلين ثم يصعد شيئاً فشيئاً الى ان يصل الى الصدر ثم ينتهي الى الحلق ليتمكن في هذه المهلة من الإقبال بالقلب على اللّٰه تعالى و الوصية و التوبة ما لم يعاين و الاستحلال و ذكر اللّٰه فيخرج روحه و ذكر اللّٰه على لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمته رزقنا اللّٰه ذلك بمنه فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه من قبول التوبة وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً يعلم إخلاصهم في التوبة حَكِيماً لا يعاقب التائب.

وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ.

في الفقيه عن الصادق عليه السلام انه سئل عن هذه الآية فقال ذلك إذا عاين امر الآخرة وَ لَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ سوّى بين من سوّف التوبة إلى حضور الموت من الفسقة و الكفار و بين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكأنه قال توبة هؤلاء و عدم توبة هؤلاء سواء و قيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين و بالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم و سوء أعمالهم و بالذين يموتون الكفار أُولئِكَ أَعْتَدْنا هيّأنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً تأكيد لعدم قبول توبتهم لتهيئة عذابهم و انه يعذبهم متى شاء. يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً و قرئ بالضم. القمّي عن الباقر عليه السلام كان في الجاهلية في أول ما اسلموا في قبائل العرب إذا مات حميم الرجل و له امرأة القى الرجل ثوبه عليها فورث نكاحها بصداق حميمه الذي كان أصدقها يرث نكاحها كما يرث ماله فلما مات ابو قيس بن الأسلت القى محصن بن أبي قيس ثوبه على امرأة أبيه و هي كبيشة ابنة معمر بن معبد فورث نكاحها ثم تركها لا يدخل بها و لا ينفق عليها فأتت رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فقالت يا رسول اللّٰه مات ابو قيس بن الأسلت فورث ابنه محصن نكاحي فلا يدخل علي و لا ينفق علي و لا يخلي سبيلي فألحق بأهلي فقال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم ارجعي إلى بيتك فان يحدث اللّٰه في شأنك شيئاً أعلمتكه فنزل وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ مَقْتاً وَ ساءَ سَبِيلًا فلحقت بأهلها وكان

نسوة في المدينة قد ورث نكاحهن كما ورث نكاح كبيشة غير انه ورثهن غير الأبناء فأنزل يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً.

و العياشي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال الرجل يكون في حجره اليتيمة فيمنعها من التزويج يضرّ بها تكون قريبة له.

و في المجمع عن الباقر عليه السلام انها نزلت في الرجل يحبس المرأة عنده لا حاجة له و ينتظر موتها حتى يرثها وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ و لا تحبسوهن ضراراً بهن لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ.

العياشي عن الصادق عليه السلام قال الرجل تكون له المرأة فيضرّ بها حتى تفتدي منه فنهى اللَّه عن ذلك.

و في المجمع عنه عليه السلام ان المراد بها الزوج أمره اللَّه سبحانه بتخلية سبيلها إذا لم تكن له فيها حاجة و ان لا يمسكها اضراراً بها حتى تفتدي ببعض مالها إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ظاهرة كالنشوز و سوء العشرة و عدم التعفف. و في المجمع عن الباقر عليه السلام كل معصية.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام إذا قالت له لا اغتسل لك من جنابة و لا أبر لك قسماً و لا و طين فراشك من تكرهه حل له ان يخلعها و حل له ما أخذ منها وَ عاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ بالإنصاف في الفعل و الإجمال في القول فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً يعني فاصبروا عليهن و لا تفارقوهن لكراهة الأنفس فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين و احمد و أحبت ما هو بخلافه.

وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ تطليق امرأة و تزويج اخرى وَ آتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً مالًا كثيراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ من القنطار شَيْئاً. في المجمع عنهما عليهما السلام القنطار ملء مسك ثور ذهباً أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً انكار و توبيخ قيل كان الرجل إذا أراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك. وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَ قَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ.

القمّي الإفضاء المباشرة وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً عهداً وثيقاً.

في المجمع عن الباقر عليه السلام هو العهد المأخوذ على الزوج حالة العقد من إمساك بمعروف او تسريح بإحسان.

و في الكافي و العياشي عنه عليه السلام الميثاق هي الكلمة التي عقد بها النكاح و الغليظ هو ماء الرجل يفضيه إليها. و عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أخذتموهن بأمانة اللَّه و استحللتم فروجهن بكلمة اللَّه.

وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ استثناء من لازم النهي فكأنه قيل تستحقون العقاب بذلك الا ما قد سلف في الجاهلية فإنكم معذورون فيه.

العياشي عن الباقر عليه السلام يقول اللَّه تعالى وَ لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ فلا يصح للرجل ان ينكح امرأة جده إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ مَقْتاً وَ ساءَ سَبِيلًا قيل كانوا ينكحون روابهم و ذوو مرواتهم يمقتونه و يسمونه نكاح المقت و يقولون لمن ولد عليه المقتي و قد مضى سبب نزولها آنفاً.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَ بَناتُكُمْ وَ أَخَواتُكُمْ وَ عَمَّاتُكُمْ وَ خالاتُكُمْ وَ بَناتُ الْأَخِ وَ بَناتُ الْأُخْتِ يعني نكاحهن و الأمهات يشملن من علت وكذا العمات و الخالات و البنات و يشملن من سفلت وكذا بنات الأخ و بنات الاخت، و الأخوات يشملن الوجوه الثلاثة وَ أُمَّهاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَ أَخَواتُكُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ سماها اماً و اختاً، و قال النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، و قال صلّى اللَّه عليه و آله و سلم الرضاع لحمة كلحمة النسب فعم التحريم وَ أُمَّهاتُ نِسائِكُمْ و ان علون وَ رَبائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ و ان سفلن مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ أي دخلتم معهن في السر و هي كناية عن الجماع فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ.

في الفقيه و التهذيب عن امير المؤمنين عليه السلام إذا تزوج الرجل المرأة حرمت عليه ابنتها إذا دخل بالأم فإذا لم يدخل بالأم فلا بأس ان يتزوج بالابنة و إذا تزوج الابنة فدخل بها او لم يدخل بها فقد حرمت عليه الام و قال الربائب حرام كن في الحجر او لم يكن. و في رواية اخرى قال الربائب عليكم حرام مع الأمهات التي قد دخل بهن في الحجور و غير الحجور و الأمهات مبهمات دخل بالبنات او لم يدخل بهن.

و في اخرى قال هذه مستثناة و هذه مرسلة و أمهات نسائكم فما ورد عنهم بخلاف ذلك محمول على التقية لموافقة العامة و مخالفة القرآن.

و في الكافي عن أبي الحسن عليه السلام انه سئل عن الرجل يتزوج المرأة متعة أ يحل له ان يتزوج ابنتها قال لا. و عن الصادق عليه السلام في الرجل تكون له الجارية يصيب منها أ يحل له ان ينكح ابنتها قال لا هي مثل قول اللَّه تعالى وَ رَبائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ.

و عنه عليه السلام انه سئل عن رجل طلق امرأته فبانت منه و لها ابنة مملوكة فاشتراها أ يحل له ان يطأها قال لا. و عن الرجل تكون عنده المملوكة و ابنتها فيطأ إحداهما فتموت و تبقى الاخرى أ يصلح له أن يطأها قال لا. القمّي ان الخوارج زعمت ان الرجل إذا كانت لأهله بنت و لم يربها و لم تكن في حجره حلت له لقول اللَّه تعالى اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ ثم قال الصادق عليه السلام لا تحل له. قيل و فائدة قوله فِي حُجُورِكُمْ تقوية العلة و تكميلها، و المعنى ان الربائب إذا دخلتم بامهاتهن و هن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها و بين أولادكم و صارت احقاء بأن تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة وَ حَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ احتراز عن المتبنى لا أبناء الولد فيشملونهم و ان سفلوا.

في الكافي عن الباقر عليه السلام في حديث هل كان يحل لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم نكاح حليلتي الحسن و الحسين عليهما السلام فان قالوا نعم كذبوا و فجروا و ان قالوا لا فهما أبناء لصلبه.

و في الفقيه و التهذيب عن الصادق عليه السلام في الرجل تكون عنده الجارية يجردها و ينظر الى جسدها نظر شهوة هل تحل لأبيه و ان فعل أبوه هل تحل لابنه قال إذا نظر إليها نظر شهوة و نظر منها إلى ما يحرم على غيره لم تحل لابنه و ان فعل ذلك لم تحل للأب وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ فانه مغفور إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً.

في الكافي عن الصادق عليه السلام في رجل طلق امرأته و اختلعت او بارأت أ له ان يتزوج بأختها قال إذا برأت عصمتها و لم يكن له عليها رجعة فله ان يخطب أختها.

و في رجل كانت عنده اختان مملوكتان فوطأ إحداهما ثم وطأ الاخرى قال إذا وطأ الاخرى فقد حرمت عليه الاولى حتى تموت الاخرى قلت أ رأيت ان باعها أ تحل له الأولى قال ان كان يبيعها لحاجة و لا يخطر على قلبه من الاخرى شيء فلا ارى لذلك بأساً و ان كان إنما يبيعها ليرجع إلى الأولى فلا و لا كرامة.

و في التهذيب عنه عن أبيه عليهما السلام في أختين مملوكتين تكونان عند الرجل جميعاً قال قال علي عليه الصلاة و السلام أحلتهما آية و حرمتهما آية اخرى و انا انهى عنها نفسي و ولدي.

أقول: الآية المحللة قوله سبحانه وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ و الآية المحرمة هي قوله عز و جل وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ و مورد الحل و الحرمة ليس إلا الوطي خاصة دون الجمع في الملك كما ظنه صاحب التهذيب فظن ان آية الحل آية الملك و آية التحريم آية الوطي و مما يدل على ذلك صريحاً ما رواه فيه عن الباقر عليه السلام انه سئل عما يروي الناس عن امير المؤمنين عليه السلام عن أشياء من الفروج لم يكن يأمر بها و لا ينهى عنها الا نفسه و ولده فقيل كيف يكون ذلك قال أحلتها آية و حرمتها اخرى فقيل هل الآيتان يكون إحداهما نسخت الاخرى ام هما محكمتان ينبغي ان يعمل بهما فقال قد يبين لهم إذ نهى نفسه و ولده قيل ما منعه ان يبين ذلك للناس قال خشي ان لا يطاع و لو ان امير المؤمنين عليه السلام ثبت قدماه اقام كتاب اللَّه كله و الحق كله.

و العياشي عن الصادق عليه السلام انه سئل عن الأختين المملوكتين ينكح إحداهما أ تحل له الاخرى فقال ليس له ان ينكح الاخرى إلا دون الفرج و إن لم يفعل فهو خير له نظير تلك المرأة تحيض فتحرم على زوجها ان يأتيها في فرجها لقول اللّه تعالى وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ قال وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ يعنى في النكاح فيستقيم الرجل ان يأتي امرأته و هي حائض فيما دون الفرج. وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّساءِ اللّاتي احصنهن التزويج او الأزواج و قرئ بكسر الصاد لأنهن أحصن فروجهن. في الفقيه و العياشي عن الصادق عليه السلام هن ذوات الأزواج إِلَّا ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ من اللاتي سبين و لهن ازواج كفار فإنهن حلال للسابين. كما في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام و اللاتي اشترين و لهن ازواج فان بيعهن طلاقهن.

كما في الكافي عن الصادق عليه السلام في عدة روايات و اللاتي تحت العبيد فيأمرهم مواليهم بالاعتزال فيستبرؤونهن ثم يمسونهن بغير نكاح.

كما في الكافي و العياشي عنه عليه السلام كِتابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ مصدر مؤكد اي كتب اللّه عليكم تحريم هؤلاء كتاباً وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ ما سوى المحرمات المذكورة و خرج عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع و الجمع بين المرأة و عمتها او خالتها بغير اذنها. كما في الكافي عن الباقر عليه السلام في عدة روايات و قرئ و أحل على البناء للمفعول أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ ان تصرفوا أموالكم في مهورهن او أثمانهن و الإحصان العفة و السفاح الزنا فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مهورهن سمي اجراً لأنه في مقابلة الاستمتاع فَرِيضَةً مصدر مؤكد.

في الكافي عن الصادق عليه السلام انما نزلت فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إلى اجل مسمى فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً.

و العياشي عن الباقر عليه السلام انه كان يقرؤها كذلك و روته العامة ايضاً عن جماعة من الصحابة وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ من زيادة في المهر أو الأجل او نقصان فيهما او غير ذلك مما لا يخالف الشرع. في الكافي مقطوعاً.

و العياشي عن الباقر عليه السلام لا بأس بأن تزيدها و تزيدك إذا انقطع الأجل فيما بينكما تقول استحللتك بأجل آخر برضى منها و لا تحل لغيرك حتى تنقضي عدتها و عدتها حيضتان إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً بالمصالح حَكِيماً فيما شرع من الأحكام. في الكافي عن الصادق عليه السلام المتعة نزل بها القرآن و جرت بها السنة من رسول اللّه. و عن الباقر عليه السلام كان علي يقول لو لا ما سبقني به بني الخطاب ما زنى الا شفي.

أقول: الا شفي بالفاء يعني الا قليل، أراد انه لو لا ما سبقني به عمر من نهيه عن المتعة و تمكن نهيه في قلوب الناس لندبت الناس عليها و رغبتهم فيها فاستغنوا بها عن الزنا فما زنى منهم الا قليل وكان نهيه عنها تارة بقوله متعتان كانتا على عهد رسول اللّه انا محرمهما و معاقب عليهما متعة الحج و متعة النساء و اخرى بقوله ثلاث كن على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم انا محرمهن و معاقب عليهن متعة الحج و متعة النساء و حيّ على خير العمل في الأذان، و فيه جاء عبد اللّه بن عمير الليثي إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له ما تقول في متعة النساء فقال أحلها اللّه في كتابه و على لسان نبيه فهي حلال إلى يوم القيامة فقال يا أبا جعفر مثلك يقول هذا و قد حرمها عمر و نهى عنها فقال و ان كان فعل قال فاني أعيذك باللّه من ذلك ان تحل شيئاً حرمه عمر فقال له فأنت على قول صاحبك و انا على قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فهلم أُلا عنك ان القول ما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و ان الباطل ما قال صاحبك قال فأقبل عبد اللّه بن عمير فقال يسرك ان نساءك و بناتك و أخواتك و بنات عمك يفعلن ذلك قال فاعرض عنه ابو جعفر حين ذكر نساءه و بنات عمه و فيه سأل ابو حنيفة أبا جعفر محمد بن النعمان صاحب الطاق فقال له يا أبا جعفر ما تقول في المتعة أ تزعم انها حلال قال نعم قال فما يمنعك ان تأمر نساءك يستمتعن و يكسبن

عليك فقال له ابو جعفر ليس كل الصناعات يرغب فيها و ان كانت حلالًا و للناس أقدار و مراتب يرفعون أقدارهم و لكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ أ تزعم انه حلال قال نعم قال فما يمنعك ان تقعد نساءك في الحوانيت نباذات فيكسبن عليك فقال ابو حنيفة واحدة بواحدة و سهمك أنفد ثم قال له يا أبا جعفر ان الآية التي في سَأَل سائل تنطق بتحريم المتعة و الرواية عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم قد جاءت بنسخها فقال له ابو جعفر يا أبا حنيفة ان سورة سأل سائل مكية و آية المتعة مدنية و روايتك شاذة ردية فقال ابو حنيفة و آية الميراث ايضاً تنطق بنسخ المتعة فقال أبو جعفر قد ثبت النكاح بغير ميراث فقال ابو حنيفة من اين قلت ذاك فقال ابو جعفر لو أن رجلًا من المسلمين تزوج بامرأة من أهل الكتاب ثم توفي عنها ما تقول فيها قال لا ترث منه فقال قد ثبت النكاح بغير ميراث ثم افترقا.

و عن الصادق عليه السلام انه سأله أبو حنيفة عن المتعة فقال عن اي المتعتين تسأل قال سألتك عن متعة الحج فانبئني عن متعة النساء أحق هي فقال سبحان اللّه اما تقرأ كتاب اللّه فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً فقال ابو حنيفة و اللّه لكأنها آية لم اقرأها قط.

و في الفقيه عنه عليه السلام ليس منا من لم يؤمن بكرتنا و يستحل متعتنا.

أقول: الكرة الرجعة و هي اشارة إلى ما ثبت عنهم عليهم السلام من رجوعهم إلى الدنيا مع جماعتهم من شيعتهم في زمن القائم عليه السلام لينصروه و قد مضت الاشارة اليه فيما سلف و يأتي اخبار اخر فيها ان شاء اللّه.

الْمُؤْمِناتِ يعني الإماء. في الكافي عنه عليه السلام انه سئل عن الرجل يتزوج الامة قال لا إلا ان يضطر اليه.

و عن الصادق عليه السلام لا ينبغي ان يتزوج الحر المملوكة اليوم انما كان ذلك حيث قال اللّه تعالى وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا و الطول المهر و مهر الحرة اليوم مهر الامة او اقل.

و عنه عليه السلام يتزوج الحرة على الامة و لا يتزوج الامة على الحرة و نكاح الامة على الحرة باطل و ان اجتمعت عندك حرة و أمة فللحرة يومان و للامة يوم و لا يصلح نكاح الامة إلا بإذن مواليها وَ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِكُمْ فاكتفوا بظاهر الإيْمان فانه العالم بالسرائر و يتفاضل ما بينكم في الإيمان فرب أمة تفضل الحرة فيه و لا اعتبار بفضل النسب وحده بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ أنتم و مماليككم متناسبون نسبكم من آدم و دينكم الإسلام فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ. في الفقيه و العياشي عن الصادق عليه السلام انه سئل يتزوج الرجل بالامة بغير علم أهلها قال هو زنا ان اللّه تعالى يقول فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ.

في الكافي عنه عليه السلام لا بأس ان يتمتع الرجل بأمة المرأة فاما أمة الرجل فلا يتمتع إلا بأمره.

و في التهذيب ما يقرب منه وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ بغير مطل و ضرار و نقصان مُحْصَناتٍ عفائف غَيْرَ مُسافِحاتٍ غير مجاهرات بالزنا وَ لا مُتَّخِذاتِ أَخْدانٍ اخلاء في السر فَإِذا أُحْصِنَّ بالتزويج و قرئ بفتح الهمزة و الصاد فَإِنْ أَتَيْنَ بِفاحِشَةٍ زناء فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَناتِ يعني الحرائر مِنَ الْعَذابِ يعني الحدكما قال تعالى وَ لْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ. القمي يعني به العبيد و الإماء إذا زنيا ضربا نصف الحد فان عادا فمثل ذلك حتى يفعلوا ذلك ثماني مرات ففي الثامنة يقتلون قال الصادق عليه السلام و انما صار يقتل في الثامنة لأن اللّه رحمه ان يجمع عليه ربق الرق و حد الحر.

و في الكافي ما في معناه. عن الصادق عليه السلام و عن الباقر عليه السلام في أمة تزني قال تجلد نصف حد الحرة كان لها زوج او لم يكن لها زوج. و في رواية لا ترجم و لا تنفى ذلِكَ اي نكاح الإماء لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ لمن خاف الإثم الذي يؤدي إليه غلبة الشهوة و اصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة و ضرورة وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ و صبركم عن نكاح الإماء متعففين خير لكم وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ما خفي عنكم من مصالحكم و محاسن أعمالكم وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ من الأنبياء و اهل الحق لتقتدوا بهم وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ و يرشدكم إلى ما يمنعكم عن المعاصي وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ بها حَكِيمٌ

في وضعها. وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ كرره للتأكيد و المقابلة وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ اهل الباطل أَنْ تَمِيلُوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات و استحلال المحرمات مَيْلًا عَظِيماً بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل له.

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ فلذلك شرع لكم الشريعة الحنفية السمحة السهلة و رخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة عند الاضطرار وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً لا يصبر عن الشهوات و لا يتحمل مشاق الطاعات. يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ بما لم يبحه الشرع.

العياشي عن الصادق عليه السلام عنى بها القمار وكانت قريش تقامر الرجل بأهله و ماله فنهاهم اللّه عن ذلك. و في المجمع عن الباقر عليه السلام الربا و القمار و البخس و الظلم إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ.

القمي يعني بها الشراء و البيع الحلال.

و في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام انه سئل عن الرجل منا يكون عنده الشيء يتبلغ به و عليه دين أ يطعمه عياله حتى يأتي اللّه عز و جل بميسرة فيقضي دينه او يستقرض على ظهره في خبث الزمان و شدة المكاسب و يقبل الصدقة قال يقضي بما عنده دينه و لا يأكل من اموال الناس إلا و عنده ما يؤدي اليهم حقوقهم ان اللّه عز و جل يقول و لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ و لا يستقرض على ظهره الا و عنده وفاء و لو طاف على أبواب الناس فردوه باللقمة و اللقمتين و التمر و التمرتين الا أن يكون له ولي يقضي دينه من بعده ليس منا من يموت الا جعل اللّه له ولياً يقوم في عدته و دينه فيقضي عدته و دينه وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ.

القمي كان الرجل إذا خرج مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم في الغزو يحمل على العدو وحده من غير ان يأمره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فنهى اللّه ان يقتل نفسه من غير أمره.

و في المجمع عن الصادق عليه السلام ان معناه لا تخاطروا بنفوسكم في القتال فتقاتلوا من لا تطيقونه.

و العياشي عنه عليه السلام كان المسلمون يدخلون على عدوهم في المغارات فيتمكن منهم عدوهم فيقتلهم كيف يشاء فنهاهم اللّه ان يدخلوا عليهم في المغارات.

إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً إنما نهاكم اللّه عن قتل أنفسكم لفرط رحمته بكم.

العياشي عن امير المؤمنين عليه السلام قال سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم عن الجبائر تكون على الكسير كيف يتوضأ صاحبها وكيف يغتسل إذا اجنب قال يجزيه المسح بالماء عليها في الجنابة و الوضوء، قلت و ان كان في برد يخاف على نفسه إذا افرغ الماء على جسده فقرأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً.

أقول: هذا الحديث يشعر بعموم الحكم في سائر انواع القتل و إلقاء النفس الى التهلكة و ارتكاب ما يؤدي اليه بل باقتراف ما يرديها فانه القتل الحقيقي للنفس، و قيل المراد بالأنفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس و المال الذي هو شقيقها إذ به قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس و تستوفي فضائلها رأفة بهم.

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ اشارة الى ما سبق من المنهيات عُدْواناً وَ ظُلْماً افراطاً في التجاوز عن الحق و اتياناً بما لا يستحقه فَسَوْفَ نُصْلِيهِ ناراً ندخله إياها وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً لا عسر فيه و لا صارف عنه.

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ يغفر لكم صغائركم و يمحها عنكم و لا تسألون عنها وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيماً الجنة و ما وعدتم من الثواب او ادخالاً مع كرامة، و قرئ بفتح الميم و هو ايضاً يحتمل المكان و المصدر.

في الفقيه و العياشي عن الباقر عليه السلام انه سئل عن الكبائر فقال كلما أوعد اللّه عليه النار.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية الكبائر التي أوجب اللّه عليها النار.
و في ثواب الاعمال عنه عليه السلام في هذه الآية من اجتنب ما أوعد اللّه عليه النار إذا كان مؤمناً كفر اللّه عنه سيئاته و يدخله مدخلًا كريماً و الكبائر السبع الموجبات قتل النفس الحرام و عقوق الوالدين و أكل الربى و التعرب بعد الهجرة و قذف المحصنة و أكل مال اليتيم و الفرار من الزحف، و رواها في الكافي عن الكاظم عليه السلام مع اربع روايات صادقية عدت في كل منها سبعاً. و روتها العامة ايضاً كذلك إلا ان بعضها يدّل بعضاً ببعض و المشترك في روايات السبع القتل و العقوق و أكل مال اليتيم و الفرار عن الزحف.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام في جملة الأربع أنه سأله زرارة عن الكبائر فقال هن في كتاب عليّ صلوات اللّه و سلامه عليه سبع: الكفر باللّه و قتل النفس و عقوق الوالدين و أكل الربى بعد البينة و أكل مال اليتيم ظلماً و الفرار من الزحف و التعرب بعد الهجرة قال فقلت هذا أكبر المعاصي قال نعم قلت فأكل درهم من مال اليتيم ظلماً أكبر أم ترك الصلاة قال ترك الصلاة قلت فما عددت ترك الصلاة في الكبائر قال أي شيء أول ما قلت لك قال قلت الكفر قال فان تارك الصلاة كافر يعني من غير علة.
أقول: الموجبات يجوز فيها الكسر و الفتح أي التي توجب النار و التي أوجب اللّه تعالى عليها النار و التعرب بعد الهجرة أن يعود إلى البادية و يقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً و كان من رجع بعد الهجرة الى موضعه بغير عذر يعدونه كالمرتد و لا يبعد تعميمه كل من تعلم آداب الشرع و السنة ثم تركها و أعرض عنها و لم يعمل بها.
و في المعاني عن الصادق عليه السلام المتعرب بعد الهجرة التارك لهذا الأمر بعد معرفته و معنى بعد البينة بعد أن يتبين له تحريمه و المحصنة بفتح الصاد المعروفة بالعفة كانت ذات زوج أو لم تكن و الزحف المشي إلى العدو للمحاربة، و في بعض الاخبار عدت أشياء أُخر غير ما ذكر من الكبائر كالإشراك باللّه و اليأس من روح اللّه و الامن من مكر اللّه و السحر و الزنا و اليمين الغموس الفاجرة و الغلول و شهادة الزور و كتمان الشهادة و شرب الخمر و ترك الصلاة و الزكاة المفروضتين و نقض العهد و قطيعة الرحم و اللواط و السرقة إلى غير ذلك و معنى اليمين الغموس الفاجرة أي الكاذبة.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام اليمين الغموس التي توجب النار الرجل يحلف على حق امرئ مسلم على حبس ماله، قيل انما سميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في الإثم.
و عن ابن عباس ان الكبائر إلى السبعمائة أقرب منها الى السبع.
و في المجمع نسب إلى أصحابنا ان المعاصي كلها كبيرة لكن بعضها أكبر من بعض و ليس في الذنوب صغيرة و انما يكون صغيراً بالإضافة الى ما هو أكبر و استحقاق العقاب عليه أكثر، قيل و توفيقه مع الآية أن يقال من عنّ له أمران و دعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن أكبرهما كفّر عنه ما ارتكبه لما استحق عليه من الثواب على اجتناب الأكبر كما إذا تيسر له النظر بشهوة و التقبيل فاكتفى بالنظر عن التقبيل و لعل هذا مما يتفاوت أيضاً باعتبار الاشخاص و الأحوال فان حسنات الأبرار سيئات المقربين و يؤاخذ المختار بما يعفى عن المضطرين.
أقول: ظاهر الآية و الأخبار الواردة في تفسيرها و تفسير الكبائر يعطي تمايز كل من الصغائر و الكبائر عن صاحبها كما لا يخفى على من تأمل فيها و ما نسبه في المجمع إلى أصحابنا لا مستند له و قول الموفق يعطي ان من قدر على قتال أحد فقطع أطرافه كان قطع أطرافه مكفراً و هو كما ترى فلا بد لكلامه و كلام الأصحاب من توجيه حتى يوافقا الظواهر.
وَ لا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ من الأمور الدنيوية كالجاه و المال فلعل عدمه خير.
في المجمع عن الصادق عليه السلام أي لا يقل أحدكم ليت ما أُعطي فلان من المال و النعمة و المرأة الحسناء كان لي فان ذلك يكون حسداً و لكن يجوز أن يقول اللهم اعطني مثله.

و في الخصال عنه عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم من تمنى شيئاً و هو للّه تعالى رضىً لم يخرج من الدنيا حتى يعطى لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ بيان لذلك أي لكل من الرجال و النساء فضل و نصيب بسبب ما اكتسب و من أجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد و التمني وَ سْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ أي لا تتمنوا ما للناس و اسألوا اللّه مثله من خزائنه التي لا تنفد.

في الفقيه عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم ان اللّه تعالى أحب شيئاً لنفسه و أبغضه لخلقه أبغض عز و جل لخلقه المسألة و أحب لنفسه أن يسأل و ليس شيء أحب إليه من أن يسأل فلا يستحي أحدكم أن يسأل اللّه عز و جل من فضله و لو شِسْعَ نَعْلٍ. و في الكافي عن الصادق عليه السلام من لم يسأل اللّه من فضله افتقر. و فيه و العياشي عن الباقر عليه السلام ليس من نفس إلا و قد فرض اللّه لها رزقاً حلالًا يأتيها في عافية و عرض لها بالحرام من وجه آخر فان هي تناولت شيئاً من الحرام قاصها به من الحلال الذي فرضه لها و عند اللّه سواهما فضل كثير و هو قوله عز و جل وَ سْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ. و العياشي عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم ما يقرب منه. و عن الصادق عليه السلام ان الأرزاق مضمونة مقسومة و للّه فضل يقسمه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس و ذلك قوله تعالى وَ سْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ثم قال و ذكر اللّه بعد طلوع الفجر ابلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً فهو يعلم ما يستحقه كل أحد.

وَ لِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ أي لكل واحد من الرجال و النساء جعلنا ورثة هم أولى بميراثه يرثون مما ترك الوالدان و الأقربون.

في الكافي عن الصادق عليه السلام انما عنى بذلك اولي الأرحام في المواريث و لم يعن أولياء النعمة فأولاهم بالميت أقربهم اليه من الرحم التي تجره اليها وَ الَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ قيل كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك و هدمي هدمك و حربي حربك و سلمي سلمك و ترثني وارثك و تعقل عني و اعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ. القميّ وَ أُولُوا الْأَرْحامِ نسخت قوله وَ الَّذِينَ عَقَدَتْ و قيل معناه أعطوهم نصيبهم من النصر و العقل و الرفد و لا ميراث فلا نسخ.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام إذا والى الرجل الرجل فله ميراث و عليه معقلته يعني دية جناية خطأه.

و فيه و العياشي عن الرضا عليه السلام عنى بذلك الأئمة بهم عقد اللّه عز و جل ايمانكم و يؤيد هذا ما سبق في آية الوصية من سورة البقرة أن لصاحب هذا الأمر في أموال الناس حقاً و قرأ عاقدت أي عاقدتهم أيديكم و ماسحتموهم إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً تهديد على منع نصيبهم.

الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية بِما فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل و حسن التدبير و مزيد القوة في الأعمال و الطاعات وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ في نكاحهن كالمهر و النفقة.

في العلل عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم أنه سئل ما فضل الرجال على النساء فقال كفضل الماء على الأرض فبالماء تحيى الأرض و بالرجال تحيى النساء و لولا الرجال ما خلقت النساء ثم تلا هذه الآية ثم قال ألا ترى إلى النساء كيف يحضن و لا يمكنهن العبادة من القذارة و الرجال لا يصيبهم شيء من الطمث فَالصَّالِحاتُ قانِتاتٌ.

القمي عن الباقر عليه السلام يقول مطيعات حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ في أنفسهن و أموال أزواجهن.

في الكافي عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها و تطيعه إذا أمرها و تحفظه إذا غاب عنها في نفسها و ماله بِما حَفِظَ اللَّهُ بحفظ اللّه اياهن وَ اللَّاتِي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ ترفعهن عن طاعتكم و

عصيانهن لكم فَعِظُوهُنَّ بالقول وَ اهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضاجِعِ ان لم ينجع العظة. في المجمع عن الباقر عليه السلام أنه يحول ظهره اليها وَ اضْرِبُوهُنَّ ان لم تنفع الهجرة ضرباً غير شديد لا يقطع لحماً و لا يكسر عظماً.
في المجمع عن الباقر عليه السلام أنه الضرب بالسواك فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا بالتوبيخ و الإيذاء إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيًّا كَبِيراً فاحذروه فانه أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم.
وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما أي الإختلاف و عدم الاجتماع على رأي كأن كل واحد في شق أي جانب فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها إِنْ يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُما.
في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام الحكمان يشترطان ان شاءا فرقا و ان شاءا جمعا فان جمعا فجايز و ان فرقا فجايز و قال ليس لهما أن يفرقا حتى يستأمراهما إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً خَبِيراً فيعلم كيف يرفع الشقاق و يقع الوفاق. وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً و أحسنوا بهما احساناً.
العياشي عنهما عليهما السلام في هذه الآية ان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أحد الوالدين و علي عليه السلام الآخر وَ بِذِي الْقُرْبى و بصاحب القرابة وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ الْجارِ ذِي الْقُرْبى الذي قرب جواره وَ الْجارِ الْجُنُبِ البعيد. في الكافي عن الباقر عليه السلام حد الجوار أربعون داراً من كل جانب من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله.
و عن الصادق عليه السلام قال قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم كل أربعين داراً جيران من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله.
و عنه عليه السلام حسن الجوار يزيد في الرزق، و قال حسن الجوار يعمر الديار و يزيد في الأعمار.
و عن الكاظم عليه السلام ليس حسن الجوار كف الأذى و لكن حسن الجوار صبرك على الأذى.
و عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار و حق القرابة و حق الإسلام و جار له حقان حق الجوار و حق الإسلام و جار له حق واحد حق الجوار و هو المشرك من أهل الكتاب وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ قيل من صحبكم و حصل بجنبكم لرفاقة في أمر حسن كتزوج و تعلّم و تصرّف و صناعة و سفر وَ ابْنِ السَّبِيلِ المسافر و الضيف وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ العبيد و الإماء.
و القميّ و الصاحب بالجنب صاحبك في السفر و ابن السبيل يعني أبناء الطريق الذين يستعينون بك في طريقهم و ما ملكت ايمانكم يعني الأهل و الخادم إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالًا متكبراً يأنف عن أقاربه و جيرانه و أصحابه و لا يلتفت إليهم فَخُوراً يتفاخر عليهم.
الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بما منحوا وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ. في الفقيه عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم ليس البخيل من أدى الزكاة المفروضة من ماله و أعطى البائنة في قومه انما البخيل حق البخيل من لم يؤد الزكاة المفروضة من ماله و لم يعط البائنة في قومه و هو يبذر فيما سوى ذلك.
أقول: البائنة العطية سميت بها لأنها أُبينت من المال.
و عن الصادق عليه السلام البخيل يبخل بما في يده و الشحيح يشح بما في أيدي الناس و على ما في يديه حتى لا يرى في أيدي الناس شيئاً إلا تمنى أن يكون له بالحل و الحرام و لا يقنع بما رزقه اللَّه.
و في الخصال عنه عليه السلام ما كان في شيعتنا فلا يكون فيهم ثلاثة أشياء لا يكون فيهم من يسأل بكفه و لا يكون فيهم بخيل الحديث. و عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم خصلتان لا يجتمعان في المسلم البخل و سوء الخلق وَ يَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ من الغنى و العلم حيث ينبغي الاظهار وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً وضع الظاهر موضع المضمر اشعار بأن من هذا شأنه كافر لنعمة اللَّه فله عذاب يهينه كما أهان النعمة بالبخل و الإخفاء.

وَ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ رِئاءَ النَّاسِ شاركهم مع البخلاء في الذم و الوعيد لاشتراكهما في عدم الإنفاق على ما ينبغي وَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ليتحروا بالإنفاق مراضيه و ثوابه وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قَريناً فَساءَ قَريناً تنبيه على أن الشيطان قرينهم يحملهم على ذلك و يزينه لهم كقوله إِنَّ الْمُبَذِّرينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ.
وَ ما ذا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ في طاعة اللّه توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة و الإعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه و تحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد و العوائد و تنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب له احتياطاً فكيف إذا تضمن المنافع و انما قدم الإيمان هاهنا و أخره في الآية السابقة لأن المقصود هنا التخصيص و ثمة التعليل وَ كانَ اللَّهُ بِهِمْ عَليماً وعيد لهم.
إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ لا ينقص من الأجر و لا يزيد في العقاب أصغر شيء كالذرة و هي النملة الصغيرة و يقال لكل جزءٍ من أجزائه الهباء و المثقال من الثقل وَ إِنْ تَكُ حَسَنَةً و قرئ بالرفع على التامة يُضاعِفْها يضاعف ثوابها وَ يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ و يعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائداً على ما وعد في مقابلة العمل أَجْراً عَظيماً عطاء جزيلًا سماه أجراً تبعيةً له.
فَكَيْفَ حالهم من الهول و الفزع إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهيدٍ وَ جِئْنا بِكَ يا محمد عَلى هؤُلاءِ شَهيداً.
في الكافي عن الصادق عليه السلام نزلت في أمة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم خاصة في كل قرن منهم امام شاهد عليهم و محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم شاهد علينا.
و في الاحتجاج عن أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه في حديث يذكر فيه أحوال أهل الموقف فيقام الرسل فيسألون عن تأدية الرسالات التي حملوها إلى أممهم فأخبروا انهم قد أدوا ذلك إلى أممهم و تسأل الأمم فيجحدون كما قال اللّه فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فيقولون ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ وَ لا نَذيرٍ فيستشهد الرسل رسول اللّه فيشهد بصدق الرسل و يكذب من جحدها من الأمم فيقول لكل أمة منهم بلى قد جاءكم بشير و نذير و اللّه على كل شيء قدير أي مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل إليكم رسالاتهم و لذلك قال اللّه تعالى لنبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهيداً فلا يستطيعون رد شهادته خوفاً من أن يختم اللّه على أفواههم و أن يشهد عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون و يشهد على منافقي قومه و أمته وكفارهم بالحادهم و عنادهم و نقضهم عهده و تغييرهم سنته و اعتدائهم على أهل بيته و انقلابهم على أعقابهم و ارتدادهم على ادبارهم و احتذائهم في ذلك سنة من تقدمهم من الأمم الظالمة الخائنة لأنبيائها فيقولون بأجمعهم رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتُنا وَ كُنَّا قَوْماً ضالِّينَ.
أقول: نزول الآية في هذه الامة لا ينافي عموم حكمها فلا تنافي بين الروايتين و قد مضى تمام الكلام في هذه في سورة البقرة عند قوله سبحانه وَ كَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ.
يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذينَ كَفَرُوا وَ عَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَديثاً.
العياشي عن الصادق عن جده عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يصف فيها هول يوم القيامة ختم على الأفواه فلا تكلم و تكلمت الأيدي و شهدت الأرجل و أنطقت الجلود بما عملوا ف لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَديثاً.
و القميّ قال يتمنى الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام أن تكون الأرض تبلعهم في اليوم الذي اجتمعوا فيه على غصبه و ان لم يكتموا ما قاله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فيه.
يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ لا تقوموا إليها وَ أَنْتُمْ سُكارى من نحو نوم أو خمر حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ حتى تنتبهوا و تفيقوا.
في الكافي و العلل و العياشي عن الباقر عليه السلام لا تقم إلى الصلاة متكاسلًا و لا متناعساً و لا متثاقلًا فإنها من خلال النفاق و قد نهى اللّه عز و جل أن تقوموا إلى الصلاة وَ أَنْتُمْ سُكارى قال سكر النوم.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام منه سكر النوم و هو يفيد التعميم.

و في المجمع عن الكاظم عليه السلام أن المراد به سكر الشراب ثم نسختها تحريم الخمر. و مثله ما روته العامة و أنها نزلت فيمن قرأ في صلاته اعبد ما تعبدون في سكره.

و العياشي عنه هذا قبل أن يحرم الخمر، و عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية: قال يعني سكر النوم يقول بكم نعاس متكاسلًا يمنعكم أن تعلموا ما تقولون في ركوعكم و سجودكم و تكبيركم و ليس كما يصف كثير من الناس يزعمون أن المؤمنين يسكرون من الشراب و المؤمن لا يشرب مسكراً و لا يسكر.

أقول: لما كانت الحكمة تقتضي تحريم الخمر متدرجاً و التأخير في التصريح به كما مضى بيانه في سورة البقرة وكان قوم من المسلمين يصلون سكارى منها قبل استقرار تحريمها نزلت هذه الآية و خوطبوا بمثل هذا الخطاب ثم لما ثبت تحريمها و استقر و صاروا ممن لا ينبغي أن يخاطبوا بمثله لأن المؤمنين لا يسكرون من الشراب بعد أن حرم عليهم جاز أن يقال الآية منسوخة بتحريم الخمر بمعنى عدم حسن خطابهم بمثله بعد ذلك لا بمعنى جواز الصلاة مع السكر ثم لما عم الحكم سائر ما يمنع من حضور القلب جاز أن يفسر بسكر النوم و نحوه تارة و أن يعم الحكم اخرى فلا تنافي بين هذه الروايات بحال و الحمد للّه على ما رزقنا من فهم كلام خلفائه وَ لا جُنُباً إِلَّا عابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا.

في العلل و العياشي عن الباقر عليه السلام و القميّ عن الصادق عليه السلام الحائض و الجنب لا يدخلان المسجد الا مجتازين فان اللّه تعالى يقول وَ لا جُنُباً إِلَّا عابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا قال بعض البارعين في علم البلاغة من أصحابنا في كتاب الفه في الصناعات البديعة عند ذكر الاستخدام بعد ما عرفه بأنه عبارة من أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين مقرونة بقرينتين يستخدم كل قرينة منهما معنىً من معنيي تلك اللفظة قال و في الآية الكريمة قد استخدم سبحانه لفظة الصلاة لمعنيين أحدهما اقامة الصلاة بقرينة قوله عز و جل حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ و الآخر موضع الصلاة بقرينة قوله جل ثناؤه وَ لا جُنُباً إِلَّا عابِرِي سَبِيلٍ.

أقول: هذا هو الصواب و هو الموافق لما رويناه من الأخبار في هذا الباب كما دريت لا ما تكلفته العامة تارة بأن المراد بالصلاة في صدر هذه الآية مواضعها و هي المساجد بقرينة عابري سَبِيلٍ، و اخرى بأن المراد بعابري سبيل حالة السفر و ذلك إذا لم يجد الماء و تيمم بقرينة حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضى قيل يعني مريضاً يخاف على نفسه باستعمال الماء و الوصول اليه.

أقول: لا حاجة إلى هذا التقييد لأن قوله تعالى فَلَمْ تَجِدُوا ماءً متعلق بالجمل الأربع و هو يشمل عدم التمكن من استعماله لأن الممنوع منه كالمفقود وكذلك تقييد السفر بعدم وجدان الماء و هما مستفادان من النصوص المعصومية أيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ أي متلبسين به إذ الغالب فقدان الماء في أكثر الصحارى أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ كناية عن الحدث إذ الغائط المكان المنخفظ من الأرض كانوا يقصدون للحدث مكاناً منخفضاً تغيب فيه أشخاصهم عن الرائي أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ كناية عن الجماع كذا في المجمع عن أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه. و في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام قال هو الجماع و لكن اللّه ستير يحب الستر و لم يسم كما يسمون. و عن الباقر عليه السلام ما يعني بهذا أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ إلا المواقعة في الفرج، و في رواية اخرى في الكافي ان اللّه حي كريم يعبر عن مباشرة النساء بملامستهن فَلَمْ تَجِدُوا ماءً بأن تفقدوه أو لم تتمكنوا من استعماله كما سبق فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فتعمدوا تراباً طاهراً. و في المعاني عن الصادق عليه السلام الصعيد الموضع المرتفع و الطيب الموضع الذي ينحدر عنه الماء، و قيل الصعيد وجه الأرض تراباً كان أو غيره فيجوز التيمم على الحجر الصلد و يدفعه من القرآن قوله سبحانه في سورة المائدة فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ أي من بعضه و جعل من لابتداء الغاية تعسف إذ لم يفهم من مثله الا التبعيض و قد ورد في بعض الاخبار تفسيره به كما يأتي في محله و من الحديث قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم في معرض التسهيل و التخفيف و بيان امتنان اللّه سبحانه عليه و على هذه الامة المرحومة في احدى الروايتين جعلت لي الأرض مسجداً و ترابها طهوراً فلوكان مطلق الأرض طهوراً لكان ذكر التراب مخلًا بانطباق الكلام على

الغرض المسوق له وكان مقتضى الحال أن يقول جعلت لي الأرض مسجداً و طهوراً كما في الرواية الاخرى فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ.
في الكافي عن الباقر عليه السلام في آية التيمم التي في المائدة فلما وضع الوضوء ان لم يجدوا الماء أثبت بعض الغسل مسحاً لأنه قال بوجوهكم ثم وصل بها و أيديكم.
أقول: نبه بذلك على عدم وجوب استيعاب الوجه و اليدين بالمسح كما تفعله العامة و ان الباء فيه للتبعيض و يأتي تمام الحديث ان شاء اللَّه. و عنه عليه السلام في صفة التيمم أنه وضع كفيه على الأرض ثم مسح وجهه و كفيه و لم يمسح الذراعين بشيء.
و عن الصادق عليه السلام أنه وصف التيمم فضرب بيديه على الأرض ثم رفعهما فنفضهما ثم مسح على جبينه وكفيه مرة واحدة و في رواية ثم مسح كفيه إحداهما على ظهر الاخرى.
و عن الرضا عليه السلام التيمم ضربة للوجه و ضربة للكفين.
و عن الباقر عليه السلام هو ضرب واحد للوضوء و الغسل من الجنابة تضرب بيديك مرتين ثم تنفضهما نفضة للوجه و مرة لليدين و متى أصبت الماء فعليك بالغسل ان كنت جنباً و الوضوء إن لم تكن جنباً.
أقول: ضرب واحد يعني نوع واحد للطهارتين لا تفاوت فيه كما يستفاد من ظاهر الآية و ظواهر الاخبار الواردة في هذا الباب لا أنه ضربة للوضوء و اثنتان للغسل كما زعمت جماعة من متأخري أصحابنا كيف ذا و كل ما ورد في بيان بدل الغسل اكتفي فيه بالضربة الواحدة على أنه خلاف ظاهر اللفظ.
و في الفقيه و التهذيب عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن التيمم من الوضوء و من الجنابة و من الحيض للنساء سواء فقال نعم.
أقول: و انما استحب المرتان فيهما لاشتراط علوق التراب بالكف كما أشرنا اليه فان الضربة في التيمم بمنزلة اغتراف الماء في الوضوء و الغسل فلعله ربما يذهب التراب عن الكفين بمسح الوجه و لا يبقى لليدين فالاحتياط يقتضي الضربتين في الطهارتين و أما النفض فلعله لتقليل التراب لئلا يتشوه به الوجه إِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا غَفُوراً فلذلك يسر الأمر عليكم و رخص لكم.
أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً حظاً يسيراً مِنَ الْكِتابِ من علم التوراة كما قيل أنها نزلت في أحبار اليهود يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ يستبدلونها بالهدى بعد حصوله لهم بالمعجزات الدالة على صدق محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و أنه المبشر به في التوراة وَ يُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا أيها المؤمنون السَّبِيلَ سبيل الحق.
وَ اللَّهُ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِأَعْدائِكُمْ و قد أخبركم بعداوة هؤلاء و ما يريدون بكم فاحذروهم وَ كَفى بِاللَّهِ وَلِيًّا يلي أمركم وَ كَفى بِاللَّهِ نَصِيراً يعينكم فثقوا به و اكتفوا به عن غيره.
مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ يميلون عنها بتبديل كلمة مكان اخرى كما حرفوا في وصف محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة و وضعوا مكانه أدم طوال وَ يَقُولُونَ سَمِعْنا قولك وَ عَصَيْنا أمرك وَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ يعنون اسمع منا ندعو عليك بلا سمعت أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو اليه وَ راعِنا انظرنا نكلمك أو نفهم كلامك يعنون به السب فان راعنا سب في لغتهم لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ فتلًا بها و صرفاً للكلام إلى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا و راقبنا و غير مسمع موضع لا أسمعت مكروهاً أو فتلًا بها و ضمّاً ما يظهرون من الدعاء و التوقير إلى ما يضمرونه من الشتم و التحقير نفاقاً وَ طَعْناً فِي الدِّينِ استهزاء به و سخرية وَ لَوْ أَنَّهُمْ قالُوا سَمِعْنا وَ أَطَعْنا وَ اسْمَعْ وَ انْظُرْنا لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَقْوَمَ و اعدل و اسد وَ لكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ خذلهم و أبعدهم عن الهدى بِكُفْرِهِمْ بسبب كفرهم فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا إلا ايماناً قليلًا لا يعبأ به و هو الايمان ببعض الآيات و الرسل و ايماناً ضعيفاً لا اخلاص فيه او الا قليلًا منهم.
يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها.

في المجمع عن الباقر عليه السلام ان المعنى نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها في ضلالتها بحيث لا يفلح أبداً و الطمس ازالة الصورة و محو التخطيط أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ أو نخزيهم بالمسخ كما أخزيناهم به وَكانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا فيقع لا محالة ما أوعدتم به إن لم تؤمنوا.

إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ لأنه حكم على خلود عذابه من جهة أن ذنبه لا ينمحي عنه أثره فلا يستعد للعفو الا أن يتوب و يرجع إلى التوحيد فان باب التوبة مفتوح أبداً وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ ما دون الشرك صغيراً كان أو كبيراً لِمَنْ يَشاءُ تفضلًا عليه و احساناً.في الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال الكبائر فما سواها.و فيه و في الفقيه أنه سئل هل تدخل الكبائر في مشية اللَّه قال نعم ذاك اليه عز يُظْلَمُونَ فَتِيلًا أدنى ظلم و أصغره و هو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة.

انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ في زعمهم أنهم أبناء اللَّه و أزكياء عنده وَكَفى بِهِ بالافتراء إِثْماً مُبِيناً.

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوت.

القميّ قال نزلت في اليهود حين سألهم مشركوا العرب أ ديننا أفضل أم دين محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم قالوا بل دينكم أفضل قال و روي أيضاً أنها نزلت في الذين غصبوا آل محمد صلوات اللّه عليهم أجمعين حقهم و حسدوا منزلتهم.

و العياشي عن الباقر عليه السلام بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوت فلان و فلان.

أقول: بِالْجِبْتِ في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون اللّه تعالى وَ الطَّاغُوت يطلق على الشيطان و على كل باطل من معبود أو غيره وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لأجلهم و فيهم هؤُلاءِ إشارة إليهم أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أقوم ديناً و أرشد طريقاً.

في الكافي عن الباقر عليه السلام يقولون لأئمة الضلال و الدعاة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمد صلوات اللَّه عليهم أجمعين. أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً.

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ انكار يعني ليس لهم ذلك فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً يعني لوكان لهم نصيب في الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً.في الكافي عن الباقر عليه الصلاة و السلام أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ يعني الامامة و الخلافة قال و نحن الناس الذين عنى اللَّه و النقير النقطة التي في وسط النواة.

أقول: لعل التخصيص لأجل أن الدنيا خلقت لهم و الخلافة حقهم فلوكانت الأموال في أيديهم لا تنفع بها سائر الناس و لو منعوا عن حقوقهم لمنع سائر الناس فكأنهم كل الناس و قد ورد نحن الناس و شيعتنا أشباه الناس و سائر الناس نسناس.

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ.

في الكافي و العياشي و غيرهما عنهم عليهم السلام في عدة روايات نحن المحسودون الذين قال اللّه على ما آتانا اللّه من الإمامة.

و في المجمع عن الباقر عليه السلام المراد بالناس النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً فلا يبعد أن يؤتيهم اللّه مثل ما آتاهم فإنهم كانوا بني عمهم.

و الكافي و القمي عن الصادق عليه السلام الْكِتابَ النبوة وَ الْحِكْمَةَ الفهم و القضاء و الملك العظيم الطاعة المفروضة.

و في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام يعني جعل منهم الرسل و الأنبياء و الأئمة فكيف يقرون في آل ابراهيم و ينكرونه في آل محمد صلوات اللَّه و سلامه عليهم أجمعين، و قال الملك العظيم ان جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطا ع اللَّه و من عصاهم عصى اللَّه فهو الملك العظيم.

فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ اعرض و لم يؤمن وَكَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً ناراً مسعورة يعذبون بها يعني إن لم يعجلوا بالعقوبة فقدكفاهم ما أعد لهم من سعير جهنم.

إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً.
القميّ قال الآيات أمير المؤمنين و الأئمة صلوات اللَّه عليهم أجمعين.
كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ.
في الإحتجاج عن الصادق عليه السلام أنه سأله ابن أبي العوجاء عن هذه الآية فقال ما ذنب الغير قال ويحك هي هي و هي غيرها قال فمثّل لي في ذلك شيئاً من أمر الدنيا قال نعم أ رأيت لو أن رجلًا أخذ لبنة فكسرها ثم ردها في ملبنها فهي هي و هي غيرها.
و القميّ عنه عليه السلام ما في معناه إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً لا يمنع عليه ما يريده حَكِيماً يعاقب على وفق حكمته.
وَ الَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فِيها أَبَداً لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا دائماً لا تنسخه الشمس مشتقة من الظل لتأكيده كما قيل ليل أليل و شمس شامس و انما أخر ذكر الوعد عن الوعيد لكونه بالعرض.
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها.
في الكافي و غيره في عدة روايات أن الخطاب إلى الأئمة عليهم السلام أمركل منهم أن يؤدي إلى الإمام الذي بعده و يوصي اليه ثم هي جارية في سائر الأمانات.
و فيه و في العياشي عن الباقر عليه الصلاة و السلام إيانا عني أن يؤدي الإمام الأول إلى الذي بعده العلم و الكتب و السلاح.
و في المجمع عنهما عليهما السلام أنها في كل من ائتمن أمانة من الأمانات أمانات اللَّه و أوامره و نواهيه و أمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضاً من المال و غيره و عنهم عليهم السلام في عدة روايات لا تنظروا الى طول ركوع الرجل و سجوده فان ذلك شيء اعتاده فلو تركه استوحش لذلك و لكن انظروا إلى صدق حديثه و أداء أمانته.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام ان ضارب علي بالسيف و قاتله لو ائتمنني و استنصحني و استشارني ثم قبلت ذلك منه لأديت اليه الأمانة و في معناها أخباركثيرة وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ.
في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام يعني العدل الذي في أيديكم و في رواية اخرى للعياشي أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إذا ظهر ثم أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إذا بدت في أيديكم إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ.
العياشي عن الباقر عليه السلام فينا نزلت و اللَّه المستعان إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً بأقوالكم و أفعالكم و ما تفعلون في أماناتكم. يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ.
في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام إيانا عنى خاصة أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن الأوصياء طاعتهم مفروضة قال نعم هم الذين قال اللَّه: أَطِيعُوا اللَّهَ الآية و قال اللَّه إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ الآية.
و فيه و العياشي عنه عليه السلام في هذه الآية قال نزلت في علي بن أبي طالب و الحسن و الحسين عليهم الصلاة و السلام فقيل ان الناس يقولون فما له لم يسم عليّاً و أهل بيته في كتابه فقال فقولوا لهم نزلت الصلاة و لم يسم اللَّه لهم ثلاثاً و لا أربعاً حتى كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فسر ذلك لهم و نزلت عليه الزكاة و لم يسم لهم من كل أربعين درهماً درهم حتى كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم هو الذي فسر ذلك لهم و نزل الحج فلم يقل طوفوا اسبوعاً حتى كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم هو الذي فسر ذلك لهم و نزلت أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ و نزلت في علي و الحسن و الحسين عليهم السلام فقال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم في علي من كنت مولاه فعليّ مولاه، و قال أوصيكم بكتاب اللَّه و أهل بيتي فإني سألت اللَّه أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما علي الحوض فاعطاني ذلك و قال لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم و قال انهم لن يخرجوكم من باب هدىً و لن يدخلوكم في باب ضلالة فلو

سكت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و لم يبين من أهل بيته لادعاها آل فلان و آل فلان و لكن اللّه أنزل في كتابه تصديقاً لنبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلم إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً فكان علي و الحسن و الحسين و فاطمة صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين فأدخلهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم تحت الكساء في بيت أم سلمة ثم قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم اللهم ان لكل نبي أهلًا و ثقلًا و هؤلاء أهل بيتي و ثقلي فقالت أم سلمة أ لست من أهلك فقال انك على خير و لكن هؤلاء أهل بيتي و ثقلي (الحديث).

و زاد العياشي آل عباس و آل عقيل قبل قوله و آل فلان و آل فلان.

و عن الصادق عليه السلام انه سئل عما بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أخذ بها زكى العمل و لم يضر جهل ما جهل بعده فقال شهادة أن لا إله إلا اللّه و أن محمداً رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و الإقرار بما جاء به من عند اللّه و حق في الأموال الزكاة و الولاية التي أمر اللّه بها ولاية آل محمد صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين فان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال من مات و لا يعرف امامه مات ميتة جاهلية قال اللّه تعالى أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فكان علي عليه السلام ثم صار من بعده الحسن ثم من بعده الحسين ثم من بعده علي بن الحسين ثم من بعده محمد بن علي ثم هكذا يكون الأمر ان الأرض لا تصلح إلا بإمام عليهم السلام (الحديث).

و في المعاني عن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل ما أدنى ما يكون به الرجل ضالًا فقال أن لا يعرف من أمر اللّه بطاعته و فرض ولايته و جعل حجته في أرضه و شاهده على خلقه قال فمن هم يا أمير المؤمنين قال الذين قرنهم اللّه بنفسه و نبيه فقال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ قال فقبلت رأسه و قلت أوضحت لي و فرجت عني و أذهبت كل شك كان في قلبي.

و في الإكمال عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري (رض) قال لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول اللّه عرفنا اللّه و رسوله فمن أولي الأمر الذين قرنهم اللّه طاعتهم بطاعتك فقال هم خلفائي يا جابر و أئمة المسلمين من بعدي أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي صلوات اللّه عليهم المعروف في التوراة بالباقر و ستدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرئه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميي محمد و كنيي حجة اللّه في أرضه و بقيته في عباده ابن الحسن بن علي صلوات اللّه عليهم، ذاك الذي يفتح اللّه على يديه مشارق الأرض و مغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته و أوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته الا من امتحن اللّه قلبه للإيمان قال جابر فقلت له يا رسول اللّه فهل لشيعته الانتفاع به في غيبته فقال أي و الذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره و ينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس و ان تجلاها سحاب يا جابر هذا من مكنون سر اللّه و مخزون علم اللّه فاكتمه الا عن أهله و الأخبار في هذا المعنى في الكتب المتداولة المعتبرة لا تحصى كثرة. و في التوحيد عن أمير المؤمنين عليه السلام اعرفوا اللّه باللّه تعالى و الرسول بالرسالة وَ أُولِي الْأَمْرِ بالمعروف و العدل و الإحسان. و في العلل عنه عليه السلام لا طاعة لمن عصى اللّه و انما الطاعة للّه و لرسوله و لولاة الأمر انما أمر اللّه بطاعة الرسول لأنه معصوم مطهر لا يأمر بمعصيته و انما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصيته فَإِنْ تَنازَعْتُمْ أيّها المأمورون فِي شَيْءٍ من أمور الدين فَرُدُّوهُ فراجعوا فيه إِلَى اللَّهِ إلى محكم كتابه وَ الرَّسُولِ بالسؤال عنه في زمانه و بالأخذ بسنته و المراجعة إلى من أمر بالمراجعة اليه بعده فإنها رد اليه.

القميّ عن الصادق عليه السلام قال نزل فان تنازعتم في شيء فردوه الى اللّه و الى الرسول و الى أولي الأمر منكم. و في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام انه تلا هذه الآية هكذا فان خفتم تنازعاً في أمر فردوه

إلى اللّه و إلى الرسول و إلى أولي الأمر منكم قال كذا نزلت وكيف يأمرهم اللّه عز و جل بطاعة ولاة الأمر و يرخص في منازعتهم انما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم أَطِيعُوا اللَّهَ.

و في نهج البلاغة في معنى الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال انا لم نحكم الرجال و انما حكمنا القرآن و هذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان و لا بد له من ترجمان و انما ينطق عنه الرجال و لما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب اللّه تعالى و قال سبحانه فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْ‌ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ فردوه إلى اللّه أن نحكم بكتابه و رده إلى الرسول أن نأخذ بسنته فإذا حكم بالصدق كتاب اللّه فنحن أحق الناس به و ان حكم بسنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فنحن أولادهم به و قال عليه السلام في عهده للأشتر و اردد إلى اللّه و رسوله ما يضلعك من الخطوب و يشتبه عليك من الأمور فقد قال اللّه سبحانه لقوم أحب إرشادهم يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْ‌ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ فالرد إلى اللّه الأخذ بمحكم كتابه و الرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة.

و في الإحتجاج عن الحسين بن علي عليه السلام في خطبته و اطيعونا فان طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة اللّه و طاعة رسوله مقرونة قال اللّه تعالى أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْ‌ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ و قال وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَلِيلًا إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فان الإيمان يوجب ذلك ذلِكَ أي الرد خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا من تأويلكم بلا رد.

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيداً.

القميّ نزلت في الزبير بن العوام نازع رجلًا من اليهود في حديقة فقال الزبير نرضى بابن شيبة اليهودي و قال اليهود نرضى بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم فأنزل اللّه.

و في الكافي عن الصادق عليه الصلاة و السلام أيما رجل كان بينه و بين أخ مماراة في حق فدعاه إلى رجل من إخوانه ليحكم بينه و بينه فأبى إلا أن يرافعه إلى هؤلاء كان بمنزلة الذين قال اللّه أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ الآية. و عنه عليه السلام أنه سئل عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أ يحل ذلك فقال من تحاكم إلى الطاغوت فحكم له فإنما يأخذ سحتاً و ان كان حقه ثابتاً لأنه أخذ بحكم الطاغوت و قد أمر اللّه أن يكفر به قيل كيف يصنعان قال انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا و نظر في حلالنا و حرامنا و عرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما بحكم اللّه استخف و علينا رد و الراد علينا راد على اللّه و هو على حد الشرك باللّه. وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ يعرضون عَنْكَ صُدُوداً. القميّ هم أعداء آل محمد صلوات اللّه عليهم كلهم جرت فيهم هذه الآية.

فَكَيْفَ يكون حالهم إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ نالهم من اللّه عقوبة بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ من التحاكم إلى غيرك و اظهار السخط لحكمك ثُمَّ جاؤُكَ فيعتذرون اليك يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنا بالتحاكم إلى غيرك إِلَّا إِحْساناً و هو التخفيف عنك وَ تَوْفِيقاً بين الخصمين بالتوسط و لم نرد مخالفتك.

أُولئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ ما فِي قُلُوبِهِمْ من الشرك و النفاق فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ أي لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم.

في الكافي و العياشي عن الكاظم عليه السلام فقد سبقت عليهم كلمة الشقاء و سبق لهم العذاب وَ عِظْهُمْ بلسانك وَ قُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ في شأن أنفسهم أو خالياً بهم فان النصيحة في السر أنجع قَوْلًا بَلِيغاً يؤثر فيهم كتخويفهم بالقتل و الاستيصال ان ظهر منهم النفاق.

وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ نبه به على أن الذي لم يرض بحكمه كافر و ان أظهر الإسلام وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بالنفاق جاؤُكَ تائبين فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ مخلصين وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ بأن اعتذروا اليه حتى انتصب لهم شفيعاً لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً لعلموه قابلًا لتوبتهم متفضلًا عليهم بالرحمة.

فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ فيما اختلف بينهم و اختلط و منه الشجر لتداخل أغصانه ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ضيقاً مما حكمت به وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً و ينقادوا لك انقياداً بظاهرهم و باطنهم.

و في الكافي عن الباقر عليه السلام لقد خاطب اللَّه أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه في قوله وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا و تلا إلى قوله فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ قال فيما تعاقدوا عليه لئن أمات اللَّه محمداً صلّى اللَّه عليه و آله و سلم لا يردّوا هذا الأمر في بني هاشم ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ عليهم من القتل أو العفو وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً القميّ جاؤُكَ يا علي قال هكذا نزلت. وَ لَوْ أَنَّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ اما بالتعرض للجهاد أوكما فعلت بنو إسرائيل أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ توبيخ بليغ لهم و قرئ قليلًا وَ لَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَشَدَّ تَثْبِيتاً لإيمانهم. في الكافي عن الصادق عليه السلام وَ لَوْ أن أهل الخلاف فَعَلُوا. و عن الباقر عليه السلام ما يُوعَظُونَ بِهِ في علي عليه السلام قال هكذا نزلت.

وَ إِذاً لَآتَيْناهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً. وَ لَهَدَيْناهُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً يصلون بسلوكه جنات القدس و يفتح لهم أبواب الغيب فان من عمل بما علم ورثه اللَّه علم ما لم يعلم.

وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ الذين هم في أعلى عليين وَ الصِّدِّيقِينَ الذين صدقوا في أقوالهم و أفعالهم وَ الشُّهَداءِ المقتول أنفسهم و أبدانهم بالجهاد الأكبر و الأصغر وَ الصَّالِحِينَ الذين صلحت حالهم و استقامت طريقتهم وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً فيه معنى التعجب كأنه قيل و ما أحسن أولئك رفيقاً و الرفيق كالصديق يستوي فيه الواحد و الجمع، رغّب اللّه المؤمنين في طاعة اللّه و طاعة رسوله بهذا الوعد و ما أحسنه من وعد رزقنا اللَّه نيله بمنه وجوده.

في الكافي عن الباقر عليه السلام أعينونا بالورع فانه من لقي اللَّه تعالى منكم بالورع كان له عند اللَّه فرجاً ان اللَّه عز و جل يقول وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ و تلا الآية ثم قال فمنا النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم و منا الصديق و الشهداء و الصالحون.

و عن الصادق عليه السلام المؤمن مؤمنان مؤمن في اللّه بشروطه التي اشترطها عليه فذلك مع النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقاً و ذلك ممن يشفع و لا يشفع له و ذلك ممن لا يصيبه أهوال الدنيا و لا أهوال الآخرة و مؤمن زلت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفما كفأته الريح انكفى و ذلك ممن يصيبه أهوال الدنيا و أهوال الآخرة و يشفع له و هو على خير.

و فيه و العياشي عنه عليه السلام لقد ذكركم اللَّه في كتابه فقال فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ الآية فرسول اللّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم في الآية النبيون و نحن في هذا الموضع الصديقون و الشهداء و أنتم الصالحون فتسموا بالصلاح كما سماكم اللَّه.

و العياشي عن الرضا عليه السلام حق على اللَّه أن يجعل ولينا رفيقاً للنبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقاً.

و في العيون عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم لكل أمة صديق و فاروق و صديق هذه الامة و فاروقها عليّ بن أبي طالب صلوات اللَّه و سلامه عليه.

ذلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ تفضل عليهم من اللَّه تبعاً لثوابهم وَ كَفى بِاللَّهِ عَلِيماً بمقادير الفضل و استحقاق أهله.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ تيقظوا و استعدوا للأعداء و الحَذَر و الحِذر بمعنى يقال أخذ حذره إذا تيقظ و تحفظ من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يحفظ بها نفسه.

و في المجمع عن الباقر عليه السلام خُذُوا أسلحتكم سمى الأسلحة حذراً لأن بها يتقى المحذور فَانْفِرُوا فاخرجوا إلى الجهاد هذا تفسيره و تأويله إلى الخيرات كلها ثُبَاتٍ جماعات متفرقة جمع ثبة أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً مجتمعين كوكبة واحدة و لا تتخاذلوا.
في المجمع عن الباقر عليه السلام الثبات السرايا و الجميع العسكر.
وَ إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ يحتمل اللازم و المتعدي و هم المنافقون فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ كقتل و هزيمة قال أي المبطي قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً حاضراً فيصيبني ما أصابهم.
القميّ و العياشي عن الصادق عليه السلام لو قال هذه الكلمة أهل الشرق و الغرب لكانوا بها خارجين من الإيمان و لكن اللَّه قد سماهم مؤمنين بإقرارهم، و في رواية سماهم مؤمنين و ليسوا هم بمؤمنين و لا كرامة.
وَ لَئِنْ أَصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ كفتح و غنيمة لَيَقُولَنَّ تحسراً كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ اعتراض بين القول و المقول يا لَيْتَنِي يا قوم ليتني كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً نبه بالاعتراض على ضعف عقيدتهم و ان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم و بينه و انما يريد أن يكون معكم لمجرد المال.
فَلْيُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ يبيعون الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ يعني المخلصين الباذلين أنفسهم في طلب الآخرة وَ مَنْ يُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً قيل وعد له الأجر العظيم غَلب أو غُلب ترغيباً في القتال و تكذيباً لقولهم قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً و انما قال فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ تنبيهاً على أن المجاهد ينبغي أن يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر و الغلبة و أن لا يكون قصده بالذات إلى القتل بل إلى إعلاء الحق و إعزاز الدين.
في الكافي و غيره عن الصادق عليه السلام عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فوق كل برّ بر حتى يقتل في سبيل اللَّه فإذا قتل في سبيل اللَّه فليس فوقه بر.
و عنه عليه السلام و عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم للشهيد سبع خصال من اللَّه أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب و الثانية يقع رأسه في حجر زوجيه من الحور العين و تمسحان الغبار عن وجهه تقولان مرحباً بك و يقول هو مثل ذلك لهما و الثالثة يكسى من كسوة الجنة و الرابعة يبتدر خزنة الجنة بكل ريح طيبة أيهم يأخذه منه و الخامسة أن يرى منزله و السادسة يقال لروحه أسرع في الجنة حيث شئت و السابعة أن ينظر في وجه اللَّه و أنها الراحة لكل نبي و شهيد. وَ ما لَكُمْ و أي عذر لكم لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ في طاعته و إعزاز دينه و إعلاء كلمته وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ و في سبيل المستضعفين بتخليصهم عن الأسر و صونهم عن العدو أو في خلاصهم أو نصب على الإختصاص فان سبيل اللَّه يعم كل خير و هذا أعظمها مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً قيل هم الذين أسلموا بمكة و صدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم يلقون منهم الأذى فكانوا يدعون اللَّه بالخلاص و يستنصرونه فيسر لبعضهم الخروج إلى المدينة و بقي بعضهم إلى الفتح حتى جعل اللَّه لهم خير ولي و خير ناصر و هو محمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فولاهم أحسن التولي و نصرهم أعز النصر و كانوا قد أشركوا صبيانهم في دعائهم استنزالًا برحمة اللَّه بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا.
العياشي عنهما عليهما السلام في هذه الآية قالا نحن أولئك.
الَّذِينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فيما يصلون به إلى اللَّه وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فيما يبلغ بهم إلى الشيطان فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً ترغيب للمؤمنين إلى القتال و تشجيع لهم و تنبيه لهم على أنهم أولياء اللَّه و أنه ناصرهم.
أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عن القتال وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ و اشتغلوا بما أمرتم به و ذلك حين كانوا بمكة و كانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه.

في الكافي عن الصادق عليه السلام كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ يعني كفوا ألسنتكم و قال أما ترضون أن تقيموا الصلاة و تؤتوا الزكاة و تكفوا و تدخلوا الجنة.

و عن الباقر عليه السلام أنتم و اللّه أهل هذه الآية فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ يخشون الكفار أن يقتلوهم كما يخشون اللّه أن ينزل عليهم بأسه أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَ قالُوا رَبَّنا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتالَ لَوْ لا أَخَّرْتَنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ.

في الكافي و العياشي عنه عليه السلام كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ مع الحسن كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ مع الحسين عليهم السلام إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ إلى خروج القائم فان معه الظفر قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ سريع التقضي وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقى وَ لا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا و لا ينقصون أدنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه و قرئ بالغيبة.

أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ في قصور مجصصة أو مرتفعة وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ أي نعمة كخصب يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ أي بلية كقحط يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ يطيروا بك قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يبسط و يقبض حسب ارادته فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً فيعلموا ان اللّه هو الباسط القابض و أفعاله كلها صادرة عن حكمة و صواب.

ما أَصابَكَ يا انسان مِنْ حَسَنَةٍ من نعمة فَمِنَ اللَّهِ تفضلًا منه و امتناناً و امتحاناً فان كل ما يأتي به العبد من عبادة فلا يكافي صغرى نعمة من أياديه وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ من بلية فَمِنْ نَفْسِكَ لأنها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي و هو لا ينافي قوله قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فان الكل منه ايجاداً و إيصالًا غير ان الحسنة احسان و امتحان و السيئة مجازاة و انتقام قال اللّه تعالى ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ.

القمي عنهم عليهم السلام إن الحسنات في كتاب اللّه على وجهين أحدهما الصحة و السلامة و السعة في الرزق و الآخر الأفعال كما قال تعالى مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها، وكذلك السيئات فمنها الخوف و المرض و الشدة و منها الأفعال التي يعاقبون عليها.

و في التوحيد عن الصادق عليه الصلاة و السلام كما ان بادي النعم من اللّه عز و جل نحلكموه فكذلك الشر من أنفسكم و ان جرى به قدره. و في الكافي عن الصادق عليه السلام قال اللّه: ابن آدم بمشيتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء و بقوتي أديت فرائضي و بنعمتي قويت على معصيتي جعلتك سميعاً بصيراً قوياً ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ و ذلك أني أولى منك بحسناتك منك و أنت أولى بسيئاتك مني و ذلك أني لا أسئل عما أفعل و هم يسألون.

و العياشي ما يقرب منه وَ أَرْسَلْناكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً على ذلك فما ينبغي لأحد أن يخرج من طاعتك. وَ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ لأنه في الحقيقة مبلغ و الآمر و الناهي هو اللّه و روي أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قال من أحبني فقد أحب اللّه و من أطاعني فقد أطاع اللّه فقال المنافقون لقد قارف الشرك و هو ينهى عنه ما يريد الا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت. و في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام ذروة الأمر و سنامه و مفتاحه و باب الأشياء و رضاء الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته ثم قال ان اللّه تبارك و تعالى يقول مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ.

أقول: الامام في هذا الحديث يشمل الرسول و حكم سائر الأئمة حكمه لأنهم خلفاؤهم جميعاً و ذلك لأن الإمام عليه السلام مبلغ كما أن الرسول مبلغ وَ مَنْ تَوَلَّى أعرض عن طاعته فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً تحفظ عليهم أعمالهم و تحاسبهم عليها فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسابُ. وَ يَقُولُونَ إذا أمرتهم بأمر طاعَةٌ أمرنا و شأننا طاعة فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ خرجوا بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ دبروا ليلًا غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ خلاف ما قلت و أمرت به أو خلاف ما قامت لك من القبول و ضمان الطاعة وَ اللَّهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ يثبته في صحايفهم للمجازات فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا يكفيك اللّه شرهم.

أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ يتأملون في معانيه و يتبصرون ما فيه وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ من كلام البشركما زعموه لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً من تناقض المعاني و تفاوت النظم و خروج بعضه عن الفصاحة و عن مطابقة الواقع إلى غير ذلك.

وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ مما يوجب الأمن أو الخوف أَذاعُوا بِهِ أفشوه قيل كان قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أو أخبرهم الرسول بما أوحي إليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة أذاعوه وكانت اذاعتهم مفسدة وَ لَوْ رَدُّوهُ ردوا ذلك الأمر إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ قيل أي يستخرجون تدبيره بتجاربهم و أنظارهم.

في الجوامع عن الباقر عليه السلام هم الأئمة المعصومون عليهم السلام.

و العياشي عن الرضا عليه السلام يعني آل محمد صلوات اللّه عليهم و هم الذين يستنبطون من القرآن و يعرفون الحلال و الحرام و هم حجة اللَّه على خلقه.

و في الإكمال عن الباقر عليه السلام من وضع ولاية اللَّه و أهل استنباط علم اللّه في غير أهل الصفوة من بيوتات الأنبياء فقد خالف أمر اللَّه عز و جل و جعل الجهال ولاة أمر اللّه و المتكلفين بغير هدىً و زعموا أنهم أهل استنباط علم اللَّه فكذبوا على اللَّه و زاغوا عن وصية اللَّه و طاعته فلم يضعوا فضل اللَّه حيث وضعه اللَّه تبارك و تعالى فضلوا و أضلوا اتباعهم فلا تكون لهم يوم القيامة حجة وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ بإرسال الرسل و انزال الكتاب. في الجوامع عنهم عليهم السلام فضل اللَّه و رحمته النبي و علي صلوات اللّه عليهما. و العياشي عن الباقر عليه السلام فَضْلُ اللَّهِ رسوله وَ رَحْمَتُهُ الأئمة.

و عن الكاظم عليه السلام الرحمة رسول اللَّه و الفضل علي بن أبي طالب عليه السلام لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ بالكفر و الضلال إِلَّا قَلِيلًا و هم أهل البصائر النافذة.

فَقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ان تركوك وحدك لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ فتقدّم إلى الجهاد و ان لم يساعدك أحد فان اللّه ينصرك لا الجنود. في الكافي عن الصادق عليه السلام ان اللّه كلف رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم ما لم يكلف أحداً من خلقه كلفه ان يخرج على الناس كلهم وحده بنفسه ان لم يجد فئة تقاتل معه و لم يكلف هذا أحداً من خلقه قبله و لا بعده ثم تلا هذه الآية.

و العياشي ما في معناه روي أن أبا سفيان يوم أُحد لما رجع واعد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم موسم بدر الصغرى فكره الناس و تثاقلوا حين بلغ الميعاد فنزلت فخرج النبي و ما معه إلا سبعون و لو لم يتبعه أحد لخرج وحده وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ إذ ما عليك في شأنهم إلا التحريض عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا و هم قريش و قدكفَّ بأسهم بأن بدا لأبي سفيان و قال هذا عام مجدب و انصرف النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم بمن معه سالمين وَ اللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً من قريش وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا تعذيباً تهديد و تقريع لمن لم يتبعه.

مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً حَسَنَةً راعى بها حق مسلم إما بدفع شر عنه أو جلب خير إليه ابتغاء لوجه اللَّه. و منها الدعاء للمؤمن يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْها ثواباً لها وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً سَيِّئَةً و هي ماكان خلاف ذلك و منها الدعاء على المؤمن يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها نصيب من وزرها مساو لها في القدر فان الكفل النصيب و المثل وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً مقتدراً و حفيظاً يعطي على قدر الحاجة فان المقيت جاء بالمعنيين.

في الخصال عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم الصلاة و السلام عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو دل على خير أو أشار به فهو شريك، و من أمر بسوء أو دل عليه أو أشار به فهو شريك.

و في الجوامع عنه عليه السلام من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له و قال له الملك و لك مثلاه في ذلك النصيب.

و في الكافي عن السجاد عليه السلام أن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب و يذكره بخير قالوا نعم الأخ أنت لأخيك تدعو له بالخير و هو غائب عنك و تذكره بخير قد أعطاك اللّه تعالى مثلي ما سألت له و اثنى عليك مثلي ما أثنيت عليه و لك الفضل عليه و إذا سمعوه يذكر أخاه بسوء و يدعو عليه قالوا بئس الأخ أنت لأخيك كفّ أيها المستّر على ذنوبه و عورته و أربع على نفسك و احمد اللّه الذي ستر عليك و اعلم ان اللّه أعلم بعبده منك.

أقول: أربع على نفسك أي قف و امسك و لا تتعب نفسك من ربع كمنع. وَ إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أَوْ رُدُّوها. القمي قال السلام و غيره من البر.

و في الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام إذا عطس أحدكم قولوا يرحمكم اللّه و يقول هو يغفر اللّه لكم و يرحمكم قال اللّه تعالى وَ إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ الآية.

و في المناقب جاءت جارية للحسن عليه السلام بطاق ريحان فقال عليه السلام أنت حرة لوجه اللّه فقيل له في ذلك فقال أدبنا اللّه تعالى فقال وَ إِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ الآية وكان أحسن منها إعتاقها.

و في الكافي عن الصادق عليه الصلاة و السلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم السلام تطوع و الرد فريضة. و عنه عليه السلام إذا سلم من القوم واحد اجزأ عنهم و إذا رد واحد اجزأ عنهم.

و عنه عليه السلام القليل يبدؤون الكثير بالسلام و الراكب يبدأ الماشي، و أصحاب البغال يبدؤون أصحاب الحمير و أصحاب الخيل يبدؤون أصحاب البغال. و في رواية يسلم الصغير على الكبير و المار على القاعد و في أخرى إذا لقيت جماعة جماعة يسلم الأقل على الأكثر و إذا لقي واحد جماعة يسلم الواحد على الجماعة.

و عنه عليه السلام و من التواضع أن تسلم على من لقيت و قال البخيل من بخل بالسلام.

و عنه عليه السلام عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم أولى الناس باللّه و برسوله من بدأ بالسلام.

و عن الباقر عليه السلام ان اللّه يحب افشاء السلام.

أقول: الإفشاء أن يسلم على من لقي كائناً من كان.

و عن الصادق عليه السلام ثلاثة يرد عليهم رد الجماعة و ان كان واحداً عند العطاس يقال يرحمكم اللّه و ان لم يكن معه غيره و الرجل يسلم على الرجل فيقول السلام عليكم و الرجل يدعو للرجل فيقول عافاكم اللّه و ان كان واحداً فان معه غيره.

أقول: أراد بالرد ما يشمل الابتداء و بالغير في آخر الحديث الملائكة و الرد بالأحسن في السلام أن يضيف و رحمة اللّه فان قالها المسلم أضاف و بركاته و هي النهاية فيرد بالمثل.

ففي الكافي عن الباقر عليه السلام قال مرَّ أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه بقوم فسلم عليهم فقالوا عليك السلام و رحمة اللّه و بركاته و مغفرته و رضوانه فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لأبينا ابراهيم عليه السلام انما قالوا و رحمة اللّه و بركاته عليكم أهل البيت. و روي أن رجلًا قال لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم السلام عليك فقال و عليك السلام و رحمة اللّه، و قال آخر السلام عليك و رحمة اللّه فقال و عليك السلام و رحمة اللّه و بركاته، و قال آخر السلام عليك و رحمة اللّه و بركاته فقال و عليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال اللّه و تلا الْآيَةَ فقال إنك لم تترك لي فضلًا و رددت عليك مثله.و في الكافي عن الصادق عليه السلام من قال السلام عليكم فهي عشر حسنات و من قال السلام عليكم و رحمة اللّه فهي عشرون حسنة و من قال السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته فهي ثلاثون حسنة.

و عنه عليه السلام من تمام التحية للمقيم المصافحة و تمام التسليم على المسافر المعانقة و عنه عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام لا تبدؤوا أهل الكتاب بالتسليم و إذا سلموا عليكم فقولوا و عليكم.

و عن الصادق عليه السلام ثلاثة لا يسلمون الماشي إلى الجمعة و في بيت الخلاء و في حمام.

و في الخصال عنه عن أبيه عليه السلام لا تسلموا على اليهود و لا على النصارى و لا على المجوس و لا على عبدة الأوثان و لا على موائد شراب الخمر و لا على صاحب الشطرنج و النرد و لا على المخنث و لا على الشاعر الذي يقذف المحصنات و لا على المصلي و ذلك أن المصلي لا يستطيع أن يرد السلام لأن التسليم من المسلم تطوع و الرد عليه فريضة و لا على آكل الربا و لا على رجل جالس على غائط و لا على الذي في الحمام و لا على الفاسق المعلن بفسقه إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً يحاسبكم على التحية و غيرها. اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً إنكار.
فَما لَكُمْ فِي الْمُنافِقِينَ فِئَتَيْنِ فما لكم تفرقتم فيهم فرقتين و لم تتفقوا على كفرهم.
في المجمع عن الباقر عليه السلام نزلت في قوم قدموا من مكة و أظهروا الإسلام ثم رجعوا إلى مكة فأظهروا الشرك ثم سافروا إلى اليمامة فاختلف المسلمون في غزوهم لاختلافهم في إسلامهم و شركهم وَ اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ ردّهم في الكفر بأن خذلهم فارتكسوا بِما كَسَبُوا أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ أن تجعلوه من المهتدين وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا إلى الهدى.
وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا تمنوا أن تكفروا ككفرهم فَتَكُونُونَ سَواءً في الضلال.
في الكافي عن الصادق عليه السلام في حديث و ان لشياطين الانس حيلة و مكراً و خدائع و وسوسة بعضهم إلى بعض يريدون ان استطاعوا أن يردوا أهل الحق عما أكرمهم اللَّه به من النصرة في دين اللَّه الذي لم يجعل اللَّه شياطين الانس من أهله ارادة أن يستوي أعداء اللَّه و أهل الحق في الشك و الإنكار و التكذيب فيكونون سواء كما وصف اللَّه تعالى في كتابه وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَواءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِياءَ حَتَّى يُهاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فلا تتولوهم و ان آمنوا حتى يهاجروا هجرة صحيحة هي للّه لا لغرض من أغراض الدنيا فَإِنْ تَوَلَّوْا عن الإيمان المصاحب للهجرة المستقيمة فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ كسائر الكفرة وَ لا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَ لا نَصِيراً أي جانبوهم رأساً و لا تقبلوا منهم ولاية و لا نصرة. إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ استثناء من قوله فخذوهم و اقتلوهم أي الا الذين ينتهون إلى قوم عاهدوكم عهداً و يفارقون محاربتكم. في المجمع عن الباقر عليه السلام هو هلال بن عويم الأسلمي واثق عن قومه رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و قال في موادعته على أن لا نحيف يا محمد من أتانا و لا تحيف من أتاك فنهى اللَّه سبحانه أن يعرض لأحد عهد اليهم أَوْ جاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ضاقت.
العياشي عن الصادق عليه السلام هو الضيق أَنْ يُقاتِلُوكُمْ أَوْ يُقاتِلُوا قَوْمَهُمْ.
في الكافي عن الصادق عليه السلام نزلت في بني مدلج جاؤوا إلى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فقالوا انا قد حصرت صدورنا أن نشهد أنك رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فلسنا معك و لا مع قومنا عليك فواعدهم إلى أن يفرغ من العرب ثم يدعوهم فإن أجابوا و الا قاتلهم.
القمي في قوله عز و جل وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا إلى آخر الآية نزلت في أشجع و بني ضمرة وكان خبرهم أنه لما خرج رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم إلى بدر لموعد مر قريباً من بلادهم و قدكان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم صادر بني ضمرة و وادعهم قبل ذلك فقال أصحاب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم يا رسول اللَّه هذا بنو ضمرة قريباً منا و نخاف أن يخالفونا إلى المدينة أو يعينوا علينا قريشاً فلو بدأنا بهم فقال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم كلا إنهم أبر العرب بالوالدين و أوصلهم للرحم و أوفاهم بالعهد وكان أشجع بلادهم قريباً من بلاد بني ضمرة و هم بطن من كنانة وكانت أشجع بينهم و بين بني ضمرة حلف بالمراعاة و الأمان فأجدبت بلاد أشجع و أخصبت بني ضمرة فصارت أشجع إلى بلاد بني ضمرة فلما بلغ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم مسيرهم إلى بني ضمرة تهيأ للمصير إلى أشجع فيغزوهم للموادعة التي كانت بينه و بين بني ضمرة فأنزل اللَّه وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا الآية. ثم استثنى بأشجع فقال إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ أَوْ جاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقاتِلُوكُمْ أَوْ يُقاتِلُوا قَوْمَهُمْ الآية. وكانت

أشجع محالها البيضاء و الحل و المستباح و قدكانوا قربوا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فهابوا لقربهم من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أن يبعث إليهم من يغزوهم وكان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قد خافهم أن يصيبوا من أطرافه شيئاً فهم بالمسير إليهم فبينا هو على ذلك إذ جاءت أشجع و رئيسها مسعود بن رحيلة و هم سبعمائة فنزلوا شعب سلع و ذلك في شهر ربيع سنة ست فدعا رسول اللّه أُسيد بن حصين فقال له اذهب في نفر من أصحابك حتى تنظر ما أقدم أشجع فخرج أُسيد و معه ثلاثة نفر من أصحابه فوقف عليهم فقال ما أقدمكم فقام إليه مسعود بن رحيلة و هو رئيس أشجع فسلم على أُسيد و على أصحابه و قالوا جئنا لنوادع محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم فرجع أسيد الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فأخبره فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم خاف القوم أن أغزوهم فأرادوا الصلح بيني و بينهم ثم بعث اليهم بعشرة أحمال تمر فقدمها أمامه ثم قال نعم الشيء الهدية امام الحاجة ثم أتاهم فقال يا معشر أشجع ما أقدمكم قالوا قربت دارنا منك و ليس في قومنا أقل عدداً منا فضقنا لحربك لقرب دارنا و ضقنا لحرب قومنا لقلتنا فيهم فجئنا لنوادعك فقبل النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم ذلك منهم و أودعهم فأقاموا يومهم ثم رجعوا إلى بلادهم و فيهم نزلت هذه الآية الا الذين يصلوا الآية وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ بأن قوّى قلوبهم و بسط صدورهم و أزال الرعب عنهم فَلَقاتَلُوكُمْ و لم يكفوا عنكم فَإِذَا اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فان لم يتعرضوا لكم وَ أَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ الاستسلام و الانقياد فَما جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا فما أذن لكم في أخذهم و قتلهم.

القمي عن الصادق عليه السلام كانت السيرة من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قبل نزول سورة البراءة ألا يقاتل إلا من قاتله و لا يحارب إلا من حاربه و أراده و قدكان نزل في ذلك من اللّه سبحانه فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقاتِلُوكُمْ وَ أَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَما جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا وكان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لا يقاتل أحداً قد تنحى عنه و اعتزله حتى نزلت عليه سورة براءة و أُمر بقتل المشركين من اعتزله و من لم يعتزله الا الذين قدكان عاهدهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يوم فتح مكة إلى مدة منهم صفوان بن أمية و سهيل بن عمرو و الحديث طويل و هو مذكور بتمامه في سورة براءة. سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَ يَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ قيل كانوا يظهرون الإسلام ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا.

في المجمع، عن الصادق عليه السلام نزلت في عيينة بن حصين الفزاري أجدبت بلادهم فجاء إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و وادعه على أن يقيم ببطن نخل و لا يتعرض له وكان منافقاً ملعوناً و هو الذي سماه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم الأحمق المطاع.

و القمي مثله كُلَّما رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ دعوا إلى الكفر و إلى قتال المسلمين أُرْكِسُوا فِيها عادوا اليها و قلبوا فيها أقبح قلب فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَ يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَ يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فان لم يعتزل هؤلاء قتالكم و لم يستسلموا لكم و لم يكفوا أيديهم عن قتالكم فَخُذُوهُمْ فأسروهم وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ حيث تمكنتم منهم وَ أُولئِكُمْ جَعَلْنا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطاناً مُبِيناً تسلطاً ظاهراً و حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل و السبي لظهور عداوتهم و كفرهم و غدرهم. وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ و ما صح لمؤمن و لا استقام له و ما لاق بحاله أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً بغير حقّ إِلَّا خَطَأً لأنه في عرضة الخطأ. و القمي يعني و لا خطأ.

في المجمع، عن الباقر عليه الصلاة و السلام نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي أخي أبي جهل لأنه كان أسلم و قتل بعد إسلامه رجلًا مسلماً و هو لم يعلم بإسلامه وكان المقتول الحارث بن يزيد أبو بنيشة العامري قتله بالحرة بعد الهجرة وكان أحد من رده عن الهجرة وكان يعذب عياشاً مع أبي جهل وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فعليه تحرير رقبة مُؤْمِنَةٍ فيما بينه و بين اللّه كذا عن الصادق عليه السلام رواه العياشي.

و في الكافي و العياشي عنه عليه السلام كل العتق يجوز فيه المولود إلا في كفارة القتل فان اللّه عز و جل يقول فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ يعني بذلك مقرة قد بلغت الحنث و العياشي عن الكاظم عليه السلام سئل كيف

تعرف المؤمنة قال على الفطرة وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ مؤداة إلى أولياء المقتول إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا يتصدّقوا عليه بالدية سمى العفو عن الدية صدقة حثاً عليه و تنبيهاً على فضله.

و في الحديث كل معروف صدقة.

العياشي سئل الصادق عليه السلام عن الخطأ الذي فيه الدية و الكفارة و هو الرجل يضرب الرجل و لا يتعمد قتله قال نعم قيل فإذا رمى شيئاً فأصاب رجلًا قال ذلك الخطأ الذي لا شك فيه و عليه الكفارة و الدية فَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ.

في الفقيه عن الصادق عليه السلام في رجل مسلم في أرض الشرك فقتله المسلمون ثم علم به الإمام بعد فقال يعتق مكانه رقبة مؤمنة و ذلك قول اللّه عز و جل فَإِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ الآية، و زاد العياشي و ليس عليه دية وَ إِنْ كانَ مِنْ قَوْمٍ كفرة بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ عهد فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلى أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ يلزم قاتله كفارة لقتله كذا في المجمع عن الصادق عليه السلام فَمَنْ لَمْ يَجِدْ رقبة بأن لا يملكها و لا ما يتوصل به إليها فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً بحاله حَكِيماً فيما أمر في شأنه.

في الكافي عن الصادق عليه السلام ان كان على رجل صيام شهرين متتابعين فأفطر أو مرض في الشهر الأول فان عليه أن يعيد الصيام و ان صام الشهر الأول و صام من الشهر الثاني شيئاً ثم عرض له ماله فيه عذر فعليه أن يقضي.

أقول: يعني يقضي ما بقي عليه.

وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً.

في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن المؤمن يقتل المؤمن متعمداً أله توبة فقال ان كان قتله لإيمانه فلا توبة له و ان كان قتله لغضب أو لسبب شيء من أشياء الدنيا فإن توبته أن يقاد منه و ان لم يكن علم به انطلق إلى أولياء المقتول فأقر عندهم بقتل صاحبهم فان عفوا عنه فلم يقتلوه أعطاهم الدية و أعتق نسمة و صام شهرين متتابعين و اطعم ستين مسكيناً توبة إلى اللّه عز و جل.

و عنه عليه السلام لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً و قال لا يوفق قاتل المؤمن متعمداً للتوبة. و فيه و في المعاني و العياشي عنه عليه السلام من قتل مؤمناً على دينه فذلك المتعمد الذي قال اللّه عز و جل في كتابه، وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً، قيل و الرجل يقع بين الرجل و بينه شيء فيضربه بالسيف فيقتله قال ليس ذلك المتعمد الذي قال اللّه عز و جل فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ. و في المعاني في قوله تعالى فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها قال ان جازاه.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سافرتم للغزو فَتَبَيَّنُوا فاطلبوا بيان الأمر و ميزوا بين الكافر و المؤمن و قرئ فتثبتوا في الموضعين أي توقفوا و تأنوا حتى تعلموا من يستحق القتل و المعنيان متقاربان يعني لا تعجلوا في القتل لمن اظهر إسلامه ظناً منكم بأنه لا حقيقة لذلك وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لمن حياكم بتحية السلام و قرئ، السلم بغير الف و هما بمعنى الاستسلام و الانقياد و فسر السلام بتحية الإسلام أيضا و العياشي نسب قراءة السلام إلى الصادق عليه السلام لَسْتَ مُؤْمِناً و انما فعلت ذلك خوفاً من القتل تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع الزوال و هو الذي يبعثكم على العجلة و ترك التثبت فَعِنْدَ اللَّهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ تغنيكم عن قتل أمثاله لما له كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ أول ما دخلتم في الإسلام و تفوهتم بكلمتي الشهادة فتحصنت بها دماؤكم و أموالكم من غير أن تعلم مواطاة قلوبكم ألسنتكم فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بالاشتهار بالإيمان و الاستقامة في الدين فَتَبَيَّنُوا و افعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل اللّه بكم و لا تبادروا إلى قتلهم ظناً بأنهم دخلوا فيه اتقاءً و خوفاً و تكريرها تأكيد لتعظيم الأمر و ترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً عالماً به و بالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل و احتاطوا فيه.

القمي نزلت لما رجع رسول اللّه من غزوة خيبر و بعث أسامة بن زيد في خيل إلى بعض اليهود في ناحية فدك ليدعوهم إلى الإسلام وكان رجل من اليهود يقال له مرداس بن نهيك الفدكي في بعض القرى فلما أحس بخيل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم جمع ماله و أهله و صار في ناحية الجبل فأقبل يقول أشهد أن لا إله إلا اللّه و أشهد أن محمداً رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فمر به أسامة بن زيد فطعنه فقتله فلما رجع الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أخبره بذلك فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قتلت رجلًا شهد أن لا إله إلا اللّه و اني رسول اللّه فقال يا رسول اللّه انما قالها تعوذاً من القتل فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أفلا شققت الغطاء عن قلبه لا ما قال بلسانه قبلت و لا ما كان في نفسه علمت فحلف أسامة بعد ذلك أن لا يقتل أحداً قال أشهد أن لا إله إلا اللّه و أن محمداً رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فتخلف عن أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه و أنزل اللّه في ذلك وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ الآية.

أقول: في هذا الخبر ما يدل على نفاق أسامة و ابتغائه عرض الحياة الدنيا وكفى في ذلك قول النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم و لا ما كان في نفسه علمت عذراً لأمير المؤمنين عليه السلام في حروبه فانه كان قد علم ذلك من اللّه و من رسوله على أن طاعة الإمام عليه السلام واجبة فلا عذر لأسامة في تخلفه عنه. و في رواية العامة أن مرداساً أضاف الى الكلمتين السلم عليكم و هي تؤيد قراءة السلام و تفسيره بتحية الإسلام.

لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ عن الحرب مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ الأصحاء و قرئ منصوباً أي حال خلوهم عن الضرر المانع من الخروج.

في المجمع نزلت في كعب بن مالك من بني سلمة و مرارة بن ربيع من بني عمرو بن عوف و هلال بن أمية من بني واقف تخلفوا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يوم تبوك و عذر اللّه اولي الضرر و هو عبد اللّه بن أم مكتوم قال رواه أبو حمزة الثمالي في تفسيره.

و في العوالي روى زيد بن ثابت أنه لم يكن في آية نفي المساواة بين المجاهدين و القاعدين استثناء غير اولي الضرر فجاء ابن أم مكتوم وكان أعمى و هو يبكي فقال يا رسول اللّه كيف بمن لا يستطيع الجهاد فغشيه الوحي ثانياً ثم سرى عنه عليه السلام.

فقال اقرأ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ فالحقتها و الذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع في الكتف وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ ترغيب للقاعد في الجهاد فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا من القاعدين و المجاهدين وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى المثوبة الحسنى و هي الجنة لحسن عقيدتهم و خلوص نيتهم.

في الجوامع عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم لقد خلفتم في المدينة أقواماً ما سرتم مسيراً و لا قطعتم وادياً الا كانوا معكم و هم الذين صحت نياتهم و نصحت جيوبهم و هوت أفئدتهم إلى الجهاد و قد منعهم من المسير ضرراً أو غيره وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً.

دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً.

في المجمع جاء في الحديث أن اللّه سبحانه فضل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفاً للفرس الجواد الضمير قيل كرر تفضيل المجاهدين و بالغ فيه اجمالًا و تفصيلًا تعظيماً للجهاد و ترغيباً فيه و قيل الأول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة و الظفر و جميل الذكر و الثاني ما جعل لهم في الآخرة و قيل الدرجة ارتفاع منزلتهم عند اللّه و الدرجات منازلهم في الجنة.

و قيل القاعدون الأول هم الأضراء و القاعدون الثاني هم الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم. و قيل المجاهدون الأولون من جاهد الكفار و الآخرون من جاهد نفسه كما ورد في الحديث رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.

أقول: و يحتمل أن يكون المراد بالأول قوماً و بالآخر آخرين فان ما بين المجاهد و المجاهد لما بين السماء و الأرض وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً يغفر لما عسى أن يفرّط منهم و يرحمهم بإعطاء الثواب.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ يحتمل الماضي و المضارع و قرئ توفتهم ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة و موافقة الكفرة.

في الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن قول اللَّه تعالى اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها و قوله قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ و قوله عز و جل تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا و قوله تعالى الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ فمرة يجعل الفعل لنفسه و مرة لملك الموت و مرة للرسل و مرة للملائكة فقال ان اللَّه تعالى أجل و أعظم من أن يتولى ذلك بنفسه و فعل رسله و ملائكته فعله لأنهم بأمره يعملون فاصطفى من الملائكة رسلًا و سفرة بينه و بين خلقه و هم الذين قال اللَّه فيهم اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَ مِنَ النَّاسِ فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة و من كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة و لملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة و النقمة يصدرون عن أمره و فعلهم فعله وكل ما يأتونه و منسوب إليه فإذاكان فعلهم فعل ملك الموت ففعل ملك الموت فعل اللَّه لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء و يعطي و يمنع و يثيب و يعاقب على يد من يشاء و ان فعل امنائه فعله كما قال وَ ما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ.

و في الفقيه عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن ذلك فقال ان اللَّه تعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه فيتوفاهم الملائكة و يتوفاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو و يتوفاها اللَّه تعالى من ملك الموت.

و في التوحيد سئل أمير المؤمنين صلوات اللَّه و سلامه عليه عن ذلك فقال ان اللَّه تعالى يدبر الأموركيف يشاء و يوكل من خلقه من يشاء بما يشاء أما ملك الموت فان اللَّه يوكله بخاصة من يشاء و يوكل رسله من الملائكة خاصة بمن يشاء من خلقه و الملائكة الذين سماهم اللَّه عز ذكره وكلهم بخاصة من يشاء من خلقه و ان اللَّه تبارك و تعالى يدبر الأموركيف يشاء و ليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسره لكل الناس لأن منهم القوي و الضعيف و لأن منه ما يطاق حمله و منك و منه ما لا يطاق حمله إلا من يسهل اللَّه له حمله و أعانه عليه من خاصة أوليائه و انما يكفيك أن تعلم أن اللَّه المحيي المميت و أنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء من خلقه من ملائكته و غيرهم.

أقول: و لغموض هذه المسألة قال عليه السلام ما قال و السر فيه أن قابض روح النبات و متوفيه و رافعه الى سماء الحيوانية هي النفس المختصة بالحيوان و هي من أعوان الملائكة الموكلة بإذن اللَّه لهذا الفعل باستخدام القوى الحساسة و المحركة وكذلك قابض روح الحيوان و متوفيه و رافعه الى سماء الدرجة الإنسانية هي النفس المختصة بالإنسان و هي كلمة اللَّه المسماة بالروح القدس الذي شأنه إخراج النفوس من القوة الهيولانية إلى العقل المستفاد بأمر اللَّه و إيصال الأرواح إلى جوار اللَّه و عالم الملكوت الأخروي و هم المرادون بالملائكة و الرسل و أما الإنسان بما هو انسان فقابض روحه ملك الموت قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ و أما المرتبة العقلية فقابضها و هو اللَّه سبحانه اللَّه يتوفى الأنفس، يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجات قالُوا أي الملائكة توبيخاً لهم فِيمَ كُنْتُمْ في أي شيء كنتم من أمر دينكم قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ يستضعفنا أهل الشرك باللَّه في أرضنا و بلادنا بكثرة عددهم و قوتهم و يمنعوننا من الايمان باللَّه و اتباع رسوله و اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم و عجزهم عن الهجرة أو عن إظهار الدين و إعلاء كلمته قالُوا أي الملائكة تكذيباً لهم أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فتخرجوا من أرضكم و دوركم و تفارقوا من يمنعكم من الايمان الى قطر آخر كما فعل المهاجرون إلى المدينة و الحبشة فَأُولئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ ساءَتْ مَصِيراً قيل نزلت في أناس من مكة أسلموا و لم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة. و في المجمع و العياشي عن الباقر عليه السلام هم قيس بن

الفاكهة بن المغيرة و الحارث بن زمعة بن الأسود و قيس بن الوليد بن المغيرة و ابو العاص بن منبه بن الحجاج و علي بن امية بن خلف.
و القمي نزلت فيمن اعتزل امير المؤمنين عليه السلام و لم يقاتلوا معه فقالت الملائكة لهم عند الموت فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ اي لم نعلم مع من الحق فقال اللّه أ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّٰهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها اي دين اللّه وكتاب اللّه واسع فتنظروا فيه.
أقول: لا منافاة بين الخبرين لأن الأول تفسير و الثاني تأويل و الآية تشملهما.
و في نهج البلاغة قال عليه السلام و لا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها اذنه و وعاها قلبه. و في الكافي عن الصادق عليه السلام انه سئل ما تقول في المستضعفين فقال شبيهاً بالفزع فتركتم احداً يكون مستضعفاً و أين المستضعفون فو اللّه لقد مشى بأمركم هذا العواتق إلى العواتق في خدورهن و تحدثت به السقاءات في طرق المدينة. و عن الكاظم عليه السلام انه سئل عن الضعفاء فكتب الضعيف من لم ترفع له حجة و لم يعرف الإختلاف فإذا عرف الإختلاف فليس بضعيف.
أقول: و في الآية دلالة على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه و عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم من فر بدينه من ارض إلى أرض و ان كان شبراً من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم عليه السلام و محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلم.
و لا يهتدي سبيلًا إلى الايمان لا يستطيع ان يؤمن و لا يكفر قال الصبيان و من كان من الرجال و النساء على مثل عقول الصبيان. و عنه عليه السلام انه سئل من هم قال نساؤكم و أولادكم ثم قال أ رأيت ام ايمن فاني اشهد انها من اهل الجنة و ما كانت تعرف ما أنتم عليه.
و في المعاني و العياشي عنه عليه السلام ما يقرب من الحديث الأول و في آخره مرفوع عنهم القلم.
و عن الصادق عليه السلام لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً إلى النصب فينصبون وَ لا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا إلى الحق فيدخلون فيه هؤلاء يدخلون الجنة بأعمال حسنة و باجتناب المحارم التي نهى اللّه عنها و لا ينالون منازل الأبرار.
و العياشي عن الباقر عليه السلام انه سئل عن المستضعفين فقال البلهاء في خدرها و الخادم تقول لها صلي فتصلي لا تدري الا ما قلت لها و الجليب الذي لا يدري إلا ما قلت له و الكبير الفاني و الصغير.
أقول: الجليب الذي يجلب من بلد إلى آخر.
فَأُولٰئِكَ عَسَى اللّٰهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكانَ اللّٰهُ عَفُوًّا غَفُوراً ذا صفح عن ذنوب عباده سائراً عليهم ذنوبهم.
وَ مَنْ يُهاجِرْ يفارقْ أَهْلِ الشرك و يهرب بدينه من وطنه إلى أرض الإسلام فِي سَبِيلِ اللّٰهِ في منهاج دينه يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً متحولًا من الرغام و هو التراب و مخلصاً من الضلال وَ سَعَةً في الرزق و اظهار الدين فيرغم بذلك انوف من ضيق عليه من قومه وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّٰهِ وَكانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً.
في المجمع عن أبي حمزة الثمالي لما نزلت آية الهجرة سمعها رجل من المسلمين و هو جندع او جندب بن ضمرة وكان بمكة فقال و اللّه ما انا ممن استثنى اللّه إني لأجد قوة و اني لعالم بالطريق وكان مريضاً شديد المرض فقال لبنيه و اللّه لا أبيت بمكة حتى اخرج منها فاني أخاف ان أموت فيها فخرجوا يحملونه على سرير حتى إذا بلغ التنعيم مات فنزلت الآية.
و العياشي عن محمد بن أبي عمير قال وجّه زرارة بن أعين ابنه عبيداً إلى المدينة يستخبر له خبر أبي الحسن موسى بن جعفر و عبد اللّه الأفطس فمات قبل ان يرجع اليه عبيد اللّه قال محمد بن أبي عمير حدثني محمد بن حكيم قال ذكرت لأبي الحسن عليه السلام زرارة و توجيهه عبيداً إلى المدينة فقال اني لأرجو ان يكون زرارة ممن قال اللّه: وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللّٰهِ وَ رَسُولِهِ (الآية).

وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ سافرتم فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ بتنصيف الرباعيات لما امر اللّه بالجهاد و الهجرة بيّن صلاةَ السفر و الخوف قيل كأنهم ألفوا الإتمام وكان مظنة لأن يخطر ببالهم ان عليهم نقصاناً في التقصير فرفع عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر و يطمئنوا اليه.

و في الفقيه و العياشي عن زرارة و محمد بن مسلم قالا قلنا لأبي جعفر عليه السلام ما تقول في الصلاة في السفركيف هي وكم هي فقال ان اللّه عز و جل يقول وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر قالا قلنا انما قال اللّه تعالى فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ و لم يقل افعلوا كيف أوجب ذلك كما أوجب التمام في الحضر فقال او ليس قد قال اللّه عز و جل إِنَّ الصَّفا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُناحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِما ألا ترون ان الطواف بهما واجب مفروض لأن اللّه عز و جل ذكره في كتابه و صنعه نبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلم كذلك التقصير في السفر شيء صنعه النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم و ذكره اللّه في كتابه قالا قلنا له فمن صلى في السفر أربعاً أ يعيد ام لا قال ان كان قد قرأت عليه آية التقصير و فسرت له و صلى اربعاً أعاد و ان لم يكن قرأت عليه و لم يعلمها فلا إعادة عليه و الصلوات كلها في السفر الفريضة ركعتان كل صلاة إلا المغرب فإنها ثلاث ليس فيها تقصير و تركها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم في السفر و الحضر ثلاث ركعات و زاد في الفقيه و قد سافر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم الى ذي خشب و هي مسيرة يوم من المدينة يكون اليها بريدان اربعة و عشرون ميلًا فقصر و أفطر فصارت سنة و قد سمى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قوماً صاموا حين أفطر العصاة إلى يوم القيامة و انا لنعرف أبناءهم و أبناء أبنائهم إلى يومنا هذا.

و عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم فرض المسافر ركعتان غير قصر.

أقول: و اقل سفر يقصّر فيه ثمانية فراسخ ذاهباً و جائياً كما يستفاد من الأخبار المعصومية و اكثر أصحابنا قد خفي عليهم ذلك حيث زعموا ان هذه المسافة معتبرة في الذهاب خاصة و قد حققنا ذلك في كتابنا الموسوم بالوافي و غيره إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا في أنفسكم او دينكم و هذا الشرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت فان القصر ثابت في حال الامن ايضاً.

و في الكافي و الفقيه و التهذيب عن الصادق عليه السلام في هذه الآية انها في الركعتين تنقص منهما واحدة يعني في حال الخوف إِنَّ الْكافِرِينَ كانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً ظاهر العداوة.

وَ إِذا كُنْتَ فِيهِمْ في أصحابك الضاربين في الأرض الخائفين عدوهم ان يغيروهم فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ بأن تؤمهم فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ من أصحابك مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرائِكُمْ يحرسونكم وَ لْتَأْتِ طائِفَةٌ أُخْرى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ تحذرهم و تيقظهم وَ أَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً واحِدَةً تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلواتكم فيحملون عليكم حملة واحدة و هو بيان ما لأجله أمروا بأخذ السلاح وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ رخصة لهم في وضعها إذا ثقل عليهم أخذها بسبب مطر او مرض وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ كيلا يهجم عليكم العدو إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً مذلّا.

القمّي نزلت لما خرج رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم إلى الحديبية يريد مكة فلما رفع الخبر إلى قريش بعثوا خالد بن الوليد في مائة فارس ليستقبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فكان يعارض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم على الجبال فكلما كان في بعض الطريق و حضرت صلاة الظهر اذّن بلال و صلّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم بالناس و قال خالد بن الوليد لوكنا حملنا عليهم و هم في الصلاة لأصبناهم فإنهم لا يقطعون الصلاة و لكن تجيء لهم الآن صلاة اخرى هي أحب اليهم من ضياء أبصارهم فإذا دخلوا فيها حملنا عليهم فنزل جبرئيل بصلاة الخوف بهذه الآية ففرق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أصحابه فرقتين و وقف بعضهم تجاه العدو و قد أخذوا سلاحهم و فرقة صلوا مع رسول اللّه صلّى اللّه

عليه و آله و سلم قائماً و مروا فوقفوا موقف أصحابهم و جاء أولئك الذين لم يصلوا فصلى بهم رسول اللّه الركعة الثانية و لهم الأولى و قعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و قاموا أصحابه فصلوا هم الركعة الثانية و سلم عليهم.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام صلّى رسول اللّه بأصحابه في غزوة ذات الرقاع صلاة الخوف ففرق أصحابه فرقتين أقام فرقة بإزاء العدو و فرقة خلفه فكبر وكبروا فقرأ و انصتوا فركع و ركعوا فسجد و سجدوا ثم استمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قائماً و صلوا لأنفسهم ركعة ثم سلم بعضهم على بعض ثم خرجوا إلى أصحابهم فقاموا بإزاء العدو و جاء أصحابهم فقاموا خلف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فصلى بهم ركعة ثم تشهد و سلم عليهم فقاموا و صلوا لأنفسهم ركعة ثم سلم بعضهم على بعض.
و عنه عليه السلام أنه سئل عن صلاة الخوف قال يقوم الإمام و يجيء طائفة من أصحابه فيقومون خلفه و طائفة بإزاء العدو فيصلي بهم الإمام ركعة ثم يقوم و يقومون معه فيمثل قائماً و يصلون هم الركعة الثانية ثم يسلم بعضهم على بعض ثم ينصرفون فيقومون في مقام أصحابهم و يجيء الآخرون فيقومون خلف الإمام فيصلي بهم الركعة الثانية ثم يجلس الإمام فيقومون هم فيصلون ركعة أخرى ثم يسلم عليهم فينصرفون بتسليمه قال و في المغرب مثل ذلك يقوم الإمام و يجيء طائفة فيقومون خلفه ثم يصلي بهم ركعة ثم يقوم و يقومون فيمثل الإمام قائماً فيصلون ركعتين فيتشهدون و يسلم بعضهم على بعض ثم ينصرفون فيقومون في موقف أصحابهم و يجيء الآخرون و يقومون في موقف أصحابهم خلف الإمام فيصلي بهم ركعة يقرأ فيها ثم يجلس فيتشهد ثم يقوم و يقومون معه و يصلي بهم ركعة أخرى ثم يجلس و يقومون هم فيتمون ركعة أخرى ثم يسلم عليهم.
فَإذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فإذا فرغتم من صلاتكم و أنتم محاربوا عدوكم فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبكُمْ ادعو اللّه في هذه الأحوال لعله ينصركم على عدوكم و يظفركم به مثل قوله تعالى إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فإذا استقررتم في أوطانكم و أقمتم في أمصاركم فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ فأتموا الصلاة التي أذن لكم في قصرها و تخفيفها في حال السفر و الخوف و أتموا حدودها إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً.
في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام يعني مفروضاً و ليس يعني وقت فوتها إذا جاز ذلك الوقت ثم صلاها لم تكن صلاته هذه مؤداة و لوكان كذلك لهلك سليمان بن داود حين صلاها لغير وقتها و لكن متى ما ذكرها صلاها.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام مَوْقُوتاً أي ثابتاً و ليس ان عجلت قليلًا و أخرت قليلًا بالذي يضرك ما لم تضع تلك الإضاعة فان اللّه عز و جل يقول لقوم أَضاعُوا الصَّلاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا.
وَ لا تَهِنُوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ لا تضعفوا في طلب القوم الذين هم أعداء اللّه و أعداؤكم إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ مما ينالكم من الجراح منهم فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ أيضاً مما ينالهم من ذلك كَما تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ من اظهار الدين و استحقاق الثواب فأنتم أولى و أحرى على حربهم و قتالهم منهم على قتالكم وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً بمصالح خلقه حَكِيماً في تدبيره إياهم.
القمّي أن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم لما رجع من وقعة أُحد و دخل المدينة نزل عليه جبرئيل فقال يا محمد ان اللّه يأمرك أن تخرج في أثر القوم و لا يخرج معك إلا من به جراحة فأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم منادياً ينادي يا معشر المهاجرين و الأنصار من كانت به جراحة فليخرج و من لم يكن به جراحة فليقم فاقبلوا يضمدون جراحاتهم و يداوونهم فأنزل اللّه على نبيه وَ لا تَهِنُوا (الآية) و قال عز و جل إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ إلى قوله شهداء فخرجوا على ما بهم من الألم و الجراح.
إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ بما عرفك و أوحى به إليك.

في الكافي عن الصادق عليه السلام و اللّٰه ما فوض اللّٰه إلى أحد من خلقه إلا إلى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم إلى الأئمة قال اللّٰه عز و جل إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللّٰهُ و هي جارية في الأوصياء.

و في الاحتجاج عنه عليه السلام إنه قال لأبي حنيفة و تزعم أنك صاحب رأي وكان الرأي من رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم صواباً و من دونه خطأ لأن اللّٰه قال فاحكم بينهم بما أراك اللّٰه و لم يقل ذلك لغيره وَ لا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ لأجلهم و الذب عنهم خَصِيماً للبراء.

وَ اسْتَغْفِرِ اللّٰهَ مما هممت به إِنَّ اللّٰهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً لمن يستغفره.

القمي كان سبب نزولها أن قوماً من الأنصار من بني أبيرق اخوة ثلاثة كانوا منافقين بشير و مبشر و بشر فنقبوا على عم قتادة بن النعمان وكان قتادة بدرياً و اخرجوا طعاماً كان أعده لعياله و سيفاً و درعاً فشكا قتادة ذلك إلى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فقال يا رسول اللّٰه ان قوماً نقبوا على عمي و أخذوا طعاماً كان أعده لعياله و سيفاً و درعاً و هم أهل بيت سوء وكان معهم في الرأي رجل مؤمن يقال له لبيد بن سهل فقال بنو أبيرق لقتادة هذا عمل لبيد بن سهل فبلغ ذلك لبيداً فأخذ سيفه و خرج عليهم فقال يا بني أبيرق أ ترمونني بالسرق و أنتم أولى به مني و أنتم المنافقون تهجون رسول اللّٰه و تنسبونه إلى قريش لتبينن ذلك أو لأملأق سيفي منكم فداروه فقالوا له ارجع رحمك اللّٰه فإنك بريء من ذلك فمشي بنو أبيرق إلى رجل من رهطهم يقال له أسيد بن عروة وكان منطيقاً بليغاً فمشى إلى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فقال يا رسول اللّٰه ان قتادة بن النعمان عمد إلى أهل بيت منا أهل شرف و حسب و نسب فرماهم بالسرق و أتاهم بما ليس فيهم فاغتم رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم من ذلك و جاء اليه قتادة فأقبل عليه رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فقال له عمدت إلى أهل بيت شرف و حسب و نسب فرميتهم بالسرقة فعاتبه عتاباً شديداً فاغتم قتادة من ذلك و رجع إلى عمه و قال يا ليتني مت و لم أكلم رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فقد كلمني بما كرهته فقال عمه: اللّٰه المستعان فأنزل اللّٰه في ذلك على نبيه إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ (الآيات).

و في المجمع ما يقرب منه قال وكان بشير يكنى أبا طعمة وكان يقول الشعر و يهجو به أصحاب رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم ثم يقول قاله فلان.

و في الجوامع يروى أن أبا طعمة بن أبيرق سرق درعاً من جار له اسمه قتادة بن النعمان و خباها عند رجل من اليهود فأخذ الدرع من منزل اليهودي فقال دفعها إليّ أبو طعمة فجاء بنو أبيرق إلى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم وكلموا أن يجادلوا عن صاحبهم و قالوا ان لم تفعل هلك و افتضح و بريء اليهودي فهمَّ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم أن يفعل و أن يعاقب اليهودي فنزلت و في معناه ما روته العامة مع زيادات.

وَ لا تُجادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلماً عليها لأن و بالها يعود عليها إِنَّ اللّٰهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً مبالغاً في الخيانة مصراً عليها أَثِيماً منهمكاً فيه.

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ يستترون منهم حياء و خوفاً وَ لا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّٰهِ و لا يستحيون منه و هو أحق بأن يستحيى منه و يخاف وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ يدبرون و يزورون بالليل ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ من رمي البريء.

القمي يعني الفعل فوقع القول مقام الفعل وَكانَ اللّٰهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطاً لا يفوت عنه شيء.

ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ جادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فَمَنْ يُجادِلُ اللّٰهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا محامياً عنهم يحميهم من عذاب اللّٰه. وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً قبيحاً يسوء به غيره أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ بما يختص به و لا يتعداه ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ بالتوبة يَجِدِ اللّٰهَ غَفُوراً لذنوبه رَحِيماً متفضلًا عليه.

في نهج البلاغة من أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة ثم تلا الآيَةَ.

وَ مَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّما يَكْسِبُهُ عَلى نَفْسِهِ لا يتعداه و باله وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته. وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً ذنباً على غير عمد أَوْ إِثْماً ذنباً تعمده كبشير ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً كما رمى بشير لبيداً أو اليهودي فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً بسبب رمي البريء و تنزيه النفس الخاطئة.
وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ باعلام ما هم عليه بالوحي لَهَمَّتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال و ليس القصد فيه إلى نفي همهم بل إلى نفي تأثيره فيه وَ ما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ لأن و باله عليهم وَ ما يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ فان اللَّه عاصمك و ناصرك و مؤيدك و ما خطر ببالك كان اعتماداً منك على ظاهر الأمر لا ميلًا في الحكم وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ من خفيات الأمور وَكانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً إذ لا فضل أعظم من النبوة.
القمي عن الباقر عليه السلام قال ان اناساً من رهط بشير الأدنين قالوا انطلقوا بنا إلى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم نكلمه في صاحبنا و نعذره فان صاحبنا بريء فلما انزل اللَّه يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَ لا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إلى قوله وَكِيلًا فأقبلت رهط بشير فقالت يا بشير استغفر اللَّه و تب من الذنب فقال و الذي أحلف به ما سرقها إلا لبيد فنزلت وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً ثم ان بشيراً كفر و لحق بمكة و أنزل اللَّه في النفر الذين أعذروا بشيراً و أتوا النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم ليعذروه وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ (الآية) و نزل في بشير و هو بمكة وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً.
و في الكافي عن الكاظم عليه السلام في قوله تعالى إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ يعني فلاناً و فلاناً و أبا عبيدة الجراح. و في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث و قد بين اللَّه قصص المغيرين بقوله إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ بعد فقد الرسول ما يقيمون به أود باطلهم حسب ما فعلته اليهود و النصارى بعد فقد موسى و عيسى من تغيير التوراة و الإنجيل و تحريف الكلم عن مواضعه.
لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أمر جميل أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ تأليف بينهم بالمودة. في الكافي و العياشي و القمي عن الصادق عليه السلام يعني بالمعروف القرض.
و القمي عنه عليه السلام ان اللَّه فرض التمحل في القرآن فسئل و ما التمحل قال أن يكون وجهك أعرض من وجه أخيك فتمحل له و هو قوله تعالى لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ. و عن أمير المؤمنين عليه السلام ان اللَّه فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيديكم.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام الكلام ثلاثة صدق وكذب و إصلاح بين الناس و فسر الإصلاح بأن تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبث نفسه فتلقاه فتقول سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه. و في الخصال عنه عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم ثلاث يحسن فيهن الكذب المكيدة في الحرب وعدتك زوجتك و الإصلاح بين الناس وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ أي الأمور الثلاثة أو الأمر بها ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً و قرئ بالياء.
وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ يخالفه مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى أي ظهر له الحق وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ما هم عليه من الدين الحنيفي نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى نجعله والياً لما تولى من الضلال بأن نخذله و نخلي بينه و بين ما اختاره وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً. القمي نزلت في بشير كما مر.
إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ تكريره اما للتأكيد أو لقصة بشير وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً عن الحق. إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يدعو هؤلاء المشركون و ما يعبدون من دون اللَّه إِلَّا إِناثاً يعني اللات و العزى و مناة الثالثة الأخرى و أساف و نائلة كان لكل حي صنم يعبدونه و يسمونه أنثى بني فلان كذا قيل.

و في المجمع عن تفسير أبي حمزة الثمالي قال كان في كل واحدة منهن شيطانة أنثى تتراءى للسدنة و تكلمهم و ذلك من صنيع إبليس و هو الشيطان الذي ذكره اللّٰه تعالى و لعنه وَ إِنْ يَدْعُونَ أن يعبدون بعبادتها إِلَّا شَيْطاناً مَرِيداً لأنه الذي أمرهم بعبادتها و أغراهم عليها فكان طاعتهم في ذلك عبادة له و المريد الخارج عن الطاعة الذي لا يعلق بخير.

لَعَنَهُ اللّٰهُ أبعده عن الخير وَ قالَ أي الشيطان لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً قدر لي و فرض قاله عداوة و بغضاً. في المجمع عن تفسير الثمالي عن النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم في هذه الآية من بني آدم تسعة و تسعون في النار و واحد في الجنة، و في رواية أخرى من كل الف واحد للّٰه و سائرهم للنار و لإبليس.

وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ عن الحق وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ الأماني الباطلة كطول العمر و ان لا بعث و لا عقاب وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ قيل كانوا يشقون اذانها إذا ولدت خمسة أبطن و الخامس ذكر و حرموا على أنفسهم الانتفاع بها.

و في المجمع عن الصادق عليه السلام ليقطعن الأذن من أصلها وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّٰهِ عنه عليه السلام يريد دين اللّٰه و أمره. و فيه و يؤيده قوله سبحانه فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِي فَطَرَ النّٰاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ.

أقول: و يزيده تأييداً قوله عز و جل عقيب ذلك الدِّينُ الْقَيِّمُ و تفسيرهم عليهم السلام فِطْرَتَ اللّٰهِ بالإسلام و لعله يندرج فيه كل تغيير لخلق اللّٰه عن وجهه صورة أو صفة من دون اذن من اللّٰه كفقئهم عين الفحل الذي طال مكثه عندهم و اعفاؤه عن الركوب و خصاء العبيد و كل مثلة و لا ينافيه التفسير بالدين و الأمر لأن ذلك كله داخل فيهما وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللّٰهِ بأن يؤثر طاعته على طاعة اللّٰه عز و جل فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً إذ ضيع رأس ماله و بدل مكانه من الجنة بمكانه من النار.

يَعِدُهُمْ ما لا ينجز وَ يُمَنِّيهِمْ ما لا ينالون وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً و هو إظهار النفع فيما فيه الضرر و هذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه.

في المجالس عن الصادق عليه السلام لما نزلت هذه الآية وَ الَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّٰهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ صعد إبليس جبلًا بمكة يقال له ثور فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا اليه فقالوا يا سيدنا لم دعوتنا قال نزلت هذه الآية فمن لها فقام عفريت من الشياطين فقال أنا لها قال بماذا فقال له بكذا وكذا قال لست لها فقام آخر فقال مثل ذلك فقال لست لها فقال الوسواس الخناس أنا لها قال بما ذا قال أعدهم و أمنيهم حتى يواقعوا الخطيئة فإذا أوقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار فقال أنت لها فوكله بها إلى يوم القيامة.

أُولٰئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ لا يَجِدُونَ عَنْها مَحِيصاً معدلًا و مهرباً.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً وَعْدَ اللّٰهِ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ قِيلًا تأكيد بليغ. لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ.

القمي ليس ما تتمنون أنتم و لا أهل الكتاب أي أن لا تعذبوا بأفعالكم مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ عاجلًا أو آجلًا.

في العيون أن إسماعيل قال للصادق عليه السلام يا أبتاه ما تقول في المذنب منا و من غيرنا فقال لَيْسَ بِأَمانِيِّكُمْ وَ لا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ.

و في المجمع عن أبي هريرة قال لما نزلت هذه الآية بكينا و حزنا و قلنا يا رسول اللّٰه ما أبقت هذه الآية من شيء فقال أما و الذي نفسي بيده انها لكما نزلت، و لكن ابشروا و قاربوا و سددوا أنه لا يصيب أحداً منكم مصيبة الا كفر اللّٰه بها خطيئته حتى الشوكة يشاكها أحدكم في قدمه.

أقول: معنى قاربوا و سددوا اقتصدوا في أموركم و اطلبوا بأعمالكم السداد و الاستقامة من غير غلو و لا تقصير. و في معنى هذا الحديث أخبار كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام.

و العياشي عن الباقر عليه السلام لما نزلت هذه الآية مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ قال بعض أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ما أشدها من آية فقال لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم اما تبتلون في أنفسكم و أموالكم و ذراريكم قالوا بلى قال هذا مما يكتب اللّه لكم به الحسنات و يمحو به السيئات.
و في الكافي عنه عليه السلام ان اللّه تعالى إذا كان من أمره أن يكرم عبداً و له ذنب ابتلاه بالحاجة فان لم يفعل ذلك به شدد عليه الموت ليكافيه بذلك الذنب (الحديث). وَ لا يَجِدْ لَهُ لنفسه مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا من يواليه وَ لا نَصِيراً يدفع عنه العذاب.
وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحات بعضها مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ و قرئ بضم الياء و فتح الخاء وَ لا يُظْلَمُونَ نَقِيراً بنقص شيء من الثواب، النقير النقطة التي في النواة.
وَ مَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ أخلص نفسه للّه وَ هُوَ مُحْسِنٌ آت بالحسنات.
و في الحديث النبوي الإحسان أن تعبد اللّه كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ التي هي دين الإسلام و المتفق على صحتها يعني اقتدى بدينه و بسيرته و طريقته حَنِيفاً مائلًا عن سائر الأديان وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا اصطفاه و خصصه بكرامة الخلة.
في الكافي عنهما عليهما السلام ان اللّه تبارك و تعالى اتخذ ابراهيم عبداً قبل أن يتخذه و نبياً و ان اللّه اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولًا و ان اللّه اتخذه رسولًا قبل أن يتخذه خليلًا و ان اللّه اتخذه خليلًا قبل أن يجعله إماماً. و فيه و العياشي عن الباقر عليه السلام لما اتخذ اللّه عز و جل ابراهيم خليلًا أتاه بشراه بالخلة فجاءه ملك الموت في صورة شاب أبيض عليه ثوبان أبيضان يقطر رأسه ماءً و دهناً فدخل ابراهيم الدار فاستقبله خارجاً من الدار و كان ابراهيم رجلًا غيوراً و كان إذا خرج في حاجة أغلق بابه و أخذ مفتاحه معه ثم رجع ففتح فإذا هو برجل قائم أحسن ما يكون الرجال فأخذه بيده و قال يا عبد اللّه من أدخلك داري فقال ربها أدخلنيها فقال ربها أحق بها مني فمن أنت قال ملك الموت ففزع ابراهيم عليه السلام و قال جئتني لتسلبني روحي قال لا و لكن اتخذ اللّه عبداً خليلًا فجئت لبشارته قال فمن هو لعلي اخدمه حتى أموت قال أنت هو فدخل على سارة فقال لها ان اللّه تعالى اتخذني خليلًا.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام إن ابراهيم كان أبا أضياف و كان إذا لم يكونوا عنده خرج يطلبهم و أغلق بابه و أخذ المفاتيح يطلب الأضياف و أنه رجع إلى داره فإذا هو برجل أو شبه رجل في الدار فقال يا عبد اللّه بإذن من دخلت هذه الدار فقال دخلتها بإذن ربها يردد ذلك ثلاث مرات فعرف ابراهيم عليه السلام أنه جبرئيل فحمد ربّه ثم قال أرسلني ربك إلى عبد من عبيده يتخذه خليلًا قال ابراهيم عليه السلام اعلمني من هو أخدمه حتى أموت قال فأنت قال و بم ذلك قال لأنك لم تسأل أحداً شيئاً قط و لم تُسأل شيئاً قط فقلت لا. و القمي عنه عليه السلام ان ابراهيم عليه السلام هو أول من حول له الرمل دقيقاً و ذلك أنه قصد صديقاً له بمصر في قرض طعام فلم يجده في منزله فكره أن يرجع بالحمار خالياً فملأ جرابه رملًا فلما دخل منزله خلا بين الحمار و بين سارة استحياءً و دخل البيت و نام ففتحت سارة عن دقيق أجود ما يكون فخبزت و قدمت اليه طعاماً طيباً فقال ابراهيم عليه السلام من أين لك هذا فقالت من الدقيق الذي حملته من عند خليلك المصري فقال ابراهيم اما إنه خليلي و ليس بمصري فلذلك أعطى الخلة فشكره و حمده و أكل.
و في الاحتجاج عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم في حديث قولنا إن ابراهيم عليه السلام خليل اللّه فإنما هو مشتق من الخلة و الخلة انما معناها الفقر و الفاقة فقد كان خليلًا إلى ربه فقيراً إليه منقطعاً و عن غيره متعففاً معرضاً مستغنياً و ذلك أنه لما أُريد قذفه في النار فرمي به في المنجنيق فبعث اللّه إلى جبرئيل فقال له أدرك عبدي فجاءه فلقيه في الهواء فقال كلفني ما بدا لك فقد بعثني اللّه لنصرتك فقال بل حسبي اللّه و نعم الوكيل اني لا أسأل غيره و لا حاجة لي إلا اليه فسماه خليله أي فقيره و محتاجه و المنقطع اليه عما سواه قال و إذا جعل معنى ذلك من الخلة و هو أنه قد تخلل معانيه و وقف على أسرار لم يقف عليها غيره كان معناه

العالم به و بأموره و لا يوجب ذلك تشبيه اللّٰه بخلقه ألا ترون أنه إذا لم ينقطع اليه لم يكن خليله و إذا يعلمه بأسراره لم يكن خليله.
و في العيون عن الصادق عليه السلام انما اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرٰاهِيمَ خَلِيلاً لأنه لم يرد أحداً و لم يسأل أحداً قط غير اللّٰه. و في العلل عنه عليه السلام لكثرة سجوده على الأرض.
و عن الهادي عليه السلام لكثرة صلواته على محمد و أهل بيته صلوات اللّٰه عليهم أجمعين.
و عن النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم لاطعامه الطعام و صلاته بالليل و الناس نيام.
أقول: لا تنافي بين هذه الأخبار لأنها كلها مشترك في معنى انقطاعه إلى اللّٰه و استغنائه عما سواه و انه الموجب لاتخاذ اللّٰه إياه خليلاً و مما يدل على هذا المعنى ما ورد في بعض الروايات أن الملائكة قال بعضهم لبعض اتخذ ربنا من نطفة خليلاً و قد أعطاه ملكاً عظيماً جزيلاً فأوحى اللّٰه تعالى إلى الملائكة اعمدوا على أزهدكم و رئيسكم فوقع الاتفاق على جبرئيل و ميكائيل فنزلا إلى ابراهيم في يوم جمع غنمه و كان لإبراهيم عليه السلام أربعة آلاف راع و أربعة آلاف كلب في عنق كل كلب طوق وزن منّ من ذهب أحمر و أربعون الف غنمة حلابة و ما شاء اللّٰه من الخيل و الجمال فوقف الملكان في طرفي الجمع فقال أحدهما بلذاذة صوت سبوح قدوس فجاوبه الثاني رب الملائكة و الروح فقال أعيداهما و لكما نصف مالي ثم قال أعيداهما و لكما مالي و ولدي و جسدي فنادت ملائكة السموات هذا هو الكرم هذا هو الكرم فسمعوا منادياً من العرش يقول الخليل موافق لخليله.
وَ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ خلقاً و أمراً و ملكاً فهو مستغن عن جميع خلقه و جميع خلقه محتاجون اليه وَ كٰانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً علماً و قدرةً.
وَ يَسْتَفْتُونَكَ و يسألونك الفتوى أي تبيين الحكم فِي النِّسٰاءِ في ميراثهن.
القمي عن الباقر عليه السلام سئل النبي صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم عن النساء ما لهن من الميراث فأنزل اللّٰه الربع و الثمن قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ يبين لكم ما سألتم في شأنهن وَ مٰا يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتٰابِ أي و يبين لكم أيضاً ما يقرأ عليكم في القرآن فِي يَتٰامَى النِّسٰاءِ اللاّٰتِي لاٰ تُؤْتُونَهُنَّ لا تعطونهن مٰا كُتِبَ لَهُنَّ من الميراث كان أهل الجاهلية لا يورثون الصغير و لا المرأة وكانوا يقولون لا نورث إلا من قاتل و دفع عن الحريم فأنزل اللّٰه تعالى آيات الفرائض التي في أول السورة و هو معنى قوله لاٰ تُؤْتُونَهُنَّ مٰا كُتِبَ لَهُنَّ كذا في المجمع عن الباقر عليه السلام. و زاد القمي وكانوا يرون ذلك في دينهم حسناً فلما أنزل اللّٰه فرائض المواريث وجدوا من ذلك وجداً شديداً فقالوا انطلقوا إلى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم فنذكر ذلك له لعله يدعه أو يغيره فأتوه فقالوا يا رسول اللّٰه للجارية نصف ما ترك أبوها و أخوها و يعطى الصبي الصغير الميراث و ليس واحد منهما يركب الفرس و لا يحوز الغنيمة و لا يقاتل العدو فقال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلم بذلك أُمرت وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ عن نكاحهن. القمي ان الرجل كان في حجره اليتيمة فتكون دميمة و ساقطة يعني حمقاء فيرغب الرجل أن يتزوجها و لا يعطيها مالها فينكحها غيره من أجل مالها و يمنعها النكاح و يتربص بها الموت ليرثها فنهى اللّٰه عن ذلك وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ و يفتيكم في المستضعفين مِنَ الْوِلْدٰانِ من الصبيان الصغار أن تعطوهم حقوقهم لأنهم فيما يتلى عليكم و آتوا اليتامى أموالهم كما مضى وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتٰامىٰ بِالْقِسْطِ و يفتيكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط في أنفسهم و أموالهم وَ مٰا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ في أمر النساء و اليتامى و غير ذلك فَإِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِهِ عَلِيماً وعد لمن آثر الخير في ذلك.
وَ إِنِ امْرَأَةٌ خٰافَتْ مِنْ بَعْلِهٰا توقعت لما ظهر لها من المخايل نُشُوزاً تجافياً عنها و ترفعاً عن صحبتها وكراهة لها و منعاً لحقوقها أَوْ إِعْرٰاضاً بأن يقل مجالستها و محادثتها فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِمٰا أَنْ يُصْلِحٰا بَيْنَهُمٰا صُلْحاً.
في الكافي و العياشي عن الصادق عليه السلام هي المرأة تكون عند الرجل فيكرهها فيقول لها أُريد أن أُطلقك فتقول له لا تفعل اني أكره أن يشمت بي و لكن انظر في ليلتي فاصنع بها ما شئت و ما كان سوى

ذلك من شيء فهو لك ودعني على حالتي و هو قوله تعالى فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يُصْلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً هذا هو الصلح. و القمي ما في معناه مع ذكر سبب النزول وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ من الفرقة و سوء العشرة وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ لكونها مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح باعراض الزوج عنها و تقصيره في حقها و لا الرجل يسمح بأن يمسكها و يقوم بحقها على ما ينبغي إذا كرهها أو أحب غيرها.

القمي قال وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ فمنها من اختارته و منها من لم تختره وَ إِنْ تُحْسِنُوا في العشرة وَ تَتَّقُوا النشوز و الإعراض و نقص الحق فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ من الإحسان و الخصومة خَبِيراً فيجازيكم عليه.

وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ أن تسووا بينهن في المحبة و المودة بالقلب كما مضى في أوائل السورة من الكافي. و رواه العياشي و القمي عن الصادق عليه السلام.

و في المجمع عنهما عليهما السلام أن معناه التسوية في كل الأمور من جميع الوجوه وَ لَوْ حَرَصْتُمْ على ذلك كل الحرص فان ذلك ليس إليكم و لا تملكونه و لا تكلفونه و لا تؤاخذون به.

في المجمع عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أنه كان يقسم بين نسائه و يقول اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك و لا أملك فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ بترك المستطاع و الجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ التي ليست ذات بعل و لا أيماً.

في المجمع عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم كان يقسم بين نسائه في مرضه فيطاف به بينهن، قال و روي أن علياً عليه الصلاة و السلام كان له امرأتان فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الاخرى وَ إِنْ تُصْلِحُوا ما تفسدون من أمورهن وَ تَتَّقُوا فيما يستقبل فَإِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً يغفر لكم ما مضى من قبلكم.

وَ إِنْ يَتَفَرَّقا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ قيل يعني إذا أبى كل واحد منهما مصالحة الآخر و يتفرقا بالطلاق يغن اللَّه كلا منهما عن الآخر ببدل أو سلو من غناه و قدرته و يرزقه من فضله وَ كانَ اللَّهُ واسِعاً حَكِيماً.

في الكافي عن الصادق عليه السلام انه شكا رجل اليه الحاجة فأمره بالتزويج فاشتد به الحاجة فأمره بالمفارقة فأثرى و حسن حاله فقال له أمرتك بأمرين أمر اللَّه بهما قال تعالى وَ أَنْكِحُوا الْأَيامى إلى قوله إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ و قال وَ إِنْ يَتَفَرَّقا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ.

وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماوات وَ ما فِي الْأَرْضِ لا يتعذر عليه الإغناء بعد الفرقة و الإيناس بعد الوحشة تنبيه على كمال قدرته و سعة ملكه وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ من اليهود و النصارى و غيرهم وَ إِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ.

في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام في هذه الآية قد جمع اللَّه ما يتواصى به المتواصون من الأولين و الآخرين في خصلة واحدة و هي التقوى و فيه جماع كل عبادة صالحة و به وصل من وصل إلى الدرجات العلى وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماوات وَ ما فِي الْأَرْضِ مالك الملك كله لا يتضرر بكفرانكم و عصيانكم كما لا ينتفع بشكركم و تقواكم و انما وصاكم لرحمته لا لحاجته وَ كانَ اللَّهُ غَنِيًّا عن الخلق و عباداتهم حَمِيداً في ذاته حمد أو لم يحمد.

وَ لِلَّهِ ما فِي السَّماوات وَ ما فِي الْأَرْضِ كل يدل بحاجته على غناه و بما فاض عليه من الوجود و الكمال على كونه حميداً وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا حافظاً للجميع لا يعزب عنه مثقال ذرة فيهما و قيل راجع إلى قوله يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ فانه يوكل بكفايتهما و ما بينهما تقرير لذلك.

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ يفنكم أَيُّهَا النَّاسُ وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ و يوجد قوماً آخرين مكانكم وَ كانَ اللَّهُ عَلى ذلِكَ من الإعدام و الإيجاد قَدِيراً بليغ القدرة لا يعجزه مراد.

في المجمع و يروى أنه لما نزلت هذه الآية ضرب النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم يده على ظهر سلمان رضي اللَّه عنه و قال هم قوم هذا يعني عجم الفرس.

مَنْ كانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيا كمن يجاهد للغنيمة فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ فليطلب الثوابين جميعاً من عند اللَّه و ما باله يكتفي بأخسهما و يدع أشرفهما على أنه لو طلب الأشرف لم يخطئه الأخس.

في الكافي و الخصال عن الصادق عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين صلوات اللَّه عليهم قال كانت الحكماء و الفقهاء إذا كاتب بعضهم بعضاً كتبوا بثلاث ليس معهن رابعة من كانت الآخرة همته كفاه اللَّه همته من الدنيا و من أصلح سريرته أصلح اللَّه علانيته و من أصلح فيما بينه و بين اللَّه أصلح اللَّه فيما بينه و بين الناس.

و في الفقيه عن الصادق عليه السلام الدنيا طالبة و مطلوبة فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه منها و من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيه رزقه وَكانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً عالماً بالأغراض فيجازي كلا بحسب قصده.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته شُهَداءَ لِلَّهِ بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه اللَّه وَ لَوْ عَلى أَنْفُسِكُمْ و لوكانت الشهادة على أنفسكم بأن تقروا عليها أَوِ الْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ المشهود عليه أو المشهود له غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فلا تمتنعوا عن إقامة الشهادة للغنيّ على الفقير لاستغناء المشهود له و فقر المشهود عليه و لا عن إقامة الشهادة للفقير الغنيّ تهاوناً بالفقير و توقيراً للغني أو خشية منه أو حشمة له فَاللَّهُ أَوْلى بِهِما بالغني و الفقير و أنظر لهما فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا لأن تعدلوا عن الحق من العدول أو لأجل أن تعدلوا في الشهادة من العدل نهي عن متابعة الهوى في إقامتها كمراعاة صداقة أو عداوة أو وحشة أو عصبية أو غير ذلك وَ إِنْ تَلْوُوا ألسنتكم عن شهادة الحق أَوْ تُعْرِضُوا عن أدائها.

في المجمع عن الباقر عليه السلام إِنْ تَلْوُوا أي تبدلوا الشهادة أَوْ تُعْرِضُوا أي تكتموها.

و في الكافي عن الصادق عليه السلام إِنْ تَلْوُوا الأمر أَوْ تُعْرِضُوا عما أمرتم به و قرئ ان تلوا على معنى ان وليتم اقامة الشهادة فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً فيجازيكم عليه.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بألسنتهم و ظاهرهم آمِنُوا بقلوبكم و باطنكم بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْكِتابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ يعني القرآن وَ الْكِتابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ التوراة و الإنجيل و غيرهما أُريد به الجنس و قرئ على البناء للمفعول فيهما وَ مَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ و من يكفر بشيء من ذلك فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا كاليهود آمنوا بموسى عليه السلام و كالمنافقين آمنوا بمحمد ثُمَّ كَفَرُوا ثم عبد اليهود العجل و ارتد المنافقون ثُمَّ آمَنُوا عادوا إلى الإيمان ثُمَّ كَفَرُوا كفر اليهود بعيسى و ارتد المنافقون مرة اخرى ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً بمحمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و تمادوا في الغي و أصروا عليه حتى ماتوا.

القمي نزلت في الذين آمنوا برسول اللَّه اقراراً لا تصديقاً ثم كفروا لما كتبوا الكتاب فيما بينهم أن لا يردوا الأمر في أهل بيته أبداً فلما نزلت الولاية و أخذ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم الميثاق عليهم لأمير المؤمنين عليه السلام آمنوا اقراراً لا تصديقاً فلما قضى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم كفروا فازدادوا كفراً.

و العياشي عن الباقر عليه السلام قال هما و الثالث و الرابع و عبد الرحمن و طلحة وكانوا سبعة (الحديث) و ذكر فيه مراتب ايمانهم وكفرهم.

و عن الصادق عليه السلام نزلت في فلان و فلان و فلان آمنوا برسول اللَّه في أول الأمر ثم كفروا حين عرضت عليهم الولاية حيث قال من كنت مولاه فعليّ مولاه ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قالوا له بأمر اللَّه و أمر رسوله فبايعوه ثم كفروا حيث مضى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم فلم يقروا بالبيعة ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء، و في رواية أخرى عنهما عليهما السلام نزلت في عبد اللَّه بن أبي سرح الذي بعثه عثمان إلى مصر قال و ازدادوا كفراً حتى لم يبق فيه من الايمان شيء و في أخرى من زعم أن الخمر حرام ثم شربها و من زعم أن الزنا حرام ثم زنى و من

زعم أن الزكاة حق و لم يؤدها لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا الى الجنة لأن بصائرهم عميت عن الحق فلا يتأتى منهم الرجوع إليه. بَشِّرِ الْمُنافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً.
الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَ يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ يتعززون بموالاتهم فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً لا يتعزز إلا من أعزه اللَّه و قدكتب العزة لأوليائه كما قال عز و جل وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ.
القمي نزلت في بني أمية حيث حالفوا على أن لا يردوا الأمر في بني هاشم.
وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ القرآن أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها وَ يُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ.
القمي آيات اللَّهِ هم الأئمة عليهم السلام.
و في الكافي عن الصادق عليه السلام و العياشي عن الرضا عليه السلام في تفسيرها إذا سمعت الرجل يجحد الحق و يكذب به و يقع في أهله فقم من عنده و لا تقاعده.
و عن الصادق عليه السلام و فرض اللَّه على السمع أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم اللَّه و أن يعرض عما لا يحل له مما نهى اللَّه عنه و الإصغاء إلى ما أسخط اللَّه فقال في ذلك و قد نزل عليكم الْآيَةَ قال ثم استثنى موضع النسيان فقال وَ إِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ في الكفران رضيتم به و إلا ففي الإثم لقدرتكم على الإنكار و الإعراض إِنَّ اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ وَ الْكافِرِينَ القاعدين و المقعود معهم فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً.
النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم لم يقع عليه السهو فقال كذبوا لعنهم اللَّه ان الذي لا يسهو هو اللَّه الذي لا إله إلا هو قيل و فيهم قوم يزعمون أن الحسين بن علي صلوات اللَّه عليهما لم يقتل و أنه القي شبهة على حنظلة بن سعد الشامي و أنه رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم عليه السلام و يحتجون بهذه الآية وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا فقال كذبوا عليهم غضب اللَّه و لعنته وكفروا بتكذيبهم النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم في أخباره بأن الحسين عليه السلام سيقتل و اللَّه لقد قتل الحسين بن علي صلوات اللَّه عليهما و قتل من كان خيراً من الحسين أمير المؤمنين و الحسن بن علي عليهما السلام و ما منا الا مقتول و اني و اللَّه لمقتول باغتيال من يغتالني أعرف ذلك بعهد معهود إليّ من رسول اللَّه أخبره به جبرئيل عن رب العالمين.
فاما قوله عز و جل وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا فانه يقول لن يجعل اللَّه لكافر على مؤمن حجة و لقد أخبر اللَّه تعالى عن كفار قتلوا نبيين بغير حق و مع قتلهم إياهم لن يجعل اللَّه لهم على أنبيائه سبيلًا من طريق الحجة.
إِنَّ الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ مضى تفسيره في أول سورة البقرة وَ إِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى متثاقلين كالمكره على الفعل و قرئ كَسَالَى بالفتح يُراؤُنَ النَّاسَ ليخالوهم مؤمنين وَ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا إذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه.
في الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام من يذكر اللَّه في السر فقد ذكر اللَّه كثيراً ان المنافقين كانوا يذكرون اللَّه علانية و لا يذكرونه في السر فقال اللَّه عز و جلّ يُراؤُنَ النَّاسَ وَ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا.
مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ مرددين بين الإيمان و الكفر من الذبذبة و هو جعل الشيء مضطرباً و أصله الذب بمعنى الطرد و قرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم لا إِلى هؤُلاءِ وَ لا إِلى هؤُلاءِ لا يصيرون إلى المؤمنين بالكلية و لا إلى الكافرين كذلك يظهرون الإيمان كما يظهره المؤمنون و لكن لا يضمرونه كما يضمرون.
و يضمرون الكفر كما يضمره الكافرون و لكن لا يظهرونه كما يظهرون وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا طريقاً و مذهباً نظيره قوله وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ.

يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ فانه صنيع المنافقين و شعارهم أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً حجة بينة فان موالاة الكافرين دليل النفاق.

إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ فان للنار دركات كما أن للجنة درجات سميت بهذا لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض و الأسفل منها هي التي في قعر جهنم وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً يخرجهم منه.

إِلَّا الَّذينَ تابُوا عن النفاق وَ أَصْلَحُوا ما أفسدوا من أسرارهم و أحوالهم في حال النفاق وَ اعْتَصَمُوا بِاللَّهِ و وثقوا به و تمسكوا بدينه وَ أَخْلَصُوا دينَهُمْ لِلَّهِ لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فَأُولئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ من عدادهم في الدارين وَ سَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً فيساهمونهم فيه.

ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ يتشفى به غيظاً أو يدفع به ضرراً أو يستجلب به نفعاً سبحانه هو الغني المتعال عن النفع و الضرر و انما يعاقب المصر على كفره لأن إصراره عليه كسوء مزاج يؤدي إلى مرض فإذا زال بالإيمان و الشكر و نقى نفسه عنه تخلص من تبعته و انما قدم الشكر لأن الناظر يدرك النعمة أولًا فيشكر شكراً مبهماً ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به كذا قيل وَكانَ اللَّهُ شاكِراً مثيباً يقبل اليسير و يعطي على القليل الجزيل عَلِيماً بحق شكركم و ايمانكم.

لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ.

في المجمع عن الباقر عليه السلام لا يُحِبُّ اللَّهُ الشتم في الانتصار إِلَّا مَنْ ظُلِمَ فلا بأس له أن ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الانتصار به في الدين و فيه و نظيره وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا.

و القمي ما يقرب منه قال و في حديث آخر في تفسيرها إن جاءك رجل و قال فيك ما ليس فيك من الخير و الثناء و العمل الصالح فلا تقبله منه وكذبه فقد ظلمك.

و في المجمع عن الصادق عليه السلام أنه الضيف ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فلا جناح عليه أن يذكر سوء ما فعله. و العياشي عنه عليه السلام في هذه الآية من أضاف قوماً فأساء ضيافتهم فهو ممن ظلم فلا جناح عليهم فيما قالوا فيه.

و عنه عليه السلام الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ أن يذكر الرجل بما فيه وَكانَ اللَّهُ سَمِيعاً لما يجهر به من سوء القول عَلِيماً بصدق الصادق وكذب الكاذب فيجازي كلًّا بعمله.

إِنْ تُبْدُوا خَيْراً تظهروا طاعة و براً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ مع قدرتكم على الانتقام من دون جهر بالسوء من القول و هو المقصود ذكره و ما قبله تمهيد له و لذا رتب عليه قوله فَإِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا قَديراً لم يزل يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام و هو حث للمظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملًا على مكارم الأخلاق.

إِنَّ الَّذينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ بأن يؤمنوا باللّه و يكفروا برسله وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ نؤمن ببعض الأنبياء و نكفر ببعض كما فعلته اليهود صدّقوا موسى (ع) و من تقدمه من الأنبياء وكذبوا عيسى و محمداً (ع) وكما فعلت النصارى صدقوا عيسى و من تقدمه وكذبوا محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ بين الإيمان و الكفر سَبِيلًا طريقاً الى الضلالة مع ان الإيمان باللّه لا يتمّ إلا بالايمان برسله كلهم و تصديقهم فيما بلغوا عنه كله فالكافر ببعض ذلك كافر بالكل فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ.

أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ الكاملون في الكفر حَقًّا تأكيد لئلا يتوهم ان قولهم نؤمن ببعض يخرجهم عن حيز الكفار وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً يهينهم و يذلهم.

القمي قال هم الذين أقروا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أنكروا أمير المؤمنين عليه السلام.

وَ الَّذينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ بل آمنوا بجميعهم أُولئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ نعطيهم أُجُورَهُمْ الموعدة لهم سمي الثواب أجراً للدلالة على استحقاقهم لها و التصدير بسوف للدلالة على أنه كائن لا محالة

و ان تأخر و قرأ يؤتيهم بالياء وَكانَ اللَّهُ غَفُوراً لم يزل يعفي ما فرط منهم من المعاصي رَحِيماً يتفضّل عليهم بأنواع الإنعام. يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ.

في المجمع روي أن كعب بن الأشرف و جماعة من اليهود قالوا يا محمد ان كنت نبياً فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى عليه السلام بالتوراة جملة فنزلت فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ أي لا يعظمن عليك سؤالهم إياك انزل الكتاب من السماء فإنهم سألوا موسى أعظم من ذلك بعد ما أتاهم بالبينات الظاهرة و المعجزات الباهرة و هذا السؤال و ان كان من آبائهم أسند إليهم لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهم و الغرض أن عرقهم راسخ في ذلك و ان ما اقترحوا عليك ليس بأول جهالاتهم فَقالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً عياناً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ بسبب ظلمهم و هو تعنتهم و سؤالهم لما يستحيل ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ عبدوه مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ المعجزات الباهرات فَعَفَوْنا عَنْ ذلِكَ لسعة رحمتنا وَ آتَيْنا مُوسى سُلْطاناً مُبِيناً حجة بينة تبين عن صدقه.

وَ رَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ الجبل بِمِيثاقِهِمْ ليقبلوه وَ قُلْنا لَهُمُ على لسان موسى عليه السلام ادْخُلُوا الْبابَ باب حطة سُجَّداً وَ قُلْنا لَهُمْ على لسان موسى و داود لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ لا تتجاوزوا في يوم السبت ما أُبيح لكم إلى ما حرم عليكم وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً على ذلك.

فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ يعني فحالفوا و نقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بسبب نقضهم و ما مزيدة للتأكيد و يجوز أن يكون الباء متعلقة بحرمنا عليهم طيبات متقدمة عليه وَكُفْرِهِمْ بِآياتِ اللَّهِ بحججه و أدلته وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ. القمي قال هؤلاء لم يقتلوا الأنبياء و انما قتلهم أجدادهم فرضي هؤلاء بذلك فألزمهم اللَّه القتل بفعل أجدادهم وكذلك من رضي بفعل فقد لزمه و ان لم يفعله وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ أوعية للعلوم أو في أكنة كما مر تفسيره بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فجعلها محجوبة عن العلم و خذلها و منعها التوفيق للتدبر في الآيات و التذكر بالمواعظ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا منهم أو إيماناً قليلًا لا عبرة به لنقصانه. وَ بِكُفْرِهِمْ بعيسى عليه السلام وَ قَوْلِهِمْ عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً يعني نسبتها إلى الزنا.

في المجالس عن الصادق عليه السلام ان رضى الناس لا يملك و ألسنتهم لا تضبط أ لم ينسبوا مريم ابنة عمران إلى أنها حملت بعيسى عليه السلام من رجل نجار اسمه يوسف.

وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ يعني رسول اللَّه بزعمه نظيره إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ و ذلك لما رفعه اللَّه اليه وَ ما قَتَلُوهُ وَ ما صَلَبُوهُ وَ لكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ قد مضى ذكر هذه القصة في سورة آل عمران عند قوله تعالى إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ قيل انما أذمهم اللَّه بما دل عليه الكلام من جرأتهم على اللَّه و قصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة و بتجحجحهم به لا لقولهم هذا على حسب حسبانهم وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ قيل لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذباً فقتلناه حقاً و تردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى عليه السلام فأين صاحبنا و قال بعضهم الوجه وجه عيسى عليه السلام و البدن بدن صاحبنا و قال من سمع منه ان اللَّه يرفعني إلى السماء رفع إلى السماء و قال قوم صلب الناسوت و صعد اللاهوت ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ و لكنهم يتبعون الظن وَ ما قَتَلُوهُ يَقِيناً قتلًا يقيناً كما زعموه أو تأكيد لنفي القتل يعني حقاً.

بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ رد و انكار لقتله و اثبات لرفعه.

في الفقيه عن السجاد عليه السلام ان للَّه بقاعاً في سماواته فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به اليه ألا تسمع اللَّه يقول في قصة عيسى بن مريم بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ.

القمي رفع و عليه مدرعة من صوف.

و العياشي عن الصادق عليه السلام قال رفع عيسى بن مريم بمدرعة صوف من غزل مريم و من نسج مريم و من خياطة مريم فلما انتهى إلى السماء نودي يا عيسى الق عنك زينة الدنيا.

و في الإكمال عن النبي صلّى اللَّه عليه و آله و سلم أن عيسى بن مريم أتى إلى بيت المقدس فمكث يدعوهم و يرغبهم فيما عند اللَّه ثلاثة و ثلاثين سنة حتى طلبته اليهود و ادعت أنها عذبته و دفنته في الأرض حياً و ادعى بعضهم أنهم قتلوه و صلبوه و ما كان اللَّه ليجعل لهم سلطاناً عليه و إنما شبه لهم و ما قدروا على عذابه و دفنه و لا على قتله و صلبه لأنهم لو قدروا على ذلك لكان تكذيباً لقوله و لكن رفعه اللَّه اليه بعد أن توفاه و قد سبق صدر هذا الحديث في سورة آل عمران وَ كانَ اللَّهُ عَزِيزاً لا يغلب على ما يريده حَكِيماً فيما دبر لعباده.

عَلَيْهِمْ شَهِيداً فيشهد على اليهود بالتكذيب و على النصارى بأنهم دعوه ابن اللَّه.

و القمي عن شهر بن حوشب قال قال لي الحجاج يا شهر آية في كتاب اللَّه قد أعيتني فقلت أيها الأمير أية آية هي فقال وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ و اللَّه لأني أمر باليهود و النصراني فيضرب عنقه ثم أرمقه بعيني فما أراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت أصلح اللَّه الأمير ليس على ما تأولت قال كيف هو قلت إن عيسى عليه السلام ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملة يهودي و لا غيره إلا آمن به قبل موته و يصلي خلف المهدي عليه السلام قال ويحك أنى لك هذا و من أين جئت به فقلت حدثني به محمد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات اللَّه عليهم فقال جئت بها من عين صافية.

قال القمي و روي أن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم إذا رجع آمن به الناس كلهم.

و العياشي عن الباقر عليه السلام في تفسيرها ليس من أحد من جميع الأديان يموت إلا رأى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم و أمير المؤمنين صلوات اللَّه عليهم حقاً من الأولين و الآخرين.

و عن الصادق عليه السلام انما ايمان أهل الكتاب انما هو بمحمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم.

و في المجمع في أحد معانيها لَيُؤْمِنَنَّ بمحمد صلّى اللَّه عليه و آله و سلم قبل موت الكتابي قال و رواه أصحابنا. و في الجوامع عنهما عليهما السلام حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى محمداً و علياً و الأخبار في هذا المعنى كثيرة و العياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال هذه نزلت فينا خاصة أنه ليس رجل من ولد فاطمة يموت و لا يخرج من الدنيا حتى يقر للإمام و بإمامته كما أقر ولد يعقوب ليوسف حين قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا.

أقول: يعني أن ولد فاطمة هم المعنيون بأهل الكتاب هنا و ذلك لقوله سبحانه ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فإنهم المرادون بالمصطفين هناك كما يأتي ذكره عند تفسيره.

فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا فبظلم عظيم منهم حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ قيل هي التي ذكرت في قوله سبحانه وَ عَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ (الآية).

و في الكافي و العياشي و القمي عن الصادق عليه السلام من زرع حنطة في أرض و لم يزك زرعه فخرج زرعه كثير الشعير فبظلم عمله في ملك رقبة الأرض أو بظلم لمزارعيه و أكرته لأن اللَّه يقول فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ يعني لحوم الإبل و البقر و الغنم وَ بِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً

وَ أَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ وَ أَكْلِهِمْ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ بالرشوة و غيرها من الوجوه المحرمة وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً دون من تاب و آمن.

لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ قيل يعني و يؤمنون بالمقيمين الصلاة يعني الأنبياء و قيل بل نصب على المدح و قرئ في الشواذ بالرفع وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً لجمعهم بين الإيمان الصحيح و العمل الصالح.

إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ قيل هذا جواب لأهل الكتاب عن اقتراحهم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء و احتجاج عليهم بأن أمره في الوحي كسائر الأنبياء الذين تقدموه وَ أَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ

وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ عِيسى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هارُونَ وَ سُلَيْمانَ وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً و قرئ بضم الزاي.
وَ رُسُلًا و أرسلنا رسلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً قيل و هو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم و قد فضل اللّه محمداً صلّى اللّه عليه و آله و سلم بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم.
العياشي عنهما عليهما السلام إني أوحيت إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ فجمع له كل وحي.
و في الكافي عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم أُعطيت السور الطُوَل مكان التوراة و أُعطيت المئين مكان الإنجيل و أُعطيت المثاني مكان الزبور و فضلت بالمفصل ثمان و ستون سورة.
و فيه و في الإكمال و العياشي عن الباقر عليه السلام وكان بين آدم و نوح من الأنبياء مستخفين و مستعلنين و لذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسموا كما سمي من استعلن من الأنبياء و هو قول اللّه عز و جل وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ يعني لم يسم المستخفين كما سمى المستعلنين من الأنبياء. و في الخصال عن النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم أن اللّه ناجى موسى عليه السلام بمائة الف كلمة و اربعة و عشرين ألف كلمة في ثلاثة أيام و لياليهن ما طعم فيها موسى عليه السلام و لا شرب فيها فلما انصرف إلى بني إسرائيل و سمع كلامهم و مقتهم لما كان وقع في مسامعه من حلاوة كلام اللّه عز و جل.
و في التوحيد عن الكاظم عليه السلام في حديث فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل و صعد موسى إلى الطور و سأل اللّه تعالى أن يكلمه و يسمعهم كلامه فكلمه اللّه تعالى ذكره و سمعوا كلامه من فوق و أسفل و يمين و شمال و وراء و أمام ان اللّه عز و جل أحدثه في الشجرة ثم جعله منبعثاً منها حتى يسمعوه من جميع الوجوه. و عن أمير المؤمنين عليه السلام كَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً بلا جوارح و أدوات و شفة و لا لهوات سبحانه و تعالى عن الصفات.
و عنه عليه السلام في حديث و قد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات وكلام اللّه ليس بنحو واحد منه ما كلم اللّه به الرسل و منه ما قذفه في قلوبهم و منه رؤياً يراها الرسل و منه وحي و تنزيل يتلى و يقرأ فهو كلام اللّه فاكتف بما وصفت لك من كتاب اللّه فان معنى كلام اللّه ليس بنحو واحد فان منه ما تبلغ رسل السماء رسل الأرض.
و في الاحتجاج في مكالمة اليهود النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم قالوا موسى خير منك قال و لم قالوا لأن اللّه تعالى كلمه أربعة آلاف كلمة و لم يكلمك بشيء فقال النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلم لقد أُعطيت أنا أفضل من ذلك قالوا و ما ذاك قال قوله عز و جل سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا (الآية) و يأتي تمام الحديث في سورة بني إسرائيل ان شاء اللّه.
رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ فيقولوا لولا أرسلت إلينا رسولًا فينبهنا و يعلمنا ما لم نكن نعلم وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً لا يغلب فيما يريده حَكِيماً فيما دبر.
لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ قيل لما نزلت إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ قالوا ما نشهد لك بهذا فنزلت أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ بأنك مستأهل له وَ الْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ أيضاً وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً و إن لم يشهده غيره. القمي عن الصادق عليه السلام إنما أنزلت لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ في علي في الآية.
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالًا بَعِيداً لأنهم جمعوا بين الضلال و الإضلال و لأن المضل يكون أغرق في الضلال و ابعد من الانقلاع عنه.
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا جمعوا بينهما لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً.

إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام قال نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا آل محمد صلوات اللَّه عليهم حقهم لَمْ يَكُنِ اللَّهُ (الآية). و القمي قرأ أبو عبد اللَّه إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا آل محمد حقهم (الآية).

يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ ايماناً خيراً لكم أو آتوا أمراً خيراً لكم أو يكن الإيمان خيراً لكم وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً.

في الكافي و العياشي عن الباقر عليه السلام قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ في ولاية علي فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَ إِنْ تَكْفُرُوا بولاية علي (الآية). يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غلت اليهود في حط عيسى عليه السلام حتى رموه بأنه ولد لغير رشدة و النصارى في رفعه حتى اتخذوه إلهاً وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ يعني تنزيهه عن الشريك و الصاحبة و الولد إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ أوصلها اليها و حصلها فيها وَ رُوحٌ مِنْهُ صدرت منه.

في الكافي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عنها قال هي روح مخلوقة خلقها اللَّه في آدم و عيسى.

و في التوحيد عن الباقر عليه السلام روحان مخلوقتان اختارهما و اصطفاهما روح آدم و روح عيسى عليه السلام فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لا تَقُولُوا الآلهة ثَلاثَةٌ اللَّه و المسيح و مريم كما يدل عليه قوله تعالى أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ انْتَهُوا عن التثليث خَيْراً لَكُمْ مر نظيره إِنَّمَا اللَّهُ إِلهٌ واحِدٌ وحدة حقيقية لا يتطرق اليها نحو من أنحاء الكثرة و التعدد أصلًا سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ سبحه تسبيحاً من أن يكون له ولدكيف و الولد لا بد أن يكون مماثلًا للوالد تعالى اللَّه أن يكون له مماثل و معادل لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ ملكاً و ملكاً و خلقاً لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولداً وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا تنبيهاً على غناه عن الولد فان الحاجة اليه انما تكون ليكون وكيلًا لأبيه و اللَّه سبحانه قائم بحفظ الأشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه أو يعينه.

لن يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيح لن يأنف انْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ لأن عبودية اللَّه شرف يباهي به و انما المذلة و الاستنكاف في عبودية غيره، و روي أن وفد نجران قالوا لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه و آله و سلم لم تعيب صاحبنا قال و من صاحبكم قالوا عيسى قال و أي شيء أقول قالوا تقول إنه عبد اللَّه قال انه ليس بعار أن يكون عبداً للّه قالوا بلى فنزلت لَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ و لا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيداً للَّه مَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يَسْتَكْبِرْ و يترفع عنها و الاستكبار دون الاستنكاف و انما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق كما هو في اللَّه سبحانه سَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً المستنكف و المستكبر و المقر بالعبودية فيجازيهم على حسب أحوالهم.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحات فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَ اسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَلِيماً وَ لا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيراً ظاهر المعنى.

يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً قيل البرهان رسول اللَّه و النور القرآن و قيل البرهان المعجزات و النور القرآن أي جاءكم دلائل العقل و شواهد النقل و لم يبق لكم عذر و لا علة.

و في المجمع عن الصادق عليه السلام النور ولاية علي صلوات اللَّه و سلامه عليه.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ اعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ ثواب مستحق وَ فَضْلٍ و احسان زائد عليه وَ يَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ أي إلى اللَّه أو إلى الموعود من الرحمة و الفضل صِراطاً مُسْتَقِيماً قد مضى تحقيق معنى الصراط في سورة الفاتحة.

العياشي عن الصادق عليه السلام البرهان محمد و النور علي و الصراط المستقيم علي صلوات اللَّه عليهما.

و القمي النور امامة أمير المؤمنين و الاعتصام التمسك بولايته و ولاية الأئمة بعده.

يَسْتَفْتُونَكَ أي في الكلالة كما يدل عليه الجواب، روي أن جابر بن عبد اللّه كان مريضاً فعاده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فقال يا رسول اللّه ان لي لكلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ قد مضى تفسيرها في أول السورة إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ أي أخت لأم و أب أو أخت لأب كذا عن الصادق عليه السلام كما مر فَلَها نِصْفُ ما تَرَكَ وَ هُوَ يَرِثُها أي و المرء يرث أخته جميع مالها إن كانت الأخت هي الميتة إِنْ لَمْ يَكُنْ لَها وَلَدٌ و لا والد لأن الكلام في ميراث الكلالة و لأن السنة دلت على أن الأخوة لا يرثون مع الأب كما تواتر عن أهل البيت عليهم السلام فَإِنْ كانَتَا اثْنَتَيْنِ الضمير لمن يرث بالاخوة فَلَهُمَا الثُّلُثانِ مِمَّا تَرَكَ وَ إِنْ كانُوا إِخْوَةً رِجالًا وَ نِساءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ.
القمي عن الباقر عليه السلام إذا مات الرجل و له أخت تأخذ نصف الميراث بالآية كما تأخذ البنت لو كانت و النصف الباقي يرد عليها بالرحم إذا لم يكن للميت وارث أقرب منها فان كان موضع الاخت أخ أخذ الميراث كله بالآية لقول اللّه وَ هُوَ يَرِثُها إِنْ لَمْ يَكُنْ لَها وَلَدٌ فان كانت أختين أخذتا الثلثين بالآية و الثلث الباقي بالرحم وَ إِنْ كانُوا إِخْوَةً رِجالًا وَ نِساءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ و ذلك كله إذا لم يكن للميت ولد و أبوان أو زوجة و مضمون هذا الخبر مروي في كثير من الأخبار المعصومية المروية في الكافي و غيره.
يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا قيل أي يبين لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا خليتم و طبائعكم لتحرزوا عنه و تتحروا خلافه أو يبين لكم الحق و الصواب كراهة أن تضلوا أو لئلا تضلوا وَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فهو عالم بمصالح العباد و المحيا و الممات قيل هي آخر آية نزلت في الأحكام.
في ثواب الأعمال و العياشي عن أمير المؤمنين عليه السلام من قرأ سورة النساء في كل جمعة آمن من ضغطة القبر ان شاء اللّه تعالى.